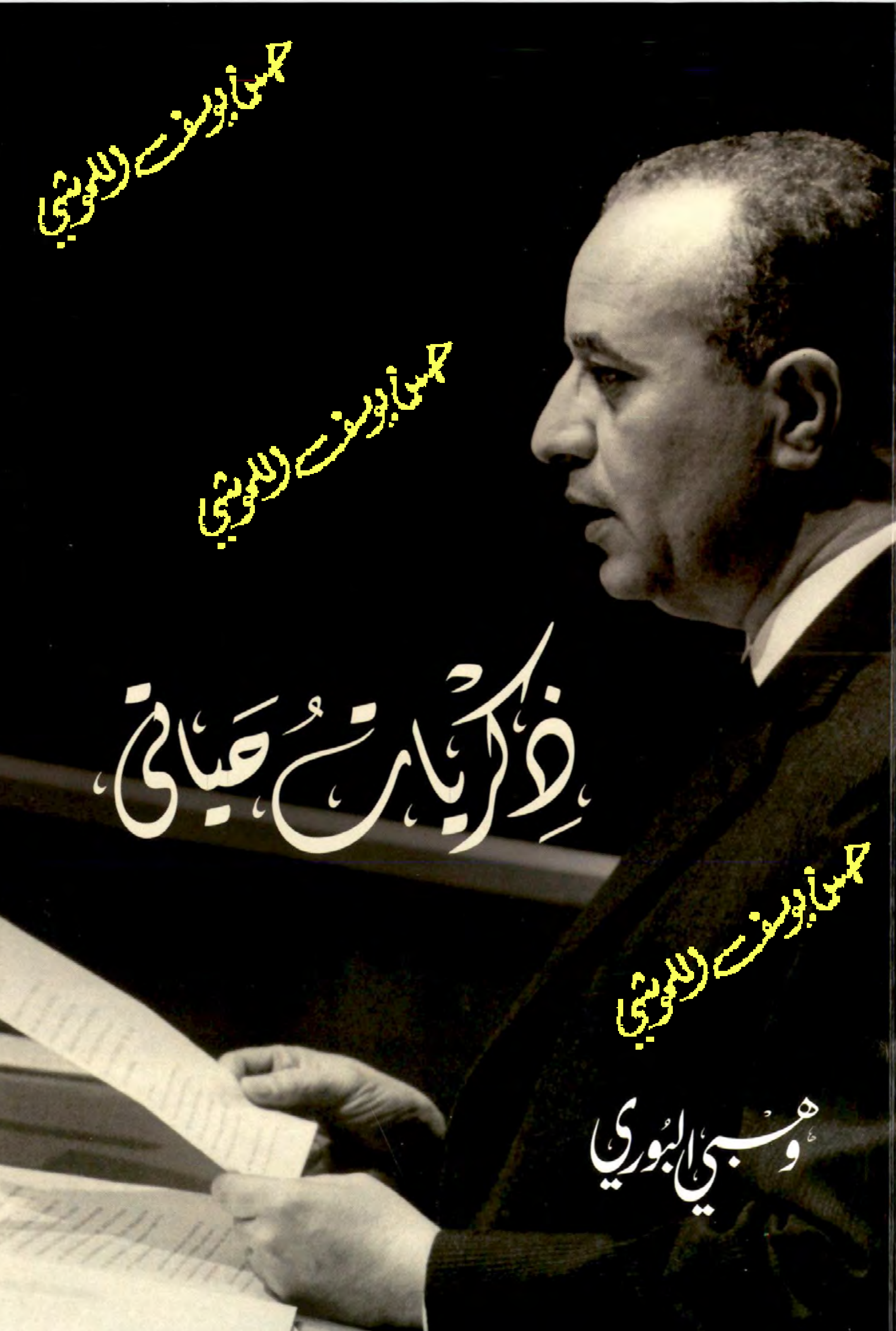

ذكريات حياتي
وهبي البوري
حسن أبوسيف الليبي

ذكريات حياتي

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء نعمان البوري
2023

ذكريات حياتي

حسن أبو يوسف الكويتي

وهبي البوري

اسم الكتاب: ذكريات حياتي
المؤلف: وهبي البوري
الناشر: عائلة المؤلف
سنة النشر: 2013
الطبعة: الاولى

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب
دار الكتب الوطنية
بنغازي ـ ليبيا

ردمك ISBN 978-9959-1-1094-7

تصفيف الكتاب: محمود المغربي ـ تصميم الغلاف: غالب الفيتوري

الإهداء

إلى أرواح جميع الذين جاهدوا واستشهدوا وضحوا بحياتهم وواجهوا الموت في سبيل حرية هذا الوطن، وإلى جميع رجال ونساء ليبيا وشبابها وأطفالها الذين صبروا وتحدوا وصمدوا في وجه الطغيان، حتى أشرقت الشمس من جديد في سماء بلادنا الحبيبة، وإلى كل ليبي حر يطمح ويتطلّع إلى بناء ليبيا الجديدة، ليبيا الحرية والعدل والمساواة.

نهدي هذا الكتاب

المقدمة

تدور أحداث هذا الكتاب في الفترة ما بين عامي 1916م و2006م، وهي فترة تقارب القرن من الزمن. ولعل أبرز ما تميز به القرن الماضي (القرن العشرين) هو الأحداث السياسية التي شكّلت الخارطة الجغرافية لعالمنا اليوم، ابتداءً بالحرب العالمية الأولى، وصراعات الدول العظمى، وما عقبها من حركة الاستعمار الأوروبي لبلاد أفريقيا وأسيا، وانتهاءً بالحرب العالمية الثانية في نهاية النصف الأول من القرن، لغرض السيطرة والهيمنة على العالم. ومع إطلالة النصف الثاني من القرن، تمكنت الدول المحتلة من نيل استقلالها، واشتعلت الحرب الباردة بين القوى العظمى الغربية والشرقية، متمثلة في صراع عالمي تزعمته الولايات المتحدة الأمريكية ضد الشيوعية، ذلك الصراع الذي ألقى بمعظم الدول العربية ودول العالم الثالث، بين براثن أنظمة دكتاتورية وشمولية مستبدة تمارس أبشع أنواع الإنتهاكات لحقوق الإنسان، إلى جانب الفساد والرشوة والمحسوبية. وهكذا انتهى القرن بتقدم دول الشمال وتراجع دول الجنوب إلى أسوأ المستويات، وبذلك تزايدت الهجرة من الجنوب إلى الشمال، إما بحثاً عن فرص العيش الكريم، أو هرباً من القهر السياسي، ولا شك أن ما ميّز أيضاً نهاية هذا القرن وأوائل القرن الواحد والعشرين، هو التقدم العلمي في التقنية والاتصالات، والتي فتحت العالم على آفاقه الواسعة، وازداد معها الوعي العام لمشاكل العالم الاقتصادية والسياسة والصحية والبيئية، إلى جانب مشاكل الجوع والفقر والكوارث الطبيعية.

ولقد جرت العادة أن يقوم مؤلف الكتاب بكتابة المقدمة، حيث يصحب القارئ في جولة تمهيدية لما سيتطرق إليه الكتاب، وتسنح له فرصة التعريف بجميع العناصر التي ساهمت في إتمام العمل. ولكن مشيئة الله سبحانه وتعالى كانت أقوى حيث انتقل فقيدنا الغالي الكاتب د. وهبي أحمد البوري إلى جوار ربه في يوم 2010/06/07م، قبل أن تتاح له فرصة المراجعة النهائية للكتاب وتجهيزه للنشر. وقد جاءت فكرة هذا الكتاب بعد وعكة صحية ألمت بالمرحوم وهبي البوري في خريف عام 2004م واستغرقت فترة علاجه سبعة أشهر قضاها في مدينة تونس، ليعود بعدها معافى إلى أرض الوطن الحبيب يملؤه الحماس للعمل الكتابي وإيصال المعلومة التاريخية إلى أبناء بلاده الأحباء، وذلك بعد أن أصبح تاريخ ليبيا شبه غريب عن المواطن الليبي، ونظراً لتقدم السن وضعف النظر، قرر الإستعانة بالآنسة سلوى شامية لإنجاز كتاب (ذكريات حياتي) حيث كانت تكتب ما يمليه عليها. وبفضل

ذاكرة حادة كان يتمتع بها، إلى جانب مدوناته التي كان يسجل فيها باستمرار أحداث ووقائع، إما يومية، أو أسبوعية، تمكن من كتابة مذكرات حياته وخاصةً الجزء السياسي منها. وقرر عدم نشر الكتاب في ذلك الوقت لمعرفته التامة بالعقبات التي كانت ستواجهه، وشرع في العمل على إنجاز كتابه (مجتمع بنغازي) وكذلك كتاب (عمر المختار وغراتسياني) والذي كان آخر أعماله، وكان يحضّر لكتابة كتاب عن (الجنرال بالبو)، ولكن وافته المنية.

ويتعرض الكتاب في عمومه، وبأسلوب قصصي مشوق، إلى الحقب التاريخية المختلفة التي عاشها مؤلف الكتاب المرحوم د.وهبي البوري، والأحداث والمتغيرات الزمنية التي عاصرها في صباه وشبابه، وخاصة أجواء الحرب العالمية الثانية والتي قضاها خارج ليبيا، ثم عصر الإستقلال وتكوين الدولة الليبية. وربما سيجذب هذا الجزء إنتباه القارئ ويشدّه، نظراً لغياب المصادر التاريخية التي تتعرض لهذه الحقبة المهمة من تاريخ ليبيا، وذلك بسبب الظروف السياسية التي عاشتها البلاد لمدة أربعة عقود، حيث كانت تُفرض الرقابة على النصوص، وخاصةً ما يتطرق إلى العهد الملكي والحكم السنوسي في ليبيا.

ويواكب صدور هذا الكتاب حدث عظيم هزّ أرجاء العالم كله، ألا وهو تحرير ليبيا الحبيبة من نظام القذافي الجائر. فبعد طول إنتظار، تحققت الأمنية التي كان يعيش المرحوم وهبي البوري على أمل نيلها. فانجلى الظلام الحالك الذي غطّى سماء بلادنا لمدةٍ تجاوزت الأربع عقود، وبزغ فجر يحمل معه بشائر الحرية والكرامة والعدل والمساواة، واندثر معه الظلم والفساد والطغيان بلا رجعة. لقد كان رحمه الله يتألم لحال بلادنا الحبيبة التي أحبها وتعلق بها وبترابها الغالي، وأمضى العقود الأخيرة من حياته يبعث الأمل فينا قائلاً بأن الظلم زائل لا محالة، وأن الشمس حتماً ستشرق من جديد، إذ كان يرى المستقبل في شبابنا، ودوماً مظهراً إعجابه بحماسه وطموحه وشجاعته وقدرته على التأقلم والتعايش مع الظروف، بالرغم من الصعاب التي كان يواجهها. ولكن إرادة الله سبحانه وتعالى كانت أقوى، فلم يكن ليرى هذا اليوم الذي أُسدل فيه الستار على نظام الجور والطغيان، وليشهد بسالة شباب ليبيا الذي طالما تحدث عنه، وهو يروي ترابها الغالي بدمائه الطاهرة، وضراوة قتال جميع أطياف شعبنا المغوار في الدفاع عن حقهم الشرعي، واقتلاع بذرة الفساد من أرض ليبيا.

رحم الله شهدائنا، وأشفى جرحانا، وأنزل الصبر والسكينة على قلوب الثكالى والأرامل والأيتام، الذين قدموا النفيس والغالي فداءً للوطن.

ونود أن نتقدم في النهاية، بجزيل الشكر والإمتنان إلى الوالدة الفاضلة والأم العظيمة السيدة عبيدة كنعان، لحثّها المرحوم على كتابة المذكرات، كذلك لمجهودها الكبير في مراجعة النص، والتصحيح اللغوي، وإعداده للنشر، كما نتوجه بخالص الشكر إلى الآنسة سلوى شامية على دورها في طباعة الكتاب. ولقد منحنا شرف كتابة هذه المقدمة لكتابٍ يعني لنا الكثير، والذي نتمنى من الله سبحانه وتعالى أن يجد حسن القبول لدى القارئ الكريم.

تغمد الله فقيدنا وهبي البوري برحمته وأسكنه فسيح جناته.

والله الموفق

أسرة المرحوم

د. وهبي أحمد البوري.

حياة الطفولة

هاجر أجدادي الأوائل من مصراتة إلى بنغازي في منتصف القرن الثامن عشر ميلادي، وأقاموا في البركة حيث ابتاعوا أرضاً واشتركوا في زراعتها مع عائلة بن شتوان، كما مارسوا فيها مهنة التجارة وتربية الحيوانات أسوةً ببقية سكان المدينة، غير أن جدي عقيلة البوري شارك في تجارة السودان، التي إزدهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والتي كان تأثيرها ملموساً في النهوض ببنغازي إقتصادياً وعمرانياً، وحرص عقيلة البوري على تعليم أبنائه العشرة، فتخرج أحدهم وهو (ميلاد) ضابطاً من المدرسة العسكرية في تركيا، إلا أنه توفي بعد تخرجه، في حين عمل والدي في الإدارة العثمانية، وقد أسس الأتراك المدارس النظامية في ليبيا عام 1885م، وعملت هذه المدارس على تخريج فئات كثيرة من الشباب الليبي الذين التحقوا بالعمل في الإدارة التركية، والذين كونوا نواة المثقفين في ليبيا، وكانت مدينة بنغازي في أواخر الحكم التركي مدينةً مهملةً بدون إضاءة كهربائية، وبدون مياه جارية، وبدون طرق، ومحرومة من معظم وسائل الحياة الحديثة، إلا أنه رغم ذلك، كان سكانها سعداء بحياتهم، وبمدينتهم، راضين عن الحكم التركي الذي لم يسيء إليهم، ولم يُحسن، وكانت أسرتي تسكن في شارع الرعيض، الذي كانت تسكن فيه عائلات الرعيض، وعبدالصمد، والساقزلي، واللّواحي، ومنّاع.

إنزعج أهل بنغازي في بداية القرن الجديد من الشائعات التي تقول بأن إيطاليا تريد إحتلال ليبيا، وكانت لا تصدر في المدينة أية صحيفة أو وسيلة أخرى لنقل المعلومات، فكان الناس يتتبعون الأخبار عن طريق الصحف الطرابلسية التي تصلهم مع القادمين منها، وأدركوا مدى الخطر المحيط بهم والمتمثل في احتلال إيطاليا الطامعة في بلادهم، وكانت بنغازي بدون قلاعٍ بحرية لتحميها، إذ كانت طيلة تاريخها لم تعرف هجوماً جاءها من البحر، وكان السكّان يتألمون لعدم اتخاذ الحكومة التركية الوسائل اللازمة لحماية المدينة والدفاع عنها، بل كانت تلبي جميع طلبات إيطاليا، وكان فرع بنك روما في بنغازي يعمل على شراء الأراضي والمزارع من المواطنين المحتاجين، وذلك لإعدادها للمعمرين الإيطاليين الذين سيأتون بعد الاحتلال.

حلّ الاحتلال الإيطالي عام 1911م، وحلّت معه المآسي والنكبات، التي حولت بنغازي إلى مدينةٍ مسوّرة تنتشر فيها المشانق ويسودها الإرهاب والرعب، فقد قصف الأسطول المدينة ليلة احتلالها وتسبب ذلك في الكثير من الخسائر المادية والبشرية، الأمر الذي فرض على المقاومين التخلي عن الدفاع عن المدينة. وفي صباح اليوم التالي دخلتها القوات الإيطالية وقامت بإعداد التحصينات حولها، وطالبت السكان بتسليم ما لديهم من سلاحٍ ناري ومعدني، وانطلقت الدوريات الإيطالية في الشوارع تفتش المتاجر والبيوت بحثاً عن السلاح، وكان كل من يوجد لديه سلاحاً يُعدم في الحال دون محاكمة، وظل هذا الرعب مخيماً على البلاد، وظل الناس يعيشون في خوف، إلى أن ذهب الحاج، أحمد الجهاني، رئيس البلدية إلى قائد الجيش، وقال له: إن الحياة في المدينة يجب أن تعود إلى طبيعتها، وأن تكف الدوريات الإيطالية عن أعمال الرعب والقتل، فتجاوب معه القائد وأمر بفتح المخابز، والدكاكين، وطلب من البلدية أن تستمر في مساعدة المحتاجين، إلا أن الإحتلال كان يضايق الناس ويزعجهم ويخيفهم، فانضم العديد من الرجال والشباب إلى صفوف المجاهدين، وهاجر العديد من الأسر إلى الإسكندرية، وكانت أسرتنا من ضمن الأسر المهاجرة، فقد سافر والدي وشقيقاه ووالدته وأسرته إلى الإسكندرية عن طريق اليونان، في حين التحق شقيقاه، حسن، وموسى، بالمجاهدين، وقد عمل الأخير مع السيد أحمد الشريف في إمساعد، ثم مع نوري باشا، ومع الزعيم رمضان السويحلي في مصراتة، وعاد إلى مصر عام 1924م، حيث توفي بعد أربع سنوات، أما عمي حسن، فقد ألقى الإنجليز القبض عليه بعد الهجوم السنوسي على الصحراء المصرية الغربية، وظل في السجن لفترةٍ من الزمن، وقد باعت الأسرة معظم عقاراتها في بنغازي، على أمل الاستقرار في مصر التي كانت تحت الحماية البريطانية، وذلك في الوقت الذي كانت فيه الحرب العالمية مشتعلة، فانقطعت عن مصر معظم المواد المستوردة، غير أن إنتاجها الكبير من الغذاء الزراعي لم يُشعر الناس بالحرب ولا بشدتها، فأقامت عائلتي في حي بحري حيث يتواجد معظم الليبيين، والذين كانوا يتلاقون في سوق المغاربة، وكان أغلبهم عاطلين عن العمل، ومن بين الأسر المهاجرة أسرة الكيخيا، والسلاك، وبن صريتي، وبن غلبون، وبن حليم، وغيرهم، وكان هؤلاء الليبيون ينتظرون هزيمة إيطاليا وعودتها إلى بلادها لكي يعودوا إلى وطنهم، وكان يقيم في الإسكندرية، جدي، وجدتي لأمي، وأخوالي، وخالاتي، الذين كانت أسرتي على علاقة مستمرة بهم.

وقد ولدت عام 1916م في الإسكندرية، خلال إقامة أسرتي المؤقتة فيها، وخلال الحرب العالمية الأولى التي دامت حتى عام 1918م، والتي لم يقاسِ منها المصريون الكثير بسبب وفرة المنتوج الزراعي الذي كان يكفي الشعب برمته، ويغذي جنود الحلفاء الموجودين في مصر، إلا أن المواد التي كانت تُستورد من الخارج قد قلّت وارتفعت أسعارها، وحاول والدي أن يستغل الأموال التي بيده في عملٍ تجاري، فأقام لأخيه الصغير، محمد، متجراً للمواد الغذائية، وهو الذي لم يكن خبيراً بالتجارة ولا بالتعامل مع المصريين، فسرعان ما أفلس وأغلق المحل. وفي هذه الأثناء توفيت جدتي فاطمة بنت مؤمن العجيل، وتوفي عمي محمد وكان لا يزال شاباً، كما توفيت شقيقتي الصغرى فاطمة، وأصبح الحزن والكدر يخيمان على بيتنا، وقد أخذ والدي ينفق من النقود المدّخرة حتى كادت أن تنفذ.

في هذه الأثناء، تمّ الصلح بين الحكومة الإيطالية والسنوسية، وقبلت إيطاليا منح الاستقلال الذاتي إلى برقة، فتوقفت الحرب وحلّ السلم في ربوع البلاد، وعندما تمّ الإتفاق بين السنوسية، وإيطاليا وبريطانيا، على وضع حدٍ للقتال، شرع الجانب الليبي في مفاوضاتٍ مع إيطاليا إنتهت بإعلان القانون الأساسي في كلٍ من برقة وطرابلس، وقد منح هذا القانون الليبيين حكماً ذاتياً، وحكومة، ومجلسا للنواب، وحكما مباشرا على جالو، وأوجلة، والكفرة، واتخاذ اجدابيا مقراً للحكومة الوطنية، ووصلت الأخبار إلى الإسكندرية، فعملت القنصلية الإيطالية على دعوة المهاجرين للعودة إلى بلادهم، وكان هذا مُبتغى أغلبهم، كما خصّصت الحكومة الإيطالية باخرة لنقل المهاجرين، فسافرت عليها أسرتي وأسرٌ بنغازية أخرى إلى بنغازي.

كانت أحوال بنغازي الإقتصادية سيئة للغاية، إذ كان لا يوجد عمل للمتعلمين، ولا للموظفين السابقين في الإدارة التركية، فالوظائف المتوفرة كانت للسعاة، والخدم في المكاتب، والسائقين، والجنود، والحرس، وما شابههم، واضطر والدي إلى العمل في التجارة، فباع ما تبقى من أملاكه، وسكن في شارع الرعيض، وهو الشارع الذي كان فيه البيت الكبير لأسرتنا، وكان مترباً صيفاً وموحلاً شتاءً، كما كانت إضاءته بقناديل تُشعل بالكيروسين، وكان الصغار يتبارون في ضربها بالحجارة، فيعمّ الظلام الشارع ليلاً، كما كانوا يلعبون فيه إذ كانت لا تمر فيه سيارةٌ ولا عربة، وكان التآلف يسود بين الأسر، فيهبون لمساعدة بعضهم البعض خاصةً إذا ما حلّ بإحدى الأسر سوءاً، أو إذا كانت إحدى الأسر في

حاجةٍ لمساعدة، فيُعتبر أهل الشارع وكأنهم أسرة واحدة، وكان الفقر هو العامل المشترك بين الجميع. لقد كان أهل المدينة يعيشون على زراعة الحبوب وتربية المواشي، وتوقف هذا النشاط التجاري بسبب الحرب وخطورة الخروج من المدينة، وقيام العمليات العسكرية في كل مكان، وقد أصيبت بنغازي بمرض الطاعون الذي قضى على الكثير من سكانها، وكانت إجراءات مقاومة المرض شديدة على السكان الذين لم يتعودوا عليها من قبل.

عمّت الفرحة للتوصل إلى السلم بين الإيطاليين والليبيين بعد صدور القانون الأساسي، الذي يمنح برقة نوعاً من الاستقلال الذاتي، والذي قامت بموجبه الانتخابات لاختيار أعضاء مجلس النواب وتشكيل الحكومة، وقد تمّت الانتخابات في المدن، والدواخل، وأُنتخب النواب الذين يمثلون شعب برقة في المجلس، ولأول مرة منذ الاحتلال الإيطالي شعر الناس بشيءٍ من الحرية والاستقلال، واعتبروا ما تحقق خطوةً في طريق تحرير البلاد الكامل واستقلالها، فارتفع عنهم الحكم الإيطالي وإن ظّل بصورةٍ غير ظاهرة، وعندما إجتمع مجلس النواب قرر إختيار السيد صفي الدين السنوسي رئيساً له، وتشكلت الحكومة وبدأ المجلس في أعماله، ففرح الأهالي لهذه الأحداث وظنوا أنهم في طريق الخلاص من الحكم الإيطالي.

جاء سكان الدواخل كالعادة إلى المدينة لشراء حوائجهم وبيع منتوجاتهم، وخرج أهل المدينة لحرث أراضيهم والعناية بمواشيهم، وقد بدأت المدينة تعود تدريجياً إلى طبيعتها، بينما لاحظ البعض بأن البلاد لا تزال في قبضة إيطاليا، وأن قواتها المسلحة في تزايد، وأنها باستثناء الكفرة، وجالو، اللتين أُسند حكمهما إلى الأمير، فإن بقية البلاد وفقاً للإتفاقيات ستعود إلى الحكم الذاتي، وحكم إيطاليا المستتر، وكانت إيطاليا تضغط على الأمير باستمرار لنزع سلاح الليبيين، والإكتفاء بألف جندي مسلح يحتفظ بهم الأمير وفقاً للإتفاق المبرم بينهما، وكانت إيطاليا تخشى بقاء السلاح بيد السكان والمجاهدين وتعتبره خطراً عليها، ويرى البعض أن إيطاليا إذا لم تحقق طلباتها فستسعى إلى تحقيقها بالقوة، ويعود القتال من جديد بين الطرفين، إلا أن الوالي (جاكومو دي مارتينو) فكر في إيجاد حلٍ وذلك باتفاق الرجمة، الذي نصّ على إشراك قوات إيطالية في مراكز المجاهدين العسكرية، وذلك ليتسنى لها مراقبة المسلحين، ومع ذلك لم تكفّ إيطاليا عن المطالبة بنزع السلاح من السكان، وفي هذه الفترة توفي الوالي (جاكومو دي مارتينو)، وخلفه الجنرال (بون جوڤاني) كحاكم عسكري.



مجلس نواب برقة سنة 1921م.

تغير نظام الحكم في تلك الفترة في إيطاليا، وجاء الفاشست الذين كانوا يعارضون منح القانون الأساسي لليبيين، ويريدون العودة بالبلاد إلى ما كانت عليه من قبل كمستعمرة إيطالية. وتمشياً مع أوامر النظام الجديد، هاجم الجنرال (بون جوڤاني) بقواته مراكز المجاهدين وقتل منهم عدداً كبيراً، ثم أعلن أمام الأعيان في البلدية إلغاء جميع الاتفاقيات المبرمة ما بين إيطاليا والليبيين، وبذلك إشتعلت الحرب من جديد في كل برقة كما اشتعلت من قبل في طرابلس.

عودتنا إلى بنغازي عام 1920م

بعد عودتنا إلى بنغازي، إلتحقت أنا وأخي الأكبر بمدرسة الفنون والصنائع، والتي كان يذهب إليها معظم أبناء بنغازي الذين كانوا في حاجةٍ ماسّة إلى الدراسة والتعليم، وهذه المدرسة أُسست بعد معاهدة الصلح التي تمت بين المجاهدين وإيطاليا، وهي تشمل ثلاث سنوات ابتدائية، وثلاث سنوات إعدادية، وكان تلامذة القسم الإعدادي مخيرين بين تعلّم صنعة من الصنائع المعروضة، كالميكانيكا، والحدادة، والنجارة، والنسيج، وتجليد الكتب، والتطريز على الجلد، وكانت الفكرة من ذلك إعطاء فرصةٍ لمن يريد أن يتعلم صنعة، أما الخريجين من الإعدادي فكانوا يتوقفون عن الدراسة لعدم وجود مدارس ثانوية يلتحقون بها، وقد نصّت إتفاقية الصلح على إنشاء مدارس ثانوية وعليا لليبيين، غير أن ذلك لم يتم لقيام الحرب مجدداً بين الطرفين، وكان يُدرِّس في مدرسة الفنون والصنائع، الشيخ السنوسي المرتضي، وحسين أشرف، وفوزي الأمير، وباكير بادي.

كان معي في المدرسة حسين بن عامر، وحسين بالعون، ومحمود الغرياني، وارحومة الخزخاز، وعبدالله قاضي قران، وغيرهم، وكنت أصغر منهم سنّاً، وتعلمت الإيطالية بسرعة، كما قام بتدريسي اللغة العربية الشيخ السنوسي المرتضي، وباكير بادي، وحسين أشرف، وبعد ثلاث سنوات، إنتقلت إلى القسم الإعدادي فكنت الأول باستمرار.

أطلعنا حسين بالعون في أحد الأيام على رسائل تحمل توقيع وختم الشيخ عمر المختار قائد المجاهدين، وقد عثر عليها بين أوراق شقيقه عبدالله بالعون الذي كان سجيناً في إيطاليا، وتهافت التلاميذ على قراءة الرسالة وتقبيل ختم سيدي عمر، وعلمت الشرطة السياسية بأمر الرسالة، فجمعوا التلاميذ الذين كانوا في الفصل، وشرعوا في التحقيق معهم



تلاميذ مدرسة الفنون والصنائع في إحدى الرحلات الخلوية.

كل واحد على حدة، وعندما جاء دوري، سألني المحقق أين يوجد عمر المختار؟ فقلت له يوجد في الجبل الأخضر، فعاد وسألني، هل علمت بذلك من أهلك؟ فأجبته: إني قرأت ذلك في الجريدة، فصفعني على وجهي عندما أنكرت معرفتي برسالة عمر المختار، ثم أطلقوا سراحنا بعد قرابة ثلاث ساعات من التحقيق، وهذا العمل يدل على الأساليب الإيطالية في معاملة الوطنيين الذين تطالبهم بعدم ذكر عمر المختار، ولا بمعاركه وانتصاراته عليهم.

لقد جاءت الفاشستية إلى إيطاليا وألغت جميع الاتفاقيات المبرمة بينها وبين الليبيين، وعادت إلى الأساليب الاستعمارية القديمة، باضطهادهم وعدم الاعتراف لهم بأي حق، واعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانيـة، ومع ذلك فقد ألحق المجاهدون خسائر كبيرة بالقوات الإيطالية في بئر بلال والبريقة، ووصلت أنباء هذه الإنتصارات إلى المدينة، فعمّ السرور جميع سكانها، وتوقف الإيطاليون عن فتح المدارس الثانوية والعليا التي نصّت عليها معاهدة الصلح، واكتفوا بالنسبة لتعليم الليبيين بثلاث سنوات ابتدائية لا غير، واحتفظت مدرسة الفنون والصنائع بالثلاث سنوات الإعدادي المقررة، وكان التلميذ الليبي يتخرج من المدارس الابتدائية أو مدرسة الفنون والصنائع ويقف حائراً لا يعرف أين يُتم دراسته، فكانت العائلات الفقيرة تعمل على تشغيل أولادها الصغار في أي عملٍ يشغلهم عن البقاء في المنزل، وكانت طائفة من هؤلاء الصغار يقفون في الأسواق وبيد كل واحد منهم قفة، ليحمل فيها مشتريات السيدات الإيطاليات، واليهوديات، ويسيرون ورائهن إلى بيوتهن مقابل عشرين سنتاً لا غير، بينما كان المقتدرون من الأهالي يبعثون بأبنائهم إلى الأزهر، أو إلى تونس لإتمام تعليمهم.

كانت سياسة إيطاليا ترمي إلى عدم تعليم الليبيين، بحيث يظلون في مستوى أدنى من الإيطاليين، ويستعينون بهم كخدم، وفراشين، وسائقين، وبعض صغار الموظفين، وقد صرّح أحد المسؤولين الإيطاليين، أنه يجب على العربي أن يتعلم كتابة إسمه ولا يصل إلى قراءة الجريدة، وظلّت هذه السياسة ملازمة للحكم الإيطالي، ولم تتغير إلى حين خروجهم نهائياً من ليبيا، وقد حكم ليبيا الماريشال بالبو في الفترة ما بين 1934م ـ 1940م، وكان يدّعي بالعمل على تقدم الليبيين واحتلالهم لمناصب هامة في الحكومة، ولكنه لم يأمر بفتح مدرسة إعدادية أو ثانوية للتلاميذ الليبيين الذين يتمّون تعليمهم في المدارس الابتدائية.

بعد حصولي على الشهادة الإعدادية تعذّر عليّ مواصلة تعليمي، لأن تعليم أبناء الليبيين يقف عند هذا الحد، ولم تنشء إيطاليا مدرسة واحدة ثانوية لهم طوال مدة احتلالها لليبيا، وقد كانت السياسة الإيطالية تقصد من ذلك ترك أبناء الليبيين بدون تعليم، لكي يظلوا يعملون كخدم وموظفين صغار في الإدارة الإيطالية، وإن القليل من الليبيين الذين تعلموا قد تحصّلوا على تعليمهم في مصر، وفي تونس، وبعضهم درس في إيطاليا. وعندما عادوا إلى ليبيا لم يتمكنوا من الحصول على الوظائف المناسبة لتعليمهم، وعوملوا كبقية الموظفين الليبيين الذين اكتفوا بتعليمهم المحلي، غير أن والدتي قرّرت السفر إلى الإسكندرية عام 1928م، لزيارة أهلها من عائلة البوري الذين فضّلوا الإقامة في مصر، فرافقتها في رحلتها على أمل متابعة تعليمي في الإسكندرية، إلا أنها نُكبت بوفاة ابنها الصغير خلال الرحلة، فرفضت رفضاً باتّاً تركي فيها، ثم تدخّل أفراد الأسرة وضغطوا عليها حتى قبلت.

إلتحقت بالمدرسة الإيطالية في الإسكندرية بالفصل الرابع وهو الفصل الأخير من المرحلة الإعدادية، وكانت مناهج التعليم تختلف عن المناهج الليبية، فوجدت صعوبة في تتبع الدراسة، وخاصةً فيما يتعلق باللغتين الإنجليزية والفرنسية اللتين لا أعرف عنهما شيئاً، في حين أن زملائي في الفصل كانوا قد شرعوا في تعلمهما منذ أربع سنوات، وكانت المدرسة تضم الثلاث مراحل، الإبتدائية، والإعدادية، والوسطى، وكان جميع تلاميذها من الإيطاليين، وبعض الأجانب، وما يقارب خمسة تلاميذ من المصريين.

كانت الإسكندرية مدينة جميلة يسكنها العديد من الإيطاليين، واليونانيين، والأجانب الآخرين، وقد تحوّلت إلى مدينة أوروبية، وكانت الحماية البريطانية لا تزال مفروضة على مصر، ولذلك كانت أهم المناصب الإدارية بيد الأجانب، أما الإيطاليون فكانوا أكثر الجاليات الأجنبية عدداً، إذ يُقدر عددهم بقرابة خمسين ألف إيطالي وجميعهم متحمسون للفاشستية، وجزءٌ منهم يعمل في تجارة المخدرات لأن لديهم حمايةً بموجب القانون السائد، أي أن لا يقبض عليهم البوليس المصري ولا تحاكمهم المحاكم المصرية، ولا يستطيع البوليس المصري تفتيش بيوتهم بدون حضور ممثل عن القنصلية التي ينتمي إليها المتهم، وقد جعلت هذه الحماية أشرار الإيطاليين والأجانب يعبثون في البلاد كما شاءوا، ومع الأسف، فقد كان الكثيرون من أبناء شمال أفريقيا المتمتعين بالحماية الفرنسية يمارسون تجارة المخدرات ويرتكبون كل أمرٍ محرّم، وكان بعض الليبيين أيضاً يسيرون في هذا الطريق، فكان هذا الوضع

مهيناً ومذلاً للمصريين الذين يرون حثالات أوروبا يعيشون في بلادهم، ويعتدون عليهم وعلى تشريعاتهم، دون أن يستطيعوا إيقافهم عند حد.

وقد قضيت ثلاث سنوات في المدرسة الإيطالية، وكنت أعود إلى بنغازي في كل عطلة صيفية، وقد تعلمت الكثير أثناء وجودي في الإسكندرية، فتحسنت لغتي العربية بسبب قراءتي للصحف والمجلات العربية، وارتبطت بأواصر الصداقة مع بعض المصريين والإيطاليين، وكنت مواظباً على دراستي إلا أن قلّة معرفتي باللغتين الإنجليزية والفرنسية كانت تؤثر عليها. وكانت مصر في ذلك الوقت تعتز بنظامها الديمقراطي وبأحزابها السياسية، وبالصراع بين هذه الأحزاب، وكان حزب الوفد المصري الحزب الشعبي الكبير المسيطر، والمكروه من السرايا ومن باقي الساسة المصريين. أما الأوروبيون فكانوا يسيطرون على مدينة الإسكندرية لكثرة تعدادهم، وكان الإيطاليون يخرجون يوم الأحد في استعراضٍ عسكري بموسيقاهم وقمصانهم السوداء، كما كانت المناصب الهامة في البلدية يحتلها الأجانب، وأغلب تجارة التصدير والتوريد في أيديهم، وكان حي الرمل لا يعرف غير الأوروبيين والقليل من المصريين. والإسكندرية كانت في الواقع لا تقل جمالاً ونظافةً عن أي مدينة أوروبية أخرى، ومن مزاياها توفر كل شيءٍ فيها، وقد تهافت الإيطاليون واليونانيون على مصر طلباً للعمل وللحياة الآمنة التي توفرها لهم الحماية الأجنبية، وكان اليونانيون يحتكرون محلات بيع الخمر ومتاجر المواد الغذائية، بينما كان أغلب الإيطاليين حرفيين. وتزدحم الإسكندرية في فصل الصيف عندما ينهال عليها المصيفون من القاهرة، وتنتقل إليها الحكومة في فصلها الصيفي.

عُدت في إجازتي الصيفية إلى بنغازي في صيف عام 1931م، وكانت البلاد تجتاز أقصى مراحل سوءها، وقد أصبح العربي في برقة معرضاً للسجن، والإعتقال، والشنق، وحزّ في نفسي كثيراً عندما وجدت والدي وأعمامي يقضون الليل إلى جانب أبواب دورهم، في انتظار زبانية الليل للحيلولة دون دخولهم بيتهم خوفاً من إرهاب النساء والأطفال، وقد حققت الشرطة معي عند وصولي إلى ميناء بنغازي، وصادرت ما كنت أحمله من صحفٍ ومجلات. وكانت البلاد تعيش في حالة إرهاب، فإيطاليا وبعد فشل ثلاث ولاة في القضاء على عمر المختار، قررت إسناد حكم ليبيا إلى الماريشال (بادوليو) رئيس أركان الجيش الإيطالي، الذي طلب منه موسوليني القضاء على الثورة الليبية بأي ثمن، فاستقر الماريشال بادوليو في طرابلس، واختار الجنرال غرازياني ليكون نائبه في برقة، وهو الذي عُرف خلال

إقامته في طرابلس بالقسوة، والدموية، والإرهاب، وقد أُعطي صلاحيات كاملة ليفعل بالليبيين ما يريد، فقرر القبض على كل من لهم أقارب بين المجاهدين، أو المقيمين في مصر، وإرسالهم إلى معتقل العقيلة، ولذلك دبّ الرعب في بنغازي، وأصبح كل من لديه قريب مجاهد أو مقيم في مصر، ينتظر دوره في القبض عليه وإرساله إلى المعتقل.

وفي سبيل القضاء على الثورة، قررت الحكومة الإيطالية نقل جميع السكان المقيمين في الجبل الأخضر، والبطنان، إلى معتقلاتٍ خُصصت لهم في سلوق، والبريقة، والمقرون، والعقيلة، وكانت هذه المعتقلات محاطة بالأسلاك الشائكة وبالجنود الإرتريين، وقد قضى الجوع والمرض على نصف سكان هذه المعتقلات، ولم يُطلق سراحهم إلا في عام 1933م، وقد أحدث نقل السكان فراغاً كاملاً حول المجاهدين الذين حاصرتهم القوات الإيطالية العديدة، وقطعت عنهم الإمدادات، والأسلحة، والذخيرة، وكانت تلاحقهم باستمرار من مكانٍ إلى آخر، ولا تترك لهم وقتاً للنوم والراحة وتضميد الجروح، وفي إحدى هذه المعارك سقط الشيخ عمر المختار جريحاً، فألقت القوات الإيطالية القبض عليه ونقلته إلى بنغازي، وصُدمت ليبيا بأجمعها لنبأ سقوط عمر المختار، جريحاً، وأسيراً، بيد القوات الإيطالية، وخيّمت على مدينة بنغازي موجة من الحزن والأسى. وبعد وصول عمر المختار إلى بنغازي وإيداعه السجن، أغلق التجار محلاتهم وعادوا إلى منازلهم يعصر قلوبهم الأسى والكدر، وساد المدينة جوٌ من الحزن كان بادياً على وجوه جميع الناس، فغياب عمر المختار عن الساحة وتوقف حركة الجهاد، معناه بالنسبة للجميع ضياع الأمل الذي كانوا يتعلقون به للخلاص من حكم وظلم إيطاليا، وقرر حاكم ليبيا الماريشال بادوليو إعدام القائد الذي أذلّ قوات إيطاليا وقادتها على مدى عشر سنوات، وكان غرازياني متغيباً في فرنسا فعاد مسرعاً ليلتقي بخصمه اللدود، وقد إلتقى الاثنان وجهاً لوجه بحضور الترجمان فقط، ولا يعرف أحد ما دار بينهما من حديث اللهم إلا ما صدر عن السلطة الإيطالية، وكان غرازياني قد طلب من عمر المختار توجيه رسالة إلى أتباعه لإلقاء سلاحهم وتسليم أنفسهم لإيطاليا، فرفض عمر المختار الطلب، وقال لغرازياني: إني أسيرٌ بين أيديكم ولم تعد لي سلطة على أتباعي. فشُكلت محكمة صورية لمحاكمة عمر المختار في مبنى مجلس النواب البرقاوي سابقاً، والذي تحوّل إلى أمانة للحزب الفاشستي، وكانت المحاكمة مهزلة، فقد تلعثم الترجمان ولم يستطع توجيه أسئلة المحكمة إلى عمر المختار، رهبةً وخوفا، وتبعاً لذلك

غيرت المحكمة الترجمان، ثم جاء دور المحامي الذي كُلف بالدفاع عن عمر المختار، فعندما بدأ دفاعه ثارت المحكمة والجمهور في وجهه وأُوقف عن الدفاع، وأصدرت المحكمة حكمها بالإعدام على عمر المختار الذي ما كان منه إلا أن قال: (إنا لله وإنا إليه راجعون)، وكنت قد ذهبت مع اثنين من أقراني إلى مكان المحكمة وكانت الساحة المواجهة للمبنى غاصة بالإيطاليين والإيطاليات، فوقفنا نراقب ما يحدث، فرأيت البطل عمر المختار وهو يخرج من المحكمة والأغلال في يديه ورجليه، ويحيط به عددٌ من رجال الشرطة، فكان مهيباً تجلله هالة من الكبرياء، مرفوع الرأس، وعندما شرع في النزول على الدرج أخذت الجماهير الإيطالية تصيح، وتهدد، وتحاول الإقتراب منه، غير أن الشرطة أوقفتها عند حدها، ولم يلتفت البطل وينظر إلى هذه الغوغائية بل استمر في نزوله بثباتٍ ناظراً إلى موضع قدميه، وكنا قريبين من السيارة التي ستقله إلى السجن، ونظرنا إليه فلم يَجُد علينا بنظرة، وركب السيارة التي انطلقت به إلى السجن، وفي المساء كانت الشرطة تطرق أبواب الأعيان طالبةً منهم الذهاب إلى سلوق صباحاً لمشاهدة إعدام عمر المختار، وسادت مدينة بنغازي موجةً من الألم والأسى بعد أن شاهدت آخر فصول الثورة العظيمة التي أنهكت إيطاليا، ولطّخت سمعتها العسكرية بالوحل، والتي لم تنتهِ في ساحة حرب، وإنما نتيجة حرب الإبادة التي شنتها إيطاليا على المدنيين، وقد أُعدم البطل عمر المختار في اليوم التالي للمحاكمة في سلوق، وكان غرازياني قد أمر بجمع عشرين ألف شخص من المعتقلين الذين جيء بهم لمشاهدة إعدامه، وهكذا انتهت مرحلة الجهاد الليبي ضد إيطاليا التي دامت عشرين عاماً، والتي فقد فيها الشعب الليبي نصف سكانه، وشعر أهل البلاد أن استشهاد عمر المختار قد وضع نهايةً لأمانيهم الوطنية، وفرض عليهم التعايش مع عدوهم بالشكل الذي يختاره.

وعندما حان وقت الدراسة وأردت العودة إلى الإسكندرية، رُفض طلبي ولم يسمحوا لي بالسفر، فذهبت إلى الكابتن (يانوتا) وهو ضابط في الجيش الإيطالي آنذاك ويتقلد منصب الترجمان الخاص لغرازياني، وهو من مواليد مصر ويجيد التحدث باللغة العربية، وفي السابق كان يقوم بتعليم اللغة الإيطالية للعرب في مدرسة الفنون والصنائع، وكنت أحد تلاميذه لعدة سنوات، فطلبت منه أن يساعدني في العودة إلى مدرستي في الإسكندرية، فنصحني بالتريث في الوقت الحاضر، ووعدني بإلحاقي بوظيفةٍ مناسبة.

عُينت في دائرة الأملاك وعملت بها لمدة تتجاوز العام، وكانت الدائرة الوحيدة بعد المحكمة الشرعية التي يعمل بها عددٌ كبير من العرب، فقد كان يعمل بها سالم بن عامر، وعيسى بن عامر، ويوسف بن كاطو، ومبروك بوقعيقيص، وسعد الجهاني، وعمر الطواحني، ومحمد علي ظافر، وكان هناك في هذه الفترة طبقة من الشباب المثقف الذين كانوا يعملون في الدوائر الفرعية للحكومة الإيطالية، أما الإدارات المركزية فلا يوجد بها موظفون عرب اللهم إلا بعض التراجمة، وكان الموظفون العرب في درجة متدنية بالنسبة للموظفين الإيطاليين، فالموظف العربي لا يجوز له أن يترأس إدارة يعمل بها إيطاليون، ولا يجوز لأي إيطالي مهما تدنى مركزه أن يعمل تحت إمرة موظف عربي، فكان الإيطاليون بالنسبة للعرب هم السادة والرؤساء، وكان بعض الموظفين العرب على درجةٍ عالية من الثقافة والكفاءة ويتولون مناصب في غاية الأهمية، إلا أنهم يخضعون لأقل إيطالي يعمل معهم، فهذا التمييز العنصري والتفرقة بين الطرفين، كانت عنوان السياسة الإيطالية طوال بقاء الإيطاليين في ليبيا، وكان العرب يتألمون لهذا الوضع المذل، ولكن ما باليد حيلة، فباستشهاد عمر المختار ذهبت معه جميع أماني الليبيين في الخلاص أو بتحسين هذا الوضع.

وفي عام 1934م، عملت كترجمان في متصرفية اجدابيا، وكان المتصرف رجلاً معتدلاً، فساعدني، وقربني، وأعطاني سكناً مثل الإيطاليين، وكانت فترة مفيدة بالنسبة لي حيث عرفت الصحراء، وزرت جالو، وأُوجله، واطّلعت على كيفية تعامل السلطات الإيطالية مع سكان الدواخل، ومعرفة مشاعرهم نحو مستعمريهم، وراعني ما كنت أراه على وجوههم نساءً ورجالا، من آثار الحزن والمعاناة التي مرّوا بها في عهد غرازياني، وقد تعرفت على العديد من مشائخ القبائل وارتبطت معهم بصداقة، وكانوا يقومون بزيارتي في المكتب كلما كانت لديهم حاجة، وكانت متصرفية اجدابيا تضم قبائل المغاربة، والفواخر، والزوية، وبعض القبائل الصغيرة الأخرى، إلا أن قبيلة المغاربة كانت هي السائدة، وقد حاربت إيطاليا حرباً شديدة لعدة سنوات لم تنتهِ إلا بعد سقوط عمر المختار، وكانت المتصرفية تضم قائم مقامية جالو، وأوجله، وقائم مقامية البريقة، والعقيلة، وكان بالمتصرفية مدير ليبي وعددٌ من كتبة المديريات الموزعين على مختلف المناطق، أما اجدابيا فكانت خارجة من معارك طاحنة دارت بين الليبيين والإيطاليين، وقد استتب الأمر بعد ذلك لإيطاليا في جميع البلاد، إلا أن آثار هذه المعارك وتداعياتها لا تزال بادية على وجوه الناس الذين خضعوا للحكم الإيطالي على

مضض، وكانوا يتعاملون مع السلطات الإيطالية بحذر. وكان في اجدابيا العديد من تجار بنغازي، ومن بينهم فرج قزح، ومحمد احويو، ومبارك السوسي، وبو زعكوك، ومقراكس، وغيرهم، وكان، السيد محمد ارحومة، صديق والدي يعمل في بلدية اجدابيا، فغمرني بعطفه وحنانه واهتم بأمري. وكنت أرافق المتصرف في رحلاته إلى جالو، وأوجله، والبريقة، والعقيلة، والمواقع الأخرى التي تتألف منها المتصرفية، وكانت سياسة إيطاليا آنذاك التقرب إلى العرب بعد ارتكابها الجرائم البشعة ضدهم، محاولةً إقناعهم بأن الحرب قد انتهت وأنه قد جاء الآن دور السلام والتصالح. وكانت اجدابيا مدينة منتعشة إقتصادياً لوجود قوات عسكرية فيها، ومن حسن الحظ أني وجدت أصدقاء في المدينة عشت معهم وقضيت أغلب وقتي بينهم، وهم محمد بوكر، وعبد العزيز الأبيض، وكانا مدرسين، والمدير عمر جعودة، وسعد العبيدي، وسالم المكحل، وغيرهم، واستفدت من وجودي في متصرفية اجدابيا حيث تدربت على العمل السياسي بمختلف أنواعه، وتعرفت على مشائخ القبائل وأعيانها وعلى مشاكلهم التي كانوا يعرضونها على المتصرف، فالأوضاع بعد نهاية الثورة لم يطرأ عليها أي تغيير، والمعتقلات لا زالت في مكانها والناس فيها يتعذبون، وقد لعبت اجدابيا دوراً في محاربة الإيطاليين، إذ كان الكولونيل مالتي يقوم بمقاتلة الثوار الذين كانوا لا يكفون عن الاعتداء على المواقع الإيطالية في صحراء سرت، إلا أنه بعد سقوط عمر المختار وتوقف القتال في الجبل الأخضر، توقف أيضاً في صحراء سرت، وأخذت مدينة اجدابيا تحتل مكانها كعاصمة لسرت، وأصبحت المدينة منتعشة إقتصادياً بسبب وجود منتجعات بها عائلات الجنود، وبسبب كثرة التجار البنغازيين في المدينة، واستمرت إقامتي في اجدابيا قرابة عام قضيتها متمتعاً بحياتها الجميلة وبرفقة أصدقاء عزيزين، إلا أنني اشتقت إلى مدينتي وأهلي، فطلبت الإنتقال إلى بنغازي وجاء الرد بقبول طلبي.

وفي عام 1933م، زرت إيطاليا لأول مرة في رحلةٍ جماعية شارك فيها بعض الأعيان، والموظفين، والطلبة، وقاضي بنغازي، وساهمت الحكومة بدفع ثمن تذاكر السفر بالبحر والقطار، وترأس الرحلة (عمر المحيشي) الذي وضعني تحت رقابته طيلة الرحلة، وقد قوبلنا في إيطاليا مقابلة طيبة وأطلعونا على معالم روما، كما تمتعنا بإقامتنا فيها لفترة طويلة، ثم عدنا إلى بنغازي نحمل ذكريات هذه الرحلة، وعندما عدت عُينت في دائرة الشؤون العربية بالولاية، وهي الدائرة التي تهتم بمشاكل الوطنيين، وكان يترأسها (فورناري) وهو إيطالي من



زيارة روما سنة 1933م.

تونس كان قد رافق بعثة الدكتور برتسي عام 1928م، والتي ذهبت إلى الكفرة لمعالجة السيد محمد العابد، فأسرهم الزوية وهم قريبون من الكفرة، وقد لعب فورناري دوراً كبيراً في عملية إطلاق سراح البعثة وعودتها إلى بنغازي، وفي هذه الدائرة الكثير، إذ كان رئيسها أي فورناري يُلقى على عاتقي بجميع المسائل الهامة التي كان من المفروض أن يعالجها بنفسه، فتدربت على كتابة التقارير والرسائل ومعالجة الأمور الشائكة، وقد استفدت فائدة كبرى من عملي في هذا المكان كما كنت محل ثقة وتقدير من قبل المدير، فهذه الدائرة كانت قد أُنشئت لمتابعة الشؤون العربية أي شؤون الليبيين، ومعالجة أوضاعهم وإيصال شكواهم إلى المسؤولين، كما أدّت هذه الدائرة خدمات كثيرة لصالح المواطنين، وكانت أبوابها مفتوحة لكل مواطن يتظلم أو يشكو من شيءٍ أصابه، وكان مدير الدائرة رجلاً طيباً يحب العرب ويعمل ما في طاقته لتحسين أحوالهم المعيشية.

وفي هذه السنوات إندمجت في محيط الوطنيين والمثقفين، وكنت أرتاد دارا محمد بن عامر، وعمر المحيشي حيث كانت السهرات فيهما تتناول الأدب والشعر والسياسة، وقد استفدت من هذه السهرات، فزادت معلوماتي وتوسعت مداركي، وبدأت أكتب في مجلة ليبيا المصورة، فنشرت فيها مقالاتٍ وقصصاً مترجمة عن الإيطالية، وكتبت عدة مقالات عن عصر النهضة وعدداً من القصص القصيرة، وأخذت تدريجياً أحتل مكاناً في المجتمع، وارتبطت بأواصر الصداقة مع الرفيق المهدوي، وفتحي الكيخيا، ورشيد الكيخيا، وعبد السلام بسيكري، ومحمد بن عامر، وغيرهم من المثقفين وأعيان البلاد.

كانت هذه الفترة من أهم مراحل حياتي وتكويني، فقد نضجت فيها أفكاري وتوسعت ثقافتي، ومداركي، وقراءتي لما كان ينشر في مصر وإيطاليا، وازدادت مساهمتي في تحرير مجلة ليبيا المصورة، فكتبت القصة الفنية الليبية لأول مرة، وتابعت كتابة قصص أخرى نشرت المجلة بعضها ونُشر البعض الآخر في الفترة الأخيرة، وكنت أقوم بمساعدة عمر المحيشي مدير المجلة في نشر الكثير من الأبواب والمواضيع، وكانت المجلة هي الوحيدة التي تصدر في ليبيا، وشارك الأُدباء والمثقفون من جميع أنحائها في الكتابة فيها والتي مع الأسف توقف صدورها بوفاة صاحبها، وبإعلان الحرب، كما اتسعت دائرة أصدقائي ومعارفي حتى شملت أصدقاء في إيطاليا وطرابلس، وقد شجعني عمر المحيشي كثيراً على الكتابة وكان أحياناً يصحح لي ما أكتب.

في عام 1934م، عُين الماريشال بالبو حاكماً لطرابلس وبرقة خلفاً للماريشال بادوليو، وبدأ حكمه في ليبيا بعقليةٍ جديدة وتصرفات بعضها جيد، لقد جاء لليبيا وفي ذهنه أمرين، وهما ضم ليبيا إلى إيطاليا وتعميرها بالإيطاليين، فبدأ سياسته بالتقرب إلى العرب وإلى رجال الدين بصورة خاصة، فكان عندما يزور مدينة ليبية يطلب قاضيها وأعيانها للحديث معهم، وإحقاقاً للحق، فإن أوضاع الليبيين تحسنت في عهد بالبو وأصبح لهم وجود، فبالبو كان يجمع القضاة والأعيان بين الحين والآخر للبحث في شؤون البلاد، ولكنه كان يُثير مسائل تافهة، كمهر العروس، وسن زواجها، وسير الزمزمات في الشوارع، ونفقات العزاء، ولا يتطرق إلى أي شأن من شؤون البلاد التي تهم العرب، والتي تحتاج إلى المعالجة، فكان يريد تحسين وضعهم إلا أنه وجد يديه مقيدتين بسياسة سلفه من الولاة الإيطاليين، فالسياسة الإيطالية التي وضعت أساسها إيطاليا بعد الاحتلال لا زالت هي السائدة، ولا زال العرب يُعاملون كما كانوا يُعاملون سنة 1911م.

وعمل بالبو على إنشاء جمعية الليتوريو العربية التي ضمت معظم الشباب، وفتحت أمامهم مجالات الرياضة والتدريب العسكري والرحلات، وكان الشباب العربي قبل ذلك لا يجد ما يفعله إلا التسكع في الشوارع وخاصةً أولئك العاطلين عن العمل، وقد أمر بالبو بسفر جميع المنتمين للتنظيم إلى روما لحضور إحتفالات كانت تُجرى هناك، وللإطّلاع على معالمها، فسافر قرابة الألف شخص إلى إيطاليا، وقد إستعرض موسوليني الشباب الليبي وأثنى عليه. وقام بالبو بوضع كادرٍ للموظفين والقضاة وأمر بزيادة رواتبهم وامتيازاتهم، كما وضع كادراً مماثلاً لطبقة السائقين والفراشين في الدوائر الحكومية ولموظفي المديريات أيضاً، وأمر بخلق طبقة جديدة من الموظفين المثقفين لتساعد الولاة والمتصرفين والمسؤولين في أعمالهم. وأقام مسابقة لاختيار عشرين شخصاً لتولي المناصب الجديدة إشترك فيها العديد من الشباب المثقف من جميع أنحاء ليبيا، وقد إشتركت فيها أنا أيضاً وشاركت في الإمتحانات الشفوية والتحريرية التي تمّت في طرابلس، وأُعلن عن فوز عشرين متسابقاً كان يوسف بن كاطو أولهم في القائمة وأنا ثانيهم.

وبرزت في عقد الثلاثينيات في المجتمع البرقاوي شخصيات عديدة في مجال العلم والدين والأدب، كان لها تأثيرها الفاعل في الشباب بصورةٍ خاصة، وكان لها الفضل في المحافظة على القيم، والتراث، واللغة العربية، في وجه تيار الغزو الثقافي الإيطالي الجارف، وفي

وجه مشاريع الطلينة التي شرعت إيطاليا في تطبيقها.

وصل الشعب الليبي في عهد الماريشال بالبو إلى مفترق طرق خطير يتحدد من خلاله مصيره ومستقبله، ولقد قضت نهاية الثورة المسلحة على جميع آمال الليبيين في استعادة حقوقهم المشروعة، وهويتهم الوطنية، وتصاعد نجم إيطاليا دولياً، فاستطاع بالبو حاكم ليبيا الجديد بسياسته المرنة ووعوده الخلابة أن يبعث في قلوب الليبيين الأمل في حياةٍ أفضل، والتعايش مع إيطاليا. أما سياستها الجديدة وقوانينها الرامية إلى رفع العرب إلى مستوى الإيطاليين، باعتبارهم مواطنين إيطاليين مع احتفاظهم بدينهم، وتشريعاتهم، وتقاليدهم، فهي سياسة ترمي إلى انسلاخ الليبيين عن قوميتهم وتراثهم العربي والإندماج في المجتمع الإيطالي. وأغرت هذه السياسة رغم مخاطرها، الكثير من فئات الشباب الذين تأثروا بأسلوب الحياة الإيطالية، والذين اغتروا بوعود بالبو، وظنوا أن المساواة بالإيطاليين ستحسن من أوضاعهم، غير أن وعود بالبو لليبيين كانت جوفاء لم تغير شيئاً منها، وقد صُدموا برفض السلطة المركزية الإيطالية بمنح الجنسية الإيطالية الكاملة لليبيين، إذ قررت إيطاليا في تلك الفترة إتّباع ألمانيا بسياستها العنصرية، واعتبرت أن الشعب الإيطالي ينتمي إلى الجنس الآري الشمالي، وأنه يجب المحافظة على كيانه بمنع الزواج أو الإختلاط بأجناسٍ أخرى، وبما أن العرب لا ينتمون إلى الجنس الآري، فإنهم لا يستحقون المساواة بالإيطاليين.

والماريشال بالبو شخصية محبوبة من الإيطاليين، وهو شجاع، ومقدام، وقد إجتاز المحيط الأطلسي بسربٍ من الطائرات، وكان أول رجل يقوم بهذه المغامرة، وقد قوبل في أمريكا باحتفالات لم يحظَ بها إيطالي من قبله أو من بعده، واشتهر في العالم كله، وتردد إسمه في جميع صحف العالم، وقد عينه موسوليني وزيراً للطيران، فنظّم القوة الجوية الإيطالية ورفع من مستواها، ويبدو أن موسوليني تضايق من شعبية بالبو، فأراد إبعاده عن إيطاليا وذلك بتعيينه حاكماً عاماً لليبيا، ولم يقابل بالبو هذا التعيين باستحسان لأنه كان يطمع في أن يكون الشخصية الثانية في إيطاليا بعد موسوليني، وظل عدة أشهر متردداً في استلام منصبه الجديد، وأخيراً جاء إلى ليبيا وانتهج سلوكاً جديداً في معاملة الليبيين، يختلف عما تعود عليه الليبيون من حكام ليبيا العسكريين السابقين، وهو التقرب إلى رجال الدين والاتصال بهم باعتبارهم الواجهة الحقيقية للشعب الليبي، وذلك لتحاشي الحديث عن القومية العربية، فهو يريد ليبيين مسلمين لا عرب، وكان يعلم أن الشعور الديني في نفوس

الليبيين أقوى من الشعور الوطني، ولكي يُنسي الليبيين قوميتهم العربية، تجاهل زعماء البلاد ومشائخها واعتمد على رجال الدين بصورة رئيسية، وقد دعا بالبو موسوليني لزيارة ليبيا عام 1936م، وقام بهذه الدعوة بعد أن أمر بحل المعتقلات وعودة المعتقلين إلى أوطانهم، ومحاولة التخفيف عنهم مما أصابهم، وقام بحملة دعائية كبرى لإعطاء أهمية لزيارة موسوليني لليبيا، وإقناع الليبيين بأن فوائد كثيرة سوف يجنوها من هذه الزيارة، وشكّل لجاناً ليبية في كل مكان، ولجنة رئيسية في طرابلس وبنغازي ضمت عدداً من وجهاء المدينتين، وذلك لإعداد الشعب لهذه الزيارة وإقناعه بالفوائد المتوقعة منها، وقارن مدى استفادة الليبيين من هذه الزيارة بإنتاج عشر سنوات زراعية جيدة. وأخيراً وصل موسوليني وحاشيته بباخرة حربية إلى طبرق متجهاً إلى الحدود الشرقية، وألقى كلمة ثم اتجه بالسيارة إلى درنة التي إحتفت به إحتفاءً كبيراً، ثم واصل رحلته إلى قرى الجبل الأخضر مبدياً سعادته للقاء المعمرين الجدد. كما واصل رحلته إلى بنغازي فدخلها دخول الفاتحين، وقد فُرش له سوق الجريد وسوق الظلام بالسجاد العجمي الذي سار عليه حتى وصل ميدان البلدية، فصعد إلى شرفتها وألقى خطاباً يعدهم فيه خيراً، ولم يجد أهل بنغازي في كلمات موسوليني المختصرة أي إشارة إلى أوضاعهم، أو مستقبلهم، فقالوا إنه ربما هذا سيرد في خطابه الرئيسي في طرابلس، وواصل موسوليني رحلته على الطريق الساحلي، فمر على جميع القرى التي بطريقه، وقد جمع له بالبو الناس على طول الطريق، وكان يتوقف ويستمع إلى كلمة القاضي، ثم يأمر بإعطائهم بعض السكر والشاي، وفي طرابلس أُقيمت له إحتفالات كبيرة، إذ سار خلفه ثلاثة آلاف من الفرسان العرب، وألقى خطابه المنتظر في جمعٍ غفير من الناس، وقد تقدم إليه أعيان طرابلس وعلى رأسهم يوسف خريبيش الذي قدم إليه سيفاً أُطلق عليه اسم (سيف الإسلام)، وقد سلّه موسوليني من غمده ورفعه إلى أعلى وصاح بكلمة (يا أولاد) صيحة الحرب الليبية، ولم يأتِ خطاب موسوليني في طرابلس بشيء جديد اللهم إلا وعوداً مبهمة لا تشفِ الغليل، وقد أصيب الليبيون جميعاً بخيبة أمل شديدة عندما استمعوا إلى خطابه المنتظر.

وكان بالبو قبل زيارة موسوليني قد استولى على أراضي الجبل الأخضر، وأمر ببناء قرى ليقيم فيها الإيطاليون، وفي خلال ستة أشهر تم بناء القرى المؤلفة من 1700 مزرعة أُعدت إعداداً كاملاً لتلقي المعمرين، وقد عمل في هذا المشروع قرابة خمسين ألف عامل



الماريشال بالبو يسلّم المفاتيح لأصحاب القرى الليبية الجديدة.

إيطالي وليبي، وجيء بعشرين ألف إيطالي للإستيطان فيها، ولم يهتم لا بمشاعر الليبيين ولا بمصالحهم. وزادت أحوال الليبيين سوءاً بعد زيارة موسوليني إلى ليبيا وصدور قوانين العنصرية الجديدة التي تعتبر الإيطاليين من الجنس الآري، وتمنع إختلاطهم أو تزاوجهم مع الأجناس الأخرى، وجاءت هذه القوانين لتقف حجر عثرة في وجه بالبو الذي كان يريد المساواة ما بين العرب والإيطاليين باعتبار العرب إيطاليين مسلمين، ومع ذلك لم يفقد الأمل، فقد طلب بضم شمال ليبيا المؤلف من أربع متصرفيات إقليمية، وهي طرابلس، ومصراتة، وبنغازي، ودرنة، إلى إيطاليا باعتبارها محافظات إيطالية، إلا أنها ترجع في إدارة شؤونها إلى وزارة المستعمرات كما كانت سابقاً، وقد إحتفظ الليبيون بشريعتهم، وتقاليدهم، ولغتهم، وهم يُعتبرون إيطاليون من الدرجة الثانية، وقسّم بالبو الليبيين إلى قسمين، قسم شمالي ضمه إلى إيطاليا، وقسم جنوبي تُرك في أوضاعه التي كان عليها، ويبلغ عدد سكان النصف الشمالي قرابة النصف مليون نسمة، وهؤلاء سيمتصهم المعمرون الإيطاليون الذين سيتدفقون على البلاد بكثرة، أما القسم الجنوبي فمصيره الإنقراض إما بالموت أو بالهجرة، وكانت نوايا بالبو دمج ليبيا في إيطاليا وتعميرها بالإيطاليين باعتبارها إمتداداً لإيطاليا، أما العرب فسوف يذوبون بين كثرة الإيطاليين، ولن تمضي إلا بضعة عقود حتى يتلاشى أمرهم، وقد أراد بالبو إرضاء الليبيين، فأنشأ قرية في رأس الهلال بها عدد من المزارع، وُزّعت على جنودٍ سابقين لا يعرفون الزراعة ولا يستطيعون ممارستها.

وكانت روائح الحرب قد بدأت تهب على ليبيا، وبدأ وصول عشرات الآلاف من الجنود الإيطاليين إلى بنغازي، وبدأ بالبو في إعداد فرقة من الشباب الليبي لإرسالهم إلى جبهة القتال، وقد زار مصر، واجتمع بالملك فاروق وطمأنه بأن إيطاليا لا تُشكّل تهديداً لمصر. وكان الوضع السياسي في أُوروبا قد تدهور وأخذ هتلر في تهديدها، أما موسوليني فقد اتّحد معه وكوّن المحور الإيطالي الألماني.

وضع موسوليني مصير بلاده وليبيا معها، مع مصير ألمانيا، إلا أنه عندما دخلت ألمانيا الحرب ضد الحلفاء لم يشاركها حليفها موسوليني في حربها، وآثر أن يقف على الحياد ليرى نتيجة الصراع، وتدفق على بنغازي عشرات الآلاف من الجنود الذين كانوا يُرسلون إلى الجبهة الشرقية، كما بدأ بالبو استعداداته لغزو مصر وهي أمنيته الكبرى، إلا أن الأيام مرّت بعد إعلان إيطاليا الحرب ولم يتحرك بالبو لاحتلالها.

إستدعاني نائب الوالي الكونت ديلا بورتا وكان يعرفني ويقدرني، وقال لي بصراحة أن الشرطة السياسية تراقبني وتبحث عن مبررٍ لاعتقالي بصفتي من الوطنيين النشطين سياسياً، ونصحني بمغادرة البلاد، وأضاف بأن وزارة الخارجية الإيطالية طلبت منه ترشيح أحد الليبيين المثقفين لتدريس اللغة العربية في مدرسة طنجة الثانوية، وقد رشحني لهذا العمل وطلب مني أن أستعد للسفر، فكانت مفاجأة لم أتوقعها، وقال لي إن هذه فرصتي لإتمام تعليمي، وتذكرت بعد تلك المقابلة أن يكون السبب في إبعادي هو الحادثة التالية، إذ زار ملك إيطاليا بنغازي عام 1938م، فأقامت له الشرطة حفلاً في مدرسة الضابطية، وقد ذهبت مع فتحي الكيخيا وعلي العنيزي إلى الحفل، فلم يجلسونا في المكان المخصص للأعيان، فثار علي العنيزي لذلك وغادرنا الحفل احتجاجاً، فحفظ لنا مدير الشرطة هذا التحدي، فأبعدوا علي العنيزي إلى طرابلس، وكذلك فتحي الكيخيا الذي لم يكن لديه وظيفة آنذاك وسبق له أن عرف السجن، وبقيت أنا هدفاً لانتقامهم الذي في إعتقادي كان نعمةً بالنسبة لمستقبلي، إذ أن إبعادي كان عاملاً لإتمامي تعليمي العالي وتعرفي وعملي مع شخصيات سياسية كبيرة، وازدياد خبرتي في الشؤون السياسية، وتعرفي على مدن أوروبية كثيرة كما سيرد بعد ذلك.

والشرطة الإيطالية حتى في عهد بالبو، كان في استطاعتها أن تلفق التهم وتؤذي من تشاء، ولذلك سررت بالمنصب الذي عُرض عليّ في طنجة، ورأيت أن هناك فرصة لإتمام تعليمي، رغم أنه يعز عليّ فراق أهلي، ووطني، وأصدقائي، ومجلة ليبيا المصورة التي ارتبطت بها ارتباطاً تاماً، وشجعني عمر المحيشي على السفر خوفاً عليّ من الاعتقال، وقال لي إن هذه فرصة ثمينة لإتمام تعليمك في الخارج.

مغادرة الوطن عام 1939م

حياتي في طنجة

غادرت بنغازي في شهر ديسمبر عام 1939م، إلى إيطاليا بطريق البحر، وكان الأستاذ محمد بن عامر مسافراً على ظهر السفينة ذاتها، وتوقفت في نابولي لتسجيل إسمي في جامعة نابولي الشرقية والتي كان يُدرِّس فيها الأستاذ بشير قريم وهو من طرابلس، فساعدني مساعدة كبيرة للتسجيل في الجامعة، وبقيت بضعة أيام في نابولي لكي أتعرف على الجامعة، وعلى أساتذتها، ونظمها، وقوانينها، ثم غادرتها إلى روما حيث اتصلت بوزارة الخارجية التي زودتني بالأوراق اللازمة وبتذاكر السفر إلى طنجة. وفي روما قابلت الدكتور عبدالوهاب عبدالصمد، صديق الأسرة، الذي أكرمني وأحسن استقبالي، ثم غادرت روما على ظهر طائرة مائية إلى جزر البليار، ومنها إلى تطوان بطائرة أخرى، ومن تطوان إلى طنجة بالسيارة، وقد وصلتها متعباً ومرهقا.

كان سفري إلى طنجة تحولاً كبيراً في حياتي، فلأول مرة أعيش في مدينة لا أعرفها ولا أعرف أحداً فيها، والمغرب في تلك الفترة بلد له ذاتيته، وخصائصه، وعاداته، وتقاليده، وتراثه، الذي يحافظ عليه منذ قرون، وطنجة تابعة للمغرب إلا أن لها وضعاً دولياً خاصاً، فسلطان المغرب تمتد سيادته على المغاربة المقيمين في طنجة، أما الأجانب فيتبعون الإدارة الدولية، وكانت هذه الإدارة تتكون من فرنسا، وإيطاليا، وبريطانيا، وإسبانيا، وتتناوب هذه الدول على رئاسة المدينة، وكان للسلطان مندوب في طنجة لرعاية مصالح السكان المغاربة، ولتأكيد سيادته على هذه المدينة التي كان يديرها ويتولى أمرها الكبار، وكانت طنجة في تلك الفترة وكراً للجاسوسية الدولية، والدسائس، والتهريب، وقد غصّت باللاجئين اليهود الذين فرّوا من ألمانيا ومن بلاد أوروبية أخرى خوفاً من هتلر وعدائه لهم، إذ أعلن هتلر منذ توليه الحكم بأن اليهود المقيمين في ألمانيا أعداءٌ للشعب الألماني، لأنهم تآمروا عليه في الحرب العالمية الأولى وتسببوا في هزيمة ألمانيا. وكان جزءاً كبيراً من سكان طنجة يعمل لصالح بلدٍ أو آخر، أي بصورة عامة، فمعظم سكان المدينة يعملون بالجاسوسية ويُجاهرون بذلك علناً بادعائهم أنهم يعملون لصالح هذه الدولة أو لأخرى. وكان الصراع على أشده بين إيطاليا من جهة، وفرنسا وبريطانيا من جهةٍ أخرى، في حين التزمت إسبانيا بالحياد

وإن كانت تتعاطف مع دول المحور، وقد وجدتُ نفسي ضائعاً في هذه المدينة الساحرة الغامضة ذات الأسوار المخيفة، إلا أنني صادقت زملائي في المدرسة، وعشت في مجتمعٍ راقٍ مثقف، استفدت منه كثيراً وتعلمت منه أكثر، كما تعرفت خلال إقامتي في طنجة على العديد من رجالات المغرب، مثل عبدالخالق الطريسي، وهو أول سفير للمغرب في القاهرة، والسيد عبدالله كنون الوطني، والعالم المعروف محمد الناصري، وشبان من عائلات التازي، والوزاني، والحاج أحمد الركينة الذي اعتنى بي، وساعدني، وأكرمني، وكان يحب بنغازي وأهلها محبة خاصة، والسبب في ذلك أنه كان على ظهر الباخرة الإسبانية الناقلة للحجاج المغاربة إلى الأراضي المقدسة في عام 1939م، وقد توقفت الباخرة في بنغازي لأخذ حجاجها، وصادف أن توفي أحد الحجاج المغاربة، فهب عمال الميناء وغيرهم بإعداد الجنازة التي شارك فيها عددٌ كبير من أهل المدينة، كما قام أهل بنغازي باستضافة جميع الحجاج المغاربة الذين شاركوا في الجنازة، وكان من بينهم الحاج أحمد الركينة الذي حفظ لأهل بنغازي هذا العمل النبيل والكرم الفائق.

إتصل بي الحاج أحمد الركينة عندما علم بوجودي في طنجة فدعاني، وأكرمني، وقضيت في ضيافته أيام عيد الأضحى المبارك، وكنت على صلةٍ دائمة به، وتعرفت عن طريقه بالعديد من الشباب الوطني المغربي، وكنت أشارك في بعض اجتماعاتهم، الأمر الذي دفع مندوب السلطان إلى منعهم من مخالطتي وذلك بناءً على طلب فرنسي.

عشت في طنجة حياةً راقية ممتعة لم أتصورها من قبل، وكان النشاط التجسسي والسياسي على أشده، إذ أن الحرب العالمية كانت قد اندلعت في أوروبا عام 1939م، بين ألمانيا من جهة، وفرنسا وبريطانيا من جهةٍ أخرى، وقامت القوات الألمانية باكتساح أوروبا، فاحتلت باريس وسيطرت على أوروبا سيطرة كاملة، ولم يتبقَّ لها من الأعداء سوى بريطانيا التي شرعت تهاجمها من الجو، وقد دفعت هذه الأحداث وسقوط فرنسا، بشعوب المغرب العربي جميعها إلى التحرك والمطالبة بالخلاص من الحكم الفرنسي، والاستقلال كغيرهم من الشعوب الأخرى، إلا أن حكومة ڤيشي المتحالفة مع الألمان، بسطت سيطرتها على بلاد المغرب العربي وأخذت تضيق عليهم الخناق، وتقضي على الحركات التحررية وهي في مهدها، بينما كانت شعوب المغرب رغم تحركها من أجل الاستقلال، أخذت تراقب الأحداث وتنتظر نهاية الحرب، وكان المغاربة الذين يعيشون في طنجة في تلك الفترة ينعمون

بحريةٍ لم تتوفر لإخوانهم داخل المغرب، ولذلك كانت طنجة مركز النشاط الوطني المغربي من أجل الاستقلال وملتقى الساسة العاملين على ذلك، وقد شاركتُ الشبان المغاربة مشاعرهم الوطنية وكنت ألتقي بهم في دار سيدي عبد الله كنون لمناقشة الأوضاع الوطنية، وتتبع مجرياتها، وهو الأمر الذي كما ذكرت دفع فرنسا إلى مطالبة مندوب السلطان بالضغط على الشباب المغربي بعدم الاختلاط بي، وقد بعثت روح الإنتصارات الألمانية أملاً كبيراً لدى المغاربة في الحصول على استقلالهم، إلا أن تحالف فرنسا وحكومة ڤيشي كان يضايقهم ويكدر أحلامهم، ووقفت إيطاليا على الحياد ولم تشارك حليفتها ألمانيا القتال، إلا أنها ظلت متعاطفة معها ومؤيدة لأعمالها، وكانت في طنجة تقف موقفاً عدائياً من فرنسا، وبريطانيا، وتتجسس عليهما لصالح ألمانيا، وقد ازدادت أهمية طنجة بعد إعلان الحرب، بالنظر لموقعها بالقرب من مضيق جبل طارق الموقع الإستراتيجي الهام، وكانت إيطاليا تستعد لدخول الحرب بعد أن تأكدت من إنتصار ألمانيا، لتحصل على نصيبٍ من الغنيمة دون قتالٍ ولا عناء، ففرنسا قد ركعت على ركبتيها وبريطانيا في طريق الركوع.

كان عملي في طنجة يتلخص في تدريس اللغة العربية لطلبة المدارس الثانوية، وكنت أعيش باستمرار في محيط المدرسة، أي مع الأساتذة الذين أفادوني وتعلّمت منهم الكثير، وكنت أرافقهم خارج المدرسة وفي وقت فراغنا، وكانوا نخبة من الأساتذة الممتازين الذين بقيت على علاقةٍ بهم بعد عودتنا جميعاً إلى إيطاليا. وعندما قاربت الحرب على نهايتها، تأكدنا أن موسوليني سيخوض غمارها إلى جانب هتلر ليفوز بجزءٍ من الغنائم وبأقل مجهود أو خسائر، وقد نصحتنا القنصلية الإيطالية بضرورة مغادرة طنجة، وكان المغاربة متحمسين لانتصارات ألمانيا لأن هزيمة فرنسا تفتح أمامهم أبواب الحرية، في الوقت الذي كانت فيه فرنسا تضيق الخناق على الوطنيين، وتراقبهم وتهددهم، إلا أن الروح الوطنية كانت تعلو أي إجراءات تتخذها فرنسا، فكان الشباب يجتمع في البيوت ويناقش الأوضاع، ويبتهج لانتصارات ألمانيا وهزائم فرنسا.

كان السيد عبدالله كنون زعيم الوطنية في طنجة، وكانت داره دائماً عامرة بالشباب وبالوطنيين، والذين كانوا على صلة مستمرة بالوطنيين في المغرب، إلا أن البطش الفرنسي في المغرب كان قوياً وشديدا، فقد شعرت فرنسا بأنها بدأت تفقد المغرب، ولذلك جندت كل قواها للحيلولة دون ذلك. وقد رحب بي الشباب المغربي في طنجة بصفتي المشرقي

الوحيد الموجود بينهم، وكانوا يعشقون المشرق العربي ويتتبعون أخباره، ويسمعون أغانيه، ويشاهدون أشرطته السينمائية، وكنت أحضر إجتماعاتهم السياسية ومناقشاتهم حول تحرير بلادهم. وبدأ المغاربة يشعرون بأن هزيمة فرنسا قادمة وأن حريتهم آتية لا ريب فيها، والشيء ذاته كان ينطبق على مغاربة المنطقة الإسبانية وهو الجزء الشمالي من المغرب والذي يخضع لسيطرة إسبانيا التي احتلت سبتة، ومليلة، قبل أكثر من أربعمائة عام.

في أواخر مايو، أنذرتنا القنصلية الإيطالية بالاستعداد للسفر، لأن إيطاليا قد تشترك في الحرب، وقد إستولى هتلر على معظم أوروبا بما فيها فرنسا، وتحصنت بريطانيا في جزيرتها وبدأت تتلقّى الضربات الألمانية الجوية، وكانت جميع الدلائل تؤكد أن النصر أصبح بيد ألمانيا، ولذلك قرّر موسوليني دخول الحرب.

في اليوم العاشر من يونيو عام 1940م، غادر معظم الإيطاليون طنجة وكنت من بينهم، على ظهر عابرة المحيط ڤولكانيا، والتي كان على ظهرها المئات من أُسر الدبلوماسيين الإيطاليين القادمين من جنوب أمريكا، وتحركت الباخرة من طنجة بعد منتصف النهار، إلا أنها عندما اقتربت من جبل طارق إعترضتها سفينة حربية بريطانية وأمرتها بالدخول إلى ميناء جبل طارق، ولم نعرف سبب ذلك، وقرب المساء سمعنا من المذياع كلمة موسوليني التي أعلن فيها الحرب على فرنسا وبريطانيا، وذلك بعد أن ظل عشرة أشهر ينتظر إنتصار ألمانيا، وبكى الكبار، وهتف الشبان، وساد الباخرة جوٌ غريب من الخوف والإضطراب والتساؤلات عن مصير الركاب وهم بيد الأعداء، وصعد إلى الباخرة ضابط بريطاني وتحدث إلى الركاب، فقال لهم: إن الحكومة البريطانية ستستولي على الباخرة، أما الرجال فسوف يُرسلون إلى أحد المعتقلات وسيُنظر في أمر النساء والأطفال، وانتابتني موجة من الغضب والألم وشعرت بالندم لمجيئي إلى طنجة، فما ذنبي أن أقع أسيراً في يد البريطانيين وأنا لست بإيطالي، وماذا يفعل أهلي عندما تنقطع أخباري؟ وماذا عن دراستي؟ كانت هذه التساؤلات تشغل فكري وتثير في نفسي الغضب والألم. وتناولنا العشاء كالعادة، وكان الخوف يخيم على الجميع، ثم ذهبت إلى غرفتي إلا أنني لم أستطع النوم فصعدت إلى ظهر الباخرة وجلست على مقعدٍ مواجه للبحر، وكنت أرى من مقعدي حركة محمومة للبحارة، وشعرت قرب الساعة الثانية صباحاً بالباخرة وقد شرعت في التحرك، وخرجت من ميناء جبل طارق ودخلت المياه الإقليمية الإسبانية وتوقفت، وكان هذا معناه إفلاتها من القبضة

الإنجليزية، إلا أنه وفقاً للقوانين الدولية فعلى الباخرة أن تغادر المياه الإسبانية في خلال 24 ساعة وإلاّ تسلّم نفسها للسلطات الإسبانية، وقضى الركاب طيلة اليوم يتسائلون عن المصير، ولكن الباخرة لم تسلم نفسها للسلطات الإسبانية، وجاء المساء وجاءت معه ظلمة الليل وازدادت تساؤلات الركاب عن المصير، فجمع ربان الباخرة الركاب وقال لهم إنه سيغادر المياه الإقليمية الإسبانية، وعلى الجميع أن يلتزموا الصمت وعدم إشعال الأضواء إلى حين وصول الباخرة إلى سردينيا، وفي أواخر الليل تحركت الباخرة وانطلقت في ظلامٍ دامس بأقصى سرعتها، ولم يصبح الصباح إلا وقد وصلت سردينيا وفرح الركاب بوصولهم إلى الأراضي الإيطالية، إلا أن الطائرات الفرنسية جاءت إلى سردينيا وقصفت الباخرة بالقنابل ولكنها لم تصبها، وفي اليوم التالي من وصول الباخرة إلى سردينيا جاءنا سكرتير الحزب الفاشستي، وقال: إن الباخرة ستواصل رحلتها إلى نابولي وعلى الرجال والنساء أن يهبطوا إلى البر، إلا من أراد أن يخاطر ويواصل السفر على ظهر الباخرة، ونزل الكثيرون إلى البر وبقيت قلّة على ظهر الباخرة وأنا من بينهم، وفي أواخر الليل أبحرت الباخرة من الميناء وانطلقت بأقصى سرعتها، وكنا نتوقع أن تتعقبها السفن البريطانية والفرنسية وتوقفها أو تغرقها، إلا أن سرعة الباخرة كانت أكبر من سرعة السفن الحربية البريطانية والفرنسية، وبقينا طيلة الليل ساهرين على أعصابنا، جالسين على الكراسي نعد مرور الثواني ولا نتوقع وصولنا سالمين إلى نابولي وقرب الفجر لاحت علينا شواطئ نابولي، فسررنا وحمدنا الله على السلامة.

إقامتي في روما

بعد وصولي إلى نابولي، ذهبت إلى الفندق للراحة قليلاً، ثم ذهبت لزيارة الأستاذ بشير قريم وهو مدرس اللغة العربية في جامعة نابولي الشرقية لأسأله عن الأوضاع في ليبيا، فقال بأن المواصلات مع ليبيا مقطوعة وأن البلاد في حالة حرب، كما أخبرني بتعيين الجنرال غرازياني حاكماً عاماً لليبيا وقائداً للقوات المسلحة في شمال أفريقا، وكان الماريشال بالبو قد قُتل أثناء محاولته الهبوط بطائرته فوق مدينة طبرق، فقد أسقطتها البارجة الإيطالية (سان جورج) الراسية بميناء طبرق عمداً أو بغير قصد، وأشارت أصابع الإتهام إلى موسوليني لأنه لم يعد يثق في بالبو بسبب كراهيته للألمان، وأراد التخلص منه ليستبدله بالجنرال غرازياني.

كما أخبرني الأستاذ بشير بوجود طلبة ليبيين في نابولي يرغبون في العودة إلى ليبيا ولا يجدون الوسيلة، ثم تناولت الغداء معه وخرجت لأسأل عن الطلبة الليبيين، فوجدتهم يقيمون في غرفتين تملكهما امرأة عجوز، وكان من بينهم أصدقاء قدامى، مثل نجم الدين فرحات، ومصطفى العجيلي، ومحمد باي درنة، ومحمد الزنتوتي، وقد سألني نجم الدين عما إذا كان لدي نقود، فقلت له ستمائة ليرة، فأجابني بأن هذه لا تكفي أسبوع إقامة في الفندق، فدعاني للذهاب لإحضار حقيبتي والإنضمام إليهم، فذهبت وأحضرتها وأقمت معهم، وقد قضيت بينهم أياماً سعيدة نلهو ونضحك غير آبهين بما يدور في العالم.

وكان طلبة الجامعة قد علموا بوضع الليبيين، فكانوا يأتون لزيارتنا ومعهم المأكولات والحلويات، وبعد خمسة عشرة يوماً تمكن زملائي الليبيين من إيجاد وسيلة تنقلهم إلى طرابلس، فسافروا وسافرت أنا إلى روما، ثم ذهبت إلى وزارة الخارجية التي حولتني إلى وزارة الثقافة الشعبية لأعمل في محطة الإذاعة العربية، فوجدت عدداً من الليبيين يعملون في المحطة، وهم عبد الرحمن بوتخيلة، وراسم قدري، وشمس الدين بن عمران، ومصطفى الشركسي، ومحمود إنديشا، وإبراهيم البكباك، وسليمان الجربي، وكانت مهمتهم ترجمة النشرات الإخبارية وإعطائها للمذيعين لإذاعتها، وكان إلى جانب الليبيين عددٌ من العرب الشرقيين، مصريين، وسوريين، وعراقيين، ولبنانيين، وتونسيين، وكان هؤلاء يعدون المحاضرات التي كانت تُلقى في الإذاعة العربية، وكان يترأس المكتب العربي إنريكو نونا، وهو من أصلٍ سوري، ويدير المكتب بكفاءةٍ وجدارة، فقربني إليه وأصبح يسند إليّ أعمالاً غير الترجمة، كتحرير النشرات باللغة الإيطالية وإعداد نشرة الأخبار الخاصة بالشرق العربي، والتي توزع على جميع أقسام الوزارة البالغ عددها أكثر من خمسين قسماً لإذاعتها بمختلف اللغات، فتدربت على جمع المعلومات وتدوينها وإعدادها للنشر، وكان محيط الوزارة محيطاً ثقافياً عالياً إذ لا يعمل فيه سوى الصحافيين والطباعين، وكانت الأقسام الأجنبية تضم صحافيين إنجليز، وفرنسيين، وألمان، وأجناس أخرى، كما كان وكيل الوزارة يجمع رؤساء الأقسام ورؤساء تحرير الصحف المحلية يومياً في الساعة الحادية عشر، ويحدثهم عن الأوضاع ويوجههم إلى المواضيع التي يجب أن يهتموا بها، وكنت أحضر هذه الاجتماعات نيابةً عن القسم العربي، كما كان وكيل الوزارة يصدر التعليمات إلى الصحف والإذاعة، بالمواضيع التي يجب الإهتمام بها والمواضيع التي يجب تحاشيها، وكان يعبر عن سياسة إيطاليا تجاه الأحداث الجارية، فالدعاية آنذاك

كانت في بدايتها، والذي أعطاها دفعاً كبيراً هو وزير الإعلام الألماني (چوبلز) الذي جعل الإعلام الألماني موازياً للإنتصارات الحربية التي حققتها ألمانيا، وكانت إيطاليا تريد أن تجاري ألمانيا حتى في هذا الميدان الإعلامي.

أقمت في روما قرابة الثلاث سنوات أعمل في الإذاعة العربية، واتخذت سكناً قريباً من عملي، وكنت أُسافر مرة في الأسبوع إلى نابولي لكي أذهب إلى الجامعة التي التحقت بها، لأخذ المحاضرات التي أُلقيت وحضور بعضها، وبدأت أتمتع بحياة روما التي بالرغم من بداية الحرب واختفاء المواد الغذائية، فقد كانت لا تزال تحتفظ برونقها وجمالها. وكان الإخوان الليبيون نعم الرفاق والأصدقاء، إذ كنا نقوم بعملٍ مشترك ونعد النشرات، ونراجع المحاضرات، ونستمع إلى الإذاعات الأجنبية، ونحرر النشرات العربية، وقد تعرفت على الكثير من الصحافيين والكتاب الإيطاليين والأجانب الذين كانوا يعملون في الوزارة، واستفدت كثيراً من جراء الاختلاط بهم من حيث تنمية ثقافتي ومعلوماتي، وكان جو الوزارة جواً ثقافياً بحتاً. أما روما فبدأ يخيم عليها في العام الثاني من الحرب علامات الحاجة والشدة، فنقصت المواد الغذائية نقصاً شديداً والتي أصبحت توزع بالبطاقات بنسبةٍ لا تسد الحاجة، إلا أن القادرين مالياً كان يصلهم كل شيء عن طريق السوق السوداء، ومع ذلك فقد ظلت المطاعم والحانات وأماكن السهر مفتوحة يرتادها أهل روما كالعادة، غير أن غياب الشبان الذين جُندوا قد أثّر في المدينة تأثيراً واضحا، وكانت المواصلات العامة في المدينة صعبة بسبب شدة الازدحام عليها وقلة السيارات، وأصبح إنقطاع الكهرباء عن أجزاءٍ من المدينة أمراً معتادا، ففي كل يوم يقطعون الكهرباء عن حيٍ بأكمله لمدة أسبوع وكان هذا يؤثر في حياة الناس المنزلية تأثيراً كبيرا، كما كانت أنباء الحرب التي تخوضها إيطاليا لا تبشّر بخير، فقد انهزمت القوات الإيطالية في ليبيا وفي اليونان وفي كل مكان خاضت فيه معارك، وكان الشعب الإيطالي لا يريد الحرب ويرغب في السلام بأي ثمن، كما كان كارهاً للنظام الفاشستي الحاكم ويتمنى زواله حتى ولو خسرت إيطاليا الحرب.

وقد تعرفت في روما على (إنريكو إنساباتو) الصحفي الإيطالي الكبير، والمستشرق المعروف الذي لعب دوراً كبيراً في بداية القرن، عندما أُوفد إلى القاهرة للعمل على الاتصال بالسنوسية وإقناعها بعدم دخول الحرب إلى جانب تركيا فيما إذا قررت إيطاليا إحتلال ليبيا، وقد إستطاع أن يتغلغل عن طريق (محمد علوي بك) الموظف بالممثلية الإيطالية، والتعرف



الأخوة الليبيون في روما عام 1942م، ويري في الصف الأول من اليمين، السيد إبراهيم البكباك، السيد وهبي البوري، ود.جميل فاكا، والأمير سليمان القرمانلى، ود.مصطفي العجيلي، والسيد شمس الدين عرابي، والسيد صيفاو خريبيش، والسيد محمود انديشه.

الجالسون من اليمين، السيد أورخان القرمانلي، والسيد سليمان الجربي، والسيد محمد خالد.

والارتباط بالشيخ عليش وغيره من علماء الأزهر الشريف ومحاولة استعمالهم لتحقيق أهداف إيطاليا. وظل حتى بعد قيام الحكم الفاشستي شخصية صحفية مرموقة في إيطاليا، وقد أرسله موسوليني إلى طرابلس للتحقيق في أوضاع ليبيا، كما سبق وأرسله رئيس الوزراء (جوليتي) في عام 1911م إلى ليبيا لدراسة أوضاعها قبل الغزو الإيطالي، وكان في أحاديثه يُعرب عن تقديره للعرب بصورةٍ عامة، وعن رغبته في أن تقوم إيطاليا بسياسةٍ بناءة مع العالم العربي، وأن تتحسن الأوضاع في ليبيا، وظل بعد الحرب يعمل في ميدان الصحافة وينشر مجلة باسم البحر الأبيض المتوسط، وكان محل ثقة وعناية من قبل المسؤولين الإيطاليين.

وفي هذه الأثناء، إشتعلت الحرب ما بين العراق وبريطانيا بسبب خلافاتٍ بينهما، وخاصة أن، رشيد عالي الكيلاني، رئيس الوزراء كانت ميوله ألمانية ويُريد إخراج البريطانيين من بلاده. وعندما قامت الحرب بين الطرفين، إستعانت بريطانيا بالجيش الأردني بقيادة، چلوب باشا، الذي هزم الجيش العراقي وأجبر رئيس الحكومة على الفرار من العراق هو ومجموعته، وجاء رشيد عالي الكيلاني رئيس وزراء العراق السابق، والوزير السابق ناجي شوكت، واللواء إبراهيم الراوي، ومجموعة من الضباط العراقيين إلى روما، وقد فضّل رشيد عالي الإقامة في ألمانيا ليكون قريباً من مركز الأحداث، وجاء أيضاً إلى روما مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، وابن عمه سليم الحسيني، ومجموعة من أعوانه ليستقروا في روما، وذلك لخوفهم من الانتقام الإنجليزي، وكان ذلك بعد خسارة الجيش العراقي لمعركته مع بريطانيا، فقد كانت بريطانيا تتتبع تحركات الحاج أمين من مكانٍ إلى آخر للقبض عليه، إلا أنه كان دائماً يفلت منها إلى أن وصل تركيا، ومن هناك قصد إيطاليا التي كانت في حالة حرب مع بريطانيا، ففضل الإقامة فيها والاستناد على إيطاليا لحل مشكلة فلسطين، إلا أنه أخذ أيضاً يهتم بمصير البلاد العربية وباستقلالها، وكان يرمي من وراء تعاونه مع إيطاليا وألمانيا تحقيق حرية البلاد العربية في حالة انتصارهما، ولم يكن يدري أن مطامع إيطاليا تمتد لتشمل جميع البلاد العربية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، فقابلته الحكومة الإيطالية باحترامٍ كبير وخصّصت له سكناً محترما، وكانت تريد أن تستعمله آلةً لتحقيق سياستها وأغراضها في البلاد العربية، بينما كان هو يطمع في مساعدتها للحصول على استقلال فلسطين وبقية البلاد العربية الأخرى.

وبالصدفة، كنت جالساً في أحد مقاهي روما فسمعت اثنين يتكلمان العربية، فاقتربت منهما فوجدتهما من أعوان مفتي فلسطين، فتعرفت عليهما ومن بينهما، سليم الحسيني، ابن عم مفتي فلسطين الذي ارتبطت به بصداقةٍ واصبحت كثير اللقاء به، وقد طلب مني أن أذهب معه لزيارة المفتي، وعندما ذهبت إليه وجدته رجلاً مهيباً، ذكياً، متكلماً، وسياسياً بارعاً، فرحب بي وسألني عن الأوضاع في ليبيا، فأجبته بأنها في حالة حرب. وقد دُعيت في أحد الأيام إلى تناول طعام الغداء على مائدة المفتي، وكان لطيفاً معي ويُكثر من السؤال عن أحوال ليبيا، وكنت أجيبه بصراحة عن جميع أوضاع الشعب الليبي المتردية في عهد الحكم الإيطالي. وكان الفلسطينيون قد أقاموا محطة إذاعة باللغة العربية في روما أُطلق عليها اسم (إذاعة الأمة العربية)، يذيعون منها أنباءً ورسائل ومحاضرات للعالم العربي، وذلك للتحريض على العمل ضد عدوتهم بريطانيا.

وأخذت أتردد عليهم وأقوم بمساعدتهم في الترجمة وفي نواحي أخرى من الأعمال الإذاعية التي كانوا يديرونها، وقد طلب المفتي فيما بعد من الوزارة السماح لي بالعمل معهم في وقت فراغي، فوافقت الوزارة على ذلك، فبدأت أعمل معهم وأساعدهم وأشاركهم أفكارهم وأمانيهم، وأعد التعليقات والنشرات للإذاعة التي كان لا يُعرف إن كان هناك من يستمع إليها في البلاد العربية التي كانت مشغولة بأحداث الحرب وتطوراتها، وكان المحررون المشرفين على الإذاعة من الفلسطينيين وكذلك كان المذيعون، وكانت لهم حرية التصرف في التعليق والتعبير عن وجهات نظر المفتي.

وكان المفتي يحاول أن ينزع من إيطاليا إعترافها باستقلال البلاد العربية، غير أن إيطاليا لم تكن تفكر مطلقاً في التنازل عن أحلامها في السيطرة عليها وعلى البحر الأبيض المتوسط، إلا أن موسوليني كان يدرك أن له شريكاً أقوى منه، أي ألمانيا، وهي التي ستفرض الحلول التي تريدها إذا انتصرت في الحرب، وكان يدرك أيضاً أن سمعة إيطاليا بسبب هزائمها في ليبيا واليونان قد هبطت إلى أدنى مستوى، في حين إكتسبت ألمانيا إعجاب العالم وعطف العالم العربي بعد أن حطمت كبرياء فرنسا وبريطانيا، وفتحت باب الأمل أمام البلاد العربية كافة، فقد أرادت إيطاليا استغلال وجود الزعماء العرب فوق أراضيها لتقوية نفوذها، وتحقيق مطامعها في البلاد العربية دون أن تتعهد لهم بأي شيء يطمئن العرب على مستقبلهم بعد نهاية الحرب، ولم يخفَ على الحاج أمين حقيقة نوايا إيطاليا ولا إمكانياتها، فاتجه نحو الشمال

إلى ألمانيا التي كانت أكثر استعداداً لتفهم مشاكل العرب ومساعدتهم على إيجاد حلٍ لها بعد نهاية الحرب، وخلال حديثي مع المفتي حول سياسة إيطاليا العربية، كنت كثيراً ما أشير إلى ما اقترفه الإيطاليون من أعمالٍ وحشية ومنافية للإنسانية في ليبيا، وقد تكون نموذجاً لما يضمرونه للبلاد العربية، وقال لي المفتي إنه في أحاديثه مع الإيطاليين كان يحثهم على ضرورة تحسين الأوضاع في ليبيا كي تطمئن إليهم الشعوب العربية وتتعاون معهم.

وبدأت شكوك وزارة المستعمرات تحوم حولي بصفتي الليبي الوحيد المتصل بالمفتي، وقد أخبرتني فتاة تعمل في مكتب وكيل الوزارة، أن رسالةً وصلت من وزارة المستعمرات تطلب سحبي من العمل لدى المفتي وإبعادي عن روما، وهذا الإبعاد لا يتم إلا باعتقالي، فاتصلت بالمفتي وأخبرته بكل شيء، فكتب رسالةً إلى وزارة الخارجية يعلمها أنه في حاجة إليّ لترجمة وثائق هامة وذلك كي لا يعتقلوني، والسبب في هذا المشكل أنه أثناء عملي في محطة إذاعة الأمة العربية، قمت بكتابة مقال يتعلق باستقلال البلاد العربية بعد الحرب ووضعت اسم ليبيا بينها، فثارت وزارة المستعمرات للنبأ واستغربت كيف أنه من وسط روما يُطالب باستقلال ليبيا، وأدركت الوزارة أنني كاتب هذا المقال أو الذي أوحى بكتابته ولذلك قررت إبعادي عن روما واعتقالي.

وهناك واقعة أذكرها للحقيقة والتاريخ، فعندما وصلت قوات رومل إلى العلمين حاول المفتي تكوين قوة عسكرية من الشباب الفلسطيني والعربي الموجود في روما، للمشاركة في معركة الشرق الأوسط الأخيرة، إلا أنه لم يجد العدد الكافي لتكوين القوة ولا الرغبة في التطوع، وإزاء هذا الأمر فكّر في الاستعانة بالليبيين كقوة عربية مشاركة في القتال، وطلب مني المفتي أخذ رأي محمود المنتصر الذي كان موجوداً في روما، فاتصلت به وعرضت عليه فكرة المفتي فرفضها رفضاً باتاً، وقال لي إنه سيأخذ رأي الكابتن خليفة خالد، وهو ضابط في الجيش الإيطالي وقام بقيادة فريق من القوات الليبية في معركة إحتلال إيطاليا للحبشة، وقد أجابه الكابتن خليفة خالد عن كيفية معاملة إيطاليا للجنود الليبيين الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل إيطاليا، وذلك بعد عودتهم إلى بلادهم مشوهين ومرضى، ولم تمد لهم يد المساعدة إلا بمبالغٍ تافهة، وطلب منا الكابتن خليفة خالد أن ننصح المفتي بالإقلاع عن هذه الفكرة، لأنه لا يوجد ليبي واحد يقبل التطوع تحت علم إيطاليا، وقال لنا: إن الليبيين قاتلوا في الحبشة إلى جانب القوات الإيطالية، فأبلوا بلاءً حسناً وانتصروا ثم عادوا

للوطن، فلم تعوض إيطاليا أهل القتلى، ولم تمنح للمعوقين معاشات مناسبة لتضحياتهم. ولا أدري ما إذا كانت الفكرة فكرة المفتي أم أن الإيطاليين قد أوعزوا إليه بذلك، وسألني المفتي عن نتيجة اتصالاتي فأعدت عليه ما سمعته من محمود المنتصر وخليفة خالد، فسكت على الموضوع، وكان المفتي في أحاديثه معي يبرر مشاركة الليبيين في القتال إذ تعطيهم الحق في المطالبة باستقلالهم أسوةً بالبلاد العربية الأخرى، علماً بأن نوايا إيطاليا في حالة انتصارها إستعمار البلاد العربية واعتبار ليبيا جزءاً متمماً لإيطاليا، وأنها لن تلتزم باستقلال البلاد العربية ولو نظرياً، أما بالنسبة لليبيين فإنهم إذا دخلوا حرباً فستكون ضد إيطاليا لا معها، فهم ذاقوا الاضطهاد وسوء المعاملة وعدم إيفاء مقاتليهم بحقوقهم المقررة، وقد شارك أكثر من ثمانين ألف جندي ليبي في معركة سيدي براني التي انهزم فيها الجيش الإيطالي، وقُتل من الليبيين ما قُتل وأُسر بقيتهم وهم يدافعون عن إيطاليا، فلم تجازيهم بشيءٍ يذكر، هذا بالإضافة إلى مشاركتهم في حرب الحبشة، غير أن الأحداث العسكرية في ليبيا غيرت الأفكار والأوضاع، إذ قام الماريشال غرازياني بهجومٍ على مصر واحتل سيدي براني، فهتف الشعب الإيطالي والصحافة الإيطالية للإنتصار، وظنوا أن إيطاليا ستقتفي خطوات هتلر وانتصاراته، وكان بين القوات المهاجمة فرقتان ليبيتين ومجموعة الجنرال (مالتي) الليبية، وظل غرازياني متوقفاً في مكانه يريد إنشاء الطرق ومد أنابيب المياه قبل أن يتحرك، رغم ضغط موسوليني الشديد عليه بالتقدم، وكان غرازياني يطالب أيضاً في تزويده بالسيارات التي تمكنه من نقل جنوده بدلاً من سيرهم على الأقدام، فقد سارت القوات الليبية على أقدامها من الحدود إلى سيدي براني في القيظ وتحت أشعة الشمس الحارة، وظل غرازياني متمسكاً برأيه غير ملتفت لضغط موسوليني، إلى أن فاجأه الجنرال ويفيل قائد القوات البريطانية في أواخر سنة 1940م بهجومٍ مفاجئ، فانهارت قوات الليبيين الموجودة في المقدمة وضاعت ما بين أسيرٍ وقتيل، وهُزمت القوات الإيطالية شر هزيمة، وأسر منها الإنجليز أكثر من مئة ألف، ثم زحف ويفيل على بنغازي فاحتلها كما وصلت قواته إلى العقيلة وتمركزت فيها، وكانت هذه أول هزيمة يصاب بها موسوليني بعد دخوله الحرب، وكانت هزيمة نكراء تسبب فيها الجنرال غرازياني لعدم قدرته على إدارة المعركة التي كان يديرها على بعد 400 كيلومتر من الجبهة، فحطمت الهزيمة غروره، وتبعاً لذلك انسحب إلى إيطاليا حيث كانت وزارة الحرب الإيطالية تريد تقديمه للمحاكمة لولا تدخل موسوليني شخصياً لإنقاذه. ولم يجد موسوليني بداً إزاء هزيمة جيوشه في ليبيا إلا أن يستعين بحليفته ألمانيا، فنجدته بإرسال فرقتين ألمانيتين

مصفحتين بقيادة الجنرال رومل، الذي سارع بمجرد وصول قواته إلى الأراضي الليبية بالزحف على القوات البريطانية في بنغازي، وعندما شعرت هذه الأخيرة بأن لا قدرة لها على مواجهة القوات الألمانية، إنسحبت فجأة من بنغازي وتتبعتها القوات الألمانية حتى طبرق والحدود المصرية، وعاد الإيطاليون إلى حكم بنغازي وانتقموا من السكان العرب شر انتقام، وقد غادر المدينة مع القوات البريطانية العديد من الرجال والشبان خوفاً من الانتقام الإيطالي، ثم شكّل الإيطاليون محكمةً في المرج لمعاقبة الليبيين الذين تعاونوا مع بريطانيا، أو الذين اعتدوا على الإيطاليين خلال الاحتلال البريطاني، وأعدموا قرابة المائة عربي تنفيذاً لأحكام هذه المحكمة، وقد زادت موجة الإرهاب والإنتقام من العرب كراهية الليبيين لإيطاليا ورغبتهم في زوالها من بلادهم، غير أن الوجود الألماني في ليبيا أعاد إيطاليا إلى حجمها وجعلها تكف عن ملاحقة الليبيين والانتقام منهم، وتوالى الكر والفر بين الجيشين على احتلال بنغازي، وفي سنة 1943م إستطاع الإنجليز إحتلال كل ليبيا ودحر الألمان والإيطاليين إلى تونس.

وقد حدث أن دعاني المفتي مع محمود المنتصر للغداء في بيته يوم أول سبتمبر عام 1942م، وكان على المائدة أعوانه والمقربين إليه، وفي أثناء الغداء دق جرس الهاتف وكان المتكلم من وزارة الخارجية الإيطالية الذي أراد إخبار المفتي ببدء رومل هجومه على العلمين، فعمّت الفرحة الموجودين على مائدة الطعام، وهبوا عن طعامهم وأخذوا يقبلون بعضهم البعض إبتهاجاً بهذا الحادث الذي في ظنهم سوف يوصلهم إلى فلسطين، وخرجت أنا ومحمود المنتصر إلى الحديقة وجلسنا على إحدى الموائد المنتشرة فيها، ووجوهنا قاتمة ونفوسنا متألمة للحادث الذي إبتهج له إخواننا الفلسطينيين، فقد كنا نعلم أن انتصار إيطاليا وألمانيا معناه خضوع الدول العربية لإيطاليا وفقدان ليبيا أي أمل في الحصول على حريتها وهويتها، ولاحظ المفتي تغيبنا عن القاعة فلحق بنا في الحديقة، وقال لنا: إني أعلم شعوركم الذي يخالف شعورنا، فنحن مغتبطون لأنه اقترب اليوم الذي نحرر فيه بلادنا من الصهيونية، وأنتم تفقدون الأمل في الخلاص من إيطاليا، ولكن في الحياة مفاجآت كثيرة، فربما أنتم تحصلون على استقلالكم البعيد قبلنا، فقلنا للمفتي سيغمرنا السرور في حالة استقلال فلسطين والبلاد العربية، ولا يهم أن تكون ليبيا الضحية، ثم استأذنا وخرجنا محبطين.

في شهر أبريل عام 1943م، تدهورت أحوال إيطاليا العسكرية في شمال أفريقيا وفي البلقان، وقام الحلفاء بعد ذلك باحتلال جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا دون أن يجدوا مقاومة

تذكر، واضطربت الأوضاع في روما، وسُر أكثر الإيطاليين لنزول الحلفاء في جنوب إيطاليا وبقرب نهاية الحرب، فقد كان مئات الآلاف من أبنائهم يخوضونها إلى جانب ألمانيا، في روسيا، وفي البلقان، وتكبدوا خسائر باهظة، فالشعب الإيطالي كان لا يريد الحرب منذ البداية، ويتمنى نهايتها في أقرب وقت. وفي هذه الأثناء أطل برؤوسهم المعارضون القدامى للنظام الفاشستي، وأعادوا تشكيل أحزابهم واستعدوا للعمل للمرحلة المقبلة. واجتمع مجلس الفاشست الأعلى لبحث الموقف، وبعد جلسةٍ صاخبة تبادلوا فيها الإتهامات، وارتفعت أصوات بعض الأعضاء تتهم موسوليني الذي كان موجوداً بأنه السبب في كل ما حلّ بإيطاليا من دمار، وخراب، وهزائم، وقرر بالأغلبية مطالبة الملك باستلام الأمور في إيطاليا وتحمل مسؤولياته، وهذا يعني تجريد موسوليني من سلطاته، وفي اليوم التالي كان موعد مقابلة موسوليني للملك الذي فاجأه بإطلاعه على قرار مجلس الفاشست الأعلى، وهو إعفائه من منصبه كرئيس للحكومة الإيطالية وتولي الماريشال بادوليو رئاستها. وبعد خروج موسوليني من مقابلته للملك إتصل به رئيس المخابرات وأخبره بأن هناك خطراً عليه إذا عاد إلى منزله بالسيارة، ولذلك فقد أعدّ له سيارة إسعاف لنقله، والتي إنطلقت به، لا إلى بيته وإنما إلى المعتقل الذي أُعد له، وأدرك الإيطاليون أن إقصاء موسوليني عن الحكم وتولي الماريشال بادوليو مكانه، إشارة على أن إيطاليا ستخرج من الحرب.

وقد شرع الماريشال بادوليو بعد توليه الحكم في الاتصال سراً بالحلفاء للاتفاق على خروج إيطاليا من الحرب، ودارت مفاوضات بين الطرفين وتم الاتفاق على تسليم إيطاليا، إلا أن بادوليو اشترط على الحلفاء أن يمنحوه وقتاً حتى يأتي بالقوات الإيطالية المرابطة في البلقان كي تحمي البلاد من احتلالٍ ألماني متوقع، وخلال ليلةٍ واحدة زالت الفاشستية وكل ما قامت به خلال عشرين عام، فقد أُزيلت كل آثار النظام وصدرت في الصباح الصحف الاشتراكية والشيوعية القديمة، وخرجت إلى النور الأحزاب السياسية القديمة وتغير وجه البلاد وكأنها لم تعرف الفاشستية، وفاجأ الحلفاء الإيطاليين بإعلان استسلام إيطاليا دون علم بادوليو وقبل أن يأتي بقواته من البلقان، فاضطربت روما وخشيت الحكومة والأسرة المالكة من انتقام الألمان، فغادروها على ظهر بارجة حربية إلى الجنوب للإحتماء بأعدائهم السابقين من الألمان، فاحتلت ألمانيا شمال إيطاليا ووسطها وروما، وأطلقوا سراح موسوليني وكونوا له جمهورية إجتماعية في شمال إيطاليا، وانقسمت إيطاليا إلى جزئين كل جزءٍ يحتله غرباء.

عملي مع مفتي فلسطين

وقبل هذه الأحداث قرر المفتي الانتقال إلى ألمانيا ودعاني للسفر معه، فغادرت روما ولحقت به، ووصلنا أوبيين بالقرب من مدينة سيتاو حيث كان يقيم معه أعوانه المقربين ومن بينهم أصدقائي الذين كنت أعمل معهم في روما، وأوبيين مدينة سياحية صغيرة يقصدها السواح في الزمن العادي للتزلّج على الجليد.

وصلنا ألمانيا في شهر فبراير عام 1944م، وكانت ألمانيا في ذلك العام قد تحولت إلى الدفاع بدلاً من الهجوم، وأصبحت كفة الحلفاء هي الراجحة في أغلب الميادين، وكانت الكآبة بادية على وجوه الألمان، إلا أن أحداً لا يشكو ولا يتذمر، فكل واحد منهم يقوم بواجبه ويلتزم بكل ما تفرضه عليه الدولة، فألمانيا حشدت كل قواها للدفاع عن نفسها، فجميع مدنها معرضة للغارات الجوية العنيفة وأصبح الخراب والدمار في كل مكان، ولبرلين النصيب الأكبر من الغارات إذ كانت النيران تندلع فيها بعد كل غارة وتنهار العمارات، ويوضع صليب كبير فوق كل عمارة منهارة ويُكتب عليه مقبرة حرب، أما الطعام فكان متوفراً في حدود التقنين، والجميع رجالاً ونساءً يعملون من أجل الحرب، وكانت الحكومة الألمانية تشيع أنها قريبة من إختراع سلاحٍ جديد سوف يحسم الحرب لصالحها.

كان المفتي على اتصال بجهاتٍ عربية كثيرة وعلى اتصال بالحكومة الألمانية، وقد أقمت مع صديقي سليم الحسيني في فندقٍ صغير سياحي وكان الفصل شتاءً والطرق مغطاة بالثلوج، وكنا نضطر إلى السير فوق الثلوج والتزلّج، وكان يسكن القرية ذاتها الأمير منصور داود، وهو من العائلة المالكة المصرية الحاكمة، وقد أُشيع أن الألمان كانوا يفكرون في توحيد مسلمي يوغوسلافيا، وبلغاريا، واليونان، في دولةٍ واحدة يكون الأمير منصور داود ملكاً عليها. أما المفتي فكان زواره كثيرون، فهو نشط وذكي وملمّ بأحداث العالم، فخلق من موقعه في ألمانيا مركزاً يأُمّه جميع عرب أوروبا المهتمين بالسياسة وبمستقبل بلادهم.

أما رشيد عالي الكيلاني وأعوانه فكانوا يقيمون في جهةٍ أخرى من ألمانيا، وكان التنافس بينه وبين الحاج أمين الحسيني على أشده، ودبّ الخلاف والعداء بينهما حول من تكون له الأولوية في تمثيل الأمة العربية، وظل الخلاف بينهما إلى نهاية الحرب، وكان الألمان يحاولون إرضاء الطرفين لأن لكل منهما مكانته وأتباعه في البلاد العربية.



صورتي من ألمانيا أتزلّج على الجليد عام 1944م.

وكان الفلسطينيون الموجودين مع المفتي في ألمانيا لا يتجاوزون العشرة أشخاص، كما كان حوله عربٌ كثيرون من بينهم الدكتور معروف الدواليبي، الذي تولى رئاسة وزراء سوريا فيما بعد، والدكتور فرحان الجندلي، الذي تولى وزارة الصحة في سوريا فيما بعد، والدكتور جابر عمر، الذي تولى وزارة الخارجية العراقية فيما بعد، والحبيب ثامر، ويوسف الرويسي، من أقطاب الحزب الحر الدستوري التونسي، ورمزي الأجاتي، ومن الفلسطينيين، إسحاق درويش، والشيخ حسن أبو السعود، وسليم الحسيني، وأحمد العفيفي، وعبد اللطيف، وواصف كمال، وحسن سلامة، وغيرهم، وكان الزوار العرب يأتون من جميع أنحاء أوروبا لزيارة المفتي، كما كان أكثر مساعدي المفتي يسافرون في مهماتٍ ثم يعودون، وكان يعمل مع المفتي الدكتور مصطفى الوكيل، نائب رئيس حزب مصر الفتاة، والذي استشهد في برلين على إثر غارة جوية.

وكان المفتي على اتصال برجال فلسطين وبالعرب كي يغذي فيهم روح المقاومة، كما كان يبعث عن طريق تركيا مساعداتٍ مالية إلى أسر الشهداء الفلسطينيين، وطلب مني المفتي السفر إلى إيطاليا لقضاء بعض الحاجات والإطمئنان على إبنة الملك فيصل (ملك العراق) التي فرّت من قصر أبيها مع خادم يوناني، فتوعدتها الأسرة بالقتل، إلا أن الحكومة الإيطالية استأجرت لها شقة في روما لا يعرف مكان إقامتها إلا القليلون، وقد خشي المفتي بعد أحداث إيطاليا أن يصيب الأميرة سوءاً، فطلب مني خلال زيارتي لروما أن أسأل عنها وأخبره بأحوالها، وقد سألت وزارة الخارجية عنها فأخذوني إليها وكانت في حالة مرضية، والحكومة الإيطالية تواصل الإعتناء بها، كما كلفني المفتي بإنجاز بعض الأُمور في روما والتي سافرت منها إلى سيينا حيث يقيم عمر باشا الكيخيا وأخوه رشيد الكيخيا، اللذين أبعدهما غرازياني عن ليبيا بعد توليه حكمها، وقد وجدتهما في حالةٍ طيبة وأقمت معهما بضعة أيام، ثم أردت العودة إلى ألمانيا، وكنت أُسافر ببطاقةٍ عسكرية كان المفتي قد إتفق مع الألمان إعطاء هذه البطاقة لأعوانه كي تسهل لهم السفر.

وكانت أحوال البوسنة سيئة للغاية، فالشيوعيون وغير الشيوعيين يعتدون على البوسنيين بقصد إبادتهم لكونهم مسلمين، وتألف وفدٌ من رجال البوسنة الذين جاءوا إلى روما وقابلوا المفتي واشتكوا له من وضعهم، فاتصل المفتي بالحكومة الألمانية وطلب منها مساعدة مسلمي البوسنة، فاشترطت الحكومة الألمانية أن تجند من المسلمين فرقتين عسكريتين تتوليين المحافظة

على المنطقة ضد الشيوعيين، وتكونت الفرقتان وحاربتا إلى جانب الألمان، وكانت البطاقات التي تُمنح لأعوان المفتي تُمنح لهم أيضاً بصفتهم ضباطاً في القوى الإسلامية، وكنت أنا بدرجة كابتن في هذه القوة.

وفي طريق عودتي إلى ألمانيا مررت بمدينة ڤيرونا حيث اتصلت بالقيادة الألمانية لإعطائي غرفة في أحد الفنادق، وعندما تحدثت مع أحد الضباط طلب مني الإنتظار وعاد ومعه ضابط كبير، شرع في التحقيق معي وعن كيفية حصولي على هذه الوثيقة العسكرية، فقلت له إن عليه الاتصال بالمفتي في ألمانيا وهو سيشرح له الأمر، فأجرى عدة إتصالات غير أنه لم يستطع محادثته، وعند المساء أخذني شرطي عسكري إلى الفندق وقضى ليلته أمام باب غرفتي، فبدأت أشعر بالخوف لاعتقادي بأنهم يشكّون في كوني جاسوساً، وفي اليوم التالي ذهبت إلى القيادة وطلبت منهم الاتصال بضابطٍ ألماني في مدينة ميرانو لأنه على علمٍ بالموضوع، فأجروا الإتصالات ولكنهم لم يستطيعوا الاتصال بالضابط المسؤول إلا في نهاية النهار، فأكد لهم صلاحية الوثيقة العسكرية التي أحملها، وتبعاً لذلك تم إطلاق سراحي فسافرت إلى ميلانو حيث أمضيت بضعة أيام هناك واشتريت الأشياء التي كلفني المفتي بشرائها، وفي ميلانو التقيت بعائلة خزام وهم من أعز أصدقائي، فتناولت وجبة الغداء معهم ثم سافرت إلى الحدود الألمانية لأستقل القطار إلى إنزبروك والتي أمضيت فيها ليلة، ثم اتصلت بالمفتي وطلبت منه أن يرسل أحداً ليساعدني في نقل الحقائب الكثيرة، وانتظرت في إنزبروك إلى أن وصل عبداللطيف وتعاونا على نقل الحقائب إلى القطار وعدنا إلى أوبيين مقر المفتي.

وبعد وصولي إلى أوبيين، علمت أن سليم الحسيني، ورشاد البربير، سافرا إلى يوغوسلاڤيا لافتتاح محطة تذيع باللغة العربية، وأخبراني أن أستعد للحاق بهما والعمل معهما، فاستعدّيت للسفر وسافرت إلى برلين ومنها إلى المطار لأستقل الطائرة إلى بلغراد، فوجدت الطائرة صغيرة وتحمل شخصين الطيار ومعه راكب، فركبت فيها وراء الطيار وانطلقت بنا وكانت تطير على مسافاتٍ منخفضة تجنباً لتعرضها للتيارات الطبيعية وخوفاً من أن تكتشفها طائرات العدو التي كانت تغطي سماء ألمانيا، وبعد ثلاث ساعات طيران وصلنا بلغراد، إلا أنه عندما هبطت الطائرة وجدت المطار في حالة إنذار توقعاً لغاراتٍ معادية، وكان في انتظاري في المطار سليم الحسيني ورشاد البربير، فركبنا بسرعة في السيارة وغادرنا المطار الذي بمجرد خروجنا منه بدأت القنابل تتساقط فوقه.

كان مقر عملنا في مدينة صغيرة تدعى زيمون خارج بلغراد، وكنا نعمل في كهفٍ في الجبل إتقاءً للغارات الجوية، وقد استأجرنا شقة في أحد المباني لنقضي الليل فيها، وكنا نعمل ونعد الأحاديث، والأخبار، والمحاضرات، التي كانت تُلقى في إذاعة العرب الأحرار والتي لا ندري إن كان لها مستمعون أم لا؟ وكان الألمان يزودوننا بالمؤن الغذائية والتي كنا نعطيها لإحدى العائلات المقيمة بجوارنا لتقوم بطهي طعامنا اليومي وما يزيد يتبقى لهم. وكان الوضع في المدينة الصغيرة زيمون مخيفاً، فأنصار (تيتو) متغلغلون في المدينة ويصطدمون بين الحين والآخر بالألمان، ولذلك كانت حياتنا في خطر، وكنا لا نفارق الكهف إلا في الليل عندما نعود إلى شقتنا، ولم نرَ ألمانياً ولم يأتِ أحد لرؤيتنا أو الحديث معنا، وقد كلّفوا راهباً ألمانياً يتحدث العربية ليكون حلقة الوصل بيننا وبينهم، أما الوضع العسكري في البلقان فقد ساء وأخذت القوات الروسية تهدد باحتلاله، فيوغوسلافيا فكانت منقسمة على نفسها، بين تيتو الشيوعي الذي يقوم بالمقاومة وبين ميخايلوفيتش الموالي للألمان، فكان الشعب اليوغوسلافي ضائعاً ما بين الاثنين وتجري المذابح والقتل بين الطرفين، أما البلاد فكانت في حالة بؤس شديد وفقر مدقع واحتياج لكل شيء باستثناء منتجاتها المحلية، التي كان يذهب جزءٌ منها للقوات المتحاربة على أراضيها.

وبعد ستة أشهر من إقامتنا في زيمون إتصل بنا كامل مروةَ من صوفيا، وقال لنا: إن الروس إحتلوا بلغاريا بدون حرب وهم في طريقهم إلى يوغوسلافيا وعليكم أن تغادروا بلغراد في أسرع وقت، فخرجنا وجمعنا حوائجنا واتصلنا بالألمان، فقالوا لنا بأن هناك قطاراً يسافر إلى ڤينا وسنحجز لكم أماكن فيه، وفي الوقت المحدد ذهبنا إلى محطة سكة الحديد وركبنا القطار وكان مليئاً بالضباط والجنود المنسحبين الذين كانت آثار الهزيمة ظاهرة على وجوههم، ثم سافر القطار وغادر بلغراد غير أنه في الطريق بالقرب من بودابست تعرض لغارةٍ جوية لم تصبه بسوء، وواصلنا السفر إلى ڤينا حيث يوجد صديقنا، صبحي الزين، الذي نصحنا بالبقاء في ڤينا بضعة أيام للراحة ولأنها أيضاً مدينة لم تشهد أي غارة عليها، وذهبنا إلى الفندق لقضاء أول ليلة فيها، غير أنه في الصباح أيقظتنا صفارات الإنذار لغارةٍ جوية فنزلنا إلى المخابئ، وبعد نهاية الغارة خرجنا إلى الشارع وعلمنا أن الغارة طالت وسط المدينة، فذهبنا إلى هناك وراعنا رؤية المباني المنهارة التي تشتعل فيها النيران، وكان بالقرب منها كنيسة، وصادف أن كان يوم أحد، فخرجت النساء والأطفال منها ووضعوا أيديهم

في أيدي بعض مكونين حلقة بشرية حول المواقع المشتعلة، وكان فريق آخر يأتي بالمياه ويرشها على الحرائق، ودام هذا الوضع إلى أن جاءت المطافئ ورجال السلطة فتولوا الأمر، وعادت النساء والأطفال إلى بيوتهم، وقد كان عمل هؤلاء تلقائياً مما يدل على شعور الشعب بالتزاماته نحو وطنه ومشاركة الجميع في الحرب الدائرة، فكل ألماني كان يقوم بواجبه في صمتٍ دون أي احتجاج.

عدنا إلى الفندق وقررنا السفر إلى برلين، وبعد وصولنا إليها ذهبنا منها إلى أوبيين وقابلنا المفتي، فوجدناه كئيباً وحزيناً لتطور الأحداث عكس ما كان يتمنى، إلا أنه كان مصرّاً على السير في معركته حتى النهاية، ولذلك ورغم قرب النهاية طلب منا أن نذهب إلى برلين ونواصل عملنا الإذاعي إلى البلاد العربية، والذي انقطع من بلغراد، فسافرت أنا وسليم الحسيني إلى برلين لمواصلة العمل من محطة برلين الكبرى التي خصصت لنا وقتاً معيناً نذيع من خلاله، وكانت محطة إذاعة برلين مدينة كاملة تحت الأرض، بمرافقها، ولوازمها، يقضي فيها الموظفون اليوم بكامله أو أياماً كثيرة، أما نحن فكنا نذيع نشراتنا رغم الغارات الجوية التي كانت تقصف المدينة، وكنا عندما نغادر سكننا نأخذ حقائبنا معنا خوفاً من العودة ليلاً فلا نجد المكان الذي كنا نسكن فيه، وكانت أغلب ليالينا نقضيها في الأنفاق ونعود في الصباح إلى عملنا في الإذاعة تحت الأرض، وكنا نعلم أن عملنا هذا لا فائدة منه وكلامنا لا يصل البلاد العربية ولا أحد يستمع إليه، بينما نعيش نحن في خطرٍ دائم نهاراً وليلاً، ولكن المفتي أراد أن يستمر صوت فلسطين إلى النهاية.

كانت ألمانيا تسيّر حربها على جبهات شمال أفريقيا، وروسيا، وغرب أوروبا، والبلقان، وإيطاليا، وقد بدا الإنهاك عليها وبدأت تطل عليها بوادر الهزيمة، إلا أن الشعب الألماني صامد برمته للأحداث بصبرٍ وتصميم، وكانت ألمانيا قد أصدرت تصريحاً تعترف فيه باستقلال البلاد العربية في حالة إنتصارها في الحرب الدائرة، وهو الأمر الذي رفضته إيطاليا التي كانت طامعة في استعمار البلاد العربية، وعلى هذا الأساس قرر الزعماء العرب التعاون مع ألمانيا التي أسندت إلى السيد قوربا الوزير المفوض السابق في العراق مهمة الاتصال بالزعماء العرب وتلبية طلباتهم والتفاوض معهم، وكان ذا دراية واسعة بشؤون الشرق الأوسط. أما المفتي فلم يلتقِ بهتلر زعيم ألمانيا سوى مرة أو مرتين على الأكثر، فالألمان بما عُرف عنهم من غرورٍ وغطرسة لم يكونوا يعولون كثيراً على مساعدة العرب السياسية

أو العسكرية، وكانت بلاد البحر الأبيض المتوسط تقع في إطار المطامع الإيطالية وأحلام موسوليني باستعادة أمجاد الإمبراطورية الرومانية، غير أنه عندما تضعضعت ألمانيا كانت إيطاليا قد انهارت، بينما كانت ألمانيا مستميتة في الدافع عن كيانها ووجودها، فنجح الحلفاء ومعهم أمريكا في النزول في غرب أوروبا رغم المعارك الشديدة التي ضاع فيها أكثر من مئة ألف، إذ تمكن الحلفاء من شق الخطوط الألمانية والتوغل في فرنسا، وبدأ الألمان يتقهقرون بعد دفاعٍ رائع، أما الروس فقد اخترقوا حدود ألمانيا الشرقية وبدأوا يتوغلون في الأراضي الألمانية، كما بدأ الانهيار العسكري يهدد ألمانيا، ورغم ذلك واصلنا عملنا في محطة إذاعة برلين نهاراً وقضاء ليلنا في الأنفاق، فكانت حياة صعبة لا تطاق، وعندما اشتدّت الأحوال سوءاً في ألمانيا طلب منا المفتي العودة إلى أوبيين.

ولم ألمس خلال فترة وجودي في ألمانيا أي نشاط سياسي ملموس للزعماء العرب الذين أصبحوا شبه لاجئين سياسيين، لأن ألمانيا كانت مشغولة بأمورها تقاتل على جميع الجبهات العسكرية والسياسية، حتى انحصر القتال فوق أراضيها وأصبحت بوادر الهزيمة النهائية قريبة، أما بالنسبة لي فلم أقم بأي عملٍ ملحوظ خلال إقامتي في أوبيين، فقد كنت أقضي أغلب أوقاتي في التزلّج على الجليد مع سليم الحسيني، وذوالكفل عبداللطيف، ونتابع تطورات الحرب وتعلم اللغة الألمانية، وكان الكثيرون من شباب العرب الموجودين في أوروبا يأتون لزيارة المفتي في أوبيين، وقد تعرفت على العديد منهم.

سافرت مع سليم إلى درزدن لزيارة بعض الإخوة العرب المقيمين فيها، ثم عدنا في المساء إلى أوبيين نظراً لعدم وجود غرف خالية في الفنادق، إلا أنه بعد عودتنا بساعات علمنا أن المدينة (أي درزدن) قد تعرضت لغارةٍ جوية كبيرة قتلت عشرات الآلاف من سكانها، ومن بينهم بعض أصدقائنا الذين كنا في زيارتهم، وكانت هذه حالة ألمانيا في تلك الفترة، فبرلين في عام 1945م كانت عبارة عن أتون من نار، فقد اشتدّت الغارات على المدينة وضعفت وسائل الدفاع عنها وأصبح كل من يسكن العاصمة معرض للموت، أما سكان برلين فكانوا يقضون ليلهم في الأنفاق والمخابئ، فساءت الأحوال وكان كل شيء ينبئ بقرب النهاية، وبدأت آمال العرب تنهار غير أن المفتي ظل صامداً، ولكن ماذا يجدي صمودنا ودعايتنا المتواضعة إزاء القوة التي سحقت ألمانيا، فأغلقنا إذاعتنا وعدنا إلى أوبيين حيث جمعنا المفتي وقال لنا: من يستطيع السفر فليسافر، وقرر هو وبعض أعوانه المقربين

السفر إلى الجنوب حيث كان من المعتقد أن تستمر مقاومتهم هناك، وطلب مني المفتي اصطحاب بعض الإخوان إلى ايطاليا التي دخلناها في بداية عام 1945م، وذهبنا إلى ميرانو الواقعة على حدود النمسا وذلك للإقامة فيها حتى نهاية الحرب، وكان يقيم في ميرانو ناجي شوكت رئيس وزراء العراق السابق.

إقتربت الحرب من نهايتها، فقررنا ترك ميرانو لأنها تكوّن خطراً علينا، فذهبت أنا إلى ميلانو وذهب رفاقي إلى روما، أما ميلانو فكانت في حالة سيئة إذ سيطرت عليها عصابات الفاشست الذين عاثوا فيها فسادا، يسرقون، وينهبون، ويقتلون، وعمّت المدينة الفوضى والإرتباك، وقلّ الطعام ووسائل الحياة الضرورية، وكان الإنسان لا يستطيع الخروج إلى الشارع ليلاً خوفاً من تعرضه للخطر. ولحسن الحظ وجدت بعض الأصدقاء الذين ساعدوني على إيجاد سكن، وفي هذه الأثناء أُعلن انتحار هتلر وتسليم ألمانيا وشروع الجيش الألماني بالانسحاب من ميلانو، وبدأت مجموعات البرتيزان (أي القوى الوطنية المحاربة) بالانتشار في المدينة والاستيلاء عليها، ودبّت الفوضى وبدأ إنتقام الإيطاليين من بعضهم البعض، وكان البرتيزان قد ألقوا القبض على موسوليني وأعدموه، وأرسلوا جثته لتُعلّق في محطة بنزين هو وصديقته كلارا بيتاتشي وبعض أعوانه ووزرائه، وتهافت الشعب الإيطالي لرؤية موسوليني معلقاً من قدميه، كما ذهبت أنا إلى ميدان (لوريتو) لرؤية ذلك الرجل الذي أمر بالاعتداء علينا قتلاً وتشريدا، ولتحويل ليبيا إلى قطعة من إيطاليا، فكانت نهايته نهاية مأساوية مذلة، أما قصة القبض عليه فبدأت بانضمامه إلى قافلةٍ ألمانية منسحبة، وكان يرتدي معطفاً ألمانياً وقبعة ألمانية واندس بين الجنود آملاً في مغادرة إيطاليا دون أن يُقبض عليه، إلا أن القافلة عندما مرّت بأحد نقاط التفتيش الإيطالية، لاحظ بعض المتطوعين الإيطاليين جندياً ألمانياً يشير بيده إلى إحدى السيارات، فصعدوا إليها وتأملوا الجنود، فوجدوا من بينهم موسوليني وهو يحاول التخفي، فقاموا بإنزاله من السيارة وقادوه إلى دار قريبة، ولم تمر بضعة ساعات حتى جاءت سيارة إلى نقطة التفتيش ذاتها، أبرز من فيها جوازات سفرهم الإسبانية، إلا أن ركاب السيارة عندما سمعوا أن موسوليني قد أُعتقل، صاحت امرأة من راكبي السيارة وطلبت النزول منها وقالت لهم خذوني إليه، إذ كانت عشيقته كلارا بيتاتشي، فأخذوها إليه وظلت معه إلى أن تقرر التعجيل في إعدامه خوفاً من تدخل الألمان المنسحبين وإنقاذه، فأخذ المقاومون موسوليني وعشيقته إلى مكانٍ بعيد منعزل وأوقفوا موسوليني واستعدوا لإطلاق

النار عليه، وفي الوقت الذي صدر الأمر بإطلاق النار ألقت كلارا بنفسها على موسوليني فقُتلت معه، ثم نقلوا جثتيهما إلى ميلانو لتعلّق في محطة بنزين مدمّرة في ميدان لوريتو، وظل موسوليني وعشيقته وبعض أعوانه معلقين من أقدامهم حتى المساء، إلى أن وصلت القوات الأمريكية وأمرت بإنزال جثة موسوليني ودفنها.

وقد إرتكب المقاومون عمليات قتل في الفاشست الذين كانوا في المدينة وفي أعوان النظام، وقد قُدّر من قُتل في ذلك اليوم بأربعة آلاف شخص، إلا أنه بعد وصول الأمريكيين إلى المدينة بدأت ميلانو تعود إلى طبيعتها تدريجياً، وإن كان شبح الحرب ظل مخيماً عليها لفترة طويلة.

وعادت الحياة تدريجياً إلى ميلانو، وكانت كل مواردي عبارة عن عشرين ليرة ذهب وبعض الدولارات، وأخذت ميلانو تلتهم هذا المبلغ الصغير وليس لي عمل فيها ولا مورد، ولذلك قررت السفر إلى روما لمحاولة الحصول على إذنٍ للعودة إلى بلادي، وكانت قد عادت المواصلات بصورة محدودة إلى روما فسافرت إليها، وعندما وصلتها علمت أن الإخوة الليبيين قد سافروا إلى ليبيا ولم يبقَ في روما سوى الأمير سليمان القرمانلي الذي أخبرني بأن المخابرات الإنجليزية سألت عني، فاضطررت إلى التخفي، وكان بروما مجموعة الفلسطينيين الذين جاءوا معي من ألمانيا، وكنت على اتصال دائم بهم إلى أن سافروا فأقمت في الشقة التي كانوا يقيمون فيها، وعندما تقدمت إلى السلطات البريطانية بطلب سفري إلى ليبيا، رُفض الطلب ذاكرين في رسالتهم أنني ممنوع من الدخول إليها، وفي هذه الفترة قلّت مواردي ولم أجد عمل، والتقيت بالصدفة مع زميل إيطالي كان يعمل معنا في وزارة الثقافة، وقد أحضر لي مجموعة من الصحف المصرية وطلب مني ترجمة بعض مقالاتها، وفي اليوم التالي أحضر لي مبلغاً من المال أجرة الترجمة، كما تعرّفت على بعض البولنديين الذين طلبوا مني ترجمة بعض الكتب الدعائية التي قمت بترجمتها ونلت مقابلها مبلغاً كبيراً من المال.

كانت الجامعة العربية قد اهتمت بالساسة العرب المستبعدين في أوروبا وقامت بتسهيل عودتهم إلى أوطانهم، فاتصل بي تحسين العسكري في هذا الصدد غير أني لم أكن أستطيع مغادرة إيطاليا دون التعرض للقبض عليّ، ولا أستطيع السفر بدون تأشيرة خروج تمنحها السلطات الأمريكية والبريطانية، وكنت أخشى أن أتقدم بطلب التأشيرة فيقبضون عليّ،

وقد اتصل بي الدكتور علي العنيزي وتوسط لي لدى عزام باشا الذي عينني مراسلاً للجامعة العربية في روما براتبٍ قدره خمسة عشر جنيها، ولكني عزمت على العودة إلى الوطن لأني كنت أقضي أياماً صعبة في تلك الفترة، خوفاً من أن يقبض عليّ الإنجليز أو الأمريكان وخوفاً من أن يقلّ ما بيدي وأتضور جوعا، إلا أن ترجمة الكتب البولندية من الإيطالية إلى العربية قد أنقذتني وزودتني بمالٍ كثير أخذت أنفق منه إلى أن قررت السفر، فاتصلت بالسفارة المصرية في باريس لمنحي تأشيرة دخول إلى مصر، فطلبت مني إرسال جواز سفري للحصول على التأشيرة، وكنت أخشى حتى بعد الحصول عليها أن لا أحصل على تأشيرة الخروج من إيطاليا، وبقيت حائراً ومتردداً لا أعرف ماذا أفعل حتى بلغني أن هناك باخرة ذاهبة إلى كينيا وتمر ببورسعيد، فقررت محاولة السفر عليها، ثم سافرت إلى نابولي واتصلت بزميلةٍ لي في الجامعة والدها يشغل منصب مدير بوليس نابولي، فرجوتها أن تطلب من والدها مساعدتي، فصحبتني إلى بيتها والتقيت بوالدها وأخبرته بوضعي، فتردد قليلاً ولكنه استجاب إليّ بعد أن ضغطت عليه والدة الفتاة، فطلب مني إحضار حقائبي إلى منزله وأن أتواجد أمام الباخرة في الساعة الخامسة، وجئت في الموعد أمام درج الباخرة، وعندما رآني والد الفتاة أمر الشرطي الواقف أمام الدرج بالسماح لي بالصعود إليها لتوديع صديق، فصعدت إليها ورأيت رجال الشرطة الحليفة الذين كانوا على ظهر الباخرة لمراقبة أوراق المسافرين، وأنا لا أملك تأشيرة خروج من إيطاليا ولا تأشيرة دخول إلى مصر، فذهبت إلى أسفل الباخرة حيث الدرجة الثالثة ولبثت فيها بضع ساعات حتى تأكدت أن الباخرة ابتعدت عن الشواطئ الإيطالية وأصبحت في وسط البحر، ثم خرجت وطالبت بحقي في مقصورة، فسألني المسؤول: هل تملك تأشيرة دخول لمصر؟ فقلت له سأدخلها بدونها، فضحك وقال لي أرجو ذلك لأني أعرف المصريين وتشددهم. وعندما وصلت الباخرة إلى بور سعيد ورأيت ساحل مصر الجميل، وشاهدت الوجوه المصرية المبتسمة، وسمعت لغة مصر العذبة، بعد غياب ثمان سنوات، إجتاحني التأثر وشعرت بالدموع تنساب من عينيّ سروراً لوصولي مصر، وها أنا فوق أرضٍ عربية بعد أن كانت تفصلني عنها مسافات، وحروب، وصعوبات، وأحداث، وظللت أُراقب بلهفة مجيء ضباط الجوازات الذين سوف يقررون مصيري، وبعد أن تحدثت إلى أحدهم وشرحت له وضعي وأطلعته على الوثائق التي بحوزتي، هدّأ من روعي وقال لي إنني بين إخوان وأنهم سوف يبذلون قصارى جهدهم لمنحي تأشيرة الدخول، ورغم هذا الكلام المعسول فوجئت بمنعي من النزول وإحضار

شرطيان لمراقبتي، فأخذ الفزع واليأس يسيطران عليّ واشتد ألمي عندما رأيت الركاب وجلهم من الإيطاليين ينزلون إلى المدينة لزيارتها، وأنا العربي لا يُسمح لي بالنزول وذلك رغم إبرازي للضابط مستندان يؤكدان مساعي الجامعة العربية لدى السفارة المصرية في باريس من أجل حصولي على التأشيرة، فأين الجامعة العربية؟ وأين العروبة؟ وأين الإخوة العرب؟ فالأجنبي يلقى معاملة تفوق ألف مرة المعاملة التي يلقاها العربي، وضاقت بي الدنيا حتى كدت أن أبكي وأدركت آنذاك أني سأواصل الرحلة إلى مومباسا حيث يقبض عليّ الإنجليز، فشعرت بالألم ينتابني وبالندم لقيامي بهذه المجازفة، وبينما أنا غارق في يأسي هذا جاءني شاب وهو صراف عملة وسألني عن السبب في عدم نزولي من الباخرة، وعندما أطلعته على قصتي سألني إن كان باستطاعته المساعدة، فطلبت منه راجياً إرسال برقية إلى عزام باشا، فقبل بكل سرور أداء هذه الخدمة لي، فكتبت له البرقية التي أخذها ولم يأخذ ثمنها قائلاً: تأكد إذا لم يسمحوا لك بالنزول فسوف ننزلك غصباً عنهم، ونزل إلى بور سعيد وقام بإرسالها، ومرّت ساعات دون أن يحدث جديد في الموقف، وبدأ الركاب يعودون إلى الباخرة للإبحار إلى مومباسا، وفقدت الأمل وانتابني اليأس، وفجأة رأيت قارباً يقترب من الباخرة، فصعد ضابط وسأل عني ثم دعاني إلى النزول، وأخيراً سافرت في اليوم ذاته إلى القاهرة، وقد علمت فيما بعد أن برقيتي وصلت عزام باشا الذي اتصل بالداخلية وطلب منهم السماح لي بالدخول.

وبوصولي القاهرة إنتهت مرحلة هامة من حياتي إستغرقت ثمان سنوات من عمري، عرفت خلالها العالم والبشر، وشاهدت مختلف الأحداث التاريخية، وغامرت بحياتي أكثر من مرة، واكتسبت خبرة، ونلت شهادة جامعية، وارتبطت بصداقة شخصيات كثيرة، وعشت في الأخطار، وظلت هذه المرحلة من أعذب مراحل حياتي وأجملها، وأحن إليها، وأعتبرها التجربة الهامة التي مررت بها واعتمدت فيها على نفسي وحققت ما أردته.

حياتي وعملي في مصر

وصلت مصر البلد الحبيب الذي كنت أتوق إلى رؤيته رغم المصاعب الكثيرة التي كانت تقف بيني وبين تحقيق هذا الأمل، فالتقيت بأصدقائي الليبيين وشعرت فجأة كأني عدت إلى الوطن، إذ إلتقيت في القاهرة بصديقي القديم سليم الحسيني، وبالدكتور علي العنيزي، وقد حاول الإثنان مساعدتي بقدر الإمكان، فصحبني سليم الحسينى إلى بيت المفتي الذي قابلني مقابلة طيبة، والذي أمر بتعييني في معيته براتبٍ قدره خمسة وثلاثين جنيها، فشكرت له هذا العمل وكنت أعلم أنه ليس في حاجةٍ إلى خدماتي، ولكنه أراد أن يساعدني وهذا نبلٌ منه وموقفٌ لا أنساه له، لقد كان مشغولاً بقضية فلسطين وبالقتال الدائر ما بين الفلسطينيين واليهود، وبالاتصالات بالدول العربية وبجامعتها للحصول على مساعدةٍ للقوات الفلسطينية المقاتلة، ورغم جميع مشاغله هذه إهتم بي وعينني دون تحديد أي عملٍ أو مهمة.

وكانت الدول العربية ومصر في طليعتها غير راضية عن نشاط المفتي وقيامه بصراعٍ مسلح مع اليهود، وبروزه كأول شخصية فلسطينية تعمل من أجل القضية، وربما كان نشاط المفتي في ألمانيا، واتصاله بهتلر، واتهام بريطانيا وأمريكا له بمناصرة النازية، كانت سبباً في عدم رغبة الدول العربية رؤية أمين الحسيني على رأس الدولة الفلسطينية.

كان المفتي محاطاً برفاقه الذين كانوا معه في ألمانيا، وكان في قمة نشاطه وكله تفاؤل وأمل، كما كان بيته عبارة عن خلية نحل تعج بالقادمين من فلسطين، فالقضية الفلسطينية شغلهم الشاغل وهم يستعدون لمواجهة الإسرائيليين، فالمناوشات كانت قد بدأت والحرب على الأبواب، كما كانت القضية الفلسطينية تجتاز مرحلتها الحاسمة إذ أذكى المفتي نيرانها ورفعها إلى المستوى الدولي، كما كان أعيان فلسطين ورجالها يأتون إلى المفتي للحصول على السلاح والتوجيه، وقد أسند إليّ المفتي مكتب أنباء فلسطين للإعلام للقضية الفلسطينية، والذي يغذي الصحافة المصرية والعربية بأخبار فلسطين وتطورات قضيتها.

وفي نفس الوقت، أمّن لي الدكتور العنيزي استمرار انتسابي إلى الجامعة العربية وتقاضي مخصصاتها التي كنت أتقاضاها في إيطاليا، وصحبني الدكتور العنيزي إلى عزام باشا الذي

ألقى عليّ محاضرة عن القضية الليبية ومسيرتها، وقال لي إن هيئة تحرير ليبيا هي المؤسسة الطبيعية للعمل على استقلال ليبيا وطلب مني الإنضمام إليها، وكان عزام باشا حاقداً على الأمير إدريس ومؤيداً لهيئة تحرير ليبيا التي كان يتمنى قيامها بمهام ليبيا بأكملها، متناسياً أن أهل برقة لا يقبلون بأحدٍ غير الأمير السنوسي، فكان عزام باشا في داخله يريد فصل طرابلس عن برقة، وإقامة جمهورية في طرابلس، والتي ربما كان يطمع في رئاستها، ولذلك كان تودده ومساعداته ونصائحه مقتصرة على الطرابلسيين لا على البرقاويين.

كانت القاهرة مركز نشاط القضية الليبية وقد تجمع فيها معظم ساسة ورجال ليبيا، فكان هناك بشير السعداوي، ومحمود المنتصر، ومنصور قدارة، وطاهر المريض، وجواد بن ذكري، وعمر شنيب، ويوسف لنقي، وعبد الرازق شقلوف، وراسم كعبار، وأحمد السويحلي، وغيرهم، وذلك بالإضافة إلى الأمير إدريس السنوسي وأعوانه. وقد أدركت من خلال الأحاديث أن هناك خلافات بين الطرابلسيين والبرقاويين، وكان عزام باشا يناصر الأولين على الآخرين، إذ فرض نفسه على القضية الليبية مستغلاً فترة جهاده في ليبيا ومركزه كأمين عام للجامعة العربية، وكان معظم زعماء طرابلس الموجودين في القاهرة يتّبعون نصائحه وتعليماته، فهو يكره الأمير إدريس ولا يريد توليه الحكم في ليبيا، أما بشير السعداوي فهو مستقل برأيه وأفكاره وميّال إلى تولي السيد إدريس الحكم في ليبيا لأنها الطريقة الوحيدة التي تؤمن استقلال ليبيا ووحدتها، إلا أنه كان عليه أن يقنع بقية الطرابلسيين بذلك، فذهب إلى طرابلس وترأس هيئة تحرير ليبيا وأصبح أقوى رجل سياسي في البلاد، وكان يستعد لمواجهة التطورات الدولية المرتقبة بخصوص مصير ليبيا، وبالرغم من أن الهيئة تُدعى (هيئة تحرير ليبيا) إلا أن السعداوي كان يقصد طرابلس لأنه كان يعلم أن برقة بيد الأمير إدريس السنوسي، ولم ينضم إلى هيئة تحرير ليبيا برقاوي واحد، ويعزون عدم انضمامهم للهيئة لتكوينها دون استشارتهم أو أخذ رأيهم، وكان السعداوي يدرك بوضوح أن الإنجليز مصممون على إعطاء برقة الإستقلال الذاتي والتدرج نحو الاستقلال الكامل، وتكون طرابلس بذلك معرّضة لعودة إيطاليا، فالسيد إدريس هو الطريق إلى وحدة ليبيا واستقلالها، وقد أُعجبت بشخصية بشير السعداوي وبأفكاره وذكائه، وكان يميل إليّ ويصارحني أحيانا بآرائه، فهو يحاول جمع الشمل وتوحيد كلمة الليبيين، غير أن عزام باشا كان له نفوذه وتأثيره لدى الحكومات العربية إذ كان يريد بكل طريقة إقصاء إدريس السنوسي عن حكم ليبيا، وقد

صارحني بشير السعداوي في أحد الأيام قائلاً: (لقد إتصلت بالدكتور فؤاد شكري الموفد إلى لندن لمتابعة القضية الليبية، وطلبت منه الاتصال بعمرو باشا سفير مصر لجسّ نبض الإنجليز فيما يتعلق بموقفهم من السيد إدريس السنوسي، وعندما عاد أخبرني بأن الإنجليز متمسكون بالأمير السنوسي، فطلبت منه أن يحرر تقريراً بذلك ويقدمه إلى السرايا، فقدم التقرير وأطلع الملك فاروق على موقف عزام باشا من الأمير، واستطرد بشير السعدواي قائلاً: كما قابلت بهجت بك، وشرحت له كل شيء، وبينت له أن السيد إدريس هو الأمير الشرعي للبلاد وبدونه لا تتحقق وحدة ليبيا واستقلالها، كما قدمت إلى الحكومة المصرية تقريراً بذلك، وقابلت السيد رياض الصلح، وجميل مردم بك، والأمير فيصل بن عبد العزيز، وأطلعتهم على تفاصيل القضية وموقف عزام منها، فثارت ثائرة رياض الصلح، وقال إنه سيثير الموضوع أمام مجلس الجامعة، ولكن الموضوع لم يُثر نظراً للمركز المميّز الذي يتمتع به عزام بين الدول العربية، كما قابلت خشبة باشا وزير الخارجية وشرحت له كل شيء، فقال لي إن بعض رؤساء الحكومات العربية سألوا النقراشي باشا عن القضية الليبية، فقال لهم بأنه قد تم التفاهم مع الأمير إدريس السنوسي. كما اشتد غضب الملك فاروق عندما علم أن عزام كان يسعى لتكوين جمهورية طرابلسية، وواصل بشير بك كلامه فقال: أردت أن أستطلع رأي الإنجليز أيضاً، فتقابلت مع الجنرال كلايتون، والمستر بيتي، وتحدثت معهما حول موضوع تصفية المسائل المعلقة بين بريطانيا والعرب، وعلمت فيما بعد أن كلايتون سافر إلى بريطانيا من أجل هذا الموضوع وسيعود قريباً ومعه التعليمات، وسألت المستر بيتي مستشار المكتب المدني للقيادة البريطانية في الشرق الأوسط عن رأي بريطانيا من وحدة ليبيا، فقال لي: إنني باسم حكومة إنجلترا أؤكد لك أننا نريد ونؤيد قيام هذه الوحدة، كما أخبرني راسم كعبار القادم من ليبيا مؤخراً بأن الجبهة الوطنية تؤيد عن بكرة أبيها إمارة السيد إدريس، أما الكتلة الوطنية فقد جاهرت أيضاً بذلك بينما كان الحزب لا يزال على موقفه، كما أصبح أحمد بك السويحلي والذي يعتمد عليه الحزب من محبذي إمارة السيد إدريس، في الوقت الذي صرّح فيه عزام باشا عدم تدخله في الموضوع وعدم اعتراضه على بيعة أهل طرابلس لإدريس السنوسي).

وأعتقد أن بشير السعداوي قد لعب دوراً رئيسياً في وحدة واستقلال ليبيا إلا أنه لم ينل تقدير الأمير إدريس، فقد كان يرنو ويرى أن ذلك من حقه تولي رئاسة أول حكومة

ليبية بدلاً من محمود المنتصر الذي أُسندت إليه رئاستها، فقد تحول بشير السعداوي من مؤيدٍ ومدافعٍ للنظام الفيدرالي في ليبيا إلى معارضٍ لذلك ومطالبٍ بالوحدة الليبية الكاملة، وعندما جرت الانتخابات قام أتباع بشير السعداوي بمهاجمتها والتعدي على دوائرها الأمر الذي دعا الحكومة إلى التدخل والاصطدام بالمحتجين، وقد قُتل عددٌ منهم، فأمرت الحكومة بترحيل بشير السعداوي بصفته مواطناً سعودياً، وانتهى بذلك دوره وجهاده الطويل في سبيل استقلال ليبيا، ولا أعرف بدقة الأسباب التي دعت بشير السعداوي إلى تغيير موقفه من الوضع الذي ساهم بقوةٍ في بنائه، فعلى كل حال، لا التاريخ ولا الشعب الليبي ينسيان جهاد بشير السعداوي ولا مساهمته القيمة في بناء ليبيا الحديثة، وأعتقد ويجوز أن أكون على خطأ، أن بشير السعداوي بدأ يبتعد عن الأمير إدريس ويناصبه العداء خاصة بعد أن تولى محمود المنتصر رئاسة الحكومة الليبية المؤقتة، فقد كان يؤمن بأنه أحق بذلك المنصب بسبب جهاده القديم والحديث في سبيل ليبيا، ويبقى سراً إختيار محمود المنتصر لتولي الحكومة الإتحادية المؤقتة في ليبيا بدلاً من غيره من الزعماء الليبيين الذين جاهدوا، وهاجروا، وضحوا في سبيل ليبيا.

وخلال إقامتي في القاهرة كان النشاط السياسي الليبي على أشده كما سبق وذكرت، وقد شُكلت في تلك الفترة في مارس عام 1947م، هيئة تحرير ليبيا التي ظلت دائماً مقتصرة على الأعضاء الطرابلسيين، فكانت الغاية من تأسيس هذه الهيئة وجود جهاز وطني يتتبع الأحداث والتطورات الدولية بخصوص مصير المستعمرات الإيطالية السابقة، والتحدث باسم الشعب الليبي وتقديم مطالبه، وكان الخلاف على أشده بين الطرابلسيين والبرقاويين، فالأولون قد تبنوا شعار مصر والجامعة العربية وهو الاستقلال والوحدة والإنضمام إلى الجامعة العربية، في حين أن البرقاويين كانوا مصرين على ضرورة الإشارة إلى إمارة السيد إدريس السنوسي على ليبيا دون قيدٍ أو شرط. وقد بدأ نشاط الأمير إدريس السنوسي بعد تفجر الحرب العالمية الثانية في سبتمبر عام 1939م، وتوقع دخول إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا، ففي أكتوبر عام 1939م، دعا الأمير زعماء طرابلس وبرقة إلى الاجتماع في بيته لمناقشة الإجراءات التي يجب إتخاذها في حالة دخول إيطاليا الحرب وإتاحة الفرصة لليبيين لتحرير بلادهم، فأسفر الاجتماع بعد مباحثات دامت ثلاثة أيام إلى اتخاذ قرارٍ بتفويض الأمير، والذي سيقوم من جانبه بتفويض الحكومة المصرية أو الحكومة الإنجليزية،

بشأن تكوين جيش سنوسي مهمته الإشتراك في فتح الأقطار الليبية واسترجاع أرض الوطن عند دخول إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا، ونص الاجتماع على إنشاء هيئة إستشارية إلى جانب الأمير تمده بالأفكار والنصائح، غير أن هذه اللجنة لم تُشكل. وشارك في الاجتماع واحدٌ وخمسون زعيماً، وشيخاً، ووجيهاً، من طرابلس وبرقة، وأُعتبر هذا الاجتماع نواة العمل على توحيد الجهود بين الطرابلسيين والبرقاويين من أجل استقلال ليبيا، كما جمع الأمير في شهر أغسطس من عام 1940م في الإسكندرية الزعماء والمشائخ الليبيين، وتدارس معهم الوضع وقرروا تشكيل جيش سنوسي يشارك في الحرب إلى جانب قوات الحلفاء، وُيمكّن ليبيا بعد الحرب من رفع صوتها والمطالبة بالاستقلال.

وقد شارك في هذا الاجتماع قرابة الأربعين شيخاً وزعيماً ومعظمهم من برقة، بينما قاطع العديد من الطرابلسيين الاجتماع بإيعازٍ على ما يبدو من عزام باشا، الذي كان يعارض قيام أية وحدة بين طرابلس وبرقة يترأسها الأمير إدريس السنوسي، وقرر المؤتمر فتح مكتب لتسجيل المتطوعين في الجيش السنوسي المزمع إنشاؤه، والذي ظل يعمل فترة طويلة وإلى ما بعد إعلان الحرب، هذا في حين أن اللجنة الطرابلسية التي شُكلت في عام 1943م، من أعضاء مناوئين لبرقة ولأميرها إدريس السنوسي، قد تقدمت إلى السلطات البريطانية بطلب فتح مكتب في طرابلس لتسجيل المتطوعين الطرابلسيين الذين سيشاركوا في الحرب إلى جانب الحلفاء، إلا أن المكتب ظل مفتوحاً بضعة أشهر ثم أغلق أبوابه لفشل مسعاه، وظلت العلاقات بين الطرفين متوترة، وظل إتفاق أكتوبر عام 1939م بدون تنفيذ إلى أن أمر الأمير بتشكيل (المجلس الإستشاري الأعلى) الذي سيقوم بعمل هيئة الشورى المنصوص عليها في الاتفاق، وذلك في 7 أغسطس عام 1941م، وقد تألف المجلس من خمس أعضاء طرابلسيين وهم السادة: عون سوف، وطاهر أحمد المريض، وأحمد شتيوي (السويحلي)، وحسين عبد الملك، وعلي لاغا، وستة من البرقاويين وهم السادة: علي باشا صالح العابدية، وعبد السلام علي المهدوي، وصالح باشا لطيوش، ونصر عبد السلام الكزّة، وعبد الجليل سيف النصر، وعبدالحميد العبار، وبو قدور بو بريدان. وعندما دعا الأمير إلى الاجتماع تخلف الطرابلسيون الثلاثة وهم: عون سوف، وطاهر المريض، وأحمد شتيوي، بدون سبب مُعلن، وكان الزعماء الطرابلسيين يترددون على عزام باشا أمين عام الجامعة العربية ويتلقون منه النصح والتوجيه، ويقومون بمعارضة إمارة السيد إدريس على ليبيا.

وقد عاد الصراع البرقاوي الطرابلسي إلى ما كان عليه إلا أن شدته قد انتقلت إلى طرابلس، فقامت الجبهة الوطنية المتحدة بإرسال وفدٍ إلى بنغازي للتفاهم مع البرقاويين، وتوحيد صفوفهم ومتطلباتهم، غير أن المفاوضات فشلت لتمسك البرقاويين بمبدأ (إنقاذ ما يمكن إنقاذه ثم العمل على إنقاذ الجزء المتضرر)، فرفض الطرابلسيون ذلك، وفشلت المفاوضات وعادوا إلى بلادهم بخفي حنين، وعاد الصراع الطرابلسي البرقاوي إلى عنفوانه.

صلتي بالأمير إدريس

كنت في صغري وقت صدور القانون الأساسي أهتف مع زملائي(يحيا الأمير إدريس)، وفي كبَري ظل الأمير إدريس يمثل زعيم بلادنا ومحط أنظارها، وكان الشعب يؤمن به عن عقيدة لا عن سياسة، وعندما عدت إلى مصر عام 1946م، كنت أتمنى أن أحظى بمقابلة الأمير إدريس، وقد نصحني الإخوة البرقاويين بضرورة زيارته، فطلبت موعداً وتمّت مقابلته في فندق كونتننتال في القاهرة، وكان مرتدياً جبة العلماء وعمامة بيضاء وكان وقوراً مهيباً قليل الكلام يتفرس باستمرار في وجه محدثه ويستمع إليه باهتمام، لقد كنت منذ صغرى وأنا أسمع عن الأمير إدريس وجهاده واتصالاته بالإيطاليين وأعماله المختلفة لصالح برقة، إلى أن هاجر إلى مصر وانزوى في حي الزمالك، فرحب بي وسألني عن دراستي وعن أوضاعي، فأجبته بكل شيء وقلت له إنني حالياً أعمل مع مفتي فلسطين، وأن عزام باشا قال لي بأنه يرغب في تعييني كملحقٍ في السفارة المصرية في روما لتتبع القضية الليبية، وانتهت الزيارة بعد مدةٍ قصيرة. وبعد عدة أيام دعاني الأمير إلى الغداء في بيته وكان مدعواً أيضاً يوسف لنقي، وعمر شنيب، وعبد الرازق شقلوف، وتناولنا طعام الغداء وكان الأمير ينظر إليّ من وقتٍ لآخر دون أن يوجه لي أي سؤال، وفي زيارتي الثالثة له قال لي بأنه مسافرٌ إلى ليبيا، وسألني إن كنت راغباً في العودة فقلت له أريد العودة، غير أن الإنجليز سبق لهم أن منعوني من دخولها، فقال: سأهتم بالأمر وانتظر تعليماتي، وسافر الأمير إلى برقة في شهر نوفمبر عام 1947م، ووجه نداءً إلى الشعب يدعوه فيه إلى الوحدة والوئام، إلا أن خطاباته في بنغازي ودرنة كانت تشير إلى برقة فقط وتتضمن بعض التلميحات إلى تقاعس أهل طرابلس عن المشاركة في الحرب، وكنت في قرارة نفسي غير مقتنع بنوايا الإنجليز بالنسبة للوحدة، ويبدو أنهم متمسكون ببرقة ليسيطروا عليها ثم يساومون طرابلس على الوحدة. وكان شعب ليبيا

منقسماً على نفسه، فالطرابلسيون قسم كبير منهم يؤيد الإمارة والباقي يعارضونها، وفي برقة الجميع يؤيدون إمارة السيد إدريس، وسبق أن بايع أهل طرابلس في عام 1922م السيد إدريس السنوسي أميراً على طرابلس وبرقة، وهم اليوم لا يريدونه ويعلمون أنهم بدونه لا يستطيعون تحقيق استقلالهم.

وفي شهر ديسمبر عام 1947م، إتصل بي والي برقة وطلب مقابلتي فذهبت إليه وقابلته، وهو رجل لطيف، وقد رحب بي وقال لي إن الأمير يطلب مني العودة إلى ليبيا للعمل معه، كما أن الحكومة البريطانية ترحب بذلك، وطلب مني معرفة موعد عودتي لتقوم السلطات البريطانية بتسهيل سفري، كما أخبرني بتوجيه الأمير الدعوة ذاتها إلى فتحي الكيخيا، فاستشرت المفتي، أمين الحسيني، في الأمر فأشار عليّ بالعودة لخدمة بلادي، وبقيت حائراً بين العودة إلى ليبيا والعمل الذي عُرض عليَ في روما، وتغلب في النهاية الحنين للأهل والوطن فقررت السفر إلى بنغازي، وعندما قابلت فتحي الكيخيا وجدته متردداً لأنه لا يثق في الإنجليز. وفي آخر يوم من عام 1947م، دعاني بشير بك إلى العشاء في بيته، وقد دعا عبد الكريم الخطابي وأعضاء هيئة تحرير ليبيا، ولم تدر أحاديث سياسية خلال العشاء، وفي يوم 22 يناير عام 1948م، زرت بشير بك في بيته فأخبرني بأن عزام باشا عاد من جديد إلى التدخل في القضية وهو لا يوافق على مبايعة أهل طرابلس للأمير، وقد أثار موقفه هذا استغرابي، وكان ذلك في الوقت الذي أُلغيت فيه الدعوة التي وُجهت إلى الزعماء الطرابلسيين لزيارة القاهرة.

وتقرر سفر بشير بك، ومنصور قدارة، وطاهر المريض، وأحمد السويحلي إلى طرابلس لعقد مؤتمر شعبي يقرر مصير الوحدة، وإمارة السيد إدريس، وسألت بشير بك، هل عزام يتصرف بدوافع شخصية أم بتعليمات من الحكومة المصرية؟ فقال لي لا أدري. وقد زرت المفتي قبل سفري فوجدته مهموماً والتعب ظاهر عليه بسبب تعقّد الأمور وغموض السياسة العربية، فالدول العربية تعارض إقامة حكومة فلسطينية برئاسته وتعارض قرار الصراع المسلح ضد الصهاينة، وتريد إزاحته من الطريق وترك الأمور بيد الجامعة العربية لتتولى معالجة القضية، فقد خُذل المحاربون الفلسطينيين، وسقط عبد القادر الحسيني شهيداً مع العديد من رفاقه بسبب قلة السلاح والمساعدات، وتوقفت بذلك المعركة ما بين اليهود والفلسطينيين وربما لو استمرت وشجعتها الدول العربية لَغيّرت مصير القضية الفلسطينية التي لا تزال

تتطلب حلاً. وقابلت قبل سفري عزام باشا الذي لامني لوماً شديداً لعدم زيارتي له واتصالي به، وقال لي إنه سمع الكثير من الثناء عليّ ونصحني بالانضمام إلى هيئة تحرير ليبيا والقيام بعملٍ جاد لصالحها، فقلت له بصراحة إني مسافرٌ إلى ليبيا لتلبية دعوة من الأمير إدريس الذي يريدني أن أعمل معه.

لبست القاهرة حلة متميزة بعد الحرب وأصبحت قبلة البلاد العربية والإسلامية، فالعديد من رجال هذه البلاد يترددون على القاهرة ويتصلون بساستها ورجالها، فكان زعماء باكستان، وإندونيسيا يزورون القاهرة للاتصال بزعمائها والتشاور معهم وفي ذهنهم إتخاذ اللغة العربية لغة رسمية في بلادهم، إلا أنهم لم يجدوا من يزودهم بأعدادٍ كبيرة من مدرسي اللغة العربية، وكان وجود الأزهر الشريف وجامعة الدول العربية من العوامل التي ساعدت على احتلال القاهرة لهذه المكانة، إذ كانت الجامعة العربية في منتهى نشاطها وقوتها ومهتمةً بمعالجة قضايا فلسطين، والمغرب، وتونس، والجزائر، وليبيا، بينما كان زعماء هذه البلاد متواجدون باستمرار في القاهرة لتتبع قضاياهم، وقد أقامت الحكومة المصرية مقراً لزعماء المغرب العربي أُطلق عليه اسم (بيت المغرب العربي)، وانضمت إليه المغرب، وتونس، والجزائر، ولم تنضم ليبيا إليه، ولا أدري لماذا؟ وكان زعماء المغرب العربي يجتمعون في هذا البيت لمناقشة قضاياهم وكان بينهم الحبيب بورقيبة، وعلال الفاسي، وزعماء من الجزائر، وقد دُعيت إلى الغداء في أحد الأيام في بيت المغرب، فوجدت الحبيب بورقيبة على رأس المائدة، فأخذ يتحدث معي وقال لي: إن الحكومة المصرية تدفع خمسين جنيهاً في الشهر لكل زعيم وتريد منا أن نكون أبواقاً لدعايتها وسياستها، كما قال لي إنه سيعود قريباً إلى بلاده، وبالفعل سافر بعد فترة إلى ليبيا وقام أعضاء جمعية عمر المختار بتسهيل سفره إلى تونس.

واجتمع في القاهرة زعماء ليبيا لمناقشة قضيتهم ومعرفة مصيرها، وكانت الحكومة المصرية والجامعة العربية مهتمتان بقضية ليبيا، غير أن مصر كانت تفضل تأجيل استقلالها إلى ما بعد حل مشكل القواعد البريطانية في مصر، وأصبح أمين الجامعة العربية طرفاً في القضية الليبية ويريد حلّها وفقاً لقناعته، فكان عزام باشا أمين عام الجامعة العربية لا يريد أن يحكم إدريس السنوسي طرابلس، ولا يمانع في أن يحكم برقة محبذاً فصل طرابلس عنها، ولا يوافق على ضمهما إلا بعد إبعاد إدريس السنوسي عن الحكم، فسياسة عزام باشا

هذه تتناقض مع السياسة المصرية بخصوص ليبيا، فبينما عزام لا يعارض قيام إمارة سنوسية في برقة كانت مصر لا تريد قيام هذه الإمارة إلا بعد تصفية موضوع القواعد البريطانية في مصر، وسمعت من بعض الطرابلسيين أن عزام باشا كان يطمع في رئاسة جمهورية طرابلس، وكان يحرّض الطرابلسيين بعدم التعاون مع إدريس السنوسي وعدم قبوله ملكاً عليهم، أما بشير السعداوي فأسس هيئة تحرير ليبيا والتي ضمّت معظم زعماء طرابلس ولم تضمّ برقاوياً واحداً، ومع هذا فقد قامت الهيئة بدورٍ بناء في توحيد ليبيا واستقلالها، وكان من المفروض أن تتولى الجامعة العربية قضية ليبيا وتتابعها وتعمل على حلّها، إلا أنها أصبحت طرفاً في الخلافات بين الليبيين وأخذت تناصر طرفاً دون الآخر، أما الدول العربية فلا تحرك ساكناً، ولا تتحمل المسئولية، ولا تحاول وضع الجامعة العربية على الطريق الصحيح، فالجامعة العربية كانت في بداية تكوينها، وعزام باشا يسيطر عليها سيطرة كاملة بشخصيته القوية، ولم يستطع الزعماء الليبيين من خلال وجودهم في القاهرة التوصل إلى أية نتيجة إيجابية بخصوص قضيتهم فعادوا إلى ليبيا، وانتقلت معركة القضية الليبية إلى أراضيها ليتولى معالجتها أبناؤها بأنفسهم، وكان في موقف مصر بعض الغموض في حين كانت الجامعة العربية صريحة في موقفها ومطالبتها بإبعاد إدريس السنوسي عن حكم ليبيا، علماً بأن الموقف بيد الدول الكبرى التي ستقرر مصير المستعمرات الإيطالية السابقة.



مجلس بلدية بنغازي خلال الإدارة البريطانية في إحدى جلساته، ويبدو فيه بعض الأعيان.

العودة إلى الوطن

في اليوم الرابع من شهر فبراير عام 1948م، غادرت القاهرة في طريقي إلى ليبيا، فقضيت ليلتي في الإسكندرية، وفي صباح اليوم التالي سافرت إلى مرسى مطروح حيث وجدت في انتظاري السيد عبد الرحمن مندوب المفتي (أمين الحسيني) وهو المكلف بشراء الأسلحة من الصحراء الغربية، فاستضافني وأكرمني وقضيت يوماً وليلة في بيته، وكان الفلسطينيون في حاجةٍ إلى السلاح للدفاع عن بلدهم، إذ كانت برقة مليئة به والذي أخذ سكانها في عرضه للبيع في الصحراء الغربية، فتكاثر المشترون للسلاح وغالبيتهم عملاء إسرائيليون كانوا يريدون منع وصول السلاح إلى أيدي عرب فلسطين، وكان هناك سماسرة يشترون البندقية من الليبيين بسعر جنيهين للقطعة ثم يبيعونها بأسعارٍ مرتفعة جداً. وكان المفتي قد اشتكى إليّ وذلك أثناء وجودي في القاهرة من هذه المنافسة القوية وطلب مني أن أحدّث الأمير إدريس في الأمر، فقابلت الأمير وشرحت له الموضوع، فقال إنه عندما يعود إلى ليبيا قريباً فسيصدر تعليماته بهذا الخصوص، وفعلاً عندما وصل إليها أصدر أوامره بعدم بيع السلاح إلا للفلسطينيين، ومع ذلك ظل التنافس قوياً على شراء الأسلحة ما بين الفلسطينيين وعملاء إسرائيل، ومصريين كانوا يريدون الحصول على السلاح ثم بيعه، وقد تحصل الفلسطينيون على ما أرادوا من أسلحة تمّ تخزينها في مكانٍ ما، وكانت تُباع للفلسطينيين القادمين من فلسطين ليدافعوا بها عن أنفسهم، ولو استمرت الأمور في هذا الاتجاه لتمكن عددٌ كبير من الفلسطينيين الحصول على السلاح والوقوف في وجه الغزو الإسرائيلي، فمصر والجامعة العربية لم تكونا راضيتين عن هذه السياسة، وأمرت مصر بمصادرة جميع الأسلحة التي بحوزة المفتي في القاهرة، في الوقت الذي كان فيه المقاتلون الفلسطينيون في أشد الحاجة إليها وإلى الذخيرة.

وفي اليوم التالي صحبني السيد عبد الرحمن بسيارته إلى السلوم حيث قضيت ليلتي فيها في ضيافته، ثم اجتزت الحدود يوم 8 فبراير أي بعد أربعة أيام من بداية رحلتي من القاهرة، وكانت المواصلات معدومة بين ليبيا ومصر، فلم تكن هناك طرق معبدة ولم يتعود الليبيون أو المصريون السفر عن طريق البر، ولولا وجود السيد عبد الرحمن في الصحراء الغربية لربما استغرقت رحلتي وقتاً أطول.

وعندما وطأت قدماي أرض الوطن ركعت وقبّلت ترابه وشعرت بنشوةٍ غريبة عندما رأيت العلم السنوسي يرفرف في مواجهة العلم المصري، ورأيت الضباط والجنود الليبيين يتحركون ويقومون بعملهم، بعد أن كان العلم الإيطالي يرفرف فوق السارية والجنود والضباط الإيطاليين يسيطرون على الموقع، أما الإدارة البريطانية فقد وعدتني بإرسال سيارة إلى امساعد. وقد إستضافني رمضان المؤدب مدير الجمارك فقضيت الليلة في بيته، ثم غادرت امساعد في الصباح في طريقي إلى درنة التي كانت طريقها خالية من الناس والسيارات، فلم تصادفنا طيلة الرحلة سوى سيارتين أو ثلاثة، ورأيت بقايا حطام السيارات ودبابات القوى المتقاتلة ملقاة على جانبي الطريق، وعندما وصلت درنة قضيت الليل فيها في ضيافة أصدقاء، وفي الصباح انطلقت صوب بنغازي وقلبي يخفق من الفرح، وكانت الرحلة إليها طويلة نظراً لقدم السيارة وقلة سرعتها، فقضيت عدة ساعات قبل أن أصل إلى بنغازي.

وجدت بنغازي كئيبة ومدمرة يخيم عليها البؤس والحاجة، إذ كانت بدون كهرباء، ولا مياه، ولا مجاري، ولا مواصلات، ولا طرق، فالبنية التحتية قد دُمرت بالكامل، وأغلب الرجال يرتدون ملابس الجنود البريطانيين والألمان، وكان ينقصها الكثير من وسائل الحياة الحديثة، ولم تعمل الإدارة البريطانية على تحسين وضع البلاد أو إصلاحه أو إزالة الأنقاض المتكاثرة في كل مكان، فكانت مهمة الجيش البريطاني المحافظة على الوضع القائم وإدارة البلاد بأقل ثمن. أما بيتنا في وسط المدينة فقد دُمّر بالقنابل خلال الحرب، فانتقلت أسرتي إلى السكن في بيتٍ لنا في البركة، ووجدت أهلي في حالةٍ يرثى لها، إذ قضوا ثلاث سنوات في منزلٍ بدائي في سيدي خليفة قبل الانتقال للمنزل الحالي في البركة والذي ضمّ الأسرة بأكملها، وكانت فرحة الجميع بعودتي سالماً بعد ثمان سنوات من الغياب لا توصف، فقد إختلطت القبل بدموع الفرح وازدادت الفرحة عندما علموا أني سأعمل في معيّة الأمير.

كانت المواصلات ما بين وسط بنغازي والبركة معدومة، إلا أن شخصاً استأجر سيارة نقل كبيرة وأخذ ينقل فيها الركاب من البركة إلى وسط المدينة وبالعكس، بينما كان معظم الناس يستعملون عربات تجرها الحيوانات وبقايا سيارات قديمة، أما معنوياتهم فكانت مرتفعة وقلوبهم عامرة بالتفاؤل والآمال، إذ كانت فرحتهم الكبرى يوم غادر الإيطاليون بلادهم وانفتحت أمامهم أبواب الحرية والاستقلال، لقد وجدت الجميع فرحين ومستبشرين ومهتمين بالمصير وبالمستقبل رغم الأوضاع السيئة التي يعيشون فيها، وكان هناك نشاط

سياسي ملحوظ يمارسه بعض الوطنيين المثقفين والبارزين، وأعضاء جمعية عمر المختار الذين كانوا يطالبون باستقلال البلاد.

رحب الزعماء والمشائخ وجميع الناس بعودة الأمير إلى البلاد وتوليه شؤونها، كما نشأت الجبهة الوطنية التي أُنيط بها تمثيل البلاد والدفاع عن حقوقها، ومتابعة القضية والدفاع عن حقوق الشعب البرقاوي، وكانت تضم خيرة رجال بنغازي ومشائخ القبائل، ومن جانبٍ آخر كانت هناك جمعية عمر المختار التي ضمّت العديد من الشباب المثقف الذين كانت طموحاتهم الوطنية أوسع من الآخرين، فهم يؤمنون ويعملون من أجل وحدة ليبيا، وكانت هذه المطالب عبارة عن أماني لأن مصير البلاد بيد الدول المنتصرة، إلا أن ذلك لم يحدّ من اهتمامهم ونشاطهم السياسي لأجل تحقيق أمانيهم.

قابلت الأمير إدريس فرحب بي وأعرب عن رغبته في أن أعمل معه، وعرض عليّ منصب وكيل الديوان الأميري الذي يترأسه عمر باشا الكيخيا، فبدأت عملي في الديوان الذي كان يعمل فيه عمر شنيب كسكرتير خاص، وإبراهيم الشلحي كناظر خاصة، ومحمد عمر كمساعد له، وأحمد محي الدين في التشريفات، بالإضافة إلى عمر باشا رئيس الديوان، وموظفان آخران وسيارة وسائق، وكانت الرواتب وجميع نفقات الديوان تُدفع من خزينة الإدارة العسكرية البريطانية، أما السيارة الوحيدة التي خصصت للديوان فتعمل على نقل الجميع من بيوتهم إلى المكاتب وإعادتهم إليها بعد انتهاء العمل. أما عن الأوضاع في بنغازي، فكان بعض الشباب يذهبون إلى الصحراء لينقلوا إليها سيارات الجيب التي كانوا يجدونها ملقاة على عارضة الطريق فيقومون بإصلاحها واستعمالها، فحلّ هذا النوع من المواصلات مشكلة التنقل في بنغازي، وكثرت سيارات الجيب في المدينة وأصبحت من المظاهر البارزة إذ كانت السيارة لا تُكلف سوى قيمة نقلها وإصلاحها.

في عام 1949م، قررت الحكومة البريطانية منح برقة الاستقلال الذاتي رغم أن القضية كانت لا تزال معروضة على الأمم المتحدة ولم يُبت فيها بعد، وفي يوم 1949/06/01م إجتمع المؤتمر الوطني في مدينة بنغازي في قصر المنار بدعوةٍ من الأمير إدريس، وتجمّع الناس حول القصر للاستماع إلى إعلان إستقلال برقة الذاتي، فأطلّ الأمير عليهم وأعلن إستقلال برقة الذاتي وزفّ البشرى إلى الشعب البرقاوي، ثم طالب الحكومة البريطانية قائلاً: (...

أطلب من الحكومة البريطانية الاعتراف بالوضع السياسي الجديد، ولكي تسدي إلينا يداً بيضاء أخرى، فلتكن أول دولة تعترف بوجودنا، فقد عاونتنا على تحرير بلادنا، واعترافاً بالجميل أُقر بأن حكومتي ستتعاون مع بريطانيا على قدم المساواة في كل ما يعود بالصالح العام على الشعبين لتوثيق عرى الصداقة الدائمة)، ثم رد عليه المعتمد البريطاني بكلمة في نفس المكان والزمان قائلاً: (... لقد تمحّصت الوزارة البريطانية هذه الأمور تمحصاً دقيقاً وخولتني أن أدلي بالبيان التالي: إن حكومة صاحب الجلالة تعترف إعترافاً رسمياً برغبة البرقاويين في الحكم الذاتي، وإن حكومة صاحب الجلالة ستشكل حكومة برقاوية تتولى أعباء المسؤولية في الشؤون الخارجية).

وبعد قراءة منشور الأمير الذي يعلن إستقلال برقة، إرتفعت من جانب أنصار جمعية عمر المختار هتافات قائلة: (لا للإستقلال بدون طرابلس، ولا نهلل للإستقلال ما دامت طرابلس تبكي)، وقد قال الأمير بأنه يتمنى لإخوته في طرابلس الحصول على ما تحصّلت عليه برقة من استقلال، وهو يرحب بانضمامهم إلى برقة تحت رئاسة واحدة إذا أرادوا ذلك، وعندما غادر الأمير القصر قال لزعماء جمعية عمر المختار بأن الأمور بخصوص الوحدة ستتم بالصبر والحكمة.

وفي اليوم التالي إتصل بي الأمير وأملى عليّ صيغة برقية لإرسالها إلى الملوك والرؤساء العرب، لإعلامهم باستقلال برقة ومطالبتهم الاعتراف بذلك الاستقلال، ولم يجبه أحدٌ من الرؤساء أو الملوك الذين أُرسلت إليهم البرقية، سوى الملك عبد الله ملك الأردن الذي أرسل إليه برقية مطلعها (إن الغيث قطر ثم ينهمر).

شرع الأمير بعد وصوله إلى بنغازي في الاتصال بالحكومة البريطانية من أجل البرّ بوعدها بخصوص إستقلال برقة، وكانت الحكومة البريطانية تقول إن القضية كانت بيد وزراء خارجية الدول الأربعة الكبيرة ولا تستطيع أن تفعل شيئاً من ناحيتها، إلا أنها في النهاية قبلت منح الاستقلال الذاتي لبرقة وتسليم الأمير إدارة الشؤون الداخلية، فشُكلت أول حكومة برقاوية برئاسة فتحي الكيخيا.

ساد برقة نشاط سياسي كبير بعد عودة الأمير للبلاد واتفاقه مع بريطانيا على قيام حكم ذاتي في برقة، فتكونت الجبهة الوطنية كهيئة سياسية لمواجهة الأحداث التي من

المتوقع أن تمر بها البلاد، وشكّل الأمير أول حكومة برقاوية في تاريخ ليبيا وأسند رئاستها إلى الدكتور فتحي الكيخيا، وقد دعت بريطانيا الأمير إلى زيارة لندن للاتفاق على الحكم الذاتي، فسافر الأمير وبصحبته الدكتور فتحي الكيخيا إلى لندن عن طريق طرابلس، كما رافقته أنا في هذه الرحلة إلي طرابلس التي قابلت الأمير بمظاهرات تأييد صاخبة، وقد زار الأمير مقر هيئة تحرير ليبيا، وألقى من شرفتها كلمة على الجموع المحتشدة عبّر فيها عن أمله في رؤية ليبيا دولة موحدة ومستقلة، وفي اليوم التالي استعدّ للسفر على البارجة البريطانية التي أُرسلت خصيصاً لنقله، وفي الموعد المحدد لسفره ذهب إلى الميناء فوجد رئيس الإدارة البريطانية الجنرال (بلاكلي) في انتظاره، والذي أخبره بأن البارجة ستتأخر ساعتين عن موعدها، فأجابه الأمير: (إني قد حافظت على موعدي)، ثم تركه وعاد إلى دار المنتصر التي قضى الليلة فيها، وكان من المفروض على رئيس الإدارة البريطانية الاتصال به هاتفياً ليعلمه بتأخر إبحار البارجة، وقد دفع الجنرال (بلاكلي) ثمن خطئه هذا وذلك عندما رشحته الحكومة البريطانية سفيراً لها في ليبيا، فرفض الملك ذلك الترشيح. ثم غادر الأمير طرابلس على ظهر البارجة البريطانية حيث التقى في لندن بالمسؤولين البريطانيين وتم التوقيع على إتفاق الحكم الذاتي، وبعد ذلك غادر الأمير لندن في طريقه إلى فرنسا، في الوقت الذي قدّم فيه فتحي الكيخيا إستقالته وعاد إلى مصر، كما عاد الأمير من رحلته إلى لندن، وباشر في حكم البلاد وفقاً للإتفاقية المبرمة مع بريطانيا التي نصّت على توليه إدارة الشؤون الداخلية، في حين تحتفظ بريطانيا بالشؤون الخارجية، والمالية، والعدل، وإدارة أملاك الإيطاليين.

عاد الأمير إلى البلاد بعد التوقيع على إتفاقية الحكم الذاتي، وقام بتشكيل حكومة برقاوية ثانية برئاسة عمر باشا الكيخيا التي لم تدم طويلاً بسبب اصطدام عمر باشا بالمؤتمر الوطني، وقيام خلاف مع جمعية عمر المختار، وكذلك قيام خلاف كبير بين أنصاره وأنصار المؤتمر، فأمر الأمير باجتماع المؤتمر في قصره، وكان رئيس الجلسة السيد محمد الرضا، وقبل افتتاح الجلسة طلب مني الأمير كتابة نصٍ بحل المؤتمر وتسليمه للسيد الرضا لقراءته على المجلس، وقد أعلن رئيس المؤتمر الأمر بحلّه وبعودة جميع الأعضاء إلى ديارهم الأصليّة، وكان الخلاف قد إشتد بين أنصار عمر باشا الكيخيا وأنصار المعارضين له في المؤتمر الوطني وعلى رأسهم السيد أبو القاسم السنوسي، وعندما اجتمعوا في القصر الأميري كان معظمهم مسلحين، الأمر الذي خشي منه الأمير وقوع صدام مسلّح ما بين الطرفين، ولذلك أمر

بحلّ المجلس وبإقالة عمر باشا الكيخيا.

ولم يكن هناك عمل إداري في الديوان بمعنى الكلمة، إذ كانت أهم الأعمال تنحصر في مقابلات الأمير وعلاقاته بالإدارة البريطانية، وبالمؤتمر الوطني الذي تولى شقيقه السيد الرضا رئاسته، وكان المؤتمر الوطني الذي يضم مشائخ القبائل، وأعيان بنغازي، ودرنة، مهتماً بالقضية الوطنية ومتتبعاً لمجرياتها على الساحة الدولية.

إستلمت عملي في الديوان الأميري وشرعت في تنظيم إدارته، إلا أنني صدمت بأسلوب رئيس الديوان عمر باشا الذي كان يحتفظ بجميع الرسائل الواردة ولا يُطلع عليها أحدا، وقد أصبح عملي ملازمة الأمير عندما يأتي إلى مكتبه وتنظيم زياراته وتلبية طلباته، فكان الأمير مواظباً على مواعيد عمله إذ يصل إلى قصره في الساعة الحادية عشر، ويدخل مكتبه ويطلب مني قائمة الزوار الذين سيدخلون عليه واحداً بعد الآخر، فيستمع إليهم ويحدثهم ويدون آرائهم، ومن عادته أنه كان يستمع إلى الجميع ويجيب على أسئلتهم ويلبي طلباتهم في حدود قدراته وإمكانياته، وفي إحدى المرات لم يكن راضياً عن زواره، فقد زاره عبد الحميد بن حليم، وبوغرارة، من أعضاء جمعية عمر المختار من درنة، وبعد خروجهما رأيته غاضباً ومستاءاً ولم يتفوه بكلمة عن المقابلة. وكان عمر باشا منصور رئيس الديوان يأتيه بأوراقه ويطلعه عليها ويتلقى تعليماته ثم يذهب، فعمر باشا منصور في عام 1920م، كان مساعد الأمير الأول في المفاوضات التي تمت ما بين الإيطاليين والأمير من أجل تطبيق الاستقلال الذاتي، وهو لا يزال حتى الآن يفكر ويتصرف بعقلية الأتراك التي أكل الدهر عليها وشرب منذ أربعين عاماً، وكانت المراسلات التي تصله يحتفظ بها في درج مكتبه ولا يعطيها للمحفوظات لوضعها في الملف الخاص بها، ولم يكن أحد يطّلع عليها حتى أنا وكيل الديوان الأميري.

ومن ذكرياتي مع عمر باشا، أنني قمت بزيارته في إيطاليا بعد أن أبعده غرازياني إليها في عام 1940م، فوجدته كما هو لم يتغير، وقد عاملته الإدارة الإيطالية معاملة جيدة، فاستأجرت له شقة جميلة وأتت له بثلاثٍ من الخدم الليبيين لخدمته، وعندما تحدثت معه وجدته شديد التفاؤل في حصول البلاد على استقلالها ورغبته في العودة إليها ليضع نفسه في خدمتها، وأحياناً كان يقول لي إنه تقدم في السن وسيترك أمر البلاد للشباب أمثالي،

وكان يقيم معه مُبعداً أيضاً أخوه الحاج رشيد الكيخيا صديقي الحميم، وقد قضيت عدة أيام طيبة معهما، وكانت الحرب على أبواب نهايتها والآمال تزداد في حرية ليبيا واستقلالها، وعمر منصور قبل إبعاده كان قد قضى قرابة خمسة عشر عاماً في السجون الإيطالية، إلا أن سنوات السجن لم تؤثر فيه وظل على ما كان عليه، جريئاً، شجاعاً، مؤمناً بحقوق بلاده.

أما الأمير فكان يغادر القصر في منتصف النهار إلى داره، وفي الغالب كان يقابل كبار الزوار من الأجانب فيها وذلك بعد العصر، وكنت أقوم بالترجمة بينه وبين زواره وأحياناً أُعد محضراً بما دار بينهم. وفي أحد الأيام دخل عليّ في المكتب شابان بالملابس العسكرية وقدّما نفسيهما بأنهما، الأمير زيد، وأمير آخر، من العائلة الهاشمية الحاكمة في الأردن، وقد تولى الأمير زيد فيما بعد رئاسة الوزارة الأردنية، فطلبا مني زيارة الأمير إدريس الذي اتصلت به وأخبرته عنهما، فقال لي: أحضرهما لي بعد صلاة العصر، وفي الموعد المحدد صحبتهما إلى القصر، فقابلهما الأمير مقابلة ودية وسألهما عن أهلهما واحداً واحدا، وأكرمهما وسُرّ جداً بلقائهما، وكان الضابطان قد قدما إلى برقة في دورة تدريبية مع الجيش البريطاني.

وبعد القطيعة بين الإخوان المسلمين والحكومة المصرية، ومقتل حسن البنا، وإلقاء القبض على زعماء الإخوان، فرّ ثلاثة منهم ودخلوا الحدود الليبية، فتلقاهم الليبيون في الحدود ونقلهم أعضاء من جمعية عمر المختار إلى بنغازي، ثم أخذوهم إلى قصر الأمير طالبين الإستجارة به، وبلغ الأمر الأمير فأدخلهم وأجارهم وطلب أن يُخصص مكاناً في قصره لإقامتهم كي يكونوا تحت حمايته ولا يقربهم أحد. وفي اليوم التالي كنت في مكتب رئيس الديوان عندما جاء السكرتير وأعلن أن لواءً مصرياً يريد مقابلة رئيس الديوان، فأُذن له بالدخول وأعلن عن اسمه وهو (اللواء حسين سري عامر) وأنه موفد من قبل الملك فاروق لاستلام الإخوان المسلمين الذين جاءوا إلى بنغازي، فقال له عمر باشا يجب عليه الاتصال بالإدارة البريطانية المسؤولة عن الشؤون الخارجية، فقال إنه اتصل بهم وأخبروه أن هذا ليس من شأنهم ويجب عليه الاتصال بديوان الأمير، فقال له عمر باشا: إني لا أعلم شيئاً عن هؤلاء الإخوان ولا أستطيع أن أفعل لك شيئاً، فأجابه بأن الإخوان موجودين في قصر الأمير، فقال له الباشا: إنهم إذاً في حمى الأمير ولا نستطيع تسليمهم لأحد، فغضب اللواء سري وزمجر وهدد ثم خرج وذهب إلى المطار وعاد بطائرته إلى مصر، وفي المساء أذاع راديو القاهرة بأن الحدود قد أُغلقت ما بين ليبيا ومصر ولن يُسمح لليبيين بالدخول إلى الأراضي المصرية.

ظل الإخوان المسلمين في حماية الأمير إدريس إلى حين سقوط الملك فاروق، وكانوا يقومون بالتدريس وتوعية الناس والدعاية لتنظيمهم، ولما تولى الرئيس محمد نجيب رئاسة الحكومة المصرية عادوا إلى مصر. ولدى زيارة الملك إدريس للقاهرة عام 1953م، قابله الإخوان المسلمين بمظاهراتٍ ترحيبية، وكان ميدان عابدين غاصاً بهم فأخذوا يهتفون (يعيش الملك الصالح)، وقد حفظ الإخوان المسلمين للأمير هذا الصنيع.

عندما تحصلت البلاد على الإستقلال الذاتي كان هناك نقص كبير في الكوادر وفي كبار الموظفين، فأشاروا على الأمير باستدعاء الكثير من الليبيين الموجودين في تركيا، وأنه في الإمكان استعارتهم من الحكومة التركية للعمل في ليبيا، وجرت إتصالات مع الحكومة التركية التي رحبت بالإقتراح، وتبعاً لذلك ذهب البعض إليها لاختيار الموظفين، فجاءوا (بسعد الله بن سعود) وهو من سكان درنة، وقد كان والياً على إحدى الولايات الشرقية التركية، كما جاءوا بالعقيد (عمران الجاضرة) وهو أيضاً من سكان درنة، وكان ضابط طيار بالجيش التركي، فأُسند إلى (سعدالله بن سعود) نيابة رئاسة الحكومة البرقاوية، وأُسند إلى العقيد الجاضرة قيادة الجيش الليبي لاحقاً، وكانت التجربة فاشلة لأن العقلية التركية لا تتفق وعقلية بلادنا.

أراد الأمير تكريم أعضاء الجبهة الوطنية، فطلب دعوتهم إلى الغداء بقصر المنار، فلم نجد في بنغازي مطعماً مستعداً لتقديم الغداء لقرابة مائة شخص، فأشاروا علينا بأن مقهى الفردوس قد يقوم بذلك، فاتصلنا به وأبدى استعداده للقيام بالمهمة، وأعددنا في القصر الموائد، وعندما جاء وقت تقديم الطعام أدركنا عدم وجود العدد الكافي من الخدم لتقديمه في وقتٍ واحد، وكانت النتيجة أن قُدم الطعام والحلوى والشاي إلى المائدة التي كان جالساً عليها الأمير وكبار الشخصيات، في حين لم يُقدم شيئاً لمعظم المدعوين الذين انتظروا وقتاً طويلاً قبل تناول غدائهم.

وبمناسبة مرور عام على إعلان الحكم الذاتي، أقيم أمام قصر المنار حفلٌ بسيط إستعرض خلاله الأمير قوة دفاع برقة، فتجمع الناس ليشاهدوا أول استعراض لقوات مسلحة وطنية، بعد أن تعودوا في كل عام على مشاهدة إستعراض القوات الإيطالية، والجنود الإرتريين الذين كانوا يتولون محاربة المجاهدين، وكان استعراضاً هزيلاً ولكنه كان رمزياً

له مغزاه، والذي يدل على أن الدولة الجديدة بدأت في إعداد قواتها المسلحة.

إنضم إلى الديوان فتحي العابدية الذي أصبح سكرتيراً خاصاً للملك، كما انضم أيضاً إلى الديوان (المستر تايلور) بصفته ضابط اتصال بين الأمير والإدارة البريطانية، وعوني الدجاني الفلسطيني الجنسية كمستشار قانوني، وترك عمر الكيخيا رئاسة الديوان ليتولى رئاسة ثاني وزارة برقاوية كما ذكرنا، وعُينت أنا رئيساً للتشريفات، فكان عملي في الديوان متشعباً إذ كنت أُرافق الأمير في تحركاته، وفي أسفاره، وأقوم بالترجمة بينه وبين زواره الأجانب وأُعد له ما كان يريده من مذكرات. وكانت الدار التي يقيم فيها الأمير في بوعطني عبارة عن مقهى إيطالي سابق شُيد بقرب مغارة الليثي، والتي كان يقصدها الناس في العهد الإيطالي بواسطة قطار خاص لزيارتها وقضاء اليوم فيها، فتمّ تحويل المطعم والمقهى إلى دارٍ سكنية متواضعة أقام فيها الأمير، إذ رفض آنذاك الإقامة في قصر الحاكم الإيطالي الفخم المطل على البحر من الجانب الغربي، وعلى شارع الاستقلال من الجانب الشرقي، فهو بطبيعته متواضع وينفر من المظاهر والتألق، وكنت كثيراً ما أتناول الطعام على مائدته، فكان طعامه بسيطاً عبارة عن الأرز واللحم وهو نفس الطعام الذي كان يقدمه لضيوفه.



الوفد البرقاوي إلى الأمم المتحدة عام 1949م، ويرى من اليمين الشيخ عبدالحميد العبار، والسيد عمر شنيب، والسيد خليل القلال.

النشاط السياسي في برقة

اللجنة الرباعية

إشتد النشاط السياسي بعد أن تقرر إرسال لجنة رباعية لتقصي الحقائق، وكانت أغلبية الناس تريد إستقلال برقة أولاً بإمارة إدريس السنوسي، وإذا فُرضت الوحدة فلتكن تحت إمارته، إلا أن جمعية عمر المختار كانت تخشى أن يتحول الاستقلال الذاتي إلى استقلالٍ نهائي وتنفصل طرابلس عن برقة نهائياً، ولذلك كانت تعمل جاهدة لتوحيد أهداف البلاد قبل أن تتحصل برقة على الاستقلال الكامل.

قررت الدول الأربعة قبل إحالة القضية إلى الأمم المتحدة تشكيل لجنة لاستقصاء الحقائق تزور طرابلس، وبرقة، والصومال، وإرتريا، وكانت اللجنة مؤلفة من ممثلين للدول الأربعة وغايتها أن تتصل بالشعوب وتتعرف على رأيهم في مصيرها، وبدأت في ليبيا الاستعدادات لمقابلة اللجنة، فكان غالبية سكان مدينة طرابلس راغبين في الوحدة والاستقلال والانضمام للجامعة العربية، في حين كان أهل برقة يطالبون باستقلال بلدهم، وقبول الوحدة مع طرابلس بشرط أن يبايعوا الأمير السنوسي ملكاً على البلاد بكاملها، وكانت فزان موافقة على الوحدة بشرط أن يكون الأمير إدريس رئيساً لها، وانشغل الأمير وحكومته والزعماء بالاستعداد لمواجهة اللجنة الرباعية، وعندما جاءت اللجنة عام 1948م، إجتمعت بالأمير، والزعماء، والناس، فاستمعت إليهم وحملت مذكراتهم معها، وقد زارت اللجنة طرابلس وأقامت فيها 40 يوماً، و20 يوماً في برقة، و10 أيام في فزان، وفي طرابلس زارت الدواخل واتصلت بالناس وبالأحزاب والهيئات السياسية وبالجاليات اليهودية والإيطالية، فاستمعت إليهم وسجلت آرائهم، وكانوا غير متفقين في ردودهم على اللجنة، إلا أنهم في النهاية إتفقوا على مطلبٍ واحد وهو الاستقلال والوحدة والانضمام إلى الجامعة العربية، كما قامت اللجنة بزيارة برقة، فاتصلت بسكان الدواخل والمدن والجبهة الوطنية وجمعية عمر المختار، وخرجت بخلاصةٍ واحدة، وهي أن الشعب البرقاوي متفق على الاستقلال وإمارة السيد إدريس السنوسي، وفي حالة الاتحاد مع طرابلس فيجب أن يكون الاستقلال والوحدة تحت إمرة السيد إدريس السنوسي، وفي فزان طالبوا بالاستقلال أو الوحدة الليبية بقيادة إدريس السنوسي، وعندما عادت اللجنة إلى أوروبا قدمت تقريرها إلى لجنة وزراء الخارجية الذي

تضمن أن أهل ليبيا غير مؤهلين للاستقلال في الوقت الحاضر، وأنهم يحتاجون للمساعدة المالية الخارجية لعدة سنوات، وأنه من الأفضل وضع ليبيا تحت الوصاية الدولية.

عرض القضية على الأمم المتحدة

أُحيلت قضية المستعمرات الإيطالية السابقة إلى الأمم المتحدة بعد أن تعذر على مجلس وزراء خارجية الدول الأربعة إيجاد حلٍ للقضية، فروسيا كانت تريد الوصاية على طرابلس أو الحصول على منفذٍ على البحر، وذلك ما كانت تقاومه الولايات المتحدة بكل قواها، وإيطاليا كانت تبذل جهدها للحصول على الوصاية على طرابلس، وفرنسا كانت متمسكة بفزان ولا تريد التخلي عنها، أما بريطانيا فكانت لا ترغب في التخلي عن برقة، وإزاء هذه الصعوبات والتعقيدات قرر مجلس وزراء الخارجية إحالة القضية إلى الأمم المتحدة، وعندما بدأت مناقشتها أمام اللجنة السياسية للأمم المتحدة، قررت حكومة برقة إرسال وفدٍ للمشاركة في هذه المناقشات، فتكوّن الوفد من الشيخ عبدالحميد العبار، وخليل القلال، وعمر شنيب، للإدلاء برأي برقة وتتبع القضية في الأمم المتحدة، كما سافر من طرابلس أكثر من وفد يشكلون اتجاهات مختلفة وللغرض ذاته، فالوفود الليبية في الأمم المتحدة إتفقت على التعاون وتوحيد أهدافها السياسية، وفي الدورة الثانية التي ناقشت فيها اللجنة السياسية للأمم المتحدة قضية ليبيا تكوّن وفد برقاوي من خليل القلال، وعمر شنيب، وعبد الرازق شقلوف، للذهاب إلى الأمم المتحدة والمشاركة في مناقشات القضية الليبية، وبعد نقاشٍ طويل توصلت اللجنة السياسية إلى قرارٍ يقضي بوضع طرابلس تحت الوصاية الإيطالية، وبرقة تحت الوصاية البريطانية، وفزان تحت الوصاية الفرنسية، وعندما وصل الخبر إلى طرابلس قامت مظاهرة ضد القرار إشترك فيها حوالي عشرة آلاف نسمة، وقادها الشيخ أبو الأسعاد العالم (مفتي ليبيا)، كما شارك فيها عددٌ كبير من أعيان البلاد ووجهائها والناشطين السياسيين، وعندما شاهدت الدول الكبرى ردود فعل الليبيين تراجعت في الأمم المتحدة وبدأت تتحدث عن استقلال ليبيا.

وفي يوم 17 نوفمبر عام 1950م، سقط مشروع الوصاية على ليبيا بصوتٍ واحد بعد نقاشٍ حاد، ومفاوضات، ومساومات، والكثير من الاقتراحات ومشاريع القرارات، وأخيراً وبفضل الضغط الأمريكي صدر قرار باستقلال ليبيا الموحدة في موعدٍ أقصاه أول

يناير عام1952م، على أن تتولى الأمم المتحدة إعداد الشعب الليبي للاستقلال داخل هذا التاريخ، وعينت الأمم المتحدة (أدريان بلت) المشرف على إعداد ليبيا للاستقلال، فجاء بلت إلي ليبيا ومعه مجموعة من المستشارين، واتصل بالأمير وبزعماء البلاد لأخذ رأيهم فيما سيقوم به، وبعد مشاوراته مع الأمير وزعماء برقة وطرابلس قرر تشكيل لجنة من واحدٍ وعشرين عضواً، أي بنسبة سبعة أعضاء لكل إقليم من الأقاليم الثلاثة، وقد شكل لجنة الواحد والعشرين كأول هيئة تمثل ليبيا، وأسند إليها مهمة إختيار أعضاء الجمعية التأسيسية المناط بها إعداد الدستور، فلاقى تشكيل هذه اللجنة معارضة شديدة في طرابلس للمساواة ما بين الأقاليم الثلاثة، إذ كانوا يرغبون أن تكون اللجنة نسبية تتماشى مع عدد سكان البلاد، كما عينت الأمم المتحدة إلى جانب بلت لجنة دولية من عشرة أعضاء تضم أمريكا، وبريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، ومصر، وباكستان، وثلاثة ليبيين يمثلون المناطق الثلاثة، وعضواً عن الأقليات، وقامت لجنة الواحد والعشرين بمساعدة بلت، في تأسيس اللجنة الدستورية المؤلفة من ستين عضوٍ، أي بنسبة عشرين عضوٍ لكل إقليم من الأقاليم الثلاثة، وقامت قائمة المعارضة في طرابلس، وفي مصر، وفي الجامعة العربية، إحتجاجاً على تشكيل الجمعية التأسيسية بهذه الصورة، فقد كانوا يريدون جمعية منتخبة إنتخاباً حراً نسبياً مع عدد سكان البلاد، وتناسى هؤلاء المحتجون أن البلاد غالبيتها من قبائل البدو المبعثرين فيها وأنه من الصعب جداً إجراء إنتخابات حرة في هذا الوضع، كما أن المطالبة بالنسبية من الطرابلسيين ومن معهم لا يقبلها سكان برقة وفزان، وتولّت في لجنة العشرة كلاً من مصر، وباكستان، ومندوب طرابلس، مهمة الاعتراض على تشكيل الجمعية التأسيسية وعلى كل ما يصدر عنها.

وقد باشرت الجمعية التأسيسية عملها في وضع الدستور في حين كانت لجنة العشرة توالي اجتماعاتها وسط الخلافات، فعارضت مصر، وباكستان، والطرابلسيون كما ذكرنا تشكيل الجمعية التأسيسية وتمسكوا بضرورة إنتخاب عام نسبي، وكان بلت في لجنة العشرة يتغلب باستمرار على المعارضين بأغلبية الموافقين، واستمر بلت يعمل بين الخلافات الكثيرة الصادرة من الطرابلسيين، ومن باكستان، ومصر، وفرنسا، وإيطاليا، فكل منها كان يريد الاستقلال على طريقته، وعندما تأسست الجمعية التأسيسية وأُسند إليها وضع الدستور، تركزت معارضة مصر، وباكستان، وطرابلس على أن الجمعية غير شرعية ويجب إنتخاب

جمعية بالتصويت الشعبي النسبي، وظلت هذه المعارضة وهذه المطالب قائمة حتى بعد إعلان إستقلال ليبيا.

وواصل بلت نشاطه من أجل تكوين الدولة الجديدة، وواصلت في الوقت ذاته الجمعية التأسيسية أعمالها بوضع الدستور بمساعدة مستشارين من الأمم المتحدة، وترأس الشيخ أبو الأسعاد مفتي ليبيا رئاسة الجمعية التأسيسية، وكان الأمير إدريس يتابع باهتمامٍ كبير تطورات القضية، واستقلال ليبيا ووحدتها تحت رئاسته، إلا أنه لم يكن يأمن الجانب الطرابلسي، ولذلك كان يصرّ على وضع نظام فيدرالي بحيث يحفظ له برقة في حالة فشل الوحدة مع طرابلس، وكان كتوماً لا يبوح بما في نفسه لأحد إلا ربما لبعض المقربين إليه وفي طليعتهم إبراهيم الشلحي، وكان المستر بلت يزور الأمير بين الحين والآخر ويطلعه على مجريات الأمور، ويتلقى توجيهاته التي كانت تفيده في مواصلة عمله، وكنت أشارك في اجتماعات بلت مع الأمير وأراقب الترجمة وأعد محضراً للأمير، وكان بلت في كل مرة يقابل فيها الأمير يطلعه على جميع المشاكل والعقبات التي تعترض طريقه، وعلى موقف مصر، وباكستان، والعضو الطرابلسي، في لجنة العشرة الذين كانوا يريدون تدمير عملية الاستقلال برمتها. أما برقة فكانت منقسمة على نفسها، فقسمٌ كان يرحب بالاستقلال والوحدة تحت إمارة إدريس السنوسي، والقسم الآخر كان يفضل إستقلال برقة بمفردها وعدم الدخول مع الطرابلسيين في دولةٍ واحدة، لأنهم كانوا يخشون أن الأكثرية سوف تتغلب على الأقلية وتسيطر على الوضع، ولكن هؤلاء لم تعد لديهم وسيلة للمعارضة بعد أن وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه من تقدمٍ في طريق إستقلال ليبيا الموحدة، وكانت حكومة برقة تقوم بإدارة البلاد وتعلم أن إدارتها مؤقتة تنتهي يوم إعلان إستقلال ليبيا، ومع ذلك كان مجلس النواب نشطاً، والحكومة مهتمة بشؤون البلاد وتحاول الإصلاح والتعمير وفقاً لوضعها المالي.

في حين كان الشباب من جمعية عمر المختار ومن مؤيديها يرون أن الحل الأمثل هو توحيد ليبيا بكاملها في دولةٍ واحدة بدلاً من تقسيمها إلى ثلاث دويلات، غير أن قرار الأمم المتحدة باستقلال ليبيا قد حسم الوضع ولم يترك للإنفصاليين مجالا، إلا أنهم عملوا على قيام النظام الفيدراليَ الذي يحفظ لكل اقليم ذاتيته، وهويته، وحكومته، ومجلس نوابه، فكلف الأمير محمد الساقزلي برئاسة حكومة برقة وتولي شؤونها إلى حين إعلان إستقلال

ليبيا، وكانت حكومة برقة نشطة وتعمل بجد واهتمام لإصلاح البلاد وإعادة حياتها القديمة إليها، دون التفكير بأن مهمتها مؤقتة وتنتهي بإعلان إستقلال ليبيا، وقد كان من المعروف أن النظام الفيدرالي الجديد سيحافظ على هوية الولايات واستقلالية أعمالها فيما يخصها، ولن تتأثر حكومات الولايات كثيراً بإعلان الاستقلال.

وقام بلت بتعيين حكومة ليبية مؤقتة برئاسة محمود المنتصر، كما عُينت أيضاً حكومة في طرابلس، في حين كان محمد الساقزلي رئيساً لحكومة برقة، وكان المستر بلت وسط صعوبات جمة من الدول الكبرى ومن لجنة العشرة ومن الليبيين، واشتكى لي ذات مرة، فقال بأنه لا يستطيع القيام بمهامه لأن جميع الأطراف كانوا غير راضين عن عمله، وهو يواجه صعوبات كثيرة، إلا أنه كان مصراً على إتمام مهمته في الوقت المحدد، وكان يزور الأمير في فترات معينة ليحيطه علماً بكل اتصالاته ومشاكله، وقد قال لي بأنه يأتي للأمير وهو مهموماً ليخرج بعد مقابلته مرتاحا، لأنه يجد له لكل مشكلٍ حلا، وكان بلت صادقاً في عمله ويريد النجاح مهما كانت الصعوبات، فهو يسير في طريقه لا يبالي بالمعارضة ولا بالعراقيل التي يواجهها، فقد كُلف من الأمم المتحدة لبناء دولة جديدة وهو حلم عظيم وعمل نادر يقوم به، ولذلك صمم على بلوغ مبتغاه مهما واجهته من صعوبات، فقدم تقريره الأول للأمم المتحدة المتضمن للأعمال التمهيدية وتشكيل الجمعية التأسيسية وتكليفها بوضع الدستور، واتصالاته بالزعماء وأصحاب النفوذ في البلاد وعمله في لجنة العشرة.

أما تقريره الثاني الذي لم يقدمه بعد للأمم المتحدة فيتضمن العمل على بناء الدولة الجديدة، كما يتضمن تقريره الثاني تشكيل الحكومة الليبية والانتهاء من وضع الدستور واتخاذ الخطوات اللازمة لإعلان الاستقلال، ففرنسا لا تريد استقلال ليبيا لأنه سوف يؤثر على جاراتها في شمال أفريقيا الخاضعة تحت الحكم الفرنسي، وقد زار المندوب الفرنسي في لجنة العشرة الأمير وبحث معه تطورات القضية الليبية ووضع فزان، وقال له إن فرنسا ستوافق على استقلال ليبيا إذا تعهد الأمير بعدم مساعدة شعوب شمال أفريقيا إذا ما تحركوا وطالبوا بالاستقلال أيضاً، فأجابه الأمير: (إننا لا نريد إستقلالاً يمنعنا من نصرة إخواننا في شمال أفريقا إذا ما احتاجوا لمساعدتنا)، وانتهت المقابلة وخرج السفير وذهبت معه، وفي الطريق قال لي: (إنني لم أكن أتوقع من الأمير إدريس غير هذا الرد على طلبي)، وكان إعجابه به شديدا، وقد غضبت فرنسا عندما رفض الأمير التعهد لها بعدم مساعدة شعوب

شمال أفريقيا إذا طلبوا مساعدته من أجل استقلالهم، وفي حالة إصرار الأمم المتحدة على استقلال ليبيا ففرنسا كانت تحبذ الاحتفاظ بفزان، غير أن الولايات المتحدة التي كانت تؤيد الإستقلال وتريده، ضغطت على فرنسا وأرغمتها على قبول الأمر الواقع. وقد وقع حادث مؤلم في المجلس الاستشاري بعد أن وافق على النظام الفيدرالي وعلى شرعية الجمعية التأسيسية رغم معارضة مصر وباكستان، إذ هاجم كامل سليم مندوب مصر في لجنة العشرة علي الجربي مندوب برقة، واتهمه بالكذب والصفاقة، فانسحب علي الجربي من الجلسة وعاد إلى بنغازي، فقامت قيامة برقة وتعالت فيها الاحتجاجات من قبل مجلس النواب البرقاوي ومن الصحافة، ومن ضمنها إحتجاج أرسله محمد الساقزلي رئيس وزراء برقة إلى محمود المنتصر رئيس وزراء الحكومة المؤقتة.

واصلت الجمعية التأسيسية عملها في طرابلس تحت ضغط عناصر المعارضة، والمجلس الاستشاري، والجامعة العربية، ومصر بصورة خاصة، فوجدت صعوبة في السير بعملها في هذا الجو المشحون بالمعارضة، فقرر الشيخ أبو الأسعاد السفر إلى مصر وعرض الأمور بوضوح على الجامعة العربية وعلى مصر، وذلك بعد إستشارة الأمير الذي وافقه على الفكرة.

وفد الجمعية التأسيسية إلى مصر

عندما كثر تهجم عزام وانتقاداته للجمعية التأسيسية، قررت الأخيرة إرسال وفدٍ إلى القاهرة، للاتصال بالدول العربية المجتمعة في نطاق جامعة الدول العربية وإطلاعها على حقيقة الأوضاع في ليبيا، وتشكل الوفد من الشيخ أبو الأسعاد، وعمر شنيب، وخليل القلال، وصالح بويصير، وأبوبكر أحمد، وعوني الدجاني، وقد أمرني الأمير بالالتحاق بالوفد، وبمجرد وصولنا إلى الفندق وجدنا مندوباً من الجامعة جاء ليخبرنا بأننا ضيوف على الجامعة، وشرعنا في الاتصال بالصحافيين والساسة المصريين لشرح قضيتنا، وقمنا بإعداد مذكرة شاملة لتقديمها إلى اللجنة السياسية يوم مناقشتها لقضية ليبيا، وفي اليوم المحدد لبحث القضية ذهبنا إلى الجامعة لحضور المناقشة التي ترأسها الأمير فيصل، وفوجئنا بأن اللجنة السياسية قد اتخذت قراراً بتكليف مصر لمتابعة القضية الليبية، فتناول الكلمة عمر شنيب وقال لهم: (عندما احتلتنا إيطاليا وقفنا في وجهها عشرين عاماً ولم نأتِ لنستأذن

من الإخوة العرب، وعندما شاركنا في الحرب العالمية الثانية لم نأتِ ونستأذن منكم، وعندما نريد اليوم إعلان إستقلالنا لن نأتي لنستأذن من الدول العربية، والغريب أن الجامعة العربية تطالب ليبيا بجمعية منتخبة لوضع الدستور في حين أن أغلب الدول العربية المجتمعة هنا لا تملك دستوراً ولا قانونا، ويريدون من ليبيا أن تقوم بجمعية تأسيسية منتخبة من الشعب وهي لا تقوم بانتخابات ولا باستشارة الشعب في أي أمرٍ من الأمور)، وغادرنا بعد ذلك قاعة الاجتماعات، فلحق بنا إلى الفندق رياض الصلح رئيس وزراء لبنان، وسمير الرفاعي رئيس وزراء الأردن، لاسترضاء عمر شنيب فقال لهما: (لقد تأكدنا أن الجامعة العربية هي لعبةٌ بيد مصر وأن الدول الأخرى لا دور لها فيها)، وقمت بتحويل مذكرة الجمعية التأسيسية إلى موضوع إعلامي يشرح القضية الليبية وتلاعب مصر بها، وجاءنا مندوب صحيفة السوادي وكانت من كبريات الصحف المصرية، وقد جاء لأخذ حديث فزودناه بحديثٍ مفصل عن تطورات القضية الليبية ومواقف مصر المتناقضة، وشرحنا له موقف مندوب مصر في لجنة العشرة التابعة للأمم المتحدة، ودعمنا حديثنا بصورٍ من رسائل مندوب مصر في لجنة العشرة والتي يؤيد فيها في أول الأمر قيام نظام فيدرالي ثم يتنكر لفكرته ويقوم بتأييد النظام الوحدوي، ونشرت الصحيفة الحديث يوم سفرنا، وقد رأينا الشرطة في المطار تقوم بمصادرة أعداد الصحيفة.

وكان يسود مصر في تلك الفترة نظام ديمقراطي يضمن حرية الصحافة والكلمة للمواطنين، فالمعارضة السياسية كانت قوية وأقوى منها صحفها التي لا تكف عن إنتقاد الحكومة وأعمالها، ولذلك وجدت صحيفة السوادي في قضية ليبيا موضوعاً هاماً لمهاجمة سياسة الحكومة الخارجية وتناقضاتها.

وقام وفد الجمعية بزيارة وزير الخارجية محمد صلاح الدين وشرح له تفاصيل القضية، وموقف عزام باشا منها وموقف مندوب مصر في لجنة العشرة، كامل سليم، وبدا أن محمد صلاح الدين كان أكثر تفهماً للوضع وأكثر مرونة، فقال للوفد بأنه يقبل بشرعية الجمعية التأسيسية المعينة في حالة موافقة الجمعية المنتخبة على الدستور، وهذا موقف جديد للحكومة المصرية من القضية الليبية إذ دأب مندوبها في لجنة العشرة، كامل سليم،على مهاجمة الجمعية التأسيسية، لعدم شرعيتها وضرورة إيقاف أعمالها واختيار جمعية تأسيسية بالانتخاب المباشر النسبي، إلا أنه يبدو أن تصريحات وزير الخارجية المصري لم يصل صداها

إلى مندوبه في لجنة العشرة، كامل سليم، الذي واصل هجومه على الجمعية التأسيسية وطريقة اختيارها، كما زار الوفد خلال إقامته في القاهرة نوري السعيد رئيس وزراء العراق الذي شرح له الوفد مراحل القضية فقال: (سيروا في طريقكم، وأعلنوا إستقلالكم، وكوّنوا دولتكم، ولا تأبهوا بأحد، فأنتم على حق، فالدول العربية لا تستطيع أن تفيدكم ولا أن تضركم، فتوكلوا على الله)، فقلنا له إن عزام باشا صرح لجريدة (التيمبو) الإيطالية، بأن ليبيا لن تدخل الجامعة العربية لأن استقلالها غير شرعي، فضحك نوري السعيد وقال: هل تأسفون على عدم دخولكم الجامعة العربية؟ فأنا لو كان في استطاعتي لخرجت منها على الفور.

وقمت مع خليل القلال، وصالح بويصير، بوضع مذكرة شاملة عن القضية وتطوراتها في جميع مراحلها وعن مواقف الدول منها وخاصة موقف مصر، ودعمناها بصورٍ من الرسائل المتناقضة (لكامل سليم) مندوب مصر في لجنة العشرة الموجهة للأمير، والتي يطالب فيها باشتراك الإيطاليين في لجنة الواحد والعشرين، والموافقة على النظام الفيدرالي، وقبول المشاركة بالتساوي بين الولايات الثلاث في لجنة الواحد والعشرين، وقمت مع صالح بويصير بالاتصال بأصدقائنا الصحافيين، فقبلت صحيفة الجمهور المصرية نشر المذكرة، كما قمنا بطبعها في كتيب أرسلناه عن طريق البريد إلى النواب، والوزراء، والصحف، والسلك الدبلوماسي، وكان أعضاء الوفد لا يؤمنون بأن وضع الدستور من قبل لجنة تأسيسية منتخبة هو الحل الأمثل، وأن برقة وفزان لن تقبلا به وستعاد القضية إلى الأمم المتحدة التي قد تقرر وضع طرابلس تحت وصاية إيطالية أو دولية لمدة عشر سنوات، ولا أحد يدري كيف سيكون الوضع آنذاك.

ولا شك أن مصر لم تراعِ مصالح ليبيا بقدر اهتمامها بمصالحها وأن عزام باشا كان يشجعها على هذا الموقف، وفي اعتقادي أن نشاط الوفد واتصالاته من خلال الجو السياسي الديمقراطي الذي كانت تعيش فيه مصر، أشعرت المسؤولين المصريين والجامعة العربية بخطئهم في معالجة القضية الليبية، والتأثر بسياسة عزام باشا ومعالجته للقضية.

ودعا عزام باشا أعضاء الوفد إلى العشاء بداره، ودار نقاش طويل وحاد بين الطرفين إستمر إلى ما بعد الساعة الثانية صباحاً، وقام عزام باشا بسردٍ مسهب عن عمله في ليبيا،



صورة تجمع بين معالي السيد رياض الصلح رئيس وزراء لبنان، والسيد سمير الرفاعي رئيس وزراء الاردن، والشيخ أبو الأسعاد العالم سنة 1951م.



زيارة الوفد الليبي للقاهرة، والجامعة العربية سنة 1951م، ويرى من اليسار السيد خليل القلال، والسيد حسن إبراهيم سفير اليمن، والسيد عبدالرحمن عزام باشا، والسيد صالح بويصير، والسيد نوري باشا السعيد ، والأمير فيصل بن عبد العزيز، ومفتي طرابلس الشيخ أبو الأسعاد، والسيد رياض الصلح رئيس حكومة لبنان، والسيد سمير الرفاعي رئيس الحكومة الأردنية، والسيد عمر شنيب، والسيد وهبي البوري والسيد أبو بكر أحمد، والسيد عوني الدجاني.



زيارة وفد الجمعية التأسيسية للقاهرة، ويرى في الصورة من اليمين السيد عمر شنيب، والسيد عبد الرحمن عزام باشا، والسيد خليل القلال والسيد أبو بكر أحمد، والسيد وهبي البوري.

مظهراً أسفه الشديد للحملات التي تشنها عليه بعض العناصر فيها، وقال إنه لم يفعل إلا كل ما فيه الخير لليبيين، أما فيما يتعلق بتمسكه بشرعية الجمعية التأسيسية وسلامة الإجراءات، فإنه كان لمصلحة ليبيا، فهو يريد أن يُشعر الإنجليز بأن هناك قوةً وراء الليبيين تساندهم، وتحاسب الإنجليز، وتقتفي آثارهم وأعمالهم، وتطالب بالكثير إلى أن تنال البلاد حقوقها، وقال إن خطته مهاجمة بريطانيا في جميع المناسبات والبحث عن مواقع ضعفها لمحاربتها، وقال إن البلاد العربية لا تريد إلا الخير لليبيا، وعندما سُئل عن تصريحاته لصحيفة (التيمبو) الإيطالية، قال إن هدفه كسب الإيطاليين إلى جانب القضية الليبية كي يكسب العرب بذلك الكتلة اللاتينية، وتكلم خليل القلال، مشيراً إلى سياسة عزام الليبية وتمييزه في المعاملة بين الطرابلسيين والبرقاويين، فأجابه عزام باشا بأن للبرقاويين أصدقاء ومعارف في مصر في حين أن الطرابلسيين غرباء وجاء جميعهم من أجلي، كما اعترف بأنه حال دون دخول الطرابلسيين في الجيش السنوسي، لأن الأمير دخل الحرب دون قيدٍ أو شرط، وأن الجنرال ويلسون قد فاتحه (أي عزام) في هذا الأمر، ولكن الأخير طلب منه معرفة المقابل الذي تقدمه بريطانيا، وبعد ذلك ذهب ويلسون إلى الأمير الذي وافق على الاشتراك في الحرب دون أي وعدٍ بالمقابل، كما قال عزام باشا بأن الجيش السنوسي كان جيش مرتزقة حيث أن نصفه كان من المصريين، وأنه هو الذي مهّد لاستقلال ليبيا، إذ عندما وصلت القضية إلى الأمم المتحدة كان يعتبر هذا الاستقلال في جيبه، ثم دار نقاش حاد ولكنه واصل كلامه قائلاً: إذا سارت ليبيا في هذا الطريق، فإنها لن تستقل وسيظل الإنجليز فيها، فالاستقلال يجب أن يأتي من الأسفل لا من الأعلى، أي يبدأ من الشعب الذي سيكوّن جمعية تأسيسية نسبية صحيحة تقرر نوع الحكم والنظام، لا أن تبدأ بالملك ثم بالجمعية التأسيسية.

وكان هدف المخلصين من أبناء ليبيا إستخلاص الاستقلال أولاً ثم حل بقية المشاكل تدريجياً فيما بعد، أما عزام باشا فكان ومن ورائه حكومة الوفد، يسعون إلى تأجيل قضية ليبيا إلى ما بعد وصولها إلى حلٍ مع بريطانيا بخصوص قواعدها في مصر، التي كانت تؤمّل في نقلها إلى برقة وإجلائها عن مصر، ولذلك فإن كامل سليم مندوب مصر في لجنة العشرة كان يقوم بعرقلة الأعمال من أجل عدم الوصول إلى نتيجة، وكان يساعد في عمله التخريبي هذا كلٌ من سفير باكستان ومندوب طرابلس.

وأكد عزام باشا للوفد على أن هيئة الأمم لن توافق على الطريقة التي يتم بها الاستقلال الآن، وحرمان ليبيا من الدخول في عضويتها ما دام أساسها على هذه الصورة، وبعد نقاشٍ طويل وعنيف قال إنه سيعلن للصحافة بأنه لن يهتم بقضية ليبيا، ونشرت صحف الصباح أن الوفد الليبي قد فوّض عزام باشا بمتابعة القضية الليبية، وعاد الوفد إلى ليبيا وهو يشعر بأنه أدّى رسالته وكشف خطأ الجامعة العربية ومصر في معالجتها، وأصبحت القضية الليبية بالنسبة لمصر غير واضحة وغير مفهومة فالتصريحات تناقضها الأعمال.

وبعد عودتنا إلى ليبيا بدأت تظهر نتائج الزيارة للقاهرة، فقد كفّ سفير باكستان في مجلس العشرة عن المعارضة، كما أخبرني،علي الجربي، بأن مندوب مصر في لجنة العشرة،كامل سليم، منزعج ويبدو أن حكومته لم توافقه على كل ما فعله، كما أخبرني السفير الممثل لإيطاليا في مجلس العشرة أن سفيرهم في القاهرة كتب إليه يقول: (إن بشير السعداوي قوبل مؤخرا ببرود من قبل الحكومة المصرية)، ولا أعتقد أن الحكومة المصرية قد غيّرت سياستها تجاه استقلال ليبيا إلا أنها لا ترغب في أن تصل الأمور إلى هذا الحد من القطيعة مع برقة، فاستطاعت الجمعية التأسيسية مواصلة أعمالها رغم استمرار المعارضة الطرابلسية، والتي خفّت حدتها بعد أن أدرك الجميع بأن النظام الفيدرالي نظام مرحلي تتلوه الوحدة الشاملة.

وعند عودتي إلى بنغازي وجدت أن الدولة الجديدة تواجه مصاعب كثيرة، فبالإضافة إلى الخلافات القائمة بين الحكومة الإتحادية، والولايات، والقصر، فإن بشير السعداوي في طرابلس كان يقوم بعملٍ معادي للحكومة الإتحادية الجديدة، وإن الحكومة لا تملك القوة ولا الإمكانيات لفرض نفسها على البلاد ومقاومة إتجاهات السعداوي المعادية، فالإنجليز ما زالوا يسيطرون على البلاد وينفقون عليها، ولم تستلم الحكومة جميع السلطات بعد ولم تسيطر عليها كما يجب، فظلّ بشير السعداوي والمعارضين يعبثون بها كما شاءوا، وكان أملهم الوصول إلى تخريب عملية الاستقلال الجارية والعودة بالقضية إلى الأمم المتحدة من جديد. لقد كان موقف بشير السعداوي والمؤتمر في طرابلس أقوى من الحكومة المؤقتة التي لا تملك حولاً ولا قوة، وأصبحت الساحة مفتوحة أمامهم يتحركون كما يشاءون ويقولون ما يريدون دون أن يردعهم رادع أو يخشوا شيئاً.

قال المستر بلت يوم 1951/09/14م، بأن فرنسا تضغط على أهل فزان لكي لا يوافقوا على الإجراءات المتخذة، وقال إنه سيبذل جهوده في الأمم المتحدة لكي تغيّر فرنسا موقفها، وقال لي،علي الجربي، بعد عودته من لندن بأن هناك دلائل تشير إلى أن فرنسا سوف تعدّل موقفها قريباً، وهذا دليل على مبلغ الصعوبات التي كانت تواجه تنفيذ قرار الأمم المتحدة لاستقلال ليبيا، في الوقت الذي كان يجري فيه العمل من أجل وضع الجمعية التأسيسية لدستور ليبيا المستقلة.

كانت الأفكار في برقة مشتّتة بين قيام دولة برقاوية مستقلة وبين دولة ليبية موحدة، وكان المطالبون بالوحدة يخشون أن يكون الحكم الذاتي الذي منحته بريطانيا إلى برقة قد لا يتحول إلى استقلالٍ كامل، غير أن ما كان يطمئن الناس على المستقبل هو انتقال القضية إلى الأمم المتحدة وبداية معالجتها بصورة جدية متمنيين أن تؤدي إلى النتيجة المرجوة، وكان الأمل عظيماً في أن يستطيع المستر بلت تأدية مهمته الصعبة وإعلان إستقلال ليبيا في الوقت المحدد، إي قبل أول يناير عام 1952م، وقد سار بلت في طريقه دون أن يبالي بالمعارضين، وأتمت الجمعية التأسيسية وضع الدستور وانتهت من أعمالها بوضع الأسس الحقيقية لاستقلال ليبيا.

حسمت الجمعية العامة للأمم المتحدة الأمر يوم 17 نوفمبر عام 1950م، باتخاذها لقرار إستقلال ليبيا قبل أول يناير عام 1952م، وتشكيل حكومة مؤقتة قبل أول أبريل عام 1951م، وفشلت الوفود العربية في مساعيها من أجل أن تكون الجمعية التأسيسية منتخبة شعبياً ونسبياً، وهذا دليل على أن الدول العربية أو أكثرها قد عارض تشكيل جمعية تأسيسية معينة منذ صدور قرار الأمم المتحدة باستقلال ليبيا، ولو نجحت الدول العربية في مسعاها لفشلت عملية إستقلال ليبيا بسبب معارضة برقة التي ستسير في طريقها وتعلن إستقلالها وتوقع معاهدة مع بريطانيا، ولن تستطيع الأمم المتحدة تغيير الواقع وستؤيدها فزان في ذلك وتظل طرابلس في مهب الريح، فالدول العربية لم تراعِ مصلحة ليبيا بقدر ما كانت تراعي رغبات مصر التي لم تهتم بها لا قبل الاستقلال ولا بعده، ولم تقدم لها أي مساعدة مالية أو عينية. وقد إشترط الفرنسيون عقد اتفاقية مع ليبيا حول طريقة دفع مساعداتها لها، وقدمت دول كثيرة مساعداتٍ ماعدا الدول العربية باستثناء مصر التي ساعدت بالمدرسين والقضاة، ولم يبدأ إهتمام الدول العربية بليبيا إلا بعد اكتشاف البترول وتحسن أوضاعها الإقتصادية.

وعندما تشكلت الحكومة المؤقتة لم تعرف من أين تستمد رواتبها، إذ أن ميزانيات الإدارات البريطانية والفرنسية لا تتضمن باباً لمرتبات الوزراء والحكومة المؤقتة، وذهب بلت إلى الأمير لأخذ رأيه في الموضوع، فأشار عليه باعتبار الوزراء وموظفي الحكومة المؤقتة من الموظفين المحليين التابعين للولايات حيث يستمرون في تقاضي رواتبهم القديمة. وموضوع إيرادات الدولة الناشئة من المواضيع العسيرة التي واجهت بلت، وقد ركزت الدول العربية اهتمامها على الجمعية التأسيسية المنتخبة وتناسوا أن إستقلال ليبيا سواء كان فيدرالياً أو موحداً، وسواء كانت الجمعية منتخبة أو معينة، فسيظل هذا الاستقلال ناقصاً ما دامت الدول الكبرى هي التي ستتولى تمويل الدولة الوليدة وتفرض شروطها عليها، وقام المستر بلت هو ومساعدوه بزيارة الأمير بحضور عمر شنيب، وعلي العنيزي، ومنصور قدارة، وعلي الجربي، وقمت أنا بمراقبة الترجمة وكتابة المحضر وأنقل فيما يلي ما جاء في المحضر بخصوص الوضع المالي:

(بلت: في اجتماع جنيف بحثنا ميزانية الدولة المقبلة، واتضحت وجهات النظر المتباينة، فبريطانيا وفرنسا وإيطاليا كانت مواقفها واضحة في حين تغيبت مصر إذ كان وزيرها المفوض في جنيف بدون تعليمات، والذي أبرق إلى الوزارة طالباً تعليماتها فجاءه الرد بأن يحضر كمراقب، إلا أنه حضر بعد فوات الأوان،أما إنجلترا فأعربت عن إستعدادها لتغطية عجز الميزانية بالكامل على أن يكون لديها موظفون يشرفون على وزارة المالية وذلك وفقاً لمفاوضات واتفاقيات بين الطرفين، والغرض واضح فهي تريد الإشراف بحيث لا يزيد العجز في الميزانية عن المبلغ المقرر دفعه، أما أمريكا فوضحت مركزها بالمساعدة عن طريق النقطة الرابعة التي دفعت بموجبها مائة وخمسين ألف دولار، وأشارت إلى برنامج آخر للدفاع، وستطلب الحكومة الأمريكية من البرلمان إعتماد مليون ونصف مليون دولار لتطوير الإقتصاد، وحتى الآن لم يجرِ التصويت على هذا الاعتماد، وهذه المساعدة ليست للميزانية وإنما للتطوير الإقتصادي، ومشروعات الريَ، والصحة، وغيرها، فربما يُدفع جزء منها لمشروعات الحكومة، كما تريد الحكومة الأمريكية تعيين ممثل مقيم لها في ليبيا للإشراف على صرف هذه المبالغ، وتريد أيضاً عقد إتفاقية مع ليبيا أسوة ببريطانيا، أما إيطاليا فصرحت بأنها مستعدة للمساعدة في اقتصاد ليبيا شريطة أن تطلب منها ذلك، وشريطة التفاوض من أجل وضع اتفاق مباشر معها توضح فيه الحكومة القادمة أسباب

الحصول على المساعدات.

واستطرد بلت قائلاً: إن هذا المبلغ يُدفع للتطور الإقتصادي ويودع جزءٌ منه في وكالة مالية، ويقوم الأمريكيون بتمويل المشروعات التي يتفق عليها مع الحكومة، وقال: إن الإيطاليين سوف يدفعون ستمائة مليون ليرة أي ما يقارب المليون دولار، أما فرنسا فكانت أكثر الحاضرين غموضاً فهي تريد أن تستخدم مساهمتها لصالح فزان، والذي فهمته أنهم يريدون دفع مائتي مليون فرنك، وقد عارضت أنا والدكتور العنيزي دفع المبلغ رأساً إلى حكومة فزان، فوافقت فرنسا على دفع المساعدة مباشرة إلى الحكومة الليبية أو للوكالة المالية للتطور الإقتصادي، وفرنسا كغيرها من الدول قد تدفع جزءاً من المساعدة للمساهمة في الميزانية بصورة غير مباشرة، والفرنسيون أيضاً يريدون عقد اتفاقية حول طريقة دفع هذه المبالغ وإنفاقها، ويتضح من ذلك أن ليبيا ستتلقى المساعدة من أربع دول بموجب أربع اتفاقيات وأربع أغراض مختلفة، فالإنجليز يريدون سد العجز بمفردهم بينما تُصرف المساعدات الأخرى في أوجهٍ مختلفة، ويجب أن ندرك بأن هناك صلة بين التطور الإقتصادي والميزانية، فهناك مشاريع في الميزانية لا يمكن تحقيقها ما لم تصلها المساعدات الأخرى، وقد تستفيد بريطانيا أو تخسر قليلاً ما دامت هذه المشاريع في صالح البلاد.

الأمير: هل تسديد العجز يعني العجز المالي ولا يدخل ضمنه المشاريع التي سوف تحتاجها البلاد؟

بلت: لا أعتقد أن فرنسا وبريطانيا وإيطاليا، تقبل في الإتفاقيات تمويل جزءاً من مساعداتها للميزانية، لكن هذا الأمر ليس بالمهم ما دامت بريطانيا تعهدت بسد العجز في الميزانية بصورة مباشرة.

الأمير: يسأل عن تسديد العجز، هل هو عادي أم تدخل فيه المشاريع؟

بلت: ستكون هناك ميزانيتان، واحدة عادية، والثانية للتطور الاقتصادي تقوم بتمويلها الدول الثلاث، وربما تكون هناك حالة مشتركة بين الميزانيتين، فالصحة والمدارس مثلاً تكون في الميزانية العادية وتحتاج في الوقت ذاته إلى الميزانية الثانية، وعلى كلٍ فهذه المساهمة ستكون قليلة، وكما قال علي الجربي، إن مساعدة بريطانيا غير ثابتة وستتغير من عامٍ لآخر وفقاً

لاحتياجات البلاد، وهذه في صالح ليبيا لأن المرونة في حالة الخلاف تنصح بالزيادة، وعلى كل حال فالإنجليز يستطيعون دفع أي مبلغ مفتوح قبل عرضه على البرلمان، وهم يريدون تعيين موظفين للتأكد من أن الميزانية لا تتجاوز حدودها.

علي العنيزي يعود للسؤال: لماذا لا يُسدد عجز الميزانية من المبالغ المخصصة للتطور الاقتصادي؟

بلت: إذا ما تأكدتم أنتم بأن المساعدات الأخرى سوف تُستعمل في أغراضها فلا خوف عليكم، لأن الإنجليز سيحرصون على أن لا يكون لغيرهم نصيب في تسديد عجز الميزانية، وإن ما يقلقني وجود أربع إتفاقيات لا تنسيق بينها، فالإنجليز يرغبون أيضاً في المساهمة في ميزانية التطور الاقتصادي، وقد قَبلت ذلك بحيث تكون هناك وكالة، وصندوق ليبي، وتكون الكلمة الأخيرة لوزير المالية الليبي الذي سيكون إلى جانبه مستشار من الأمم المتحدة، إلا أن هذا الرأي لن يلقى قبولاً من أية دولة، فهددت بريطانيا بأنه إذا قبلت ليبيا سد عجز الميزانية، وقدمت إقتراحاً للوصول إلى إتفاق، وهو أن يكون للأمم المتحدة ممثل مقيم في ليبيا للإشراف على المساعدات الفنية وإسداء المشورة للحكومة الليبية، إلا أن هذا الاقتراح قد رفض أيضاً، وحاول الأعضاء مساعدتنا باقتراح بتعيين مراقب للأمم المتحدة لتقديم المشورة للحكومة، وقد عارض الإنجليز فكرة وجود أي مراقب غير الليبيين كما عارضت بريطانيا أيضا طلب ليبيا المشورة من الأمم المتحدة، إذ أن المهم من وجهة نظر الأمم المتحدة هو أن يكون هناك مستشار لتقديم المشورة وهذا المستشار سيُطلق عليه إسم الممثل المقيم للمساعدة الفنية، ويتم بموجب إتفاق ما بين ليبيا والأمم المتحدة ويُحدد عمله في إسداء المشورة إذا طُلبت منه.

الأمير: أي أنه مستشار غير مسؤول؟

بلت: إنه مسؤول أمام الأمين العام للأمم المتحدة، ومسؤول عن الاستشارات التي يقدمها، ويجب أن يُنص في الاتفاق على أن يكون للحكومة الليبية الحق في اختيار هذا المستشار.

الأمير: وللحكومة الحق في قبول أو رفض مشورته.

بلت: سيكون مركزه كمركزي، وسيقتصر على المسائل الاقتصادية والاجتماعية ولا يتدخل في الشؤون السياسية، والخلاصة أن فكرة إيجاد صندوق مالي تحت إشراف وزير المالية وبمساعدة مستشار دولي هي في صالح ليبيا، بيد أن المعارضة التي واجهتها كبيرة جداً، وقد طلب ممثلو الدول التعليمات من حكوماتهم وربما وصلوا إلى إتفاق.

الأمير: إن الذي ظهر من كل هذا وبغض النظر عن موضوع المستشار، فكلامي هذا لا يعبر عن رأي الحكومة أي الإتفاقيات بسد العجز والمساعدات الأخرى، ففي نظري أن ليبيا لن تقبل هذه المساعدات دون معرفة شروطها والأغراض التي ترمي إليها، فهذا العطف وهذا السخاء إذا كان فيه مساس باستقلال ليبيا وسيادتها فإننا سننظر في الأمر، وخيرٌ لهذه الدول التي ترغب في التصدق علينا أن تفصح عما بنيّتها من طلباتٍ إستراتيجية واقتصادية، فليبيا لا تطلب شيئاً من أحد وهي تستطيع تنسيق ميزانيتها على قدر إستطاعتها، وإذا ما احتاجت في المستقبل إلى مساعداتٍ فهي تطلبها على أساس المصالح المتبادلة.

بلت: لقد أفصحت هذا الأمر لرئيس الوزراء ولم يبدِ رأياً، وأجّل الموضوع إلى أن يستشير جلالتكم والوزارة وهو يحبّذ وجود مستشار دولي.

الأمير: موضوع المستشار يجب أن يقتصر على الاقتصاد ويبتعد عن السياسة، ويعطي رأيه عندما يُطلب منه دون أن تكون الحكومة ملزمة باستشارته، فلا مانع من وجوده.

علي الجربي يتساءل: هل من الممكن بحث الموضوع على أسس جديدة، وعلى ضوء كلام سموّ الأمير؟

الأمير: إن ما تقدمه الدول ليس بصدقة، وهي تريد المقابل، ويجب على الحكومة الليبية أن تبحث الأمر وترى هل مطالبهم أكثر مما يقدموه أو بالعكس؟

عمر شنيب: هل تملك الحكومة المؤقتة الحق في الدخول في اتفاقيات؟

بلت: إن الحكومات الأجنبية تفاوض الحكومة المؤقتة وقد تكون أعدت معاهدات للموافقة عليها بعد الاستقلال، حيث لا توجد صيغة شرعية للحكومة المؤقتة لرفض أو

تعديل هذه الاتفاقيات).

والغريب أن الدول المذكورة تستغل فقر ليبيا وحاجتها لتحقيق أغراضها ومصالحها، علماً بأن الدمار والخراب الذي لحق بها خلال الحرب كان من صنع هذه الدول وهي المسؤولة عنه، وهي اليوم تستغل ظروف ليبيا الصعبة لتذلّها وتفرض عليها قيوداً وشروطاً تحولها إلى محمية، وتُفقدها الاستقلال الذي حاربت في سبيله ثلاثين عاماً والذي إعترفت لها به الأمم المتحدة، وهذا في الوقت الذي إختفت فيه الدول العربية ولم يعد يظهر لها صوت بعد أن كانت تطالب بجمعية منتخبة لوضع الدستور ولم تتقدم بأية مساعدة مالية لليبيا، وعندما جاء وقت الإعلان عن المساعدات المالية تغيبت مصر وسكتت الجامعة العربية وأعضائها وتركوا مهمة مساعدة ليبيا مالياً على الدول الأجنبية، وكان تدخّل مصر وباكستان والعضو الطرابلسي في لجنة العشرة قد استمر من أجل عرقلة إتمام الإجراءات المؤدية بليبيا إلى الاستقلال تمشياً مع مصالح الحكومة المصرية، بينما كان المؤتمر الوطني في ذلك الوقت والذي يترأسه بشير السعداوي والكثير من التنظيمات السياسية تؤيد سير القضية بإشراف الأمم المتحدة.

وكنت أتواجد دائماً عند زيارة المستر بلت للأمير لمراقبة الترجمة وإعداد محضر لتقديمه للأمير، فالسيد بلت في اجتماعاته هذه بالأمير كان يحيطه علماً بجميع إتصالاته بالدول الكبرى وبزعماء طرابلس وغيرهم، وكان الأمير يناقشه في الأمور ويوجهه في بعض الأحيان، وفي إحدى هذه الجلسات تحدث بلت عن عزام باشا ومواقفه من القضية، فغضب الأمير وقال لبلت: إن عزام باشا لا دخل له إطلاقاً في قضية ليبيا ولا نقبل منه هذا التدخل، فالأمير في لقاءاته مع بلت كان يبدي ارتياحه لتطور الأوضاع، ويشير إليه بما يراه معرباً له عن رضاه وعدم قلقه بخصوصها.

إعلان الدستور

وافقت الجمعية التأسيسية يوم 7 أكتوبر عام 1951م على اتمام الدستور رغم كل الصعوبات والعراقيل التي واجهتها، وانتقلت الجمعية التأسيسية بكامل أعضائها إلى بنغازي لمقابلة الأمير وتقديم صورة من الدستور إليه، وأخذ الأمير صورة تذكارية مع أعضاء الجمعية، واحتفلت بنغازي بهم وعمّ السرور أرجائها، ورأيت الأمير منشرحاً، بادياً عليه الارتياح للوصول إلى هذه النتيجة رغم الصعاب والعراقيل، ومعارضة مصر والجامعة العربية للإجراءات التي تم بموجبها إتمام الدستور وإعلانه، وشكّل بلت أول حكومة ليبية مؤقتة برئاسة محمود المنتصر، كما تشكلت في طرابلس حكومة محلية برئاسة فاضل بن ذكري، وبدأ يظهر دور أمريكا واضحاً في بسط نفوذها على ليبيا، والضغط على فرنسا وبريطانيا لقبول ما تريده وعدم وضع العراقيل في وجه استقلال ليبيا.

وقامت خلافات حول العاصمة بين برقة وطرابلس، واشتد الخلاف حتى كاد أن يقضي على كل ما أُنجز، فالطرابلسيون يصرّون على أن تكون العاصمة طرابلس بينما البرقاويون يصرون على أن تكون العاصمة بنغازي، وعند اشتداد الأزمة تدخل الأمير وحلّها، وذلك بإقامة عاصمتين واحدة في بنغازي والأخرى في طرابلس، وأن تتناوب الحكومة الإتحادية الإقامة في هاتين العاصمتين.

وبإعلان الدستور والمناداة بالأمير إدريس ملكاً على ليبيا أصبحت الأمور ممهدة لإعلان إستقلالها، وفي يوم 24 ديسمبر عام 1951م أُعلن استقلال ليبيا، وقد تلقيت النبأ وأنا في باريس فبكيت من الفرح لرؤية بلادي حرة مستقلة كبقية بلاد العالم، وتلقّت فرنسا وغيرها من الدول الأوروبية نبأ إستقلال ليبيا باستهزاءٍ واستغراب، فقال بيدو رئيس وزراء فرنسا: (كيف يعقل أن يكون لفرنسا وليبيا مقعدان متساويان في الأمم المتحدة؟)، وكتبت إحدى الصحف الفرنسية تقول: (إن استقلال ليبيا عبارة عن وجود منزلٍ خلّفه الإيطاليون في الصحراء، فرفع عليه الملك علمه وأعلن الاستقلال)، وكتبت صحيفة أخرى تقول: (إن تسعين في المئة من سكان ليبيا مصابون بمرض العيون (التراكوما))، وقد دعاني فتحي الكيخيا للذهاب إلى مسرح فرنسي كوميدي، وعندما جلسنا في المسرح ورُفعت الستارة قال أحد الممثلين موجهاً كلامه إلى الجمهور: (هل تعلمون ما هي أكبر مهزلة حدثت اليوم في

العالم؟ إنها إستقلال ليبيا)، ولا ندري ما سبب هذا الهياج الفرنسي لاستقلال ليبيا، ولعلها الخشية من تأثير هذا الاستقلال على دول شمال أفريقيا الخاضعة للحكم الفرنسي والتي ستطالب باستقلالها أسوةً بليبيا.

ولم يُسجَّل أي فرح أو سرور باستقلال ليبيا في أي بلدٍ عربي وكأن الدولة المستقلة ليست بدولة عربية ولا يهمهم أمرها، فمصر والجامعة العربية وعزام باشا واصلوا حملتهم ضد استقلال ليبيا، وبورقيبة من تونس استغرب منح الاستقلال لليبيا المتخلّفة ومنْعِه عن تونس، وقوبل الاستقلال داخل ليبيا ببرودٍ وعدم اهتمام وخاصةً في طرابلس حيث واصل المؤتمر الطعن في شرعية الاستقلال.

ومع ذلك فقد ابتهج لهذا الاستقلال كل من عرف جهاد ليبيا الطويل ضد إيطاليا، وأعلن راديو القاهرة مساء يوم 24 ديسمبر بأن ليبيا غداً ستصبح دولة مستقلة تحت تاج الملك إدريس الأول، كما أذاع راديو روما أن السلطات البريطانية والفرنسية قد أبلغتا الأمم المتحدة بأنهما قامتا بتسليم جميع السلطات إلى الليبيين. لقد تحقق الحلم وأصبحت لنا دولة، وعلم، ووطن، وجواز سفر، بعد أن كنا في العدم، إلا أن صدى إعلان الاستقلال كان ضعيفاً داخل ليبيا، ففي طرابلس كانت هناك معارضة وعدم رضا، ولم يُحتفل بهذا الاستقلال في أي مكان وكأنه كان استقلالاً لدولةٍ أخرى، وفي برقة قوبل أيضاً ببرود ولم تُقم احتفالات ولا مظاهرات احتفاءاً بهذا العمل التاريخي العظيم.

ونشأت الدولة الجديدة في جوٍ من الكآبة وعدم الرضا وخاصةً في طرابلس، وتشكلت حكومة ليبيا المستقلة برئاسة محمود المنتصر وعضوية وزراء من طرابلس وبرقة وفزان، واستقرت الحكومة الإتحادية في طرابلس وبدأت تباشر أعمالها وصلاحياتها المتعلقة بالشؤون الخارجية، والمالية، والتعليم، والمواصلات، والدفاع، أما الشؤون الداخلية وما يتعلق بالشعب الليبي فهو من صلاحيات الولايات، وبدأت الخلافات بين الحكومة الإتحادية والولايات حول اختصاصات كل منهما، وهكذا وُلدت الدولة الجديدة ووُلدت معها الخلافات والمشاكل بينها وبين الولايات وبينها وبين رجال القصر، فكان رئيس الحكومة عند حدوث أي خلاف بينه وبين الولايات يلجأ إلى الملك طالباً مساعدته، والذي كان يشير عليه في حدود إمكانياته دون أن يتعرض لما نصّ عليه الدستور، وسارت الدولة في طريقها بفضل

قيادة الولاة المسيطرين على الأمور، في حين ظلت الحكومة الإتحادية تتخبط وتبحث عن مزيدٍ من الصلاحيات، وسارت الأمور المالية على ما يرام، وسدّت الميزانية إحتياجات ليبيا التي بدأت ببطء في دورة إنعاش وتعمير وبناء وفقاً لإمكانياتها وما تمدها به الدول الكبرى، فتوسعت في إنشاء المدارس وتعليم أطفال الليبيين، وشرعت في إصلاح مدينة بنغازي المدمرة وإصلاح الدوائر الحكومية، والسير تدريجياً نحو التطور وتخطي مرحلة الدمار والخراب الذي أصاب البلاد، وكانت المشاكل والطلبات كثيرة لا تستطيع الحكومة مواجهتها بسبب قلة الأموال، ولكنها وفقاً لإمكانياتها ولما يصلها من الدول الكبرى إستطاعت أن تزيل الغبار عن مدينة بنغازي وأن تصلح ما أمكن إصلاحه، وأن تؤمن لها الكهرباء وجزءاً من المياه، أما الدمار الذي أُصيبت به المدينة فسيظل قائماً حتى فترة أخرى.



حفل استقبال اقامه وزير خارجية بريطانيا على شرف الوفد الليبي بعد موافقة الأمم المتحدة على استقلال ليبيا.

رحلتي إلى باريس

في عام 1950م، إختارتني الأمم المتحدة للذهاب إلى باريس للتدرب على الشؤون الدبلوماسية في وزارة الخارجية الفرنسية، وكانت الأمم المتحدة قد قررت إختيار عناصر شابة من برقة وطرابلس لإرسالها إلى باريس ولندن للتدرب على مختلف الشؤون، فوقع الإختيار عليّ للسفر إلى باريس للتدرب على الشؤون الدبلوماسية، وعلى عبد الرازق شقلوف للسفر إلى لندن للتدرب على الشؤون المالية.

وقد رحب بي الفرنسيون وأعدوا لي برنامجاً شاملاً تضمّن العمل في جميع أقسام الوزارة، فكنت أتنقل من قسمٍ إلى قسم، وكان رئيس القسم يطلعني على الملفات ويشرح لي طريقة سير العمل بقسمه ويكلفني ببعض المهام لأقوم بها، كما كان هناك وزير مفوض يشرف على تدريبي ويتلقى التقارير التي أعدها عنها، وعندما وصلت قسم الشرق الأوسط اعتذروا لي عن عدم إمكاني العمل به والاطّلاع على ملفاته، ثم ألحقوني لمدة شهر بمدرسة الإدارة الوطنية وهي أعلى مدرسة في فرنسا يتخرج منها الدبلوماسيون ورجال المالية، فاستقبلني مديرها بترحاب كبير ووضعني بين طلبة الفصل الأخير، ثم سافرت مع طلبتها إلى بلجيكا للإطّلاع على المنظمات الدولية، كما أطلعونا على نظام الوحدة الأوروبية والذي كان في بدايته، وقد بدأ الاتفاق على توحيد التعريفة الجمركية لبعض المواد وكانت هذه بداية الوحدة الأوروبية، كما أطلعونا على نظام ميناء أنفيرس وكيفية العمل به، وأطلعونا أيضاً على أعمال الغرفة التجارية البلجيكية، وعلى مختلف المؤسسات الدولية الموجودة في بروكسل، وبعد عودتنا إلى باريس إصطحبونا لزيارة معرض ليون المهم إقتصادياً، كما قامت وزارة الخارجية الفرنسية بإعداد برنامج لتدريبي على الشؤون القنصلية، فأرسلوني لأتدرب في قنصليتهم العامة في بروكسل والتي لبثت فيها عدة أيام لأتدرب على أعمالها، وقد دعاني سفير فرنسا في بروكسل إلى الغداء في منزله والذي كان قد دعا إليه عدداً من كبار الفرنسيين الزوار، كما دعاني مستشار السفارة إلى الغداء أيضاً، وقد احترموني غاية الاحترام.

إستفدت من رحلتي إلى بروكسل في الاطّلاع على سير الأعمال القنصلية، وما يلازم هذه الأعمال من مشاكل وقضايا تتعلق بالمواطنين الفرنسيين المقيمين في بروكسل، وعدت إلى باريس لمواصلة تدريبي بوزارة الخارجية الفرنسية، وكانت باريس في تلك الفترة في أبهى

حلتها، وكان الكثير من الأثرياء يأتون إليها وخاصةً الأمراء السعوديين وأثرياء مصر، وقد قرأت في إحدى الصحف بأن المصريين الذين زاروا فرنسا في ذلك العام كان عددهم خمسةً وستين ألف شخص، وكانت لا تمر سيارة فارهة بشوارع باريس إلا وهي تحمل أرقام القاهرة، فالمصريون ينفقون ببذخٍ أكثر من أي سائح آخر يزور فرنسا، وكانت قهوة السلام المكان المفضل لجلوس المصريين، وكنت أقيم في الفندق الذي بقربها والذي كان يقيم فيه أيضاً الأستاذ محمد عبد الوهاب، فكنت أزوره بين الحين والآخر، كذلك ارتبطت بصداقة (الأمير مساعد بن سعود) والذي كان يقيم أيضاً في الفندق ذاته، كما تعرفت خلال إقامتي في باريس على كثيرٍ من العرب والشخصيات الفرنسية.

وكانت أخبار ليبيا تصلني وأعرف من خلالها أوضاع البلاد في بداية عهد استقلالها، إذ كانت الأمور تسير ببطءٍ وهدوء رغم بداية وجود بعض الخلافات، وقد إستقر الملك في بنغازي بالرغم من كون طرابلس هي العاصمة الأولى.

إستغرقت دورتي في باريس ثمانية أشهر، وقد استفدت منها فائدة كبيرة إذ تحسنت لغتي الفرنسية وازدادت معلوماتي الدولية وخبرتي في معالجة القضايا الخارجية، كما أفادتني هذه التجربة عندما توليت وكالة الخارجية أولاً ثم وزارة الخارجية فيما بعد. وعندما كنت في باريس عقدت الأمم المتحدة دورة خاصة فيها واتخذت قصر شايّوه مقراً لها، وقال لي المسؤول عن تدريبي في وزارة الخارجية بأن مجيء الأمم المتحدة إلى باريس فرصة لأتدرب على شؤونها، وقرر ضمي إلى الوفد الفرنسي المشارك في اجتماعاتها، واستعدّت باريس لهذا الحدث مرحبةً بالوفود الذين جاؤوها من كل مكان والتي ملأت فنادقها ومطاعمها ومقاهيها، وبدأت أذهب مع الوفد الفرنسي إلى هيئة الأمم لحضور الاجتماعات والاستماع إلى المناقشات، وكان أعضاء الوفد كثيراً ما يشرحون لي ما خفي عني، وصادف أن كانت قضية ليبيا ستُبحث في هذه الدورة ويُتخذ القرار بالموافقة على استقلالها أو رفضه، وعندما حان وقت مناقشة القضية الليبية جاء وفدٌ من ليبيا برئاسة محمود المنتصر، وعضوية فتحي الكيخيا، وعلي العنيزي، ومنصور قدارة، وأبوبكر أحمد، وعوني الدجاني، وقد قابلت الوفود العربية الوفد الليبي ببرود بل أن عبد المنعم مصطفى ممثل مصر عندما تحدث أمام الجمعية العامة، إعتبر ما حدث في ليبيا غير شرعي لعدم إجراء إنتخابات حرة لاختيار جمعية تأسيسية لوضع الدستور، وتحديد نوع الحكومة، كما هاجم أعضاء الوفد الليبي واتهمهم بأنهم عملاء

لبريطانيا التي أعدت لهم حتى الخطاب الذي ألقوه، وقام الوفد المصري وعزام باشا بنشاطٍ بين الوفود من أجل عدم الموافقة على استقلال ليبيا المعلن، وألقى فارس الخوري رئيس وزراء سوريا خطاباً أمام الجمعية أشاد فيه بجهاد الشعب الليبي واستحقاقه للاستقلال، كما ألقى كلمة مماثلة أحمد الشقيري، وتحدث مندوب العراق فاضل الجمالي مؤيداً استقلال ليبيا وألقى الوفد الليبي كلمة بليغة عبّر فيها عن جهاد ليبيا وتضحياتها من أجل الحصول على هذا الاستقلال وطالب الأمم المتحدة بالموافقة عليه، وكانت الوفود العربية منقسمة على نفسها، ففريق يؤيد إستقلال ليبيا، وفريق يجامل مصر ويقف في صفها، أما بقية الدول فقد رحبت باستقلال ليبيا واعتبرته إنجازاً كبيراً من إنجازات الأمم المتحدة.

وكان عزام باشا يبذل جهده في دفع الدول إلى عدم الموافقة على الاستقلال، وقد إتصل بوزير خارجية روسيا طالباً منه معارضة هذا الاستقلال، فرفض الوزير ذلك، أما مندوب مصر عبد المنعم مصطفى فقد هاجم باستمرار الاستقلال الليبي ووصفه بغير الشرعي، وقال: إن بريطانيا هي التي دبرت كل شيء في سبيل مصالحها بينما يرفض الشعب الليبي هذا الاستقلال ولا يتقبله.

حاول مندوب مصر بحث القضية قبل إعلان الاستقلال في الوقت الذي كانت فيه الأحوال في ليبيا متدهورة، وقرأ برقيةً من بشير السعداوي يطعن فيها شرعية كل ما تمّ حتى الآن، وفي يوم 23 يناير عام 1952م بحثت اللجنة السياسية بند ليبيا، وتحدث العديد من ممثلي الدول فأعربوا عن سرورهم باستقلالها وهنئوا شعبها وتقدموا إلى المستر بلت بالتهاني، وهو الذي استطاع أن يحقق قرار الأمم المتحدة رغم الصعوبات والعراقيل التي واجهته وذلك في الموعد الذي حددته الأمم المتحدة، وانتقد البعض الطريقة التي تم بها وضع الدستور، إلا أن الأكثرية كانت ترى أن الاتفاقيات التي ستعقدها ليبيا مع أمريكا وفرنسا وبريطانيا تمثل قيوداً على الدولة الجديدة، وارتئوا تشكيل جهاز خاص يتقبل المساعدات وينفقها وفقاً لحاجة ليبيا، وكان مندوب مصر أكثر المتكلمين انتقاداً وتهجماً على استقلال ليبيا وخاصةً الطريقة التي وُضع بموجبها الدستور والنظام الفيدرالي، واتهم الإدارة البريطانية بالتدخل وكتم الأصوات ومنع مظاهرات الاحتجاج، كما اتهم بريطانيا بأنها تعمل على استمرار التمتع بقواعدها القائمة في ليبيا، ومعارضتها الاقتراح المعروض الذي يتضمن دعوة الدول القادرة على تقديم المساعدات إلى ليبيا في إطار برنامج إنمائي متكامل، ومن خلال قنوات الأمم

المتحدة وذلك للحيلولة دون المساعدات الفردية.

وبعد نقاش قصير وافقت الأمم المتحدة على استقلال ليبيا، وأقام المستر سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا حفلاً كبيراً على شرف الوفد الليبي دعا إليه جميع الوفود، وقد أدلى عزام باشا بحديثٍ لصحيفة التيمبو الإيطالية بتاريخ 5 يناير عام1951م، جاء فيه: (إن دستور دولة ليبيا الجديدة يجب أن ينص على تشكيل جمعية وطنية منتخبة إنتخاباتٍ حرة من الشعب بالنسبة العددية، وإذا لم يتّبع، فنُظم الدولة الجديدة ستقوم على أُسسٍ زائفة ولن يكون في استطاعتنا الاعتراف بها، وإن الجمعية التأسيسية وفقاً للطريقة التي تأسست بها وبدون تصويت شعبي يمثل جميع المناطق بحيث أنها لا تتناسب مع عدد السكان، فهي لا تمثل إلا جمعاً من الأفراد ولا نستطيع الاعتراف بقراراتها لأنها جمعية غير شرعية، وقد شعرت واشنطن مؤخراً بأن الجامعة العربية لا تسمح بوجود دولة بين أعضائها قائمة على أسسٍ غير شرعية).

وبقيت أنا في باريس أواصل عملي في وزارة الخارجية الفرنسية وفي المدرسة الوطنية العليا، وقد حضرت تقديم أوراق إعتماد سفير لرئيس الجمهورية الفرنسية، ووقفت مع الوفد الفرنسي خلال عملية الاحتفال بتقديم أوراق الاعتماد، وقد حيّاني رئيس الجمهورية تحية طيبة.

كانت باريس خلال إقامتي فيها لا تزال متأثرة بالحرب وما جرى عليها من مشاكل، فقد إحتلها الألمان بضع سنوات وسادوا فيها وفعلوا ما يشاءون، إلا أنها لم تتأثر بالحرب ولم تتضرر مبانيها ولا معالمها وظلت كما هي، فاستأنفت حياتها المرحة وفتحت أبواب النوادي الليلية والمسارح وجميع وسائل الترفيه، وكانت باريس بعد الحرب قد إستعادت أنفاسها، وتقاليدها، وعاداتها، وتدفق عليها الزوار من كل مكان وخاصةً الزوار العرب وفي طليعتهم الزوار السعوديين، ولا يعرف معنى الحرية من لم يعش في فرنسا ويستنشق هواء الحرية الحقيقي، ففي باريس ازدادت معرفتي ومعلوماتي وتعودت على حياتها الجميلة، وقد لبست باريس في ذلك الوقت حلة رائعة وكأنها تريد استعادة ما فقدته أيام الحرب.

وعندما كنت في باريس توفي الملك جورج ملك بريطانيا، فوصلتني برقية من عمر شنيب يقول لي فيها بأن الملك قد أنابني لتمثيله في جنازة الملك جورج، واندهشت للطلب

لأنه من المفروض أن يمثل الملك في هذه المناسبة ولي العهد، أو رئيس الوزراء، أو رئيس مجلس النواب، وكان موجوداً في باريس فتحي الكيخيا، وعلي العنيزي، فأنابهما رئيس الوزراء لتمثيل الحكومة الليبية في الجنازة. فذهبت إلى محل تأجير الملابس وأخذت منه الملابس اللازمة لحضور الجنازة، ثم سافرت إلى لندن ونزلت في فندق دورشيستر المعروف، ولم يقابلني أي شخص من طرف الحكومة البريطانية في المطار، إذ جئت منه إلى الفندق في سيارة أجرة، غير أنه زارني في الفندق مندوب من وزارة الخارجية وأعطاني صورة من البرنامج وقال لي بأنه سيأتي لاصطحابي إلى مكان الجنازة، وفي اليوم التالي جاء المندوب وصحبني إلى قصر (بكنجهام) حيث قام بتعريفي عن مكاني حسب ترتيبات البروتوكول، فوجدت إلى جانبي حافظ وهبة سفير السعودية في لندن الذي كان يمثل الملك سعود. وتحرك الموكب الجنائزي مخترقاً أهم شوارع لندن، وكان الجنود مصطفين على جانبي الشارع لتأدية التحية لملكهم الراحل، وأخيراً وصلنا محطة ڤيكتوريا حيث طُلب من رؤساء الدول وممثلي رؤساء الدول السفر في القطار الذي يحمل النعش إلى ويندسور حيث سيوارى جثمان الفقيد، وكانت الساعة قد تجاوزت الثانية بعد الظهر ولم نتناول طعاماً غير أنه في القطار قدم لنا فنجان قهوة وبعض البسكويت، وكان معنا في القطار أعضاء الأسرة المالكة الذين رأيناهم يتناولون نفس ما قُدم لنا، وفي ويندسور ذهبنا إلى الكنيسة وجلسنا لنرى آخر الإعدادات للدفن إذ وُضع النعش فوق مسرح ثم فجأة رأيناه يهبط ويختفي، وانتهت مراسم الجنازة وعدنا إلى مكان إقامتنا.

انتهاء مهمتي في باريس

عدت إلى ليبيا فوجدت الأوضاع متطورة، وكان الجميع فرحين بالاستقلال باستثناء بعض الفئات في طرابلس، وقد أعربت هذه الفئات عن غضبها خلال عملية الانتخابات التشريعية، فهاجمت مراكز الاقتراع وأتلفتها ووقع بينها وبين قوات الأمن صداماً مسلحاً سقط فيه قتلى وجرحى، وأُبعد بشير السعداوي عن البلاد بصفته مواطناً سعودياً، وكان محمود المنتصر يتولى منصب رئيس الوزراء وهو يفكر بعقلية حديثة في إدارة حكم البلاد، وكان فاضل بن ذكري والياً لطرابلس، وحسين مازق والياً لبرقة، وأحمد سيف النصر والياً لفزان، ووجدت أن رجال القصر غير راضين عن رئيس الوزراء، والأخير غير راضٍ عن الولاة، والولاة كانوا أسعد الجميع لأن معظم السلطات في أيديهم ويكونون شبه حكومات مستقلة، وقامت خلافات حول توزيع الاختصاصات بين الولاة، والحكومة الإتحادية، وصلاحيات الملك، والجمعية الوطنية، والإدارات، وكثير غيرها من المشاكل التي تمّ التفاهم عليها أو أُرجئ حلها إلى وقتٍ آخر، وقد تدخل الملك شخصياً في حلّها.

هذا في الوقت الذي استمرت فيه معارضة مصر والمؤتمر الوطني، وكانت العقبة الكبيرة التي واجهت الدولة الوليدة مشكلة التمويل، إذ ستقوم فيها أربع حكومات، وأربع مجالس نيابية، ومجلس شيوخ، وثلاث قوات شرطة، وجيش، وشرطة إتحادية، وهي التي لا يتجاوز دخلها الذاتي المليوني جنيه، هذا بالإضافة إلى الخلافات، والمتناقضات، والتنافس، وتغلب المصلحة الخاصة على مصلحة البلاد، وتناسى الجميع أن هذا الاستقلال عبارة عن قرار يُسحب إذا ما فشل الشعب الليبي في تحقيقه.

وفي الواقع فصلاحيات رئيس الحكومة الإتحادية تنحصر في الشؤون الخارجية، والمواصلات، والمالية، والمعارف، والدفاع، أما بقية الصلاحيات فهي بيد الولاة، وكان رئيس الوزراء يشكو من هذا الوضع ويريد أن يستولي من الولايات على مزيدٍ من الصلاحيات وفقاً للدستور حسب نظره، وبدأ الصدام بين الولاة ومحمود المنتصر، وبينه وبين رجال القصر، فاستطاع محمود المنتصر في الفترة التي تولى فيها الحكم تنظيم الحكومة والوزارات التي بدأت أعمالها بصورة جدية، واستعان في تكوين حكومته الجديدة بعناصر من برقة وطرابلس عملوا في السابق في الإدارتين الإيطالية والبريطانية، وقد تكوّن مجلس النواب ومجلس الشيوخ

وبدأت الحياة النيابية في عملها بحضور رئيس الحكومة الإتحادية وأعضاء حكومته، وتكوّنت في مجلس النواب معارضة من بعض نواب برقة وطرابلس الناقمين على الوضع السياسي، كما قامت المعارضة بعملها خير قيام، وخاصةً عندما عُرضت الإتفاقية البريطانية الليبية التي عارضها الكثير من النواب، وكان عمل مجلس النواب يقتصر على صلاحيات الحكومة الإتحادية ولا يصل إلى الولايات التي كانت تتمتع بمجالسها التشريعية وبنظامها المتكامل، فالملك في تلك الفترة كان يحاول الحفاظ على التوازن ما بين الحكومة الإتحادية والولايات، إلا أنه كان يتأثر بما تخبره به حاشيته أو بما كان يقوله سفيرا أمريكا وبريطانيا اللذين كانت لهما آرائهما الخاصة، أما محمود المنتصر فكان معتزاً بنفسه ولا يستطيع أن يعمل والمؤامرات تُحاك من حوله والحاشية الملكية تطالب بإقصائه، فإسناد رئاسة الوزارة إليه قد أحدث بعض المعارضة في برقة وطرابلس من المجاهدين والمهاجرين، الذين كانوا يرون أنهم أحق منه في تولي رئاسة الوزارة بسبب جهادهم وماضيهم الوطني المعروف.

وإحقاقاً للحق فقد كان محمود المنتصر وطنياً غيوراً ورجلاً شريفاً نزيهاً وحريصاً كل الحرص على مصلحة بلاده، وقد اضطر في نهاية الأمر إلى تقديم استقالته بعد أن تعذر عليه السير في العمل في الأوضاع السائدة، فرفض الملك قبول الاستقالة، وظل المنتصر معلقاً إلى أن فوجئ في أحد الأيام بإعلان الملك قبول استقالته وتعيين محمد الساقزلي في مكانه.

كانت أغلبية الشعب الليبي راضية عن الإستقلال، ويقولون بأن الزمن يصحح الأخطاء، فالغريب أن الجميع يعلم بأن الأمم المتحدة لا تملك الحق في فرض حلٍ لا يريده الشعب البرقاوي، ومن المعلوم أنه لو حلّ أول يناير عام 1952م ولم يتحقق الاستقلال، فستعود القضية من جديد إلى الأمم المتحدة وتعود إلى المساومات الدولية، وقد لا تحصل على استقلالها ووحدتها مرة ثانية، وفي هذه الحالة فإن برقة تكون قد تحصلت على استقلالها وكونت دولتها، وتصبح الوحدة حلماً بعيد المنال.

وقد عدت إلى عملي مع الملك وكنت قريباً منه فرأيته في هذه الفترة مهموماً وكثير التفكير ولكنه لا يفصح عما بداخله، فهو يعالج المشاكل القائمة ما بين الحكومة، والولايات، والحاشية، بحرصٍ شديد، وإيجاد تفاهم وعمل مشترك ما بين جميع الأطراف، إلا أنه ربما في قبوله إستقالة محمود المنتصر قد يكون سببها تأثير وضغط حاشيته عليه، فمحمود

المنتصر قاد الحكومة الإتحادية في بداية تكوينها بمقدرة وجهد كبير، إلا أنه كان قليل المرونة في اتصالاته بالولاة ورجال القصر ليؤمّن تعاونه معهم، وتبعاً لذلك فقد سجل ذهاب محمود المنتصر بداية عدم الاستقرار للحكومات الليبية وتغيرها بسرعة، لا وفقاً للمصلحة العامة وإنما في الغالب لعوامل شخصية، وظل الملك بعد استقالة محمود المنتصر يكنّ له كل التقدير والإحترام، أما محمد الساقزلي فكان خير من تولى رئاسة الحكومة الإتحادية لنزاهته وقدرته وغيرته على تحسين أوضاع البلاد وتقدمها.

وافقت الأمم المتحدة على استقلال ليبيا، وبدأت معها مرحلة جديدة تتلخص في مبلغ المساعدات التي قدمتها الأمم المتحدة إليها في جميع المجالات، في حين تولت بريطانيا سد عجز الميزانية الذي يقارب الأربعة ملايين جنيه، فعينت مستشاراً مالياً مقيم في طرابلس ليراقب وضع الميزانية وصرفها، وقامت أمريكا بالمساهمة في التطور الإقتصادي وأنشأت النقطة الرابعة لهذا الغرض.

كانت البلاد هادئة والأمن مستتب، وبدأت الأسواق في الإنتعاش، وتكاثر عدد الموظفين في الدوائر الحكومية، وبدأت ليبيا تتطور وتأخذ مظهر الدولة المستقلة، فعينت الدول الكبرى سفراء لها في ليبيا وكذلك فعلت مصر، وبدأت ليبيا تفكر في فتح سفارات ليبية في عواصم الدول الكبرى، إلا أن الأوضاع المالية والبشرية كانت سبباً في تأجيل هذا القرار إلى فترةٍ لاحقة، وتلاشت الصراعات القديمة ما بين الإتحادية والوحدويين، والملكية والجمهوريين، وأصبحت هذه الصراعات في حكم الماضي، وجاءت عائلات الضباط البريطانيين لتقيم في بنغازي وكانت في حاجةٍ إلى سكن، فهب سكان المدينة لإصلاح ما تهدم من بيوت وإعدادها لسكن البريطانيين، فساهم ذلك مساهمة فعالة في إعادة بناء المدينة وانتعاش الاقتصاد المحلي، علماً بأن معظم العقارات الإيطالية في المدينة قد اشتراها وطنيون، فرمموها وأصلحوها وجعلوها قابلة للسكن، وبذلك عاد منظر المدينة إلى سابق عهده وبدأت تتلاشى عنها آثار الحرب.

أحضر الأمريكيون أسر ضباطهم إلى طرابلس وكانوا في حاجةٍ لمساكن، فقام المواطنون بإعداد مساكن جديدة بالإضافة إلى القديمة لتأجيرها للأمريكيين الذين امتلأت المدينة بهم، فأنعشوا اقتصاد مدينتهم وأسبغوا عليها مظهراً جديداً غير مألوف، فدبّت الحياة

في المواطن الطرابلسي وانتعش الاقتصاد بعد أن كان راكداً لسنين طويلة، وفي برقة كان هناك عامل غير متوقع عمل على إنعاش الاقتصاد وخلق مصدر جديد للدخل، وهو مخلفات الحرب المتراكمة في الصحراء من سيارات ومصفحات ودبابات ومختلف قطع الحرب الأخرى، فكان المواطنون يذهبون إلى الصحراء ويأتون بالسيارات وبالنحاس والحديد لبيعه للمصدرين، وكوّنت هذه المخلفات دخلاً هاماً لهم في بداية الاستقلال واحتياج البلاد.

إنتظمت المدارس في كل ليبيا وزاد عدد التلاميذ والفضل في ذلك يعود لمصر التي أرسلت أعداداً كبيرة من المدرسين لتعليم الليبيين، فانتشرت المدارس في كل مكان وزاد الإقبال عليها، وتأسست مدارس داخلية لأبناء القرى التي في الدواخل، فكان التلميذ يحظى بمسكنٍ و طعامٍ بالمجان من الدولة بالإضافة إلى خمسة جنيهات منحة شهرية، في الوقت الذي كانت تتراوح فيه مرتبات الموظفين ما بين خمسة، وعشرة جنيهات، وكانت الحكومة المصرية تدفع أجور المدرسين الذين كانوا يعملون في ليبيا في حين كانت الحكومة الليبية تتكفل بسكنهم ورعايتهم الصحية، واستمر إهتمام الحكومة بتشجيع التعليم وتوسيعه وفتح مدارس في القرى والمدن البعيدة، وكان التعليم في تطورٍ متزايد إذ تم تأسيس المدارس الثانوية والجامعة، أما الصحة العامة فقد تطورت بإحضار أطباء جدد وتحسين الخدمات في المستشفيات والعيادات، وكانت طرابلس أفضل حظاً من بنغازي في الخدمات الصحية، إذ بقي فيها عددٌ كبير من الأطباء الإيطاليين الممتازين الذين قاموا بمهامهم في مستشفياتها خير قيام، فطرابلس تستحق بحق أن تكون عاصمة ليبيا إذ كان يقيم في المدينة آلاف الأسر الإيطالية والأمريكية وأجانب من جنسيات مختلفة، والذين أعطوا المدينة مظهراً حضارياً وجعلوها في مقدمة مدن شمال أفريقيا، في حين كانت بنغازي العاصمة الثانية لليبيا تفتقر إلى المكاتب التي تعمل فيها الحكومة وإلى المساكن لموظفيها، فكان كل شيء فيها بسيط ويحمل آثار الحرب والمعاناة، ولذلك فقد إستقرت وزارات الحكومة الإتحادية في طرابلس وباشرت أعمالها دون أية صعوبة.

زال الاكتئاب عن مدينة بنغازي واتسع نشاطها الاقتصادي، وزادت الحركة في شوارعها إذ كثرت السيارات وتحسنت المواصلات، وبدأت المدينة تدريجياً تأخذ مظهرها القديم، وظلت البطالة قائمة بين بعض الفئات، واكتفت الحكومة بالموظفين نظراً لعدم وجود مؤسسات إقتصادية ولا تنظيمات إجتماعية، فقد ساهم هذا في عدم إستيعاب اليد العاملة

الزائدة، إلا أن العاطلين كانوا يجدون الوسيلة التي تدر عليهم دخلاً يكفي حاجتهم، فالبلاد كانت بخير والجميع يعمل ويكسب.

كانت البلاد هادئة ومستقرة كما هدأت الأحوال في طرابلس، وكفّ المعارضون عن معارضتهم والمشاغبون عن شغبهم، وتلاشت الأحزاب وصراعاتها وانتقل الصراع إلى مجلس النواب وإن كان بصورة خفيفة.

وكان الملك مقيماً في داره القديمة المتواضعة في بنغازي ولم ينتقل للسكن في عاصمة ملكه طرابلس، وكان ذلك يثير غضب الطرابلسيين الذين كثرت تساؤلاتهم لعدم إقامة الملك في العاصمة موآخذين عليه إنحيازه إلى برقة، فذهب تبعاً لذلك إلى طرابلس وأقام فيها بضعة أيام ثم عاد إلى بنغازي عاصمة ملكه الثانية التي نصّ عليها الدستور، وكانت الأحوال السياسية مستقرة ونسي الناس خلافاتهم القديمة وصراعاتهم الحزبية، وشرعوا في المساهمة في بناء ليبيا الجديدة.

وعدت إلى عملي في القصر الملكي كرئيسٍ للتشريفات ومرافقٍ للملك حيثما ذهب، وكنت أقوم بالترجمة بينه وبين ضيوفه الأجانب، وكثيراً ما كان يدعوني إلى الغداء، وكنت ألاحظ بوادر الارتياح على وجهه إلا أنه ظل كتوماً لا يتكلم عن الأوضاع السياسية التي تمر بها البلاد إلا إذا طلب مني القيام بأمرٍ من الأمور المتعلقة بسياستها، وكان ما يحز في نفسه على ما أعتقد غياب ولي عهد يرثه ويدفعه إلى اهتمامٍ أكثر بالحكم وبالبلاد.

أما الديوان الملكي فظل على ما كان عليه من قبل، بوجود إبراهيم الشلحي، وفتحي العابدية، وأحمد محي الدين، ومحمد عمر، وبعض الموظفين الصغار، ولم يحدث أي تغيير على عادات الملك وعمله ولا على الديوان الملكي بعد إعلان الملكية، فقد ظل الملك في حياته المتواضعة وفي سكنه المتواضع، يمارس حياته العادية دون أي تغيير يدل على أنه أصبح ملكاً على ليبيا الموحدة لا أميراً على برقة، وكان نشاطه ينحصر في قراءة بريده اليومي الذي يعرضه عليه سكرتيره الخاص ومقابلة رجال الدولة والزوار الرسميين.

وتوفي في طرابلس الأمير محمد الرضا شقيق الملك، فتأثر الملك كثيراً لوفاته والتي فتحت باب وراثة العرش ولمن ستكون، وكان السيد الرضا أخاه الوحيد الذي أسند إليه ولاية

العهد، وبوفاة السيد الرضا إنفتح مشكل الوراثة والتي كان أبناء السيد أحمد الشريف يدّعون بحقهم في وراثة العرش، لأن والدهم كان شيخ الطريقة وهو الذي سلّمها لإدريس السنوسي تحت ضغط الحكومة الإنجليزية، التي كانت لا تحبذ بقاء السيد أحمد في ليبيا الشرقية، ويقول أولاد السيد أحمد الشريف أن السيد إدريس وقّع معهم على مصحفٍ بأن وراثة العهد ستؤول إليهم، إلا أن السيد إدريس يقول بأن الاتفاق كان على مشيخة الطريقة، في حين أن الشعب الليبي إختاره ملكاً عليه بصفته الشخصية لا بصفته شيخاً للطريقة السنوسية، وظل هذا الموضوع الشائك محطّ خلاف مستمر بين الملك وأبناء عمه.

كان سفراء أمريكا وبريطانيا وسفير مصر أيضاً يتخطون الحكومة ووزير الخارجية الليبية، ويتصلون بالملك رأساً لبحث بعض الأمور الخاصة بهم وعرض المشاكل التي جاءوا من أجلها، فيدعوهم أحياناً لتناول الطعام معه ثم يبلّغ الحكومة بما دار بينهم، فهذا الوضع كان غير مرحب به من قبل الحكومة، ولكن مع الوقت تعودت على قبوله وأصبح عملاً من أعمال السياسة الخارجية الليبية، فالملك كان حريصاً على علاقاته ببريطانيا وأمريكا وكان أحياناً يستمع لنصائحهما، أما السفيران البريطاني والأمريكي فكانا يتصلان مباشرةً بالقصر الملكي للحصول على موعد، دون المرور على وزارة الخارجية كما تقتضي القاعدة الدبلوماسية.

وكان الملك يقابل رئيس الوزراء على الأقل مرة في الأسبوع ويبحث معه شؤون الدولة والمشاكل القائمة وكيفية حلها، وهو يعلم أن اختصاصات الحكومة لا تصل إلى الشؤون الداخلية الهامة، وفي هذا الصدد كان حسين مازق والي برقة يتصل به ويعرض عليه أمور الولاية ومستجداتها والعلاقة بينها وبين الحكومة الإتحادية، أما والي طرابلس ووالي فزان فكان لا يراهما ولا يقابلهما إلا في بعض المناسبات أو إذا حدث شيءٌ خطير لأحدهما، فشؤون البلاد الداخلية الهامة كانت بيد الولاة والحكومة الإتحادية لا دخل لها بها.

وقد أُثيرت في هذه الأثناء قضية عقد معاهدة بريطانية مع بريطانيا، والتي تعهدت بتغطية عجز الميزانية مقابل عقد إتفاقية معها تنظّم وجود قواتها في ليبيا، وكانت بريطانيا تضغط على الحكومة من أجل عقد المعاهدة في حين كانت الأخيرة ترجئ عقدها، وبالرغم من ذلك إستمرت بريطانيا في دفع المبالغ المستحقة عليها في عجز الميزانية.

زيارة الملك لمصر

بعد وفاة والدي إصطحبت أختيّ إلى الإسكندرية لزيارة جدتهما، وفي مرسى مطروح إستقلينا القطار إلى الإسكندرية، وقد جلس معنا في المقصورة شخص كان يتصنت لأحاديثنا ولم يفارق المقصورة إلى أن وصلنا الإسكندرية، فصحبت أختيّ إلى بيت الجدة وبعد أن تركتهما رأيت الشخص ذاته يتتبعني في تاكسي، فأدركت أنه من الشرطة ويقوم بمراقبتي، وعندما ركبت القطار في طريقي إلى القاهرة وجدت نفس الشخص في المقصورة، ولما ذهبت إلى الفندق أخبرني موظف الاستقبال بأن رجال الأمن تسأل عني، فذهبت في الحال إلى (صلاح الدين فاضل)، الذي كان يعمل في السابق قنصلاً في بنغازي وهو يتولى الآن إدارة الأمن في وزارة الداخلية وكنت أعرفه فسألته لماذا تراقبوني؟ وماذا فعلت لكم؟ فطيّب خاطري وقال: لا بد أن يكون هناك سوء تفاهم سنعرفه، ثم ذهبت إلى شركة الطيران لسؤالها عن موضوع يخص صديق، فاتضح لي أن الموظف يعرفني فقال: لماذا رجال الأمن يتتبعونك؟ فقررت العودة إلى بنغازي، وقد صحبني المخبر حتى الحدود ثم عاد إلى مصر مودعاً إياي، وفي امساعد أخبروني أن الملك يريد رؤيتي، فذهبت إلى طبرق وقابلته فوجدته على علمٍ بكل ما فعله بي المصريون، والذي حدث أنه راجت إشاعة بأن حزب الوفد المصري يتآمر مع سكان الصحراء الغربية للقيام بحركة ضد الثورة المصرية بمساعدة ليبيا، فقبضت الشرطة المصرية في الصحراء الغربية على صحفي يعمل في صحيفة (المصري الوفدية)، ولما سُئل عن سبب وجوده في هذا المكان أجابهم بأنه جاء لاستقبال وهبي البوري القادم من ليبيا، ولا أدري من أين علم بسفري؟ وهو يدعى (عزمي الجوهري) وليست لي سابق معرفة به، فربطت المخابرات المصرية الموضوعين ببعضهما ونظرت للأمر بجدية، واتخذت كل الإحتياطات حيالي واعتبرتني قادماً للإتفاق مع الوفديين للقيام بعملٍ ما ضد الثورة المصرية، إلا أنهم أدركوا فيما بعد بأن لا علاقة لي بالموضوع وأن خيال المخابرات قد تجاوز حدوده.

وبعد فترة من الزمن وصل بنغازي وفدٌ من قيادة مجلس الثورة المصرية يتألف من (حسن إبراهيم) عضو مجلس قيادة الثورة وبصحبته ضابطان، فقابل حسن إبراهيم الملك موجهاً إليه دعوةً باسم مجلس قيادة الثورة لزيارة مصر، فقبل الملك الدعوة ووعد بإتمامها قريباً.

قرر الملك إرسال وفدٍ إلى القاهرة للرد على زيارة الوفد المصري وترتيب زيارته لها، فاختارني كعضوٍ في الوفد الذي تألف من علي الجربي، ومن فاضل الأمير، وقوبلنا في القاهرة مقابلة حارة، كما قابلنا اللواء نجيب واحتفى بنا ودعانا لمشاهدة حفلٍ في دار الأوبرا، وكذلك أقاموا لنا عدة حفلات وزيارات، ثم قمنا بإعداد ترتيبات الزيارة الملكية مع الجهات المختصة.

غادر الملك الحدود الليبية على ظهر قطارٍ خاص وضعته تحت تصرفه الحكومة المصرية، فاحتشد السكان على طول الخط الحديدي لتحية الملك، وعندما وصلنا محطة القاهرة وجدنا اللواء نجيب والسلطات المصرية في الاستقبال، فاصطحب اللواء نجيب الملك في سيارته منطلقاً به تاركاً بقية المرافقين في المحطة والذين إنتقلوا فيما بعد إلى قصر عابدين، فوجدنا الميدان غاصاً بالجماهير التي كانت تهتف (فليحيا الملك الصالح)، وقد أقام الملك في قصر عابدين ثلاثة أيام حيث كان محل تقديرٍ واحترام، وزاره اللواء نجيب وكثير من المسؤولين، وبعد ثلاثة أيام من الضيافة الرسمية في قصر عابدين، إنتقل الملك للإقامة في قصر الطاهرة حيث ظل سبعة أيام قام خلالها بزيارته الكثيرين من المسؤولين وسفراء الدول الأجنبية، وبعد سبعة أيام من إقامته في قصر الطاهرة وبدلاً من العودة إلى الوطن قرر الملك الإنتقال إلى فندق (مينا هاوس) القريب من الأهرام، حيث أعلن أنه يريد قضاء بضعة أيام للإستجمام، وقد دهش رئيس الوزراء لقرار الملك ولم يجد بداً من الإمتثال لإرادته، وأمر الملك بأن يبقى في معيته إبراهيم الشلحى، واللواء بوقويطين، وأنا، ولا أدري لماذا قرر الملك عدم العودة إلى ليبيا؟ في وقتٍ كانت البلاد في أشد الحاجة إلى وجوده فيها بسبب المشاكل التي قامت بعد إعلان الإستقلال بين الحكومة الإتحادية، والولاة، ورجال القصر.

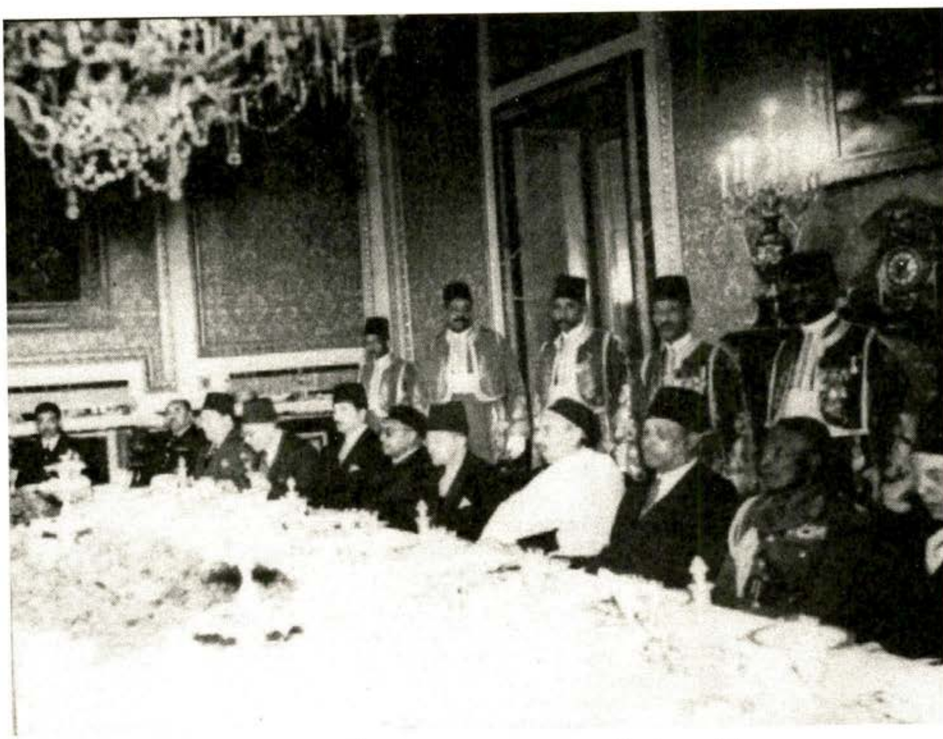
وانتقلنا إلى فندق مينا هاوس يوم 10 ديسمبر عام1953م، وبقينا فيه قرابة الأربعة أشهر ابتعد فيها الملك عن عرشه وعن وطنه، وقد زاره في الفندق رجالات العرب والمسؤولين المصريين والسفراء الأجانب، وكان اللواء نجيب يتردد عليه كثيراً، وقد قال لي ذات مرة بأنه في كل مرةٍ يرى فيها الملك يشعر وكأنه يرى والده، ويبدو أن عدة مشاكل وعلى رأسها موضوع المعاهدة مع بريطانيا تشغل بال الملك والتي يختلف في حلّها مع حكومته، فالمصريون كانوا يضغطون عليه لكي لا يوقع على المعاهدة مع بريطانيا واعدين بسد عجز الميزانية، فكلفني الملك بكتابة رسالتين إلى رئيس الوزراء الليبي، إحداها تذكره بوعده بالتوقيع

على إتفاقيات ثقافية وإقتصادية مع مصر كنتيجة للزيارة الملكية، كما طلب منه دعوة وزير المالية، ونظار المالية والإقتصاد في الولايات الليبية، للقدوم إلى القاهرة للتفاوض مع الحكومة المصرية ولوضع الإتفاقيات والتوقيع عليها، أما الرسالة الثانية فتتعلق بدعوة الحكومة للدخول في محادثاتٍ مع الحكومة المصرية، من أجل معرفة إستعدادها لمساعدة ليبيا مالياً لكي تمتنع الأخيرة عن توقيع الإتفاقية مع بريطانيا، وإني محتفظ بأصل الرسالتين وقد أدخل الملك بخطه بعض التعديلات على الرسالة الثانية.

وجاء الوفد الليبي إلى القاهرة وشرع في المفاوضات مع الوفد المصري، وبعد أيامٍ من تلك المفاوضات بلغنا أن يوسف بن كاطو ناظر المالية في برقة قال للوفد المصري: (لقد جئنا إلى هنا ونحن أبناء البلد الصغير الفقير، وكلنا ثقة في أن مصر الدولة الشقيقة الكبرى الثرية سوف تلبي كل طلباتنا، ولكنا شعرنا وكأن مصر تفاوضنا كما تفاوض أمريكا، فاللحوم هي السلعة التي نصدرها لمصر ونريد مقابلها ستة آلاف طن من الأرز، إلا أن الجانب المصري قال لنا بأن الأرز يحتاجونه للتصدير للخارج، وهم مستعدون أن يعطونا مقابل اللحوم زجاجاً وجلودا، وكنا نظن أنه عندما نطلب الأرز سيقولون لنا خذوه بدون مقابل).

تعثرت المفاوضات قليلاً، واضطر الملك إلى التدخل في الموضوع حتى تمّت وتم التوقيع عليها، أما موضوع المساعدة المالية فقد أدرك الليبيون أن مصر غير مستعدة لدفع مبالغ كبيرة ولذلك إتجهوا إلى التوقيع على الإتفاقية مع بريطانيا.

وكان الملك قد إرتبط بصداقةٍ باللواء نجيب وببعض أعضاء مجلس قيادة الثورة وتم تبادل الزيارات بينهم، وربما كان الملك متأثراً بحسن الاستقبال وبالمعاملة الطيبة، فأراد تعزيز العلاقات بين مصر وليبيا وتقويتها، هذا في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تواصل ضغطها على الحكومة الليبية للتعجيل بالتوقيع على الإتفاقية، وتبعاً لذلك قبضت يدها فبدأت الحكومة تشعر بالضيق والحاجة، ويبدو أن المصريين بحثوا مع الملك إمكانية تقديم مساعدة مالية إلى ليبيا مقابل الامتناع عن توقيع المعاهدة مع بريطانيا، إلا أن الأمر لم يكن سهلاً، فبريطانيا لا تزال قابضة على كل شيء في البلاد، ومصر لم يسبق لها أن قدمت أية مساعدة مالية لليبيا، وعندما جمع السيد (بلت) الدول لإعلان مساعدتها لليبيا تخلفت مصر عن الحضور، وكان المسئولون الليبيين يفضلون الاتفاق مع بريطانيا لضمان استمرارية



حفل عشاء أقيم بقصر عابدين ضم الملك وحاشيته.

المساعدات، بينما كان الضغط متواصلاً على ليبيا من الجانب المصري لكي لا توقع إتفاقية مع بريطانيا، وهذا يقع في الوقت الذي كانت لا تزال فيه قواعد بريطانية في مصر، والعراق، والأردن، وقواعد أمريكية في السعودية، أما تونس، والمغرب، والجزائر، والسودان، فكانت لا تزال تحت نير الاستعمار.

خلال إقامة الملك في مصر وقع حادث كان له تأثيره على سلوك الملك وعلى نفسيته وعلى تفكيره، فعندما سافر الملك إلى مصر ترك الملكة حاملاً، ثم أخبروه فيما بعد أنها وضعت ولداً وهي لا تزال في الشهر السادس من حملها، فأطلق عليه اسم محمد، ووُضع المولود تحت إجراءات خاصة. وفي أحد الأيام وصلت برقية في الصباح باسم الملك، ففتحها إبراهيم الشلحي وقرأها، ثم طلب مني أن اقرأها على الملك، فدخلت عليه وكان لا يزال في ثياب النوم، فقلت له هناك برقية من طرابلس، فقال لي اقرأها، فسكَتْ، فنظر إليّ وسألني هل الأمير توفي؟ فقلت له البركة في رأسك يا مولاي، ونظرت إليه فوجدته قد إنهار، ولم يعد بالرجل الأول الذي كان أمامي، فخرجت مسرعاً وطلبت من إبراهيم الشلحي أن يذهب إليه، وقد بدا التأثر والحزن على الملك لمدة طويلة، وبعد أسبوعين وصلت الملكة القاهرة وهب الملك لاستقبالها في المطار، وعادا إلى الفندق معاً، فرأيت على وجهيهما الحزن والألم، ولا شك أن هذا الحادث المؤلم الذي وضع حداً لأمل الملك في الحصول على ولي عهد، سيؤثر على سلوك الملك وعلى إدارته لشؤون الدولة.

إستمرت إقامة الملك في القاهرة، فتوالت زيارة الشخصيات العربية والأجنبية له ومن بينهم سفراء أمريكا وبريطانيا، كما زار الملكة سيدات من المجتمع المصري من بينهم الأميرة (نازلي شاه) زوجة الوصي على العرش، و(قوت القلوب الدمرداشية) وغيرهن من سيدات المجتمع المصري، وكانت أسباب بقاء الملك في مصر غير معروفة، إلا أنه كما يبدو، كان على خلافٍ مع الحكومة، وقد جاء فتحي الكيخيا نائب رئيس الوزراء واجتمع طويلاً مع الملك، ويبدو أن موضوع الخلاف يتعلق بالمعاهدة البريطانية، فالحكومة تصر على توقيع المعاهدة لنفاذ خزائنها، وإذا لم تدفع لهم بريطانيا ما اتفقوا عليه، فالدولة لن تجد من أين تدفع الرواتب، وكان الملك يطلب التريث حتى ينجلي موقف مصر من هذا الموضوع، وفي الأيام الأخيرة ظهر أن الحكومة المصرية غير مستعدة لسد العجز في الميزانية الليبية، وموقفها هذا فتح الطريق أمام الحكومة الليبية للسير في مفاوضاتها مع الحكومة البريطانية بشأن

التوقيع على اتفاقية بين الطرفين.

وعندما قرر الملك البقاء في القاهرة لفترة إستجمام طويلة، وعدم العودة إلى البلاد، وتزامن ذلك أثناء وجود رئيس الوزراء محمود المنتصر في القاهرة، ولم يستطع إثناء الملك عن قراره، فأعطى إبراهيم الشلحي شيكاً بمبلغ 5000 جنيه ليصرف منها نفقات الملك في الفندق، فرفض إبراهيم الشلحي أخذ الشيك وطلب من رئيس الوزراء أن يعطيني إياه، فأخذت الشيك وتوليت أمور الصرف على إقامة الملك في الفندق ومصاريفه الأخرى، وقد سددت بالخمسة ألاف جنيه إقامة الملك وإقامتنا معه لمدة أربعة أشهر، ودفعت نفقات ومشتريات أخرى، كشراء، الساعات الذهبية وإعداد النياشين وغير ذلك من المصروفات، وتبقى من المبلغ يوم سفر الملك أكثر من 500 جنيه أُعيدت للحكومة.

ولم يبدُ على الملك خلال إقامته في القاهرة الغضب والكدر بل كان فرحاً يتحدث طويلاً إلى زواره، ويخرج بعد الظهر بسيارته في نزهةٍ ويعود قبل الغروب، وكان يزوره العديد من المسؤولين والأصدقاء ومن بينهم أصدقاء مصريين، وقد دعاه أحدهم إلى تناول الطعام في عزبته القريبة من القاهرة، فلبى الملك الدعوة وتناول الطعام مع صديقه وظل معه طيلة اليوم، وعاد في المساء إلى الفندق منشرحاً. وكان الملك يتحدث معنا عن كل شيء إلا عن السبب في إطالة إقامته في القاهرة وعلاقته بالحكومة، فأدركنا جميعاً سبب الخلاف، ورأينا أن حلّه بيد المصريين، إما أن يقبلوا بدفع العجز في ميزانية ليبيا مقابل التخلي عن التوقيع على المعاهدة البريطانية، أو يعترفوا بأنهم لا يستطيعون ذلك ويتركون ليبيا تسير في طريقها.

وقد دعا علي ماهر باشا الملك إلى الغداء في داره، كما دعا العديد من الشخصيات المصرية وذهبنا معه، وكان غداءً فاخراً وممتعاً، وفي أحد الأيام قال لي الملك: إن من عادة رؤساء الدول الذين يزورون بلداً أجنبياً، يقومون بتقديم نياشين وطنية لرئيس الدولة والشخصيات البارزة، وقال إننا لا نملك هذه النياشين، فقلت له: سأهتم بالأمر وأدرس إمكانية صنعها هنا في مصر وتوزيعها على المسؤولين، فسرّ الملك لذلك، فخرجت وتوجهت إلى محلات (بشاي) المشهورة بصنع نياشين الدولة المصرية، فحدثته في الأمر فقال لي: إنه سيعد لنا هذه النياشين ولكنه يحتاج لبعض الوقت، فوافقته على ذلك وذهبت لأخبر الملك الذي أبدى سروره ورضاه، وبدأ بشاي في صنع أول النياشين، والذي أطلقنا عليه

اسم (نيشان الإستقلال)، وكان جميلاً وشبيهاً بالنياشين المصرية، وأتيت إلى الفندق بخطاط وبالورق وطلبت منه أن يُعدّ البراءات وفقاً للقائمة التي أعطيتها له والتي وافق عليها الملك، وبعد أيام قليلة كانت النياشين والبراءات جاهزة، وكان شريط النيشان يحمل ألوان العلم الليبي، وقام الملك بتوزيع النياشين على المسؤولين وعلى من أراد أن يقدم إليهم نيشاناً، فجعلنا النيشان من ثلاث درجات، الوشاح الأكبر، ثم الدرجة الثانية والثالثة، وكان هذا أول نيشان يُعرف في تاريخ ليبيا الحديث، ثم صنعنا بعده نيشان محمد بن علي السنوسي، وقلادة إدريس الأول التي منحها الملك إلى الرئيس نجيب، وطلب مني الملك شراء ساعات ذهبية ونقش إسمه عليها لكي يهديها إلى بعض الضباط، فذهبت واشتريت الساعات وطلبت نقش التاج الملكي وكتابة إدريس الأول في ظهر الساعة، وأتيت بها إلى الملك الذي وزعها على الضباط الذين كان يريد توزيعها عليهم، وقد طلبت أنا ومحمود بو قويطين من إبراهيم الشلحي أن يطلب من الملك إعطاء كل واحد منا ساعة لنحتفظ بها كذكرى لإقامتنا معه في هذا الفندق، إلا أن الملك أجابه بأن هذه نقود الدولة، ولا يستطيع أن يتصرف بها بدون حق.

وقد طلب مني الملك السفر إلى بنغازي في مهمةٍ خاصة، وفي طريق عودتي إلى مصر التقيت في الطائرة بفتحي الكيخيا نائب رئيس الوزراء ووزير العدل، وكان صديقاً عزيزا، فلما سألته عن سبب مجيئه تردد في البداية ثم قال لي: إني جئت لأقنع الملك بالموافقة على توقيع المعاهدة مع بريطانيا، لأن مصر لن تدفع لنا شيئا. وبعد وصولنا القاهرة قابل الكيخيا الملك واجتمع به طويلاً ثم عاد إلى طرابلس.

عودة الملك إلى ليبيا

كان الجميع يستغرب بقاء الملك خارج وطنه لهذه المدة الطويلة، معللاً ذلك بخلافات بينه وبين الحكومة، وأخيراً قرر الملك العودة والسفر إلى (الحمام) وهي مدينة صغيرة قريبة من الإسكندرية، ليقيم في منزلٍ له لمدة ثلاثة أيام، ثم استقل القطار عائداً إلى ليبيا، وفي ليبيا واجه الملك مشاكل كثيرة، وهو لم يمضِ على توليه العرش أكثر من عامين، فبالإضافة إلى مشكل المعاهدة البريطانية، كان هناك خلاف ما بين رئيس الوزراء، وواليا برقة وفزان، وخلاف بين رجال القصر ورئيس الحكومة، وخلاف بين المجلس التشريعي في طرابلس ووالي طرابلس، وغيرها من الخلافات التي أتعبت الملك وجعلته يقبل إستقالة محمود المنتصر، وتولي محمد الساقزلي مكانه.

وبالإضافة إلى جميع المشاكل المذكورة فقد قام مشكل خطير آخر، إذ عزل الملك والي طرابلس فاضل بن ذكري، ولا ندري لماذا؟ واقترح رجال القصر تعيين الصديق المنتصر والياً على طرابلس، فأصدر الملك مرسوماً بتعيينه، وتعيين حسين مازق والياً لبرقة، ولم يحمل المرسومان توقيع رئيس الوزراء تمشياً مع الدستور، وقام الصديق المنتصر بحل المجلس التشريعي الطرابلسي، فأقام رئيس المجلس المنحل قضية أمام المحكمة العليا، وطعن في شرعية مرسوم تعيين الصديق المنتصر وحل المجلس التشريعي، وكانت هذه هي القضية الأولى التي تُثار أمام المحكمة العليا، ودهش الناس لإقامة القضية الدستورية والبلاد لم يمر على استقلالها أكثر من عامين، وتكونت في طرابلس كتلة كبيرة مؤيدة لرئيس المجلس التشريعي، ولم تتخذ الحكومة أي إجراء لتأجيل صدور الحكم من المحكمة العليا التي كانت في عجلة من أمرها، وأصدر رئيسها،علي منصور المصري، حكماً يقول بأن (الملك يملك ولا يحكم)، وأن المراسيم التي لم يوقع عليها رئيس الوزراء باطلة، وهذا معناه تجريد الملك من جميع صلاحياته، وضجت برقة من هذا الحكم وأدانته، كما أحدث في ليبيا ضجة كبيرة واستغربه معظم الناس، وعندما سأل الملك رئيس الوزراء رأيه في حكم المحكمة قال له:(الحكم يجب أن ينفذ)، وبعد ساعة أرسل إليه الملك مندوباً يطلب منه تقديم استقالته فقدمها على الفور، وظل مشكل اختيار بديلاً لساقزلي يزعج القصر، إلا أن رجال القصر أشاروا على الملك بتعيين مصطفى بن حليم الذي كان يشغل منصب ناظر الأشغال بولاية برقة.

فدعاه الملك وأسند إليه الوزارة، وكان خير رئيس حكومة تولى في ليبيا، وواجه مصطفى بن حليم بعد توليه مشكلة المحكمة العليا التي عمل على حلها، فأقال رئيسها وعين مكانه قاضياً ليبياً وهو الشيخ، منصور المحجوب، الذي أحدث بعض التغييرات في نظام المحكمة، وبذلك حل مشكلة تنفيذ الحكم الذي أصدرته المحكمة، إذ بقي حبراً على ورق.

وكانت هذه الفترة من أسوأ الفترات التي عرفتها ليبيا بعد استقلالها، والتي شارك فيها الملك شخصياً، حيث أن حكم المحكمة جرده من صلاحياته، وكان الموقف صعباً بالنسبة له لأن المحكمة هي أعلى هيئة قضائية في البلاد، وكان في حاجة إلى حلٍ للمشكل بحيث لا يُنفّذ قرار المحكمة، وعدم تنفيذ قرار المحكمة معناه تدمير الهيئة القضائية العليا في البلاد، وقد تعهد له مصطفى بن حليم بإيجاد حل، وفعلاً وجده والذي كلّف شلّ عمل المحكمة وتدميرها.

وكان مصطفى بن حليم شاباً نشطاً وقديراً واهتم بمشاكل البلاد، فإليه يعود الفضل في وضع قانون البترول الذي لم يوجد له مثيل في البلاد العربية البترولية، من حيث المحافظة على مصالح الدولة، وأخذْ حقها من الشركات البترولية. وبعد أن حلّ مشكل المحكمة العليا، إتجه بن حليم إلى تنظيم العلاقة بينه وبين الولايات المتحدة، التي كانت تضغط على الحكومة الليبية من أجل وضع معاهدة تنظّم العلاقة بين البلدين، وسافر بن حليم إلى واشنطن للتفاوض مع الولايات المتحدة لوضع إتفاقية بين البلدين، وتم التوقيع عليها، وبعد عودته إلى ليبيا عُرضت الاتفاقية على مجلس النواب، فعارضها قسمٌ كبير من أعضائه، فالمعاهدة مع بريطانيا كانت ضرورية لسد العجز في الميزانية، أما المعاهدة مع الولايات المتحدة فلا ضرورة لها لأنها تكبّل البلاد بالتزامات جديدة، وبذل بن حليم وحكومته جهداً كبيراً في الحصول على موافقة مجلس النواب على هذه المعاهدة، وقد قررت الحكومة الأمريكية إنشاء مؤسسة باسم (المصالح المشتركة) للقيام بما تحتاجه ليبيا من إصلاحات، وحشدت في هذه المؤسسة جمعٌ كبير من الموظفين الذين كانوا يتقاضون رواتب مرتفعة، ولم تؤدِ المصالح المشتركة لليبيا سوى القليل من احتياجاتها، فقد شيدت بعض المدارس وعملت على تلبية بعض احتياجات الولايات، ولما طلبت ولاية برقة من المصالح المشتركة إنشاء مدرسة، إشترطت الأخيرة عدم تدريس مدرسين مصريين فيها، فرفض الوالي طلبهم وقال لهم لا ضرورة لإنشائها، إلا أنهم سحبوا شرطهم وأنشئوها، وكان هذا نموذج من التعامل ما

بين المصالح المشتركة وأجهزة الدولة، فلم تكن هذه الأولى ترمي إلى مساعدة ليبيا، وإنما إلى تنفيذ سياسة حكومتها الأمريكية، إذ كونت المصالح المشتركة دولة داخل الدولة، فكان لها موظفوها وأجهزتها ونشاطها الذي لا يخضع لرقابة الدولة الليبية.

في هذه الأثناء تقرر فتح سفارتين واحدة في لندن والثانية في القاهرة، وأُختير السيد إبراهيم السنوسي وزيراً مفوضاً في القاهرة، وكان رجلاً طيباً ونبيلاً إلا أنه كان لا يفهم شيئاً في الإدارة ولا في الشؤون الدبلوماسية، وكان تعيينه بناءً على رغبة ملكية لإرضاء أبناء السيد أحمد الشريف، ثم أخذوا يبحثون عن شخصٍ قدير يستطيع القيام بشؤون المفوضية، فاقترحت ذهابي إلى مصر رغم أن المنصب كان أقل من منصبي الحالي، وكنت في الحقيقة أميل إلى العمل في السلك الدبلوماسي، والإقامة خارج ليبيا التي تكاثرت مشاكلها وشجونها، وبالرغم من كون منصبي في القصر الملكي يفوق بكثير أي منصب آخر في الحكومة، وكوني مقرباً من الملك الذي كان يكلفني القيام بأشياء كثيرة، إلا أن الرغبة في الحياة في مصر دفعتني للمطالبة بأن أكون مستشاراً في سفارة القاهرة، وتمّت الموافقة على طلبي وتعييني فيها.

تركت العمل في القصر الملكي على مضض، إذ كنت أعلم مدى تقدير وثقة الملك بي، والذي كنت سعيداً بالعمل معه، وحتى بعد أن عملت في السفارة كان يدعوني بين الحين والآخر للقيام بمهمةٍ أو بمرافقته في رحلة، وظلت علاقته بي جيدة إذ كنت أزوره كلما جئت إلى بنغازي وأحدّثه عن الأوضاع السائدة في مصر.

عملي في مصر

سافرت إلى القاهرة يوم 7 سبتمبر عام1953م، فحضرت حفل تقديم أوراق اعتماد السيد إبراهيم السنوسي إلى الرئيس عبد الناصر، وكانت وزارة الخارجية الليبية قد سلمتني صكاً بمبلغ تسعمائة جنيه لاستئجار المفوضية، وسكن الوزير المفوض، وتأثيثهما، وكان ثمن الصالون الممتاز في (محلات بنترومولي) ألف جنيه، وجاء معي خيري بن عامر كمحاسب للبعثة، فاستأجرنا ڤيلا في الدقي، خصصنا الدور الأول لسكن الوزير، والدور الأرضي للمكاتب، وكنا في كل يوم أحد، نذهب إلى المزادات التي كانت تبيع أثاث الأوروبيين

المغادرين مصر بسبب تغير الأوضاع، فنشتري ما نراه مناسباً لتأثيث البعثة، إذ أن السيد إبراهيم كان قد ترك لي إدارة شؤونها، وانشغل هو بحل مشاكل الليبيين مع الحكومة المصرية.

إستطعنا تأثيث السفارة وسكن السفير، وطلبنا من الحكومة زيادة المبلغ، فأعطتنا مبلغاً إشترينا به سيارة مستعملة بقيمة 200 جنيه، وأسسنا القنصلية ودعونا الليبيين للمجيء وتسجيل أسمائهم، فلم يأتوا وقالوا لنا نحن نعيش في مصر كمقيمين، وإذا ما سجلنا أسمائنا في القنصلية، نصبح أجانب وعلينا أن نطلب الإقامة ونجددها وندفع رسوماً ونخضع لما يخضع له الأجانب، في حين أننا فقراء وقانعين بحياتنا، إلا أن بعض الأسر جاءت وطلبت السفر إلى ليبيا، وكان قد تقرر أن نعطي العائلة عشرة جنيهات، ولكل فرد منها ثلاثة جنيهات كمساعدة على سفرهم.

ولم تطل إقامتي في مصر إذ وصلتني برقية إستدعاء من الملك للتوجه إلى طرابلس، فغادرت القاهرة يوم 21 سبتمبر مسافراً إليها، وعندما دخلت على الملك وجدته جالساً في قاعة الاستقبال، ولا يستطيع رفع رأسه وصوته خافت وذلك لأنه كان مريضا، فأشفقت عليه ودعوت الله له بالشفاء والسلامة، فقال لي: إني أريد أن أذهب إلى سويسرا للعلاج وأريدك أن تأتي معي، فغادرته متألماً وذهبت لإعداد نفسي للسفر في هذه الرحلة الطويلة، وقد إختار الملك للسفر معه أيضاً طاهر القرمانلي، وطبيبه الخاص الدكتور بركة، وأحمد محي الدين، وإبراهيم الشلحي.

وفي يوم السفر جاء رئيس الحكومة والوزراء والمسؤولين لتوديع الملك، وكان التأثر بادياً على وجوههم، وغادر الموكب الملكي طرابلس متجهاً إلى تونس بطريق البر، فوصلنا قابس بعد رحلة متعبة على طريق رديئة، وقضينا الليلة فيها في فندق من الدرجة الثالثة، لم تتوفر فيه للملك وسائل الراحة ولا الطعام الذي كان يرغبه، وفي اليوم التالي واصلنا الرحلة إلى تونس حيث نزلنا في فندق (تونيسيا پالاس)، وقد تضايقت السلطات الفرنسية من مرور رئيس أول دولة مستقلة في شمال أفريقيا، ومنعت اقتراب التونسيين منا، لأنها كانت تخشى ردود فعلهم عندما يروا أول ملك لدولة مستقلة في شمال أفريقيا، ففرنسا كانت قد بذلت جهوداً جبارة لمنع استقلال ليبيا ولكن بدون فائدة، وهي الآن تخشى أن تسري العدوى إلى بقية ممتلكاتها في شمال أفريقيا، فأخفوا نبأ وصول الملك إلى تونس عن التونسيين، وحالوا

دونهم والوصول إلى الفندق خشية تجمهر الناس لتحية الملك، ولم نستطع نحن الاتصال بأي تونسي، رغم أن الكثيرين اتصلوا بنا هاتفياً وكانوا يريدون زيارة الملك، إلا أن الشرطة الفرنسية حالت دون اقتراب أي تونسي من الفندق الذي كان يقيم فيه الملك، والذي قضينا فيه ليلة واحدة، ثم سافرنا في اليوم التالي وذلك قرب الظهيرة مغادرين البلاد على ظهر الباخرة (القيروان)، وكانت الأحوال الطبيعية سيئة والبحر هائجاً، وقضينا ليلة رهيبة قبل الوصول إلى مرسيليا، فالباخرة كانت تتقاذفها الأمواج وأصيب أكثرنا بدوار البحر، إلا أننا كنا نتناوب على الجلوس أمام غرفة الملك الذي كان لا يطيق بدوره دوار البحر، وفي اليوم التالي وصلنا مرسيليا حيث كان والي المدينة في انتظارنا والذي أخبرنا بغرق باخرة في الليلة الماضية قرب شواطئها، ثم ذهبنا إلى الفندق حيث استرحنا يوماً وليلة مراعاةً للملك، وذلك قبل أن نواصل رحلتنا.

وفي اليوم التالي سافرنا إلى ليون في حراسة الشرطة الفرنسية حيث قضينا الليل هناك، وفي الصباح سافرنا إلى سويسرا حيث كان في استقبالنا مندوبٌ عن الحكومة السويسرية، ثم إتجهنا إلى مصحة سيسيل في مدينة لوزان حيث أقمنا جميعنا فيها.

باشر الملك في علاجه وفحوصاته، وكنت أتولى الترجمة بينه وبين الأطباء، ودام علاج الملك مدة أسبوعين بقي خلالها في المصحة، ولم يغادرها لرؤية سويسرا أو الاطّلاع على معالمها، وقد تعافى بعدها بفضل العلاج المكثّف الذي أُجري له فأصبح قادراً على السفر والعودة إلى بلاده، وفي لوزان كان يقيم الأمير محمد علي ولي عهد فاروق سابقاً والذي قام بزيارةٍ للملك، وبعد يومين طلب مني الملك ردّ زيارة الأمير، فذهبت إليه في الفندق الذي يقيم فيه، وجلست أتحدث معه فقال لي: (يا إبني، إني في حياتي قد تحصّلت على كل شيء يمكن للبشر تمنيه، والآن عندما أنهض من النوم في كل صباح وأنظر إلى السماء، أحمد ربي الذي مدّ في عمري يوماً آخر).

وكنا أفراد الحاشية نقيم مع الملك في المستشفى، ونضطر إلى عدم الخروج بعد التاسعة مساءً، فنذهب لتناول الشاي مع الملك، ملاحظين تحسن صحته من يوم إلى آخر، بفضل العناية الطبية التي كان يتلقاها، وكان راضياً عن علاجه وعن إقامته في سويسرا التي لم يرَ منها سوى الشوارع التي مرّت منها سيارته، وبعد أن شعر باستعادة صحته قرر العودة إلى

الوطن، فسافرنا إلى باريس وأقمنا في فندق (كريون) الشهير، وسعدنا جميعاً بزيارتها، وكنا نخرج للسهر ليلاً في حين يظل الملك وإبراهيم الشلحي في الفندق.

وكانت الملكة في زيارةٍ لألمانيا، ثم التحقت بزوجها في باريس، وكانت بصحبتها وصيفتها السيدة سلمى الدجاني، وقد دعا رئيس الجمهورية الفرنسية الملك للغداء، فذهب وذهبت معه أنا وإبراهيم الشلحي، فقابلنا رئيس الجمهورية مقابلة طيبة، ثم دعانا إلى تناول الغداء، وكان من ضمن المدعوين وزير خارجيته ومدير مكتبه وبعض الأشخاص الآخرين، فدار الحديث حول ليبيا وأوضاعها وعلاقة فرنسا بها، وكانت فرنسا في ذلك الحين تعمل من أجل الحصول على اتفاقيةٍ شبيهة بالاتفاقية البريطانية، إلا أن الملك بلباقة أفهمهم بأن هذه الأمور يجب أن تُعالج مع الحكومة الليبية لا معه، وعدنا إلى الفندق بعد نهاية الغداء، وبعد أن وجه رئيس الجمهورية دعوة أخرى للملك لحضور حفل كبير بدار الأوبرا، فاعتذر عن الذهاب وطلب منا أن نذهب نحن، وكانت حفلة رائعة تستحق أن يشاهدها الملك والملكة.

وكانت باريس في هذا الفصل ترتدي أجمل أثوابها إلا أنها لم تستهوِ الملك لرؤيتها، بينما كانت الملكة تخرج مع السيدة سلمى وتزور الأسواق وتتنقل في شوارع باريس، فقد ذَهبتْ يوماً إلى متجرٍ قريب من الفندق وكنت برفقتها، فأرادت شراء حقيبة يد، إلا أنها استكثرت ثمنها وعادت دون شرائها، أما الملك فظل في الفندق دون أن يغادره.

رغب الملك في رؤية باريس، فصحبته في السيارة ومعنا أحد رجال الشرطة، فخرجنا وتجولنا قرابة النصف الساعة، وعندما شاهد ازدحام السيارات في شارع (الشانزيليزه) طلب العودة إلى الفندق، فعدنا إليه ولزم جناحه ولم يخرج منه إلا يوم مغادرتنا باريس، وقد زاره خلال إقامته فيها عددٌ من الشخصيات العربية والأجنبية، ولم يقم هو بزيارة أحد، وبعد إقامةٍ في باريس إمتدت لسبعة أيام قرر الملك السفر إلى إسبانيا، وفضّل السفر بالقطار عوضاً عن السيارات التي سافرنا بها نحن.

وصل الملك فندق ماريا كريستينا بمدينة سان سيباستيان حيث قضى ليلته فيها، وفي الصباح سافرنا إلى بورقس، وقد إستعدت سلطات المدينة لاستقبال الملك والإحتفاء به، وجاءت مجموعة من سيدات المجتمع لاصطحاب الملكة وإطلاعها على معالم المدينة، وكنت في معيتها في هذه الجولة، وقضينا في بورقس يوماً وليلة محاطين باهتمام وعناية سكانها،

وفي الصباح سافرنا إلى مدريد، فوجدنا رجال السلك الدبلوماسي العربي في استقبال الملك عند مدخل المدينة، أما السلطات الإسبانية فكانت تنتظره في فندق (ريتس) الذي نزل فيه، وكان الجو جميلاً معتدلاً، وتُعتبر مدريد من أجمل عواصم العالم، فالبلاد كانت في بداية تطورها بعد الحرب الأهلية الطاحنة، وكانت تواجه صعوبات إقتصادية حادة، إلا أن الأسواق كانت مملوءة بالمنتوجات المحلية الرخيصة الثمن، وكانت معالم النهضة والحضارة بادية في كل مكان، فالحكومة الإسبانية كانت تحاول تجاوز آثار الحرب الأهلية واللحاق بالدول الأوروبية الأخرى المتقدمة. ولزم الملك جناحه ولم يهتم بزيارة معالم هذه المدينة، إلا أنه خرج لزيارة متحف (پرادو) الشهير ثم عاد إلى الفندق، وأقام الجنرال فرانكو حفل غداء على شرف الملك بقصره حضرتُه مع إبراهيم الشلحي وطاهر القرمانلي، وقد وجدنا الحرس المغربي واقفاً على طول الدرج والممرات، واستقبل فرانكو الملك إستقبالاً ودياً وحاراً، وبعد حديثٍ عام حول العلاقات العربية الإسبانية دعانا فرانكو إلى غرفة الطعام، وكان من بين الحضور وزير خارجيته وبعض المسؤولين الآخرين وأحد المستشرقين الإسبان للترجمة، وبعد تناول الطعام إنتقلنا إلى صالون آخر لتناول القهوة، ثم استأذن الملك شاكراً وخرجنا.

وكان الجنرال فرانكو في أفضل أوضاعه، فقد قضى على أعدائه وتولى أمر البلاد وبدأ في عملية إصلاح كبيرة، وكانت بوادر النهضة ملموسة في كل مكان، إلا أن البلاد كانت فقيرة والرواتب ضعيفة والدخل قليل، ومع ذلك فالجميع كان يعمل لتحسين أوضاعه، وكان من المفروض أن لا تزيد زيارة الملك لمدريد أكثر من ثلاثة أيام، إلا أن إصابة إبراهيم الشلحي بالتهابٍ في اللوز اضطرنا إلى تأجيل السفر إلى حين شفائه، وأُتيحت لنا الفرصة للبقاء في مدريد بضعة أيام أخرى للاطّلاع على معالمها وزيارة أسواقها والتجول فيها، وقد إلتقينا بالعديد من الشخصيات العربية المقيمة في المدينة، وكانت الملكة تخرج مع وصيفتها للتجول في أسواقها.

وكانت إسبانيا خارجة من الحرب الأهلية منهكة، إلا أن فرانكو استطاع أن يعيدها تدريجياً إلى طبيعتها، فقد إستعان بالجنود المغاربة في الحرب الأهلية، وعندما انتصر أبقاهم في مدريد، وجعل حرسه الخاص منهم، وكان المغرب الإسباني لا يزال بيد إسبانيا وعلاقة سكان هذه المنطقة وثيقة بها، وتختلف عن علاقات المغاربة الآخرين بفرنسا، كما نجح فرانكو في عدم التورط بدخول الحرب العالمية الثانية، فحفظ بلاده من شرورها وخرابها رغم

الضغوط التي كان يمارسها عليه الطرفان، فأنقذ إسبانيا من ويلات الحرب وأعطاها فرصة للراحة من عناء الحرب الأهلية، التي قضت على الكثير من الشباب الإسباني وتسببت في تدمير البلاد وإيقاف تطورها، لقد كانت حرباً بين الشيوعيين الذين كانت تساندهم روسيا والبلاد الشيوعية، وبين اليمينيين الذين كانت تساعدهم الدول الغربية، وفاز فرانكو بفضل مساعدتها، إلا أنه رفض الدخول إلى جانبها في الحرب العالمية الثانية، واستطاع أن يقف على الحياد رغم ضغط المتحاربين القوي عليه.

سافرنا يوم 2 نوفمبر إلى قرطبة حيث نزلنا في فندق سيمون، وقرطبة مدينة جميلة إلا أن عليها لمحة من الكآبة (ربما في نظرنا نحن العرب) لكثرة ما قرأنا عن أمجادها، فهي لا تزال تحتفظ بطابعها العربي، كما لاحظنا أن معظم بيوتها في الأحياء القديمة ذات طابع عربي أصيل، أي تتكون من مدخل وساحة ذات أقواس تُفتح فيها الغرف، ويوجد في وسط الساحة نافورة وزهور، وهو نفس طراز البناء السائد في شمال أفريقيا، ولفت نظرنا أن بعض المحلات التجارية كانت تحمل أسماءً عربية. وفي صباح اليوم التالي زار الملك مسجد قرطبة الشهير، وهو محتفظ بجماله وكأنه شُيّد منذ بضع سنوات، وكان في تلك الفترة أكبر مسجد في العالم الإسلامي بعد الحرمين الشريفين، إذ تبلغ مساحته ثلاثةٌ وعشرون ألف متر مربع وأُقيم على 1113 عامود، أصبحت الآن 850 عاموداً، وسقف المسجد مصنوع من خشب الأرز اللبناني، وبه زخرفة من الفسيفساء الذهبية صُنعت في بيزنطة، والذي أرسله الإمبراطور هديةً للخليفة، والمسجد آية من آيات الفن المعماري الإسلامي، وهو خير شاهدٍ على ما بلغته قرطبة من تقدمٍ في ظل الإسلام.

وخرجنا من المسجد والكآبة تغمر نفوسنا بعد أن رأينا الصلبان فوق المئذنة، وبعد أن شاهدنا الكنيسة في جزءٍ من المسجد، فتذكرنا أيام ازدهار قرطبة وإشعاعها العلمي والحضاري الذي عمّ معظم أوروبا، كما زرنا مدينة الزهراء عاصمة المنصور التي لم يتبقَ منها سوى القليل، إذ حوّل الإسبان جميع المساجد إلى كنائس، ولكنهم لم يستطيعوا محو جميع آثار العرب من بلادهم.

غادرنا قرطبة يوم 4 نوفمبر في طريقنا إلى غرناطة التي وصلناها ظهراً، ونزلنا في فندق الحمراء بالقرب من قصر الحمراء، والذي يطل على الوادي حيث تتواجد فيه مدينة غرناطة،

وهو منظر رائع خلاب طالما غذّى قريحة الشعراء العرب الذين سحرهم جمال غرناطة.

وخرج الملك في الصباح بصحبة سفير إسبانيا في ليبيا وعميد المدينة، لزيارة قصر الحمراء وساحة الأسود وقاعات القصر، حيث كان يستقبل ملوك بني الأحمر السفراء وكبار الضيوف. كما زار الملك حدائق (جنة العريف)، وغادر القصر مذهولاً بجمالهِ ومبهوراً بمن قام ببنائه أيام عز العرب في إسبانيا، فلا يمل السواح من زيارة غرناطة عاماً بعد عام، وهي شاهد على ما بلغته الحضارة العربية في إسبانيا من تقدمٍ وعزٍّ وجاه، وقد تأثرنا كثيراً عند رؤية آثار هذه الحضارة، ويحز في نفوسنا الآن إتهامنا بالتخلف والتأخر.

وكثير من مباني غرناطة شيّد على طراز الحمراء، كما أن كثيراً منها نُقش بداخلها عبارة (لا غالب إلا الله)، كذلك رأينا مصرفاً زُينت جدرانه بعبارة (لا غالب إلا الله) كتبت بالأحرف العربية، أما الأسواق فكانت مليئة بالصور وبنماذج مجسمة من الجبس لقصر الحمراء، وأبوابه، وأسوده، ونقوشه، تلبيةً لرغبة السواح.

واتصل بنا كثيرون من الإسبان الذين يدّعون بأنهم من أصلٍ عربي، فجاءنا نبيل إسباني وقدم إلينا بطاقته التي كان مكتوباً فيها (الكونت فلان سليل الخليفة هشام الثالث)، أما قصر الحمراء فيسيطر على غرناطة، وشعار بني الأحمر هو شعار المدينة، وقد زار الملك العديد من الشخصيات ومن السفراء العرب.

بعد ثلاثة أيام إقامة في غرناطة غادرناها في طريقنا إلى مالاقا المطلّة على البحر الأبيض، والتي لا يوجد فيها أي أثر عربي سوى قلعة جميلة لم تتأثر بمرور القرون، وكان كل ما فيها يوحي بمجدها القديم، وفي مالاقا شاهدت لأول مرة في حياتي مصارعة الثيران، التي تركت في نفسي أثراً سيئاً لرؤية هذا الثور الذي يعذبونه حتى الموت. وهكذا انتهت زيارتنا إلى أوروبا التي شملت فرنسا وسويسرا وإسبانيا، وكان الملك مستريحاً لإقامته في أوروبا بالرغم من عدم مغادرته الفندق إلا نادراً، وقد إكتسب صحةً ونشاطاً تساعداه في تحمل المشاكل التي تنتظره.

وفي اليوم التالي سافرنا إلى الجزيرة ومنها إجتزنا مضيق جبل طارق إلى الساحل الأفريقي، فوجدنا في سبتة حاكم المدينة والسلطات المحلية في انتظار الملك، والذين رحبوا به كثيرا.

ومن سبتة سافرنا بالسيارات إلى طنجة حيث نزلنا في فندق المنزه، ولي في طنجة ذكريات وأصدقاء، إلا أنني لم أرَ أحداً بسبب ملازمتي للملك، فقد قضيت في طنجة قرابة العام وتمتعت بحياتها الجميلة، واختلطت بشبابها العربي وشاركتهم شعور الوطنية والحرية، وتحصلت فيها على شهادتي الثانوية التي بموجبها إلتحقت بالجامعة، فقد كانت لطنجة ذكرى جميلة في نفسي، إلا أنني عندما زرتها هذه المرة كنت مقيداً ولا أستطيع التحرك، ولا رؤية أصدقائي القدامى.

ويبدو أن الأحوال في ليبيا لم تكن على ما يرام، فقد إشتد الخلاف بين الحكومة والولايات والديوان، وفوجئنا بعد وصولنا طنجة بوجود محمد الساقزلي رئيس الديوان، وعوني الدجاني المستشار القانوني، وكانا يريدان الاجتماع بالملك لإطلاعه على الخلافات الدستورية القائمة في ليبيا، فرفض الملك مقابلتهما لأن رئيس الديوان غادر البلاد ومقر عمله دون الاستئذان منه، غير أن الساقزلي كان يريد أن يطلع الملك على الوضع، ليكون لديه الوقت الكافي للتأمل والتفكير.

غادرنا طنجة إلى فاس فوصلناها مساءً، وأقمنا في فندق الجامعي فيها، وهو دار عربية قديمة فخمة حُوّلت إلى فندق، وتجول الملك في فاس ثم زار جامعة القرويين التي درس فيها جده محمد بن علي السنوسي، كما زار ضريح مولاي إدريس الثاني في زهرون.

وقد دعانا العالم الجليل عبد الحي الكتاني إلى الغداء في داره الكبيرة الفخمة، وأطلعنا على مكتبته الكبيرة القيمة، وكان الشيخ عبد الحي الكتاني من كبار علماء المغرب ومن أنصار السلطان بن عرفة، إلا أنه بعد عودة الملك محمد الخامس إلى عرشه، خشي انتقامه، فهاجر إلى فرنسا حيث بقي فيها إلى أن توفاه الله. وكان الكثيرون من أنصار بن عرفة قد تركوا المغرب أيضاً بعد عودة محمد الخامس خشية الانتقام منهم. أما مدينة فاس فهي الوحيدة من بين مدن المغرب التي حافظت على تراثها وتقاليدها العربية، وبقيت كما شيدها إدريس الثاني، بشوارعها الضيقة ومساكنها الفسيحة، وهي تُعتبر مركزاً تجارياً هاماً في المغرب، أما فندق الجامعي الذي نزلنا فيه فقد كان في السابق داراً كبيرة لأسرة الجامعي، ثم حُولت إلى فندق، مع المحافظة على نقوشها وزخرفتها وجمالها الموجود منذ أكثر من قرنين.

زار الملك السلطان بن عرفة، الذي قام بعد ذلك بردّ الزيارة للمك حاملاً معه

الهدايا المغربية التقليدية، وكانت الزيارة ناجحة، وزيارة الملك إدريس للسلطان أمر تفرضه التقاليد الدبلوماسية وإن كانت قد أغضبت محمد الخامس، الذي أُبعد عن المغرب من قِبل الفرنسيين، رغم شعبيته الكبيرة ومحبة الشعب المغربي الفائقة له، فالفرنسيون جاءوا بالسلطان بن عرفة لخدمة مصالحهم الخاصة، وهو في الواقع رجلٌ طيب متواضع جاء إلى الحكم في ظروف سيئة، لأخذ مكان محمد الخامس الذي أُبعد عن المغرب.

سافرنا بعد إقامة أربعة أيام في فاس إلى (تلمسان) حيث استقبلنا السيد أحمد الشعثاوي، الذي أقام على شرف الملك حفلاً كبيراً دعا إليه وجهاء المدينة وأعيانها، كما أقامت سيدات المدينة حفلاً على شرف الملكة شاركت فيه سيدات المجتمع، وكان الكثير من السيدات يرتدين الملابس التقليدية الجميلة، ثم غادرنا (تلمسان) إلى (وجده) التي قضينا فيها ليلتنا في فندق متواضع، وكانت وجهة الملك مدينة (مستغانم) و(وادي الخير) موقع رأس جده محمد بن علي السنوسي ومحل إقامة (آل بن تكوك) أصل الأسرة السنوسية، كما جاء إلى الفندق لتحية الملك عددٌ كبير من أفراد أسرته، وهم يملكون أراضي جيدة في المنطقة، وكان الملك يريد إطالة إقامته في (مستغانم)، إلا أن الفندق لم تتوفر فيه وسائل الراحة، إذ كان أصحاب الفندق من المعمرين الفرنسيين الذين لم يبذلوا أي جهد في جعل إقامة الملك مريحة، وهذه المعاملة العدائية وجدناها في جميع الفنادق التي نزلنا فيها في شمال أفريقيا، وقد كان الملك يود البقاء بضعة أيام مع أهله وعشيرته، إلا أن معاملة الفندق جعلته يقرر السفر فوراً، وخلال الرحلة من طنجة إلى الجزائر، لم يتفوه الملك حتى بكلمة واحدة عن الأوضاع السياسية في ليبيا، ولا عن أسباب زيارة الساقزلي إلى طنجة، ولا على ما كان يشغل باله، فقد كان يتحدث معنا عن كل شيء، إلا عن ليبيا التي كانت أوضاعها تقلقه.

سافرنا يوم 17 نوفمبر إلى الجزائر ونزلنا في فندق سان جورج الواقع في ضواحي المدينة، إذ تعمد الفرنسيون إقامتنا بعيداً عن الجزائريين، وكان من نزلاء هذا الفندق خلال الحرب العالمية الثانية الرئيس (أيزنهاور) والمستر (تشرشل) و(ستالين)، وقد كُتب على إحدى الغرف أسماؤهم لأنهم كانوا يجتمعون فيها. ولم يتصل بنا أو يزورنا أحدٌ من الجزائريين، فالشرطة ضربت حولنا حصارا، وعندما طلبنا نحن الشبان السهر في المدينة، صحبنا رجال المخابرات في كل تجوالنا ولم نلتقِ بجزائري واحد، وصادف ونحن في الجزائر الإحتفال بعيد المولد النبوي، فأعد لنا الطاهي عبد الرحمن العصيدة التقليدية التي لا يعرفونها في الجزائر. وكانت إقامتنا

فيها غير سارة بسبب تقييد حركتنا ومنع الجزائريين الاقتراب منا أو مخالطتنا، فرياح الثورة كانت قد بدأت تهب والجزائريون يستعدون لخوض غمارها، والفرنسيون يتخذون جميع الاحتياطات للقضاء عليها.

سافرنا يوم 20 نوفمبر من الجزائر إلى قسطنطينية وهي مدينة كبيرة جميلة، إلا أنه مع الأسف لا يشعر المرء فيها بأنه في بلدٍ عربي، فالمعمرون الفرنسيون يسيطرون على كل شيءٍ فيها، بينما يعيش العرب معزولين في أحيائهم الفقيرة، كما لاحظنا عند مرور الملك وحاشيته وسياراته عدم رضا الفرنسيين في شمال أفريقيا، وكانت التعليمات واضحة وهي عدم اختلاطنا بالوطنيين وإخفاء نبأ مرور أول ملك عربي في شمال أفريقيا في بلادهم، كما علمنا فيما بعد من الوطنيين الجزائريين أنهم علموا بمرور الملك من بلادهم وأنهم أرادوا تكريمه والاجتماع به، إلا أن السلطات الفرنسية منعتهم من ذلك، ومن المعروف أن فرنسا كانت تحكم الجزائر بالحديد والنار، وكان الجزائريون يستعدون للثورة ومواجهة فرنسا وإخراجها من بلادهم، فالعداء كان مستحكماً بين الطرفين، وخاصةً بعد عمليات القمع الشديدة التي اتخذتها فرنسا ضد الجزائريين الذين بدأوا يتحركون ويطالبون بحريتهم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية التي شارك فيها الكثير من الجزائريين، فهؤلاء الجنود الذين حاربوا إلى جانب فرنسا وناصروها، هم الذين يتحركون اليوم ويطالبون بحقوقهم، فأغلب الشباب الذي قام بالثورة هم من المحاربين الذين حاربوا الألمان في جبل (كاسينو)، وفي جنوب إيطاليا، وهم يشعرون الآن بأن الفرنسيين بشرٌ مثلهم، ولا يتميزون عنهم بأي شيء.

غادرنا قسطنطينية إلى قابس جنوب تونس، وذلك تحاشياً لمرورنا من العاصمة التونسية خشية وقوع اضطرابات وقلاقل، وأقمنا في قابس في فندق شبيه بفنادق الدرجة الثالثة في بلادنا، ولم تبذل السلطات الفرنسية في شمال أفريقيا أي مجهود لتوفير الراحة للملك خلال رحلتنا فيها ذهاباً وإيابا.

وأقام حاكم قابس حفل عشاء للملك دعا إليه الأخوين، علي، ومحي الدين، أبناء محمد فكيني، وكنت قد تعرّفت على الأخير في باريس، ثم سافرنا في اليوم التالي في ساعة مبكرة، ولم يتناول الملك طعام الإفطار لعدم توفر الخبز في الفندق. لقد كان الحقد الفرنسي متغلباً على تصرفاتهم ومعاملتهم لنا، إذ كانت بوادر الثورة قد بدأت في الجزائر، وعوامل

القلق والتحفز تسودها، ورياح التحرير قادمة لا محالة، فإعلان إستقلال ليبيا بعث في المغرب وتونس روح التحدي والمطالبة بالحرية، كما عزز روح الثورة والنضال في الجزائر، فالجزائريون كانوا يدركون أن خلاصهم من فرنسا لا يتحقق إلا بالنضال المسلح، لا عن طريق المفاوضات السياسية.

وفي يوم 24 نوفمبر وصلنا الحدود الليبية بعد رحلة شاقة بسبب سوء الطريق وصعوبة السير عليها، فوجدنا مسؤولين ليبيين وجمعٌ غفير من الناس جاءوا للترحيب بعودة الملك، وقد أقاموا سرادقاً وأعدوا الطعام، إلا أن الملك لم يرضَ عن مجيئهم إلى الحدود، وبعد استراحةٍ قصيرة واصل رحلته إلى طرابلس التي أقام فيها عشرة أيام قابل خلالها الوالي ورجال الحكومة المحلية وبعض الأعيان، وتناقش معهم في شؤون الولاية واحتياجاتها، ثم سافر بعد ذلك إلى بنغازي. وقد أقام الملك في اليوم التالي حفلاً كبيراً حضره جميع رجال الدولة، ولاحظت أن الجو كان متوتراً ما بين الملك ورئيس الوزراء، فقد كان من المفروض أن يقف رئيس الوزراء إلى جانب الملك عند استقباله لأعيان البلاد وكبار الموظفين، إلا أن الملك طلب مني إبلاغه بعدم رغبته في وقوف أحد إلى جانبه، ففهمت من هذا الطلب أن الوضع متوتر حتى بين الملك والحكومة، وأن أزمة سياسية تتفاعل في الجو إقترب إنفجارها، وقد زُينت المدينة، إلا أنه ولأول مرة يقع إعتداء على أقواس النصر التي أقيمت بالمناسبة، والتي اشتعلت فيها النيران، كما وُزعت منشورات معادية، وانتشرت إشاعات بأن المنشورات طُبعت في مصر.

وبعد عودة الملك إلى البلاد، كانت الصراعات بين الحكومة الاتحادية والولايات على أشدها، وبصورةٍ تؤثر في فعاليات الدولة الجديدة الهشة، فتفجرت المطامع الشخصية والعصبيات الإقليمية والغيرة والحسد، كما لو أننا لم نمر بفترة استعمار مدمرة أذلت الجميع، ومرّغت أنوفنا في الوحل، ولا بفترة حرب لا ترحم، أذاقتنا البؤس والجوع والفزع وعدم الاستقرار، فهذه الدولة التي تجسدت فيها آمال المقهورين، والجياع، والمغتربين، والأرامل، واليتامى، فبدلاً من أن يُعمل على شد أزرها وتقويتها، فقد أخذ الجميع بمطالبهم المتناقضة وأهوائهم المختلفة، يعملون على تهديدها وتفكيكها، وإضعاف الحكومة الاتحادية التي كان عليها أن تهتم بالوضع الداخلي، وبمواجهة الدول الأجنبية الطامعة في البلاد.

وباستقالة رئيس الحكومة محمود المنتصر، بدأت سلسلة تغيير الحكومات والولاة التي طبعت البلاد بطابع عدم الاستقرار السياسي، إلا أن ما حافظ على استقرارها وسيرها نحو التقدم، هو بفضل الولايات والولاة الذين لم يهتموا بالخلافات، ولا بالصراعات التي كانت تفتعلها الحكومة الاتحادية لزيادة قوتها وصلاحياتها، وكانت نتيجة هذه الصراعات إستقالة حكومة محمود المنتصر، أول حكومة في تاريخ ليبيا المستقلة، ويبدو أن الملك عجز عن حل المشاكل بين الحكومة والولايات، فقرر التضحية بالحكومة، وزاد الطين بلة قرارات المحكمة العليا بأن (الملك يملك ولا يحكم)، وهو القرار الذي أحدث ارتباكاً وقلقاً وهدد كيان الدولة من أساسه، لولا أن مصطفى بن حليم بذكائه إستطاع أن يحل هذه الأزمة الدستورية بهدوء.

وذهبت لتوديع الملك قبل سفري إلى القاهرة، فوجدته مهموماً وقلقاً ومنزعجاً مما حدث، إلا أنه كان رابط الجأش ومسيطراً على الموقف، ومرّت هذه الزوبعة بسلام، وقد أوصاني بإنجاز بعض الأمور التي تهمه في مصر، وقال لي: إني أعتبرك أنت السفير في القاهرة.

عودتي إلى القاهرة

عدت إلى القاهرة لاستئناف عملي كمستشار مع السيد إبراهيم السنوسي، وكان رجلاً فاضلاً وكريماً ونبيلاً بكل معنى الكلمة، معترفاً بأنه لا خبرة له بالعمل الدبلوماسي، فألقى على عاتقي بالمسؤولية في شؤون المفوضية، واكتفى بالاتصال بكبار المسؤولين، وهو محترم من قبل الليبيين والمصريين والمقيمين في الصحراء الغربية بصورةٍ خاصة، وكان كثير التغيب في مرسى مطروح أو في ليبيا، وهو يقيم في الطابق العلوي من المبنى واكتفى ببعض الأثاث الرخيص الذي اشتريناه له، كما كان يستعمل سيارته الخاصة في أعماله الرسمية لأن البعثة لم تخصص له واحدة، وكنا عندما نجتمع مع الدبلوماسيين العرب وآخرين نشعر بأننا العضو الفقير في الأسرة.

وقمنا بإنشاء قنصلية ودعونا الليبيين إلى التسجيل، فلبى طلبنا بعض الأفراد في حين فضّلت الأغلبية البقاء في وضعها، خشية التعرض لمشاكل الإقامة واعتبارهم أجانب، إلا أنه كان هناك العديد من المعوزين الذين كانوا يريدون العودة إلى بلادهم، ولكن الإجراءات الروتينية المعقدة كانت تحول بينهم وبين ذلك، فهم لم يتحصلوا على الجنسية المصرية، ومطلوب منهم اكتساب الجنسية الليبية أولاً ثم العودة، وإجراءا ت الحصول على الجنسية طويلة ومعقدة، والمطالبون بالعودة لا يملكون قوتهم اليومي.

سافرت إلى طبرق وقابلت الملك وشرحت له الأمر، فاتصل برئيس الحكومة وطلب مني الذهاب إليه والاتفاق معه لإيجاد حلٍ للمشكل، فقابلت رئيس الحكومة وشرحت له الأمر، واتفقنا على تشكيل لجنة من ثلاثة مشائخ معروفين وموثوق بهم، يوقعون على شهادة لطالب العودة تثبت إنتمائه إلى الأصل الليبي، وشكلنا اللجنة من ثلاث من مشائخ القبائل الأكثر عدداً والمعروفين بنفوذهم، وصدقهم وسيرتهم الحسنة، وكان طالب العودة يتصل بهم، فيمنحه شهادة بأنه ليبي الأصل، وبموجب هذه الشهادة تقوم القنصلية بترحيله، وبهذه الصورة تمّ حل هذه القضية الشائكة، وقمنا بترحيل العديد من الناس بهذه الطريقة، وكانت شهادات المشائخ مدرج بها اسم الطالب واسم قبيلته وتاريخ هجرته من ليبيا، وكنا ندفع لهم أجرة السفر وثلاثة جنيهات لكل فرد من أفراد العائلة.

وبانضمامنا إلى الجامعة العربية، فإن مشاكلها كانت تأخذ الكثير من وقتنا، وقد تعرفت على رجالات الجامعة وعلى الدبلوماسيين العرب الذين إرتبطت بصداقة بعضهم، إلا أنه ما كان يحز في نفسي فقرنا وعدم إستطاعتنا السكن في شقةٍ محترمة نستطيع أن ندعو إليها زملائنا، وكانت سفارة اليمن بجوارنا وهم فقراء مثلنا بل أفضل قليلاً، أما سفارات السعودية ولبنان والعراق فكانت تحتل مبانٍ فخمة ولديهم سيارات فارهة ويعيشون حياة دبلوماسية صحيحة، كما كان موظفوها يقيمون في الأحياء الراقية ويشتركون في نادي الجزيرة، وكنا عندما نشارك في اجتماعات الجامعة العربية نشعر بأنهم ينظرون إلينا نظرة استخفاف.

وحدث أن طلبت وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين من ليبيا، توطين 1200 أسرة فلسطينية فيها مقابل مليونيّ دولار، تنفقها الحكومة الليبية على توطين الأسر المذكورة، فعرضت الحكومة الليبية الأمر على الجامعة العربية لأخذ رأيها في الموضوع، بينما أخذت الحكومة الليبية في دراسته من ناحيته الإيجابية، أي الفوائد التي ستحققها ليبيا من وجود هذه الأسر في بلادها، من حيث تعمير الأرض وتعليم الليبيين طرق الزراعة الحديثة وضخ دم عربي جديد في البلاد، ومن ناحية أخرى فإن الفلسطينيين سيستقرون في ليبيا، ويتحصلون على أراضٍ يزرعونها ويعيشون من نتاجها، وقد أصبحت ملكاً لهم، فعندما تتحرر فلسطين ويعود الفلسطينيون إلى ديارهم، سيكون في إمكان فلسطينيو ليبيا إتخاذ القرار، إما بالبقاء في ليبيا كمواطنين ليبيين، أو بيع ممتلكاتهم والعودة إلى فلسطين ومعهم رأس مال يبدأون به حياتهم.

أما الفكرة فكانت أمريكية ترمي إلى توزيع اللاجئين على البلدان العربية، وأدركتُ من خلال زيارتي لليبيا أن سكان الجبل الأخضر سوف يقاومون الفكرة، والحكومة الليبية في حالة قبولها لن يكون ذلك إرضاءً للأمريكيين، وإنما طمعاً في المليونيّ دولار لأنها كانت في حاجةٍ إليها، وقد أُثير الموضوع في الجامعة العربية، وعارض فاضل الجمالي وزير خارجية العراق المشروع، واعتبره ضاراً بقضية فلسطين ومحققاً لرغبات الأعداء ومنافياً لقرارات الجامعة العربية، كما عارض المشروع الأمير فيصل رئيس الوفد السعودي، واتهم ليبيا بالخروج عن قرارات الجامعة العربية، كما عارض أيضاً المشروع مندوب سوريا، وكنت أنا ممثل ليبيا، فأخذت الكلمة وتساءلت كيف أن فاضل الجمالي وهو الذي دافع عن ليبيا في الأمم المتحدة وعن طول جهادها وعن تضحياتها وبطولة شعبها، ليتهمها اليوم بالعمالة والتواطؤ

مع الأعداء، وأوضحت لهم أن قبول الفكرة هي لإتاحة الفرصة لعددٍ من الأسر الفلسطينية لبناء حياةٍ جديدةٍ في بلدٍ عربي، وذلك لا يمنعهم من العودة إلى بلادهم بعد تحريرها، ونرى أنه خيرٌ لهم أن يملكوا أراضي ومزارع بدلاً من مساعدات وكالة غوث اللاجئين، وضربت لهم مثلاً بالمهاجرين الليبيين الذين ظلوا في المهجر أربعين عاماً، وعندما استقلت بلادهم عادوا إليها ولم يحُل المهجر دونهم والنضال في سبيل تحريرها، وفي ختام كلمتي قلت لهم: إني باسم الحكومة الليبية أسحب المشروع الذي سوف ترفضه الحكومة الليبية، ولو أن المشروع تحقق لكان هناك عشرات الآلاف من الفلسطينيين الذين كانوا سيصبحون ملاكاً ومواطنين ليبيين، ويندمج أبناؤهم مع الشعب الليبي، فليبيا لم تتصرف في الأمر بل طلبت رأيَ الجامعة العربية، وقد شعرت بالإحراج في بادئ الأمر لأني كنت مستشاراً صغيراً، وكان الحاضرون في الجلسة وزراء خارجية ورؤساء حكومات، والغريب أنه فيما بعد جاء إلى ليبيا عشرات الآلاف من الفلسطينيين للعمل فيها، مثلهم مثل بقية الأجانب.

أما الجامعة العربية فكانت تأخذ جزءاً كبيراً من وقتنا، إذ كنت أنا المندوب الدائم في الجامعة، إلا أن ليبيا لم تنضم إلى معاهدة الدفاع المشترك، وظلت عضويتها مبتورة، وظلت معاهداتها مع الغرب تفتح المجال لمن يريد أن يطعن في صدقها وفي عروبتها، رغم أن مصر والسعودية والأردن مرتبطة بمعاهدات مع بريطانيا أو بأمريكا، وقد حافظت ليبيا على التوازن بين علاقاتها بالغرب وعلاقاتها بالبلاد العربية، إلا أن غالبية الدول الأعضاء لم تكن علاقتها بليبيا ودية. أما بخصوص قضية فلسطين، فكان تأييدنا لها ودفاعنا عنها لا يقل عن أي دولة عربية أخرى، فحماس رجل الشارع الليبي لقضية فلسطين يفوق الكثير من حماس الشعوب العربية الأخرى.

بعد عودة الملك من أوروبا تفاقمت الأحوال السياسية في ليبيا، وزادت الخلافات ووقعت أحداث إمتدت تأثيراتها لفترة طويلة على أوضاع البلاد واستقرارها، وكان الخلاف الأساسي واقعاً بين برقة والحكومة الاتحادية التي يعترفون بها كأداة للوحدة دون المساس باستقلال برقة الذاتي.

وهز ليبيا حادث اغتيال إبراهيم الشلحي بيد الشريف محي الدين السنوسي، وما صاحبه من تطورات مؤلمة على شخصية الملك، فالملك يعتبر إبراهيم الشلحي مساعده

الخاص ومحط أسراره، والواسطة بينه وبين الناس، فهو تربّى في كنفه وعاش معه سنوات طويلة، وحصل على ثقته ورضاه، وكان الجميع يعلم مبلغ الصلة بين الملك وإبراهيم الشلحي، ولذلك كان حادث الاغتيال موجهاً بصورة خاصة إلى الملك، الذي إعتبر الاعتداء على أعز شخص لديه هو تحدي صريح له، لقد أثّر اغتيال إبراهيم الشلحي في الملك تأثيراً كبيراً، فغادر بنغازي وانزوى في طبرق، وامتنع عن مقابلة الناس، وصبّ جام غضبه على أسرة (السيد أحمد الشريف السنوسي)، فأقال إبراهيم السنوسي من منصبه كوزير مفوض في القاهرة، وأمر بإبعاد شباب الأسرة إلى جادو، ورفض مقابلة أي أحد من أبناء السيد أحمد الشريف، فأحسّت ليبيا بأجمعها بتأثيرات هذا الحادث على الملك الذي حزن حزناً شديداً على الفقيد، كما هزّ الحادث الشعب الليبي من أقصاه إلى أدناه، وكنت آنذاك في القاهرة عندما وقع الحادث، ولما علمت بمجيء الملك إلى طبرق سافرت لتعزيته في فقيده العزيز، وكنت أعلم أنه لا يقابل أحداً، وعندما وصلت إلى طبرق طلبت من أمين سر الملك، أبو القاسم الغماري، أن يخبر الملك بوجودي في القصر، وبعد قليل جاءني أبو القاسم وقال لي إن الملك في انتظارك، فدخلت عليه وراعني منظره، فقد إرتدى جبة مغربية وكانت لحيته طويلة أكثر من اللازم، ووجهه شاحباً وعيناه غائرتان، ويتحدث بصوتٍ خافت يعبر عما كان يشعر به من ألم، وعندما حاولت تعزيته رأيت الدموع تنهمر من عينيه فبكيت أنا أيضاً، ثم سألني بعض الأسئلة عن الأوضاع في مصر، وبعدها سكت، فاستأذنت للخروج، وعدت إلى القاهرة متألماً للحالة التي رأيت عليها الملك، لقد فقد في إبراهيم الصديق والرفيق والمستشار، وكان في إغتياله تحدي صارخ له وتعدي على حرمته وفقاً لعادات أهل البلاد.

وبعد استقالة السيد إبراهيم السنوسي، عُين مكانه السيد خليل القلال كوزيرٍ مفوض لليبيا في مصر، وانسحب السيد إبراهيم وحل مكانه السفير الجديد.

وكانت الملكة لا تقل عن الملك حزناً وألماً، فالقاتل ابن أخيها والمقتول الرفيق الأمين لزوجها، وأهلها هم من دفعوا الثمن، إلا أنها أثبتت بأنها سيدة عظيمة، فلم تترك زوجها لحظة في الظروف المؤلمة التي كان يجتازها، والتي هزّت أعماقه، وقد إستدعى الملك وليَ عهده الأمير الرضا من طرابلس، وأُشيع آنذاك بأن الملك يريد مغادرة البلاد، والتنازل عن ملكه له، وعلى ضوء هذه الإشاعة هرع إلى طبرق رجال الدولة والمشائخ والأعيان، واتصلوا بالملك

لإقناعه بالتخلي عن فكرته لتمسّك الشعب به، واستنكار الجميع لما حدث، فاضطر الملك بناءً على إلحاحهم إلى وعدهم بالبقاء ملكاً على البلاد، فأصدر الديوان الملكي بعد ذلك بياناً نفى فيه الإشاعات، وأكّد أن الملك باقٍ مع شعبه، فاغتيال إبراهيم الشلحي أحدث تحولاً كبيراً في السياسة وفي الحياة الليبية، فهو قُتل ظلماً وعدواناً بيد أحد أفراد العائلة السنوسية، وهو ابن أخ ملكة البلاد، ولا شك في أن هذا التصرف كان فردياً، إتخذه الشاب الذي قام به بدون استشارة أحدٍ من أهله، أو التفكير في عواقب ما سيجرّ عليهم هذا العمل، فإبراهيم الشلحي كان رجلاً طيباً معتدلاً لا يتدخل في شيء، وإن علاقته بالملك هي علاقة حميمة، فهو الذي ربّاه وعلّمه وجعله رجلاً، أما إبراهيم الشلحي فكان متهماً بأنه وراء الأحداث التي تصدر عن الملك، وأن الملك يستشيره في الكبيرة والصغيرة، فعلاقته به كانت سراً فيما بينهما، ولكن ظاهرياً لم يكن لإبراهيم الشلحي ذلك النفوذ الكبير على الملك كما يدّعون. وبمقتله خسرت البلاد شيئاً من استقرارها واعتدالها، فقد هجر الملك بنغازي وطرابلس واختار طبرق مقراً له، رغم ما في هذا الاختيار من مصاعب على الحكومة لدى اتصالها به وعرض الأمور عليه، فالمسافة بين طرابلس وطبرق تستغرق وقتاً وجهداً، وليس من السهل على كل أحد القيام بها، وكان رجال الحكومة هم المعرضون لهذه الرحلات الشاقة لمقابلة الملك وعرض الأمور عليه، بينما ستقلّ زيارات الأجانب ورجال السلك الدبلوماسي له، إلا في الحالات الضرورية.

وعاد اغتيال إبراهيم الشلحي بالسوء على أسرة أحمد الشريف، الذين أبعد الملك شبابهم في جادو وغيرها من المناطق وأهمل رجالهم وشيوخهم، أما الملكة فقاست الكثير من هذا الوضع المؤلم، إلا أنها صبرت وتحمّلت ولم تتخلَ عن واجبها حيال زوجها. وقبل محاكمة الشريف محي الدين القاتل، منعت السلطات الليبية دخول أي محامي إلى ليبيا ووزعت منشوراً بذلك على جميع السفارات، وقد زارني في السفارة، محمد صلاح الدين، وزير خارجية مصر السابق طالباً تأشيرة دخول إلى ليبيا، ولم يتبادر إلى ذهني أبداً بأنه محامٍ ويمارس مهنة المحاماة، ويجب منعه من الدخول إلى ليبيا، فمنحته تأشيرة الدخول، وعندما وصل المطار أُعيد ثانيةً إلى مصر، ولم يفاتحني أحد في هذا الحادث. وقد حوكم الشريف محي الدين، وحكمت عليه المحكمة بالإعدام، ونفّذ فيه الحكم، وأُسدل الستار على هذا الحادث المريع، إلا أنه ترك عداءً وجفاءً بين أفراد الأسرة السنوسية وبين الملك، الذي كان

عليه أن ينفّذ الشرع في قاتل رفيقه المفضل ومستشاره، والذي قُتل عمداً وبسابق الإصرار.

كانت القاهرة في بداية عام 1955م مسرحاً لأحداثٍ جسام، إذ كان هناك صراعات بين الدول العربية بسبب الإتفاق العراقي التركي الذي أُطلق عليه اسم حلف بغداد، فقد قاوم عبدالناصر هذا الحلف بقوة، واشتدت الجفوة بين مصر والعراق، وأخذت وسائل الإعلام نصيبها في توسيع الهوة بين الطرفين، وكانت هذه بداية الصراعات بين الدول العربية بصورة علنية وبهذا الشكل، والذي تجاهل جميع روابط الأخوة والتاريخ والانتماء، وظهرت فيما بعد سياسة التمحور التي عانت منها الشعوب العربية الكثير، وكانت عاملاً هاماً في صراعاتها اللاحقة وفي انقسامها وعجزها عن مواجهة الصهيونية عدوها الأكبر، أما ليبيا في هذه الفترة فكانت تواجه مشاكل داخلية وخارجية، لا تستطيع الدولة الفتية الهشة والمعدمة، والفقيرة في كل شيء، أن تواجهها، فدخلت في مفاوضات مع أمريكا وفرنسا وإيطاليا لحل القضايا المعلقة، وذلك بعد أن توصلت إلى عقد معاهدة مع بريطانيا، أمّنت لها تعهد بريطانيا بسد العجز في الميزانية.

فالولايات المتحدة تحصلت على اتفاقٍ مؤقت قبل الاستقلال، وهو بقاء قاعدتها في ليبيا، فقد تقدّمتْ إلى وزير الخارجية في الحكومة المؤقتة آنذاك وهو السيد علي الجربي وقالت له: إذا وقعتم على الاتفاق، فإن إستقلال ليبيا سيكون مضموناً، وإذا لم توقعوا فعليكم أن تواجهوا مواقف الدول المختلفة من أجل الحصول على استقلالكم، وهو أمر بعيد المنال. فوقّع الوزير على الاتفاقية التي أُعتبرت ثمناً لاستقلال ليبيا، علماً بأن هذه الإتفاقية التي وُقعت قبل إعلان الاستقلال قد وقعها وزير في الحكومة المؤقتة، وقد تكون لا قيمة لها إذا ما طُعن في شرعيتها، ولكن السلطات الليبية في ذلك الوقت وافقت على توقيعها لأهمية أمريكا في العمل على استقلال ليبيا، وبالنظر أيضاً إلى أن القاعدة الأمريكية موجودة فوق الأراضي الليبية ولا يستطيع أحد إزالتها، فالولايات المتحدة بموجب حصولها على الاتفاق المؤقت، قامت بالضغط على فرنسا للموافقة على استقلال ليبيا، إلا أن فرنسا كانت تريد عقد معاهدة تبيح لها البقاء في فزان، أسوةً بالمعاهدة التي عقدتها ليبيا مع بريطانيا.

أما إيطاليا التي فشلت في الحصول على الوصاية على ليبيا، فقد كانت تريد أن تؤمن لمواطنيها حق الاحتفاظ بالعقارات التي منحتها لهم لتعميرها، والتي اغتصبتها من الليبيين،

وقبلت الحكومة برئاسة مصطفى بن حليم تحت الحاجة والعجلة، شروطاً مجحفة بليبيا وبسيادتها ومصالحها، وربما لو قاومت وصبرت لنالت شروطاً أفضل، ولطالبت إيطاليا بالتعويضات التي هي من حق الشعب الليبي، فقبلت شروط إيطاليا وهي أن المستوطنات الإيطالية التي أتم أصحابها الشروط المفروضة عليهم، تصبح ملكاً صرفاً لأصحابها الإيطاليين يتصرفون فيها بالبيع والشراء، وهذا ما حصل في طرابلس، إذ أنهم باعوا مزارعهم للوطنيين بأسعارٍ مرتفعة وأخذوا ثمنها وسافروا إلى إيطاليا، فهذه الصفقة التي حققتها إيطاليا في طرابلس كانت على حساب الليبيين، وهي حتى الآن ترفض الاعتراف بما ألحقته بالشعب الليبي من أضرارٍ وترفض تعويضه، أما في برقة فإن الوالي حسين مازق رفض التنازل لإيطاليا عن شبرٍ واحد من الأراضي التي اغتصبتها.

أما في الداخل فكانت البلاد تعيش تحت وطأة شبح اغتيال إبراهيم الشلحي ومحاكمة القاتل، وموضوع المحكمة العليا، ووفاة السيد الرضا ولي العهد، وإيجاد حلٍ لوراثة العرش، وقد إقترح بن حليم على الملك توحيد البلاد وإقامة جمهورية يترأسها الملك مدى الحياة.

إستدعى الملك المستر بلت من بلده، وحسين مازق والي برقة، ورئيس الوزراء بن حليم، وبوصيري الشلحي، وعبد السلام البوصيري رئيس الديوان، وطلب منهم مناقشة الفكرة، وبعد نقاشٍ طويل إنتهى الاجتماع دون اتخاذ قرار، وإتاحة الوقت للملك لمزيدٍ من التفكير، وبمجرد أن سمع سكان برقة بنبأ اجتماع طبرق، تهافت على القصر الملكي مشائخ البلاد وأعيانها للإعراب عن تمسكهم بالملكية وبالنظام الفيدرالي، فأدرك الملك بأن النظام الاتحادي الحالي خير ضمان لوحدة البلاد، وأن الوقت لم يحن بعد لإلغائه.

كما اقتنع الملك بضرورة اختيار ولياً للعهد، لوضع حدٍ لمعركة التنافس على وراثة العرش بين أفراد الأسرة المالكة، ووقع الاختيار على (حسن الرضا) نجل -السيد الرضا- شقيق الملك، وكان يدرس بجامعة الأزهر في القاهرة، وجيء به إلى ليبيا عام 1956 وأُعلن تعيينه ولياً لعهد المملكة، وكان الحسن الرضا شاباً طيباً، ولم ينتهِ بعد من إتمام دراسته، كما لم يكن له من قبل سابق عهد بشؤون الدولة الليبية وبأعمالها، فهو خجول قليل الكلام محب للهدوء، ولم يكن يتطلع أبداً لأن يكون ولي عهد ليبيا، فاستلم مهامه الرسمية. أما الملك فلم يعمل على تخصيص بعض من يثق فيهم لتدريبه وتعليمه وإعداده لأن يكون ملكاً على

ليبيا، بل سعى لتزويجه عام 1959 من ابنة طاهر باكير وهو من أعيان طرابلس وعضو فعال في الإدارة الحكومية. وقد دُعينا إلى طبرق لحضور عقد قران الأمير بحضور الملك، فكان حفلاً بسيطاً لم يدم أكثر من نصف ساعة من الزمن عاد بعده جميع المدعوين إلى مواقعهم، وخُصّص للأمير مكتب وموظفون ولكن لم يُخصص له أي نوع من العمل، اللهم إلا تمثيل الملك بين الحين والآخر في الاجتماعات التي لم يكن في استطاعة الملك حضورها، وفي المرات التي قرر فيها الملك التنازل عن العرش ترك الخيار للشعب بتبني الملكية أو تحويلها إلى جمهورية، وهذا ما يدل على عدم تمسكه بأن يكون ولي العهد ملكاً من بعده على ليبيا.

أما بوصيري الشلحي فأخذ مكان والده في الديوان الملكي كناظر للخاصة، غير أنه لم يكن يتحلى بأخلاق والده المتحفظ والساكت، فكان بوصيري الشلحي يتدخل في شؤون الدولة ويفرض نفسه ويحقق رغباته، وأقام حوله مركز قوى من المنتفعين والمسؤولين الذين كانوا يحققون له رغباته وينصحونه بما يفعل، وكانت الحكومة تجامله وتحقق له ما تستطيع من رغبات، أما العداء بينه وبين الملكة فكان واضحاً، فهي عمة قاتل والده وكان يتعمد إهانتها وعدم تلبية رغباتها، وحصرها في دارها، كما اقترح على الملك إزالة لقب ملكة عنها وتسميتها بزوجة الملك، أما الملكة فكانت صبورة وحكيمة ولم تخضع للاستفزازات التي ترمي إلى إبعادها عن زوجها، فهي امرأة عظيمة تحملت بصبرٍ كل ما يجري حولها وظلت إلى جانب زوجها في جميع الأزمات التي مرّ بها.

زواج الملك من امرأة ثانية

بعد وفاة الأمير محمد الذي ولدته الملكة في الشهر السادس من حمله، بدأ المقربون من الملك يوعزون إليه بضرورة حصوله على ولي عهد من صلبه، وهذا لا يتم إلا بزواجه من امرأة أخرى، فاستشار الملك زوجته في الأمر، فوافقت على زواجه، ودفعته إلى القيام بهذه الخطوة في سبيل توطيد العرش، ووجود ولي عهد يخلف الملك بعد وفاته، وكان موقفها هذا عظيماً أيضاً يدل على نبل أخلاقها وتمسكها بما هو في صالح زوجها والبلاد، وكُلف مصطفى بن حليم وعبد الله عابد السنوسي باختيار الزوجة المناسبة، فوقع اختيارهم في القاهرة على أسرة لملوم التي هي من أصلٍ ليبي، والتي تتمتع في المجتمع المصري بمركزٍ هام، فوافق الملك على اختيار ابنة لملوم لتكون زوجة ثانية له على أمل أن ينجب منها ولياً للعهد، وقرر المجيء إلى

القاهرة لعقد قرانه عليها، كما قررت الملكة مرافقة الملك إلى القاهرة لحضور عقد القران.

وصل القاهرة، بن حليم رئيس الوزراء، وأبلغنا أن الملك سيصلها يوم 23 مايو 1955م، ليعقد قرانه على الآنسة علياء لملوم والإقامة بضعة أسابيع في القاهرة، وذلك بناءً على رغبة ممثلي الأمة، وواصل بن حليم كلامه قائلاً: إنه بناءً على رغبة الملك فسأظل إلى جانبه طوال مدة إقامته في مصر. وقد إتصل بي سكرتير الملك وأبلغني أن الملك يطلب مني الحضور إلى السلوم لدى وصوله إليها، وفي اليوم التالي سافرت مع رئيس الوزراء إلى الإسكندرية ومنها إلى كنج مريوط، لتفقد الأماكن التي سينزل فيها الملك بناءً على رغبته.

سافرت إلى السلوم بصحبة رئيس الوزراء، وحسن إبراهيم عضو مجلس قيادة الثورة المصرية، وشخصيات أخرى لاستقبال الملك، وقد وُضع تحت تصرفه قطار خاص، وعندما قابلت الملك طلب مني أن أعتني بالملكة عناية خاصة، وأن أصحبها إلى المكان المعد لإقامتها، وأن أُلبّي جميع طلباتها، وعندما وصلنا كنج مريوط، صحبت الملكة إلى مسكنها وبقيت في خدمتها طوال مدة إقامتها في مصر، وكان بوصيري الشلحي الموجود مع الملك يعمل على مضايقتها وعدم تلبية طلباتها، فعدائه لها كان واضحاً. أما الملك فكانت محبته لأبناء إبراهيم الشلحي تفوق الوصف، فكان لا يرد لهم طلباً ويسمح لبوصيرى بالتدخل في شؤون الدولة، إلا أن أبو القاسم الغماري عندما كان سكرتيراً خاصاً للملك، طلب منه بوصيري أن يعرض عليه جميع الرسائل الموجهة إلى الملك قبل عرضها على صاحب السمو، وأخبر أبو القاسم الغماري الملك بذلك، فقال له لا تنفذ طلبه، وأخذ بوصيرى في مضايقة أبو القاسم الغماري إلى أن نقله الملك للعمل مع ولي العهد.

في يوم 5 يونيو تمّ عقد قران الملك في دار السفارة الليبية، وقام بعقد القران شيخ الأزهر، وقد حضره جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر، وكان حفلاً بسيطاً متواضعاً، عاد الملك على إثر انتهائه إلى كنج مريوط، وبدلاً من أن يدخل على عروسه في القاهرة كما كان مقرراً، وقضاء شهر معها في ڤيلا كانت مُعدة لذلك، إلا أنه سافر مع الملكة فاطمة إلى ليبيا فجأة، وطلب بأن تلحق به العروس إلى طرابلس، وأقام الملك لبضعة أيام في طبرق ثم غادرها إلى طرابلس.

عدت إلى القاهرة مع بوصيري الشلحي بعد أن كلفنا الملك باصطحاب العروس إلى طرابلس، وقد خصصت الحكومة المصرية اليخت (انتصار) لنقل ملكة ليبيا الجديدة من الإسكندرية إلى طرابلس، وفي يوم 26 يونيو أبحر اليخت (انتصار) وعلى ظهره الملكة الجديدة وشقيقاتها، وشقيقها عبد المنعم، وبعثة الشرف المصرية، ومحمد عبدالسلام الغماري وزوجته، وبوصيري الشلحي وأنا، لقد كانت رحلة بحرية شائقة وممتعة دامت أربعة أيام، وصلنا بعدها إلى طرابلس، وانتقلت بعد ذلك العروس إلى غريان حيث يقيم الملك في استراحته، في حين ظلت الملكة فاطمة في قصر الخُلد، ولم تُقم حفلات أو ولائم أو عرس بالمناسبة، فقد تناولنا العشاء مع الملك، وبعد أن شربنا الشاي صعد الملك إلى غرفته.

وفي صباح اليوم التالي ذهبنا إلى القصر وانتظرنا مجيء الملك، وقد أطل علينا وكان وجهه عابساً لا يعبر عن وجه عريس في صباح زفافه، فأدركت أن العروس لم ترق له، وكان شقيق العروس يعتقد أنه بزواج شقيقته من الملك، قد أصبح سيداً لليبيا يفعل ما يشاء ويأخذ ما يشاء، فكثرت طلباته للحصول على أشياءٍ كثيرة دون أن يُنفذ له طلباً منها، وأدرك أن بلاط ليبيا يختلف كثيراً عن بلاط مصر، وأن المنتمين للملك أفراد كالآخرين، وظن أن عرش الإدريس كعرش فاروق، بذخ، وحفلات، وامتيازات، فوجد البساطة تمشياً مع رغبة الملك. وقد أقام الملك سبعة أيام مع عروسه الجديدة، ثم إنتقل إلى قصر الخُلد إلى جانب زوجته القديمة الوفية، فأدركت آنذاك بأن هذا الزواج لن يعمر طويلاً، لأن العروس متقدمة في السن ولا يُحتمل أن تنجب له أطفالاً.

حلف بغداد وصراع الدول العربية

عدت إلى عملي في القاهرة فوجدت الأوضاع السياسية العربية قد زادت سوءاً بسبب حلف بغداد، فاشتد الصراع بين القاهرة وبغداد، وفي يوم 14يناير عام 1955م أُعلن التوقيع على الإتفاق التركي العراقي المعروف (بحلف بغداد)، وذلك رغم جميع الجهود التي بُذلت لثني العراق عن التوقيع عليه، والذي يقسم البلاد العربية ويجعلها طرفاً في الحرب الباردة بين الدولتين الكبيرتين، فثارت ثائرة الإعلام المصري، وثارت ثائرة جمال عبد الناصر وزادت تهديداته للعراق، فقام بحملة عنيفة ضدها، فمصر لا تريد تدخل تركيا في الشؤون العربية ولا تريد اتجاه العراق بمفرده نحوها. وتقرر عقد اجتماع لرؤساء الحكومات العربية لبحث

الموضوع، كما تقرر أن لا تشارك في الاجتماع إلا الدول الموقعة على معاهدة الضمان الجماعي، وهذا يعني إقصاء ليبيا عن الاجتماع لأنها غير موقعة على الاتفاقية، ويبدو أن رئيس وزراء ليبيا كان يريد أن يكون له دوراً في هذه المعمعة، وبعث إلينا أن نطلب من الجامعة العربية تأجيل الاجتماع، وأن تشارك فيه جميع الدول الأعضاء في الجامعة لا الموقعين فقط على معاهدة الضمان الجماعي، وقام السفير خليل القلال بسلسلةٍ من الاتصالات في هذا الصدد، فزار وزير خارجية مصر الذي رفض التأجيل وأصر فقط على مشاركة الدول الأعضاء في معاهدة الضمان وهذا معناه عدم مشاركة ليبيا.

وحلف بغداد من صنع الغرب لتكوين جبهة شرقية تقف في وجه روسيا، وبما أن ليبيا محسوبة على الغرب، فقد كانت مصر تخشى أن تؤدي مشاركتها إلى مناصرة العراق، في الوقت الذي لم تتخذ فيه الأردن ولبنان وسوريا موقفاً واضحاً، في حين كانت السعودية تؤيد مصر تأييداً كاملاً، ولأول مرة تشهد السفارة الليبية نشاطاً سياسياً مكثفاً، إذ زارنا سفير روسيا وغيره من سفراء الدول الذين كانوا يأتون لبحث الوضع مع ليبيا ومعرفة موقفها من الصراع الحالي، وكان خليل القلال يجتمع بالسفراء ورؤساء الحكومات العربية الموجودين في القاهرة لإقناعهم بحق ليبيا في الاشتراك في الاجتماع لمناقشة الأوضاع العربية، ونشطت بيننا وبين طرابلس برقيات الرموز، وفي يوم 22 يناير إستقبل الرئيس عبد الناصر السفير خليل القلال الذي شرح له طلب ليبيا وحقها في المشاركة في اجتماعات الجامعة، كما زار السفير الأمين العام للجامعة للغرض ذاته، وكذلك زار الأمير فيصل رئيس وفد السعودية، وسامي الصلح رئيس حكومة لبنان، وتوفيق أبو الهدى رئيس حكومة الأردن، وفارس الخوري رئيس حكومة سوريا، وشرح لهم أسباب مطالبة ليبيا للإشتراك في اجتماعات الجامعة، وتقرر بعد هذا النشاط والإتصالات دعوة ليبيا إلى اجتماع رؤساء الحكومات العربية، وأعتقد بأن القرار لم يُتخذ إلا بعد موافقة الرئيس عبد الناصر.

سافرت إلى طبرق مع رئيس الوزراء وقابلت الملك مرتين، ففي الأولى إلتقيت معه قرابة الساعتين، وفي المرة الثانية قرابة الساعة ونصف الساعة، وشرحت له بالتفصيل الصراع الدائر حول حلف بغداد وأسباب معارضة مصر له، وتمسك العراق به، وموقف بقية الدول العربية من الموضوع، فالملك بالرغم من العلاقات القوية التي تربط ما بين ليبيا والعراق، وكذلك الارتباط ما بين الأسرتين المالكتين، فإن علاقته بمصر جيدة ولا يريد معاداتها أو معارضتها

أو الوقوف إلى جانب من يعاديها.

في يوم 4 فبراير عدت إلى القاهرة مع رئيس الوزراء، والذي بمجرد وصوله ذهب فوراً إلى اجتماع رؤساء الحكومات العربية، وهذه أول مرة تشارك فيها ليبيا بفعالية وقوة في اجتماعات الجامعة العربية خلال مناقشتها لأمرٍ خطير كهذا، لقد كان تأثير عبدالناصر على جميع الدول العربية قوياً، بحيث أن العراق أصبح وحيداً في صراعه ضد مصر المهيمنة على البلاد العربية، وحاول بن حليم القيام بدور الوساطة بين الطرفين، إلا أن أسباب الخلاف كانت أكبر من مقدرته، لذلك حاول إرضاء مصر دون إغضاب العراق، وشعرت بأن المصريين كانوا راضين عنه، وقابل بن حليم الرئيس جمال عبد الناصر، ولا أدري ما دار بينهما، وانتهت اجتماعات الجامعة العربية بالفشل، وتصعيد العداء بين مصر والعراق.

وسارت العراق في سياستها المخططة، وانضمت بريطانيا، وباكستان، وإيران للحلف، وهو حلف غريب عن الأمة العربية، إذ أحدث خللاً في الجامعة العربية وفي جهودها من أجل حل قضية فلسطين، وفي الوقت الذي كانت تدور فيه اجتماعات رؤساء الحكومات العربية، طلب زيارتي سفير تركيا (زورلو)، وكان قد طلب موعداً مع رئيس الوزراء فأحاله عليّ، وجاء السفير التركي إلى السفارة غاضباً، وبادرني بالسؤال: لماذا يتدخل رئيس وزرائكم في قضايا أكبر منه؟ ولماذا يحاول التوفيق بين مصر والعراق على حساب سياستنا؟ ودهشت من لهجة هذا التركي ومن غطرسته فأجبته: إن ليبيا دولة عربية، وعضو في جامعة الدول العربية، ومن حقها أن تتدخل في الشؤون العربية، والتوسط لحل الخلاف بينها، وقلت له: إن ليبيا ليست بولاية تركية، فقد تخلّت عنها تركيا لإيطاليا قبل أربعين عاماً، وتركتها وحدها تقاوم إيطاليا على مدى ثلاثين عاماً، ورئيس حكومتنا يتصرف وفقاً لما تمليه عليه مصلحة ليبيا ومصلحة الأمة العربية، وإني مستغرب جداً أن يأتي سفير تركيا ويخاطبني بهذه اللهجة. فنهض دون أن يعتذر وغادر السفارة، وكان هذا السفير شقيق وزير خارجية تركيا الذي كان يتولى المهمة الكبرى في تحقيق حلف بغداد، والذي إستاء لقيام رئيس وزراء ليبيا بالوساطة ما بين الدول العربية المختلفة بخصوص حلف بغداد، وظن السفير أن العلاقات الجيدة القائمة بين تركيا وليبيا، سوف تمنعها من القيام بهذا الدور الذي لا يتناسب مع حجمها الدولي، كما استغرب قيام ليبيا بذلك وهي المعروفة بالحياد وبرغبتها في علاقاتٍ طيبة مع الجميع.

غادر بن حليم القاهرة بعد أن حقق تقارباً وتفاهماً مع مصر، وعدم رضا بغداد عن مواقفه، واستمر النشاط السياسي بعيداً عن القاهرة، إذ زار فاضل الجمالي (رئيس وزراء العراق) دمشق وبيروت، وزار الملك حسين بغداد، وكانت المساعي تُبذل من أجل إيجاد حلول ودية للمشكل، بحيث لا تنسحب مصر من معاهدة الضمان الجماعي، ولا تتراجع العراق عن التوقيع على اتفاقيتها مع تركيا، إلا أن جميع هذه الجهود باءت بالفشل، إذ وقّع العراق على المعاهدة مع تركيا يوم 24 فبراير، وأخذت بريطانيا وأمريكا تبذلان جهوداً لضم الأردن ولبنان إلى الحلف، ولكنهما لم تنجحا، وذلك لخشية الجميع من ردود فعل مصر.

وفي هذه الفترة زار القاهرة وفدٌ من الصحافيين الليبيين، فأقامت له نقابة الصحافيين المصريين حفل عشاءٍ كبير في فندق (سميراميس) حضره كبار الصحافيين المصريين، كما أُقيم للوفد حفل عشاءٍ بنادي نقابة الصحافيين، تحدث فيه الأستاذ، فكري أباظة، عن الروابط والعلاقات بين البلدين.

وفي هذه الفترة كانت ملكة بريطانيا (إليزابيث) في زيارةٍ لشرق أفريقيا، فقررت وهي في طريق عودتها المرور بطبرق للقيام بزيارةٍ للملك إدريس، فوصلني وأنا في القاهرة استدعاءً من الملك للمجيء إلى طبرق لأكون في استقبال الملكة الزائرة، فسافرت إليها، وعندما وصلت الملكة والتي كان في صحبتها زوجها الأمير (فيليب) والسفير البريطاني، قمنا باستقبالهم أنا واللواء محمود بوقويطين، ورافقناهم إلى القصر وإلى الغرفة التي كان بها الملك والملكة، ودامت الزيارة بعض الوقت، قدمت خلالها الملكة قلادة إلى الملك إدريس، وقدم لها بدوره قلادة محمد بن علي السنوسي، كما أهدت الملكة فاطمة لإبنها الأمير شارل سرجاً صغيراً فضياً، وبعد انتهاء الزيارة، غادرت ملكة بريطانيا وحاشيتها القصر في طريقهم إلى الميناء، حيث كانت تنتظرهم بارجة حربية لتقلّهم إلى بريطانيا، وقد كان الملك إدريس منشرحاً للزيارة التي أكدت عمق العلاقات بين ليبيا وبريطانيا، ثم دعانا الملك بعد ذلك لتناول طعام الغداء معه، وفي اليوم التالي عدت إلى القاهرة.

إستدعاني رئيس الوزراء إلى طرابلس، ولما علم السفير، خليل القلال، بهذا الاستدعاء إستاء لتجاهله، فسافرت إلى طرابلس وذهبت مع رئيس الوزراء إلى طبرق، وقابلت الملك، وكان كعادته لطيفاً معي، وقدمت له تقريراً بما كان يجري في مصر من سياسات متضاربة،

أساسها حلف بغداد الذي كانت مصر تعمل بكل جهدها لمنع انضمام أي دولة عربية أخرى إليه، وعدنا إلى طرابلس وعدت أنا إلى القاهرة في اليوم ذاته، وكان يقيم في القاهرة سليم الحسيني وإخوته ووالدتهم، وقد وجدت فيهم نعم الأهل والإخوة والأصدقاء، ولن أنسى أفضالهم عليّ، ويؤسفني أن وافاهم الأجل الواحد تلو الآخر دون أن أستطيع إيفاءهم بعضاً من حقوقهم عليّ.

وفي يوم 26 أغسطس عام 1955م قابلت عبيدة كنعان في دار علي شعث مدير البنك العربي في الإسكندرية وهو زوج خالتها، وأُعجبت بها وخطبتها في اليوم ذاته، وتم الزواج بعد شهر تقريباً، وقد وجدت فيها نعم الزوجة والرفيقة والصديقة، واحتفلنا مؤخراً بمرور خمسين عاماً على زواجنا، وأنجبنا خلالها أربع أولاد وبنتين وثلاثة عشر حفيداً، وظلت عبيدة نعم الرفيقة والزوجة، وأنا في أواخر عمري.

لم يمر على تولي عبد الناصر أكثر من عامين، حتى أصبحت القاهرة تلعب دوراً رئيسياً في سياسة المنطقة العربية وتوجهاتها، وأدرك عبد الناصر بأن وزن مصر السياسي والتاريخي والحضاري يؤهلها للقيام بهذا الدور، وخاصةً بعد أن حلّت مشاكلها مع بريطانيا، واكتسبت موقعاً دولياً هاماً لم تعرفه مصر من قبل، إلا أن طموحات عبدالناصر اصطدمت بالعراق، والذي كان يسيّر سياسته، نوري السعيد، الرجل القوي الذي تمرّس في السياسة الداخلية والخارجية، والذي كان يطمح في تحقيق دولة الهلال الخصيب المؤلفة من العراق، والأردن، وسوريا، وفلسطين، ولبنان، وكان العراق إلى جانب قدراته الاقتصادية والعسكرية، يحظى بتأييد بريطانيا التي وجدت فيه عاملاً هاماً لتوطيد سياستها في المنطقة، وكانت الأوضاع في لبنان والأردن مضطربة، إذ أخذت إسرائيل تستعرض عضلاتها بالاعتداء على حدود البلاد العربية المجاورة بما فيها غزة، والعمل على زيادة عدم الاستقرار في المنطقة لتقوية الخلافات العربية، فاضطر عبد الناصر من خلال هذا الواقع المؤلم أن يمد يده إلى الدول الإشتراكية، فعقد صفقة السلاح التشيكي التي كانت نقطة تحول هامة في سياسة المنطقة، وذلك بعد أن رفضت الولايات المتحدة تزويده بالسلاح، كما تخلّت عن بناء السد العالي الذي وعدت ببنائه، وهذا في الوقت الذي كانت فيه ثورة الجزائر مشتعلة، والاضطرابات تسود تونس والمغرب للمطالبة بالاستقلال، وكان على ليبيا مجاراة هذه الأوضاع، والمشاركة فيها مضطرة، إلا أن علاقتنا بمصر كانت تزداد بازدياد طلباتنا منها بتزويدنا بالمدرسين،

والخبراء، والقضاة، والموظفين المصريين، وكان المعارضون الطرابلسيين لا زالوا غير راضين عن الوضع باستعمال مختلف الوسائل، إذ تجمّع الطلبة الطرابلسيون في ناديهم للإعراب عن معارضتهم للنظام القائم في ليبيا، وكان جميعهم يتقاضون منحاً دراسية من الحكومة الليبية، ويبدو أن المخابرات المصرية كانت تشجعهم وتساندهم، ومع ذلك فلم تتخذ الحكومة ضدهم أي إجراء.

كان عام 1956م مليئا بالأحداث التي كانت لها تأثيرات على مستقبل مصر والمنطقة العربية، إذ بدأت مصر في تقوية معارضتها للإمبريالية الغربية، وكانت الولايات المتحدة بقيادة دالاس قد غرقت إلى أذنيها في حربها الباردة ضد روسيا، وأعماها صراعها ضد الشيوعية عن تقدير مصالحها في الشرق الأوسط، فأصبحت سياستها تنبع من فكرة مقاومة الشيوعية، وتناست أن الدول العربية لا مصلحة لها في محاربتها، فهي في الواقع لا تريد تأييد أمريكا في صراعها ضدها، وكذلك لا يوجد بينها وبين روسيا مشاكل ولا أسباب تدفعها إلى محاربتها،غير أن الولايات المتحدة كانت تريد من جميع أصدقائها أن يقفوا في صفها ضد الشيوعية، فالبلاد العربية كونها بلاد مسلمة تنفر بطبيعتها من النظام الشيوعي، ولا يوجد باستثناء سوريا، دولة عربية واحدة يقوم فيها حزب شيوعي، ولذلك كانت البلاد العربية تتردد كثيراً في الاستجابة لمطالب واشنطن بمحاربة الشيوعية، فهي لا تؤيد قضايا أمريكا بسبب مناصرتها الكاملة للوجود الصهيوني في فلسطين، ولذلك فشل حلف بغداد ولم تنضم إليه دولة عربية واحدة باستثناء العراق، وعندما سحبت الولايات المتحدة عرضها على مصر لبناء السد العالي تسبب ذلك في القطيعة الكاملة بين البلدين.

تأميم قناة السويس

قام جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس، فكانت ضربة لم تحتملها الإمبريالية الغربية، فهو حدثٌ اهتزّ له العالم بأسره، وأزعج الدوائر الإمبريالية التي رأت فيه تحدياً وثورةً عليها، فالإستعمار كان لا يزال له نفوذه وآثاره في الشرق الأوسط، وكانت الدول الإمبريالية تحاول إستمرار هذا النفوذ، ولذلك فإنها لم تكن لتسمح لأي دولة من دول الشرق الأوسط بالتمرد عليها، وقد بذلت بريطانيا وفرنسا جهوداً متعددة لإبطال القرار المصري بتأميم القناة أو إعاقة تطبيقه، ولكن بدون جدوى، إذ تمسكت مصر بحقها، والتزمت بتسيير الملاحة في

القناة كالمعتاد، وكانت المعركة مصيرية بالنسبة للطرفين، فإذا خسرتها بريطانيا فمعناه بداية تقلص نفوذها ومصالحها في المنطقة، أما بالنسبة لمصر فيعني عودتها للخضوع للاستعمار الغربي، وقبول الوجود الصهيوني، ورهن القدرات الطبيعية العربية، وعلى رأسها البترول لفترة طويلة أخرى، وعندما فشلت بريطانيا في تحويل تأميم القناة إلى قضية، دعت جميع الدول المستعملة لها لتشكيل هيئة دولية للإشراف على الملاحة فيها، وقررت الإطاحة بعبد الناصر عن طريق القوة، وشرعت في الإعداد للحرب.

في هذه الأثناء أُستدعي، خليل القلال، إلى طرابلس للاشتراك في الوزارة، وعُين مكانه الصديق المنتصر سفيراً في القاهرة، وكان الملك قد قرر آنذاك القيام بزيارةٍ رسمية إلى تركيا، وقبل سفره وصلتني برقية من الخارجية، مفادها نقلي إلى باريس لإعداد سفارة وسكن للسفير، دون أن تكون لي صفة سياسية أو دبلوماسية، والقصد من ذلك إبعادي عن مصر وليبيا، فحررت رسالة إلى الملك وشرحت له سبب نقلي، وبعثتها مع عبدالسلام الغماري الذي سلمها له قبل سفره إلى تركيا.

وفي هذه الأثناء إستدعاني، الرئيس عبد الناصر، كما استدعى جميع رؤساء البعثات السياسية العربية، فقابلني الرئيس في مجلس قيادة الثورة في الجزيرة، وكان جالساً في غرفة صغيرة، فوقف مبتسماً لتحيتي، ولم تكن هذه المرة الأولى التي أقابله فيها، وبعد أن جلسنا سألني عن صحة الملك، وعن زيارته لتركيا، ثم شرع في الحديث عن موضوع الساعة، وهو تأميم القناة، والتهديد البريطاني الفرنسي، وقال لي: أود أن تنقل إلى الملك ما سأقوله لك، فناولني ورقة من أوراق مجلس قيادة الثورة لا زلت أحتفظ بها، وطلب مني تدوين ما سيقوله، فتحدث عن المحاولات لإنشاء هيئة دولية لتسيير القناة، وقال إنها مؤامرة من الدول الكبرى، إذ لا يوجد أي قاعدة قانونية تستند عليها هذه المحاولات، وتحدث عن طريقة الدعوة، وشكلها، والتفرقة بين الدول، حيث أن الدعوة تقول بأنهم يبحثون أو يريدون تشكيل هيئة دولية لإدارة القناة، وهو عمل يمس بسيادة مصر، واستطرد قائلاً: إن تأميم القناة عمل من أعمال السيادة المصرية، ولذلك لن نحضر في أي مؤتمر يناقش السيادة على جزء من أراضينا، وعليه لن نقبل الدعوة التي وجهت إلينا، وإذا ما أرادوا مناقشة جميع الممرات المائية في العا لم، فلتكن المناقشة في الأمم المتحدة وأن يشمل النقاش (الدردنيل) و(بنما)، أما اقتصار النقاش على قناة السويس فهذا مرفوض ولا نقبل أبداً المساس بسيادتنا وسندافع

عنها بكل إمكانياتنا، وإذا لجأوا إلى القوة فسنقابل العنف بالعنف. ثم طلب مني الرئيس الإتصال بالملك ليسعى لدى الأتراك لكي لا يؤيدوا قيام هيئة الإشراف على قناة السويس، لأن ذلك ليس في مصلحتهم بل ضار بهم، فالأتراك لديهم الفرصة لتحسين وضعهم مع العرب، وأضاف إننا مستعدون لجميع الاحتمالات ولن نقبل أبداً المساس بسيادتنا، وطلب مني الإسراع، فقلت له سأبعث ببرقية في الحال، فالله لن يتخلى عن مصر وسوف تجتاز الأزمة بخيرٍ وسلامة، وأعربت للرئيس عن إعجابي بهذه الثقة، والتصميم في الدفاع عن حقوق مصر، وإن الله ناصره، وخرجت بعد مقابلة الرئيس عبد الناصر وأنا مبهور بثقته بنفسه وبقوة شخصيته وبعدم قبوله الرضوخ أمام تهديدات أوروبا، وكان طيلة حديثه معي هادئاً ومبتسماً وكأنه يتحدث عن أشياء عادية لا عن مواجهة دول كبرى، فهو زعيم بمعنى الكلمة وجدير بقيادة مصر التي أوصلها إلى أعلى المستويات الدولية، فهو يواجه المعركة القادمة بثقة وإيمان، وإن في انتصاره إنتصاراً لجميع الدول العربية الغارقة في خنوعها للدول الأجنبية.

خرجت من عند الرئيس عبد الناصر وأنا معجب به وبرجولته وبتصميمه على الدفاع عن حق مصر بكل طريقة، لقد كان هادئاً ومقدراً بما يقوم به، فهو يواجه القوى الإمبريالية بقوتها وجبروتها، ومصر محدودة القوى والإمكانيات وستكون المعركة غير متكافئة، إلا أن عبد الناصر أراد خوضها بثقةٍ واطمئنان مقتنعاً بأنه مع الحق وأن الله ناصره بإذن الله، فكانت مصر خلال هذه الأزمة الخطيرة هادئة ومتماسكة، والشعب كله وراء حكومته للدفاع عن حقوقه المشروعة، وكانت من الجهة الأخرى بريطانيا وفرنسا تدافعان عن آخر مواقعهما الإمبريالية وعن وجودهما في الشرق الأوسط، فالدولتان تعلمان إذا ما نُفّذ قرار عبد الناصر بخصوص قناة السويس وخرج سالماً من المعركة، فذلك معناه خروجهما من الشرق الأوسط والقضاء على نفوذهما فيه، وكان (إيدن) يعتقد أن المعركة شخصية بينه وبين جمال عبد الناصر، إما أن يكسب المعركة ويؤمن بقاء النفوذ البريطاني في المنطقة، وإما أن تخسر بريطانيا كل شيء.

فبريطانيا لا زالت تتصرف بعقلية القرن التاسع عشر، فهي كانت تفرض على الدول الضعيفة إرادتها باستعراض أساطيلها وقوتها، وهي لا تزال تعتقد بأن العالم لم يتغير بينما وزنها الدولي قد انهار وأصبحت دولة كبقية الدول.

أبرقتُ إلى رئيس الوزراء بما دار بيني وبين الرئيس عبد الناصر، وطلبت إبلاغ الملك بذلك، ولم تمضِ سوى أيام قلائل حتى وصل القاهرة رئيس الوزراء بن حليم، ليطلع الرئيس عبد الناصر على نتيجة اتصالات الملك بالأتراك، فقابل عبد الناصر وقال له: إن إتصالات الملك بالأتراك كانت إيجابية. وقد إحتفى المصريون بن حليم وأكرموه وقدموا له طائرة خاصة لاستعمالها في عودته إلى ليبيا.

وفي هذه الفترة رزقني الله بأول أبنائي وهو أحمد، وذلك بعد وصول نبأ نقلي إلى باريس، وكذلك في الوقت الذي بلغت فيه أزمة قناة السويس ذروتها، وعندما وصل بن حليم القاهرة أفادني بأن أمر نقلي إلى باريس قد أُلغي، وأني سأُعيّن وكيلاً دائماً لوزارة الخارجية، فعلمت بأن هذا التغيير حدث بناءً على تدخل الملك، وقد ندمت فيما بعد لعدم ذهابي إلى باريس حيث كنت أستطيع مواصلة دراستي للحصول على ليسانس الحقوق، وأفتح مكتباً للمحاماة في بنغازي، وأبتعد عن العمل الحكومي.

وكان بن حليم هو الذي أمر بإبعادي عن مصر وعن ليبيا، لكي يقطع علاقتي بالملك، ويؤمّن للسفير الجديد في القاهرة كامل السلطة في أعماله، لأنهم كانوا يعتقدون بأني أعمل للقصر، وأتلقى تعليمات الملك الذي كان يستدعيني بين الحين والآخر لأي أمرٍ من الأمور، وعندما استلم الملك رسالتي قبل سفره إلى تركيا، سأل بن حليم عن سبب إبعادي عن مصر ونقلي إلى باريس بدون عمل، فاعتذر إليه وقال له إنه بصدد تعييني وكيلاً لوزارة الخارجية، ولا أدري عن الأسباب التي دفعت مصطفى بن حليم إلى اتخاذ هذا الموقف منّي، وكنت في الحقيقية لا ألاحظ عليه أي مودة نحوي، ولا أدري ما سبب ذلك، إذ لم أقم بأي عمل يسيء إليه.

تكهرب الجو في مصر، وأصبحت على أبواب حربٍ بينها وبين فرنسا وبريطانيا، وكان المصريون في قلقٍ وتخوف من المستقبل، وخيّم على البلاد جوٌ من الرهبة والترقب، وكانت الحكومة تستعد للمواجهة، وتجري الاختبارات على الانذارات الجوية، فالجميع يدرك عدم قدرة مصر على مواجهة الدولتين الجبارتين، وأن المعركة ستنتهي لمصلحتهما، إلا أن الظروف الدولية لعبت دوراً رئيسياً في هذا الصراع، الذي انتهى بفشل المعتدين على مصر، فأمريكا هي التي لعبت الدور الأول في الموضوع، وأجبرت بريطانيا وفرنسا على التراجع، وإسرائيل

على الانسحاب من سيناء، وكان غرضها إبعاد الدول ذات النفوذ على الشرق الأوسط لتحل مكانها، أما روسيا فكانت الدولة الثانية التي لعبت دوراً هاماً في إفشال الحملة البريطانية الفرنسية على مصر.

نشاطي في الإدارة المركزية

في منتصف شهر أكتوبر عام 1956م، سافرت مع أسرتي وابني حديث الولادة إلى بنغازي، حيث كنت أريد البقاء بضعة أيام، إلا أن المسؤولين في طرابلس كانوا يلحّون عليّ بسرعة القدوم، فسافرت إليها، ثم قابلت رئيس الوزراء مصطفى بن حليم، واستلمت عملي كوكيل لوزارة الخارجية، في الوقت الذي كان فيه شبح الحرب يقترب من مصر، وكانت الوزارة مهلهلة، ويتولى رئيس الوزراء السياسة الخارجية بنفسه، بينما وزير الخارجية يتلقى التعليمات منه، أما الوكيل فعبارة عن رئيس كتبة.

كان رئيس الوزراء مشغولاً في مفاوضاته مع الإيطاليين ومع الفرنسيين، ويحاول المحافظة على التوازن بينه وبين القصر، وبينه وبين الولايات، وهذه المحافظة تتطلب المناورة، وتقديم الرشوة بالمناصب، والبحث عن الحلول المؤقتة، والابتعاد عن المشاكل الأساسية، أما وزير الخارجية آنذاك، علي الساحلي، فكان على خلافٍ مع رئيس الوزراء، وكان الجو السياسي في ليبيا مضطرباً بسبب الحرب المخيمة على مصر، ووجود القواعد البريطانية في ليبيا، وخوف مصر من أن تستعمل بريطانيا هذه القواعد في حربها ضدها، وكانت الحكومة الليبية تدرك ذلك جيداً، فضغطت على الحكومة البريطانية لكي تتعهد لها بعدم استعمال قواعدها في برقة ضد مصر في حالة نشوب حرب بينهما، فالمعاهدة البريطانية الليبية تنص على عدم استعمال قواعدها في برقة ضد إي دولة عربية، وقد إلتزم البريطانيون وتعهدوا بعدم استعمالها ضد مصر في حالة وقوع حرب بين الطرفين، وأبلغت ليبيا مصر بهذا التعهد، إلا أن المصريين كانوا غير واثقين من نوايا بريطانيا.

توقف السفر من مصر إلى الخارج، وبدأت جميع الاتصالات بالخارج تتم عن طريق ليبيا، فجاء سيلٌ من الدبلوماسيين ورجال الأعمال والساسة الذين كانوا يغادرون مصر عبر ليبيا، في طريقهم إلى أوروبا وغيرها من الأقطار، فانتعشت البلاد بهذه الحركة، وغصّت الفنادق بالنزلاء، وكان أكثر ما يشغل بال المسؤولين احتمال استعمال القواعد البريطانية في ليبيا للهجوم على مصر، رغم التأكيدات التي قدمتها بريطانيا بعدم الهجوم عليها من قواعدها في ليبيا، وكانت الفئة المستنيرة في ليبيا قلقة من هذا الوضع وتطوراته، والذي ساهمت السفارة المصرية وأعوانها في خلقه، فالملحق العسكري المصري في السفارة المصرية

في طرابلس، كان يعد العدة للقيام بهجمات على مصالح فرنسا وبريطانيا في ليبيا، ويعدّ الشباب الليبي المتحمس لمصر للقيام بهذه المهمة، إذ كان يجمعهم في السفارة ويقوم بتدريبهم على استعمال السلاح لمهاجمة المصالح الفرنسية والبريطانية، وتحويل ليبيا إلى ساحة قتال إلى جانب مصر.

ومما لاشك فيه أن التأثيرات الناصرية والمنادية بالوحدة العربية، قد زادت من نفور الناس من وجود القواعد البريطانية في لبيبا، والاندفاع في اتجاه مصر وسياستها الوحدوية.

وصرّح، خليل القلال، رئيس الوزراء بالنيابة، أن ليبيا لن تسمح لأية قوة أجنبية بمهاجمة مصر من أراضيها، وأرسلت الحكومة الليبية مذكرة إلى الولايات المتحدة وبريطانيا، تشعرهما بأن ليبيا تحت أي ظرف لن تسمح باستعمال موانئها وقواعدها في الهجوم على مصر، وواجهت حكومة بن حليم هذه الأزمة الحادة، والبلاد لا تزال حديثة الاستقلال، لا قوة لها، ولا جيش، ولا وضع إقتصادي يساعدها على الاحتفاظ بسيادتها، وعروبتها، وتضامنها مع مصر، واستطاعت حكومة بن حليم أن تحصل من بريطانيا على وعدٍ قاطع بعدم مهاجمة مصر من قواعدها في ليبيا، كما تعهد البريطانيون تجاوباً مع الطلب الليبي بإبقاء قواتهم في قواعدها بقدر الإمكان.

وقد برّرت بريطانيا بوعدها ولم تتحرك طائرة واحدة صوب مصر، وكان هذا عملاً دبلوماسياً رائعاً من ليبيا، وخدمة كبيرة قدمتها إلى مصر، إلا أن مصر لم تعترف بهذا الجميل، وقال الرئيس عبد الناصر في إحدى خطبه أن الطائرات المغيرة على مصر جاءت من الغرب، أي من طبرق، لا من الشرق، وهو يعلم في قرارة نفسه أنه لم تتحرك طائرة واحدة من طبرق لضرب مصر، فالمهم هو تشويه ليبيا وإظهارها بمظهر الدولة التي لا إرادة لها، والخاضعة كلياً للدول الأجنبية، والغريب أن الشعب الليبي يصدّق ما يقوله صوت العرب ولا يصدق بيانات حكومته الرسمية.

ولا أدري لماذا هذا الحقد على ليبيا؟ وهي الشقيقة الصغرى لمصر، وأقرب الدول العربية إليها، فربما وجود القواعد هو الذي يثير مصر، في الوقت الذي كانت فيه القواعد الأجنبية لا تزال فوق الأراضي المصرية، وفي السعودية، وفي غيرها من البلاد العربية، فلماذا تتجاهل مصر كل عمل إيجابي تقوم به ليبيا نحوها؟ ولماذا تريد دائماً إلحاق الأذى بحكومة ليبيا

الحديثة التكوين، والفقيرة، والهشّة؟ فالحكومة الليبية بذلت قصارى جهدها لإرضاء مصر ولعدم إغضابها أو الإساءة إليها، والغريب أن هذه المعاملة كانت قبل عبد الناصر وبعده.

هذا في الوقت الذي كانت فيه العناصر الوطنية تطالب بقطع العلاقات مع بريطانيا، وفرنسا، والوقوف إلى جانب مصر بكل ما تملكه ليبيا من قوة، وكانت الحكومة الليبية في موقفٍ في غاية الدقة، فهي لا تستطيع أن تجاري الشعور العام بقطع العلاقات مع بريطانيا وفرنسا، لأن بريطانيا تموّل ثلثيّ الميزانية الليبية، وعلى ليبيا التزامات دولية تقيدها، وهناك احتمال في أن يقع إعتداء شعبي على القواعد الأجنبية، فتهب للدفاع عن نفسها، ويفلت الزمام من يد الحكومة.

وكانت الحرب قد بدأ اشتعالها في مصر، فنزلت القوات البريطانية في بورسعيد، واحتلت القوات الإسرائيلية سيناء، واضطربت مصر، غير أنها ظلت ثابتة في وجه العدوان، وكانت أمريكا من جهة أخرى لا توافق على العمليات التي تقوم بها فرنسا وبريطانيا في مصر، ووقفت منها موقفاً معادياً إلى جانب عبد الناصر.

وأما الدبلوماسية الأمريكية فكانت تشعر بأنه سيكون هناك فراغ في الشرق الأوسط بعد خروج فرنسا وبريطانيا، وأنه على أمريكا أن تملأ هذا الفراغ، فحاول (إيدن) رئيس وزراء بريطانيا الاتصال بوزير خارجية أمريكا للتفاوض والتفاهم معه، ولكنه لم يتمكن من هذا الاتصال، وأدرك أن الوزير الأمريكي يتهرب منه، ولا يريد مكالمته، ووقفت الولايات المتحدة موقفاً صريحاً ضد الاعتداء البريطاني على مصر، وعملت بكل وسيلة لإفشاله، وعودة القوات البريطانية إلى أراضيها.

وشعر والي طرابلس بأن الملحق العسكري في السفارة المصرية، إسماعيل صادق، هو الناشر للقلاقل والمحرّض على الاضطرابات، وعلى الفور طالب الحكومة بإبعاده، فشعر بن حليم بالحرج، وقام بالاتصال بسفير مصر طالباً منه إبعاد الملحق العسكري أو إعطائه إجازة طويلة، فرفض السفير الطلب، واضطر رئيس الحكومة إلى تقديم طلب رسمي إلى السفارة بإبعاد الملحق، وكان هذا الملحق قد جمع في السفارة عدداً من الشباب الليبي وأخذ يدربهم على السلاح، كما تحدّى الملحق أوامر منع التجول وخرج مع أعوانه، فأوقفتهم الشرطة، فتحدوها، فقبضت عليهم، واضطر بن حليم إلى إرسال برقية إلى عبد الناصر يطلب منه

سحب الملحق، وفي اليوم التالي وصلت برقية من الرئيس عبد الناصر تأمر الملحق العسكري بمغادرة ليبيا.

وقد تعاملت الحكومة الليبية مع هذا الحادث بكل مرونة، إلا أن الملحق العسكري تحداها وأصر على مواقفه المؤدية إلى حدوث اضطرابات وقلاقل في البلاد، وبعد وصول أمْر الرئيس عبد الناصر إلى الملحق العسكري بمغادرة ليبيا، قام هذا الأخير بالاتصال بالحكومة طالباً سيارة بوليس ترافقه وأسرته إلى الحدود الليبية حفاظاً على سلامتهم، وقد عومل الملحق العسكري بكل لطف وأدب، ورافقته سيارة من البوليس الإتحادي إلى الحدود المصرية.

وعندما اشتدت الأزمة سافر الملك إلى طرابلس وأشرف شخصياً على سير الأحداث، فتصرُّف الملحق العسكري المصري لا معنى له ولا هدف، فإذا كان قصده من تسليح وتدريب الليبيين من أجل الاعتداء على القواعد البريطانية، فطرابلس لا يوجد فيها قواعد بريطانية، وإذا أراد إحداث اضطرابات وقلاقل فسرعان ما ستتغلب عليها الحكومة، ولم تكد تمر عشرة أيام على وجودي في طرابلس حتى بدأت الحرب ضد مصر، والتهب الجو في ليبيا، فقد استولت إسرائيل على سيناء وأطلت الأساطيل البريطانية والفرنسية على بور سعيد، وفي طرابلس وبرقة قامت أعمال اعتداء وتخريب ضد البريطانيين، كما كان هناك تحرك مريب في طرابلس، فأُعلن منع التجول وساد المدينة جوٌ ينذر بالشر.

وفي بنغازي قام شباب بإحراق سيارة مصفحة بريطانية وحاولوا الاعتداء على القواعد البريطانية، فتصدّت لهم الشرطة وقبضت عليهم ووضعت حداً لهذه الأعمال، وقد تركت هذه الأحداث آثاراً عميقة في العلاقات بين ليبيا ومصر.

وفي اجتماع بغداد الذي عُقد لدراسة الوضع في مصر وتقديم المعونة لها، تضامنت الدول العربية تضامناً شكلياً مع مصر، وإن كانت معظم الدول العربية ترجو في قرارة نفسها أن تؤدي هذه الأحداث إلى الإطاحة بنظام عبد الناصر، في حين كانت الشعوب العربية تهتف له.

خرجت مصر من المعركة سالمة بفضل وقوف كلٍ من الولايات المتحدة وروسيا إلى جانبها، وكانت كل منهما طامعة في ملء الفراغ الذي ستتركه كلٌ من فرنسا وبريطانيا بعد خسارتهما للمعركة، وأجبرت الدولتان الكبيرتان كلاً من فرنسا وبريطانيا على الانسحاب من بورسعيد، كما أجبرت الولايات المتحدة إسرائيل على التخلي عن سيناء التي احتلتها بعد بدء المعركة، إلا أن قناة السويس أصبحت غير صالحة للملاحة بعد أن أُغرقت فيها بواخر وتعذّر استعمالها، واتخذت ناقلات البترول العملاقة طريق رأس الرجاء الصالح في تنقلها.

ظهرت نظرية البحث عن البترول غرب السويس، فانتعش أمل ليبيا في العثور عليه في أراضيها، ومما شجع شركات البترول على البحث عن هذا السائل في ليبيا، عثور فرنسا عليه في الأراضي القريبة من الحدود الليبية، وكانت فكرة التنقيب عن بترول قريب من السواحل الأوروبية، لكي لا تحتاج ناقلاته المرور بقناة السويس أو الالتفاف حول رأس الرجاء الصالح. وكانت شكوك كثيرة تقف في وجه العثور على البترول في ليبيا، إلا أن عمليات التنقيب التي قامت بها إيطاليا في السابق دلّت على إمكانية العثور عليه، كما كان العثور على البترول في الجزائر عاملاً مشجعاً للشركات لتأتي وتنقب عنه في ليبيا، وقد عُثر بالفعل بالقرب من الحدود الجزائرية على كميات بسيطة من البترول، إلا أن الشركات بدأت تتحصل على الإذن بالتنقيب في خليج سرت والذي عثرت فيه على حقول البترول الضخمة.

عملي كوزير للخارجية

إستلمت عملي في وزارة الخارجية في منتصف شهر أكتوبر عام 1956م، وكان بن حليم قد توصل مع فرنسا إلى اتفاقٍ لتصفية المشاكل المعلقة بين البلدين، والناتجة عن الوجود الفرنسي في فزان، وكانت الثورة الجزائرية قد إندلعت منذ عامين، لإزالة الوجود الفرنسي عن بلادها، أما فرنسا فكانت متضايقة من وجود الجزائريين في جنوب ليبيا، فهم يؤثرون على وضعها في جنوب الجزائر، وعلى مواصلاتها مع أفريقيا.

وقبلت فرنسا الجلاء عن فزان بناءً على ضغطٍ أمريكي، واشترطت فرنسا تخطيط الحدود الجزائرية الليبية وفقاً للاتفاق المبرم عام 1919م مع إيطاليا، والذي نصّ على أن

الحدود تتبع طريق القوافل من غدامس إلى غات، وشكّل مجلس الوزراء لجنة كبيرة للتفاوض برئاسة وزير الخارجية، أما فرنسا فكانت تعتقد بأن وجودها في شمال أفريقيا سيستمر، وبأنها سوف تقضي على ثورة الجزائر، ولذلك سعت بأن تكون منطقة ادجله التي عُثر فيها على البترول من نصيب الجزائر، ودخل الوفد الليبي المفاوضات بدون خرائط ولا وثائق، معتمداً على شهادات الطوارق الذين يسكنون المنطقة، وعلى الخبراء بطرق القوافل ما بين غدامس وغات، وقال الطوارق بأن طريق القوافل المشار إليه في الاتفاقية يتوغل مئات الكيلومترات داخل الجزائر، واستعانت ليبيا بخبير سويسري، وكان العمل يدور حول تحديد الطريق الذي نصّت عليه إتفاقية عام 1919م، والتي ذكرت مواقع وآبار يمر بها الطريق، ومن المعروف أن تجارة القوافل كانت قد توقفت منذ أكثر من ستين عام، وتغيرت معالم كثيرة في الصحراء، واختلف الوفدان، فذهبا إلى رئيس الوزراء، فوفق بينهما من أجل التعجيل لإنهاء المفاوضات، وتحقيق الجلاء عن فزان، والذي حقق له نصراً كبيراً.

وكان يهتم بالموضوع، عمر الباروني، مدير الإدارة السياسية، وعلي الساحلي، وزير الخارجية، وقد حدث أنهما سافرا إلى تونس في مهمة، وفي صباح أحد الأيام إتصل بي رئيس الوزراء، وطلب مني أن أوقع على الاتفاق بالأحرف الأولى ريثما يعود وزير الخارجية ويوقع عليه بالكامل، فوقّعت بالأحرف الأولى، وذهب الفرنسيون إلى بلادهم ومعهم الاتفاق. لقد إستطاع الفرنسيون بدهائهم وخرائطهم، أن يضموا منطقة ادجله التي فيها البترول داخل حدود الجزائر، على أساس أنهم باقون فيها.

وكان الجزائريون في الوقت ذاته، يضغطون على الليبيين للتعجيل بالاتفاق، لتأمين خروج القوات الفرنسية من فزان، وبعثوا إلى رئيس الوزراء برسالة تعهدوا فيها اعتبار الاتفاق والتخطيط الذي تمّ مع فرنسا، عملاً مؤقتاً سوف تعيد الجزائر النظر فيه بعد استقلالها، وستعيد النظر في موضوع الحدود وفقاً لروح الأخوة والتفاهم بين القطرين الشقيقين، وكانت المفاوضات تسير برئاسة، عمر الباروني، ولم تُعرض الاتفاقية على مجلس النواب بموجب فتوى قانونية، لأن مجلس الأمة قد صادق على الاتفاقية الفرنسية، وإتفاقية الحدود هي جزء من الاتفاقية العامة التي صادق عليها المجلس، أما بن حليم فكان همه الأكبر هو خروج الفرنسيين من فزان وتحقيق نصر شخصي له، وإرضاء الجزائريين الذين سيتحركون في جنوب الجزائر بحرية حيث أن فزان أصبحت شبه قاعدة لهم، وقد وقّعتُ على الاتفاقية بناءً



التوقيع على إحدى الاتفاقيات مع الحكومة الإيطالية عام 1958م.

على طلب رئيس الوزراء بصفتي وكيلاً للخارجية وبسبب تغيب وزير الخارجية، وبناءً على ضغط الجزائريين الذين كانوا يريدون جلاء الفرنسيين عن فزان في أقرب فرصة. أما الجزائر فقد رفضت بعد استقلالها البحث في موضوع الحدود، وحدث أن كنت ماراً بالجزائر، فدعاني وزير الخارجية عبد العزيز بوتفليقة إلى الغداء في داره، ودعا معي سفيرنا في الجزائر الذي حاول بعد الغداء إثارة موضوع رسم الحدود مع بوتفليقة، إلا أن الأخير هبّ في السفير قائلاً: إنه لا يوجد مشكل حدود بين ليبيا والجزائر ولا ضرورة لرسم حدود جديدة. وقد واصلت ليبيا مساعيها لدى الجزائر للمطالبة بإعادة رسم الحدود، إلا أن الجزائر صمّت أذنيها ورفضت بحث الموضوع وتنكرت لوعودها متناسية ما قدمه الشعب والحكومة الليبية من مساعدات، ومدى التأييد المنقطع النظير للشعب الجزائري خلال حرب تحريره، وسكتت ليبيا على الموضوع وظل نائماً إلى حين يأتي وقت يُثار فيه من جديد، لأن ليبيا وقّعت على الاتفاقية الفرنسية تحت إلحاح الجزائريين الموجودين في ليبيا، ومساعدةً لهم في حرب تحرير بلادهم.

استقالة وزارة بن حليم

إشتد الخلاف بين بوصيري الشلحي وبن حليم لأسباب كثيرة، أهمها عدم تلبية طلبات البوصيري أو التردد في تلبيتها، وكانت حكومة بن حليم تقوم بواجباتها وتسيّر أمور الدولة بصورة حسنة، ولم تصادفها أية مشاكل كبيرة قامت بينها وبين الولايات، فالعلاقات كانت جيدة اللهم إلا المتعلقة ببرقة، إذ كان يشوبها بعض التوتر بين رئيس الحكومة ووالي برقة، الأمر الذي لا يصل بالحكومة إلى الاستقالة، إذاً لا نجد أسباباً جوهرية تستدعي استقالته إلا ربما خلافاته مع القصر. وكانت شكاوى كثيرة تصل إلى الملك عن تصرفات مصطفى بن حليم وهيمنته على الدولة، وقيامه بمصالح شخصية، إلا أن هذه الشكاوى كانت مجرد اتهامات ولا تصل إلى درجة الاستغناء عنه، إذاً فأسباب إقالة مصطفى بن حليم تظل سراً، لا يعرفه إلا هو، والملك، وبوصيري الشلحي، فهو أُقيل وهو في قمة نجاحه ونشاطه، وذلك رغم مساهمته في تقدم البلاد، واستطاعته تحقيق اتفاقاً بين ليبيا والولايات المتحدة، وبين ليبيا وفرنسا، وبين ليبيا وإيطاليا، وبذلك يكون قد حلّ جميع مشاكل ليبيا الخارجية، كما وضع قانون البترول الذي ينظّم العلاقة بين شركات البترول والدولة.

وقد وجّه بن حليم معظم اهتماماته إلى السياسة الخارجية، فوقّع إتفاقية مع الولايات المتحدة، وإتفاقية مع فرنسا، وإتفاقية مع إيطاليا كما ذكرنا، ولم يستطع أن يحقق مصالح ليبيا في الاتفاقيات الثلاث،لأن الطرف الذي كان يتفاوض معه أقوى منه بكثير، وكان يخضع لحاجة ليبيا إلى التوقيع على هذه الاتفاقيات رغم ما فيها من عيوب، إلا أن الاتفاقية الإيطالية لم تكن هناك حاجة ملحّة لإبرامها، فإيطاليا هي الطرف الضاغط والملّح على تحقيقها لتأمين الأراضي التي اغتصبتها ومنحتها لمعمريها، وكان من الخطأ إعتراف ليبيا لهم بذلك، لأن هذه الأملاك ملك صرف لمالكيها، والإيطاليون لا حق لهم فيها لكونها أراضي ليبية مغتصبة. كما سكت بن حليم عن مطالبة إيطاليا بالتعويضات عما سببته من خسائر للشعب الليبي، ومن خرابٍ ودمار خلال الحرب، ولا أدري ما هو الداعي في التعجيل بالاتفاقية الإيطالية بهذا الشكل، الذي فيه غُبنٌ للشعب الليبي، ولا يحقق أهدافه، ولا زالت الحكومة الليبية تطالب إيطاليا بالتعويضات وإيطاليا ترفض ذلك.

وثارت ضجة حول اتفاقية الحدود مع فرنسا، ودارت حولها الشائعات، واُتهم مصطفى بن حليم بالتساهل والتنازل لفرنسا عن منطقة ادجله الغنية بالبترول، وأُثيرت ضجة في البرلمان، وقد حاولتُ تعطيل تنفيذ الاتفاقية، فبعثت إلى السفارة الفرنسية بمذكرة، نطالب فيها فرنسا بتشكيل لجنة لوضع العلامات على الحدود، وعندما وافقت فرنسا على تشكيلها، ماطلت حكومة مصطفى بن حليم في تشكيل لجنتنا، فقامت فرنسا بوضع العلامات من جانبٍ واحد، فأرسلتُ للسفارة الفرنسية مذكرة أخرى نشعرها فيها بأن ليبيا لا تعترف بالتخطيط الذي قامت به فرنسا من جانبٍ واحد، وعندما تفحصتُ نصوص الاتفاقية إتضح لي أن رئيس الوزراء بن حليم قام بالتنازل لفرنسا عن منطقة ادجله، مقابل تنازل فرنسا لليبيا عن قطعة أرض في زرزتين، وقد سمعت من رئيس الوزراء أنه قام بتبادل الأراضي، لأن زرزتين في رأيه أهم من ادجله، مدعياً بأن الأولى غنية بالبترول، بينما الثانية صحراوية، والواقع عكس ذلك، وبعثتُ إلى بن حليم عندما كان سفيراً في باريس طالباً منه توضيحاً حول الموضوع، فأجابني بأنه لا علم له بالأمر، وأن مبلغ علمه بأنه وقع خلاف بين المتفاوضين وتدخّل لفضّه، هذا مع العلم بأنه كان مهندس الإتفاقية الفرنسية الليبية وملمّ بجميع تطوراتها.

واتصلتُ برئيس الحكومة الجديد، وأفهمته بأنه ليس للحكومة الحق في التنازل عن أي قطعة أرض من الوطن دون موافقة البرلمان، فمن حقنا الآن المطالبة بإلغاء الاتفاقية والعودة إلى مفاوضات جديدة، إلا أنه لم يتجاوب معي، وقال بأننا سنقوم بتسوية الأمر مع الجزائريين بعد استقلالهم.

والحق يُقال، فمصطفى بن حليم قام بسياسة خارجية نشطة، إذ عمل على ربط ليبيا بعلاقات دبلوماسية مع روسيا، وهو ما لم تكن ترضاه أمريكا، وقامت سفارتنا في القاهرة بالدور الرئيسي في المفاوضات والاتفاق على ربط العلاقات، وهو الذي أغضب أمريكا والدول الغربية، وكان هذا العمل دليلاً على استقلال سياستنا، ورغبتنا في حفظ التوازن ما بين الدولتين الكبيرتين.

لم تقدم الولايات المتحدة إلى ليبيا شيئاً يذكر بموجب الاتفاقية الموقعة معها، وذلك بالنسبة للخدمات والإمتيازات التي تتمتع بها في قاعدتها، وكانت ليبيا خارجة من استعمار، وحرب، وخراب، وفي حاجة لكل شيء، وكان بن حليم أثناء ترأسه للوزارة يسعى جاهداً للحصول على موارد جديدة للبلاد، ولذلك إنضم إلى مشروع أيزنهاور الذي درّ على ليبيا سبعة ملايين دولار، لم تأخذ مقابلها أمريكا شيئاً، فتعرضت ليبيا لانتقادات الدول العربية التي لم تساعدها بدولار واحد. أما وجود القاعدة الأمريكية في طرابلس، فقد عمل على نمو المدينة وزيادة نشاطها وحيويتها، فأمريكا كانت في حاجة إلى قاعدتها في طرابلس أكثر من حاجة ليبيا إلى مساعداتها، والتي كانت أشبه ما تكون بالصدقة إذا قورنت بما تتمتع به هي من امتيازات وخدمات.

وزارة عبد المجيد كعبار
تعييني وزيراً للخارجية

أرسل مصطفى بن حليم استقالته إلى الملك مع عبد المجيد كعبار وهو أحد وزرائه، والذي عاد منتشياً بعد مقابلته الملك، إذ كلّفه بتشكيل الحكومة الجديدة، وبدأ مشاوراته واتصالاته لتشكيلها، ولم يتبقَّ له سوى اختيار وزير الخارجية، وصادف أن كان في مكتبه إبراهيم بن شعبان، فأعرب له عبد المجيد عن حيرته في اختيار الشخص المناسب لهذه الوزارة، فقال له إبراهيم: أتبحث عن وزير خارجية وإلي جانبك خير من يصلح لها، وهو وهبي البوري، فوافقه على ذلك، ووضع إسمي في قائمة الوزراء التي عاد بها إلى الملك، والتي وافق عليها، وقد أُعلن في الإذاعة تشكيل الوزارة الجديدة، فدهشت إذ وجدت إسمي من بين الوزراء كوزير للخارجية، ففرحت جداً وسررت بهذا النبأ المفاجئ الذي لم أكن أتوقعه، وكانت هذه أول مرة أتولى فيها الوزارة.

إختارني عبد المجيد كعبار وزيراً للخارجية في حكومته كما سبق وذكرت، ولم أتوقع أن أكون وزيراً لها، فكانت كل طموحاتي أن أُصبح سفيراً، أما الوزير في ذلك الزمن، فكان عبارة عن موظف كبير يتلقى التعليمات من رئيس الوزراء، بينما يقضي مجلس الوزراء وقته في مناقشة مشاريع القوانين واللوائح، ولا تُعرض عليه مشاكل البلاد الداخلية والخارجية إلا هامشياً، فقد كانت هذه الأمور تُعالج ما بين الملك ورئيس الوزراء، وأحياناً مع سفراء الدول الكبرى، ومع ذلك عملتُ على تنظيم الوزارة، وتكوين إدارة المحفوظات، ونظّمت أسلوب العمل في الداخل والخارج.

وقد وضعتُ قانوناً دبلوماسياً يحافظ على حقوق الموظفين، وترقياتهم، وتنقلاتهم، وإجازاتهم، أسوة بالدول الأخرى، واشترط القانون في موظفي الخارجية الحصول على ليسانس في الحقوق، أو العلوم السياسية، أو الإقتصاد، وبما أنه كان من المألوف، أن كل وزير أو شخصية كبيرة يُبعدان عن منصبهما، يكافأن بتعيينهما برتبة سفير في وزارة الخارجية، ولوضع حدٍ لهذا العمل، نصّ القانون على تخصيص ثلاثين في المئة من الأماكن الشاغرة في الوزارة إلى عناصر خارج السلك الدبلوماسي، وعُرض القانون على مجلس النواب في غيابي، وطلب الوزير إبراهيم بن شعبان تغيير أحد القوانين، وهو أن يكون الدبلوماسي متزوجاً

بإمرأة ليبية لا بإمرأة عربية أو أجنبية، وكانت نتيجة هذا التغيير، الإستغناء عن الدبلوماسيين المتزوجين بعربيات، بينما كان المتزوجون بأجنبيات، واللواتي إكتسبن الجنسية الليبية في السابق، بقوا في الوزارة.

وقمت في وزارة الخارجية بإصلاح أحوالها وتنظيمها وتوزيع موظفيها، كلٌ في المكان المناسب له، ونظّمت الأرشيف، وكلّفت لجنة بالبحث عن المعاهدات والاتفاقيات وتبويبها وحفظها، لقد كانت سفاراتنا في الخارج قليلة وموظفوها قليلون نظراً لوضع البلاد وفقرها، إلا أنه في هذه الأثناء إزدادت المعونات الأجنبية إلى ليبيا، وبدأت شركات البترول في التنقيب وفي دفع رسوم للحكومة، فتحسنت مالية البلاد، وشرعت وزارة الخارجية في فتح سفارات في البلاد التي يربطها القرب والمصالح بليبيا، وبصورة خاصة البلاد العربية.

وفُتحت سفارات في إيطاليا، وفرنسا، واليونان، والعراق، وسوريا، والسعودية، ولبنان، والمغرب، وتونس، وكانت هذه السفارات تتطلب موظفين أكفاء، وكان بعض الشباب الدارسين في الخارج يعودون بشهاداتهم، فكانوا يُلحقون بهذه السفارات، واتسع عمل وزارة الخارجية بسبب وجود عددٍ من السفارات الجديدة، ودب النشاط فيها كأي وزارة خارجية أخرى.

وكان بين سفرائنا سفيران ترأّسا الحكومة من قبل، وهما محمود المنتصر، ومصطفى بن حليم، وعز عليهما أن يكونا تابعين لموظفٍ كان تابعاً لهما، وأرادا أن تكون اتصالاتهما برئيس الوزراء مباشرةً لا بوزير الخارجية، ولم يلبِّ رئيس الوزراء طلبهما، واستمر الوضع على ما كان عليه، أما سفراء الدول الكبرى فكانوا لا يقيمون وزناً لوزير الخارجية، ويتصلون مباشرةً برئيس الوزراء أو بالملك.

فسفير الولايات المتحدة يعتبر نفسه مندوباً سامياً لبلاده في ليبيا، ولم يقم بزيارتي بعد تعييني وزيراً للخارجية للتعرف عليّ كما جرت العادة، أما سفير مصر فكان يتصرف بتكلف واستعلاء، ويتصل برئيس الوزراء أو بالقصر، بينما كان السفير البريطاني ملتزماً بالتقاليد الدبلوماسية، إلا أنه في المشاكل الكبيرة يتصل بالقصر وبرئيس الوزراء، أما سفير روسيا فكان أيضاً يفضل الاتصال برئيس الوزراء، وعلى العموم فإن المسائل الهامة لا تمر على وزير الخارجية، الذي يتلقى التعليمات من رئيس الوزراء ويقوم بتنفيذها، وتنقل وتعيين

سفرائنا يأتي من الأعلى، لا باقتراحٍ من وزير الخارجية، أما السفراء الأجانب فكانوا يراجعون وزير الخارجية في المسائل الثانوية، إذ لم تعرف ليبيا منذ استقلالها وزير خارجية سيّر الوزارة وفقاً لسياسته، وقناعته، واجتهاداته، تاركاً عليها طابعه وبصماته، فالجميع كانوا يتلقون التعليمات من رئيس الوزراء، ولا يحركون ساكناً إلا بموافقته.

كان بن حليم خلال رئاسته قد تحصل على وعدٍ من أمريكا بتسليح وتدريب ألف جندي ليبي، وعندما طالبنا الولايات المتحدة بالوفاء بعهدها، إشترطت التوقيع على اتفاقية وضعها الكونجرس، والتي بموجبها فرض توقيع الدول التي تريد الحصول على السلاح، وقد إتصل بي بعض كبار الضباط، وقالوا بأنهم في حاجة إلى السلاح، فوقّعتُ على الاتفاقية التي لم يُنفّذ بندٌ من بنودها على أية دولة من الدول التي وقعتها، وبالرغم من ذلك فقد أعطونا السلاح وبدون مقابل.

أطلّت آثار حرب السويس من جديد، مؤثرة في العلاقات الليبية المصرية، وقد شرعت الولايات المتحدة في حملة ضد مصر، وأخذت تزرع الخوف في قلوب الليبيين من النشاط المصري في الداخل، في الوقت الذي كان فيه معظم الشعب متعاطفاً مع مصر، وبدأت الحكومة الليبية تتخوف أيضاً من الوجود الروسي في البلاد، والتخوف من أي تحركٍ لهم، ومن اتصالهم بالمواطنين، كما قررت الحكومة الليبية وضع حدٍ لنشاط الملحق العسكري المصري، وذلك بمنع وجود ملحقين عسكريين في السفارات الأجنبية، وبما أن لكل من بريطانيا وأمريكا قاعدة عسكرية في ليبيا، فالمقصود من القرار سفارتيّ روسيا ومصر.

لعب المركز الثقافي المصري دوراً كبيراً خلال أزمة السويس، إذ كان الشباب الليبي يرتاده ويتحصل منه على الكتب الدعائية، والمنشورات، والأفكار المحرضة على الثورة، ولذلك تقرر إغلاق جميع المراكز الثقافية الملحقة بالسفارات بما في ذلك سفارتيّ بريطانيا وأمريكا.

شرعت السفارة الروسية في نشاطٍ مريب، إذ كانت تتصل بفئة معينة من المواطنين، فأمرت الحكومة السفارة الروسية بتقليص عدد أعضائها بناءً على طلبٍ من الحكومة الأمريكية، وتبعاً لذلك إنتقلت إلى ليبيا الحرب الباردة بين أمريكا وروسيا، فكانت الولايات المتحدة تراقب النشاط الروسي في ليبيا، وتحيط الحكومة به علماً وتحدد لها ماذا تفعل، أما الروس فكانوا حذرين في نشاطهم لأنهم يعلمون بأنهم تحت المجهر الأمريكي، إلا أن الدول

الشيوعية الأخرى التي جاءت للعمل في ليبيا، فكان مجال نشاطها أوسع من نشاط روسيا، وقد تأسس شبه حزب شيوعي يعمل في الخفاء، انضمت إليه قلة من الليبيين، وكان يحظى بتوجيهات ومساعدة السفارة الروسية والسفارات الشيوعية الأخرى، إلا أنه لم يكن نشطاً، ولا بارزاً، ولا عاملاً، فالقلة الذين كانوا ينتمون إليه كانوا تحت رقابة مشددة من الشرطة، بينما كانت أمريكا متضايقة من وجود السفارة الروسية وتود زوالها من ليبيا في أسرع وقت، ففي تلك الفترة كانت أمريكا قد جندت جميع قواها لمحاربة الشيوعية، ولم تكن لها هناك سياسة أخرى غير سياسة مقاومة الشيوعية في كل مكان، أما الشيوعية فلم تنجح في نشاطها في البلاد العربية، وخاصة في ليبيا التي كان شعبها المسلم يكره الشيوعية ومبادئها.

أما الثورة الجزائرية فكانت تزداد كل يوم عنفاً وقوة، وكانت ليبيا الممر الذي تمر منه الأسلحة القادمة من مصر وفقاً للاتفاق الذي تمّ ما بين عبد الناصر وبن حليم، وإحقاقاً للحق، فإن كل فرد في ليبيا قد ساهم في معركة الجزائر كلٌ حسب إمكانياته وموقعه، وقد زارني السفير الفرنسي (دي مارسي) وقال لي: إننا على علمٍ بوصول السلاح إلى الثوار الجزائريين عن طريق ليبيا، والذي أرجوه منكم أن تحيطوا مرور هذه الأسلحة بالسرية، ولا تتركوها تمر من الشوارع الرئيسية والميادين العامة، إذ كانت السيارات المشحونة بالسلاح تمر من الشوارع الرئيسية ومن وسط المدن، فليبيا كانت قاعدة خلفية للثورة الجزائرية، ففيها كان يجتمع زعماء الثورة، ويتدرب الجنود، وتُخزّن الأسلحة، وتُجمع الإعانات، وتُقام المهرجانات، وكان الشعب الليبي نساءً ورجالاً يقومون بمساعدة الجزائريين، ومدِّهم بكل ما في استطاعتهم إمدادهم به، كما كان زعماء الجزائر يجتمعون في طرابلس، ويناقشون قضاياهم ومشاكلهم دون أن تتدخل الحكومة الليبية في شؤونهم، وكان (بن بلا) يقيم في فندق صغير في طرابلس، وحدث أنه عندما دخل غرفته ليلاً في أحد الأيام، هجم عليه فرنسي مسلح يريد قتله، إلا أن (بن بلا) قاوم واستطاع أن يفلت منه، وينزل إلى الدور الأرضي طالباً مساعدة الموجودين، أما الفرنسي المهاجم فهرب بسيارته متجهاً بها إلى الحدود، فاتصلت الشرطة بالحدود وأعطتهم أوصاف الفرنسي ولون سيارته، فتعقبوه، وعندما اقترب من الحدود، تم تبادل إطلاق النار بينه وبين الشرطة فقُتل، وسُلمت جثته إلى السفارة الفرنسية في طرابلس، وقد إحتاط بعد هذا الحادث (بن بلا) وبقية الزعماء خوفاً على حياتهم، وقدمت لهم الحكومة مسكناً كبيراً للإقامة فيه عندما يأتوا إلى طرابلس، والمسكن كان تحت حراسة

الشرطة الليبية، وكان يجتمع فيه الزعماء الجزائريون ويناقشون أمورهم ومشاكلهم، وصراعهم مع فرنسا، أما الحكومة الجزائرية المؤقتة فكانت تعقد إجتماعاتها في المنزل ذاته في طرابلس، لمناقشة جميع مشاكلها المتعلقة بالحرب والسلم، كما كان قادة الثورة يذهبون إلى الملك لإطلاعه على آخر التطورات في قضيتهم، فيستمع إليهم ويحيل طلباتهم إلى الحكومة.

ومن المعروف أن الثوار الجزائريين الذين كانوا يعملون في جنوب الجزائر، قد اتخذوا من الأراضي الليبية قاعدة لعملياتهم، فتضايقت فرنسا من العمليات القائمة في جنوب الجزائر، فأمرت بحشد قوات كبيرة على الحدود مع ليبيا، وخاصةً في منطقة غات، وذلك لملاحقة المجاهدين الجزائريين، وفي يوم 3 أكتوبر عام 1957م، هاجمت القوات الفرنسية قرية (أيسين) الليبية القريبة من غات، فهبت الحامية الليبية للدفاع عن الأراضي الليبية، وأسفرت المعركة عن جرح جنديين ليبيين، وقتل أحد المدنيين، وإلحاق أضرار مادية بالقرية، ثم انسحبت القوات المعتدية على إثر ذلك، ولم تُعرف إصاباتها، غير أن إحدى طائراتها قد أُصيبت.

وقد أعربت الحكومة الليبية عن استيائها البالغ واحتجاجها الشديد إلى السفير الفرنسي، الذي أُستدعي إلى رئاسة الحكومة فور وصول الخبر، كما أمرت الحكومة بتعزيز حامية غات في الحال، وإيفاد السيد وزير الدفاع إلى فزان لتفقد الحالة والتحقيق في الحادث.

كما اتخذت الحكومة جميع الإجراءات اللازمة والكفيلة بعدم تكرار مثل هذا الاعتداء على أراضيها، واستدعت سفير بريطانيا في ليبيا، وطلبت منه إبلاغ حكومته بالحادث بصفتها حليفة لليبيا، ومطالبتها بتنفيذ إلتزاماتها العسكرية والسياسية نحو ليبيا بموجب المعاهدة المبرمة بين الطرفين عند اللزوم، كما استدعت الحكومة سفير الولايات المتحدة في ليبيا وطلبت منه إبلاغ حكومته بالحادث، وأن تقوم الولايات المتحدة بصفتها صديقة لليبيا، بالعمل على إبلاغ فرنسا إلى عدم العودة إلى مثل هذا العدوان الآثم، كما استنكرت الحكومة الليبية هذا العمل الطائش الصادر من فرنسا، وإلى أن يصلها منها التفسير المرضي فهي تحتفظ لنفسها بكافة حقوقها، وتحمّل فرنسا أمام العالم مسؤولية العواقب التي تترتب على نتائج هذا العدوان على الأراضي الليبية، وانتهى الحادث، ولم تكرر القوات الفرنسية بعد ذلك أي اعتداء عليها، رغم استمرار المجاهدين الجزائريين في عملياتهم الحربية في جنوب الجزائر.

كما حدثت مشاكل مع تشاد، فقد أخذت الحكومة التشادية في اضطهاد الليبيين والاستيلاء على ممتلكاتهم، ودفعهم للهجرة إلى ليبيا، فجرت عدة إتصالات مع الحكومة التشادية لإيقافها عند حدها، وعدم معاملة الليبيين بهذا الأسلوب المشين.

العلاقات مع المغرب

كانت العلاقات مع المغرب سيئة، فعندما عاد الملك محمد الخامس إلى عرشه، بعث إليه الملك إدريس ببرقية تهنئة لم يتلقَّ عليها رداً بالشكر كالمعتاد، فتوترت العلاقات بين البلدين، وعلم الرئيس بورقيبه بالأمر فتدخل لتسوية الموضوع، إذ أرسل مع وكيل وزارة الخارجية رسالة شكر من الملك محمد الخامس إلى الملك إدريس، غير أن الرسالة كانت موقعة باسم ولي عهده، فكتب الملك إدريس رسالة شكر للملك محمد الخامس بتوقيع ولي عهده الأمير الحسن، وطلب مني الملك نقل الرسالة إلى الرئيس بورقيبة، فسافرت إلى تونس وسلمتها إليه، ففتحها ورأى توقيع ولي العهد فصاح (إيش لعب الأولاد هذا؟)، وانتهت الأزمة مؤقتاً، إلا أن ملك المغرب لم يرضَ عن الملك إدريس لتوقفه خلال رحلته إلى أوروبا عبر الأراضي المغربية في فاس، وكان السلطان آنذاك (بن عرفة) الذي ولّاه الفرنسيون بديلاً لمحمد الخامس، فرأى الملك أنه من الواجب القيام بزيارة مجاملة للملك بن عرفة بصفته ملكاً شرعياً على المغرب، وردّ السلطان بن عرفة الزيارة للملك حاملاً إليه بعض الهدايا، وكانت مجاملة برتوكولية لا تحمل أي معنى سياسي، فحقد الملك محمد الخامس على الملك إدريس بسبب زيارته هذه لبن عرفة، وبالرغم من تدخل بورقيبة وتبادل الملكين الرسائل، فقد ظلت العلاقات بين المغرب وليبيا متوترة وغاية في السوء، فالملك محمد الخامس لم يرضَ عن الإدريس ولم يرغب في عقد علاقات طبيعية بين البلدين.

وبعد إعلان وفاة الملك محمد الخامس،اوائل عام 1961 كلّف الملك إدريس ولي عهده الأمير الحسن بالسفر إلى الرباط، لتقديم التعازي للأسرة الحاكمة وللشعب المغربي، وطلب مني أن أقوم بمرافقة ولي العهد في هذه المهمة، ولدى وصولنا الرباط لم يُستقبل الأمير بحفاوةٍ كغيره من الضيوف الكبار، كما لم يلقَ معاملة طيبة، وقد خُصصت له للإقامة فيلا وهي لأحد الوزراء، أما نحن فأقمنا في أحد الفنادق، وبعد إتمام مراسم الجنازة حضرنا حفل تنصيب الملك الجديد.

وكانت الجنازة شعبية بكل معنى الكلمة، فقد شارك فيها الشعب وكان أكثرهم يبكون ويصيحون، وعندما وصلت الجنازة إلى المسجد أُقيمت مراسم الدفن بحضورنا، وقبل انصراف الناس قام العلماء بمبايعة ولي العهد الأمير الحسن ملكاً على المغرب، وكانت مدينة الرباط يخيم عليها الحزن والأسى، فالشعب المغربي أحب الملك محمد الخامس بسبب مواقفه الوطنية ومطالبته فرنسا بالاستقلال، وقد غضبت عليه فرنسا وأبعدته عن عرشه ونفته إلى جزر (راى يونيون) في أقصى أفريقيا، حيث ظل منفياً مع أسرته إلى حين اعتراف فرنسا باستقلال المغرب وإعادته إلى عرشه، فكل ما وقع للملك محمد الخامس من متاعب واضطهاد وإبعاد، جعل الشعب المغربي يتعلق به إلى أقصى الحدود، ولذلك كانت وفاته صدمةً كبيرة على الشعب المغربي، الذي كان في بداية استقلاله وحكم ملكهم محمد الخامس.

ذهبنا في اليوم التالي لتهنئة الملك، وجلسنا في قاعة الانتظار مع الوفود الأخرى، ودخل الوفد المصري برئاسة حسين الشافعي، فحيّا جميع الوفود وتجاهلنا ولم يُلقِ علينا بالتحية، فتأثرت تأثراً شديداً، وتساءلت: لماذا يتصرف رجلٌ من رجال الثورة المصرية العقلاء هذا التصرف المشين أمام الوفود العربية؟ ولا شك أنه كان تصرفاً شخصياً لا تقرّه ولا ترضاه وزارة الخارجية المصرية، ولا الرئيس جمال عبد الناصر.

وبعد تقديم التهنئة للملك الحسن الثاني، جمعنا حقائبنا وسافرنا إلى الدار البيضاء، حيث أمضينا بعض الوقت في انتظار الطائرة التي ستعود بنا إلى ليبيا، وكانت رحلتنا هذه إلى المغرب قد أثّرت في نفوسنا من سوء معاملة السلطات المغربية لنا، إذ كان من المفروض بعد وصول ولي عهد ليبيا إلى المغرب لمواساة الأسرة المالكة والشعب المغربي في فقيدهم العزيز، أن يتناسى المغاربة الحادث البسيط الذي وقع بينهم وبين ليبيا، وأن يقابلوا ولي العهد كما كان يجب أن يُقابل به، ولم يرغب الأمير في البقاء ساعة واحدة في الرباط بعد أداء واجباته، وقد أقمنا في الدار البيضاء بضعة أيام تجولنا فيها واطّلعنا على معالمها، ولكن لم نتصل بأي مغربي.

واستغربتُ من معاملة المغاربة لنا، وقد يعذرهم الإنسان لأنهم كانوا في حالة حزن واستعداد لجنازة ملكهم الراحل، ولكن مع هذا فكان تقصيرهم معنا وعدم اهتمامهم بنا

واضحاً، على عكس اهتمامهم وترحيبهم بالوفود الأخرى، وأعتقد أن العلاقات المغربية الليبية ستظل لمدة طويلة متوترة، إذا لم يسعَ أحد الطرفين لإصلاحها، والغريب أن الدولتين التي تفصل بينهما مسافات طويلة كانتا خاضعتين للاستعمار، ولم تكن هناك أي علاقة بينهما، وعندما استقلا، فبدلاً من التعاون والتآخي دب بينهما الخلاف والعداء بدون سبب جوهري، وبعد وفاة الملك محمد الخامس، وفتح سفارة ليبية في الرباط وأخرى مغربية في طرابلس، ظلت العلاقات متوترة بين الطرفين، إلى حين زيارة الملك الحسن إلى الملك إدريس في طبرق، إذ بدأ المغرب يتعاون مع ليبيا بعد اكتشاف البترول فيها وتحسن أوضاعها الاقتصادية، ففكرت المغرب في الاستفادة من ليبيا بإرسال عمال يعملون فيها، وبالرغم من الاتفاقية الموقعة بين الطرفين، فإنه لم يأتِ عمال مغاربة للعمل في ليبيا، وكذلك لم يزر المغرب إلا قلّة من الليبيين، وظلت العلاقات على ما هي عليه، ولم يأتِ جديد يعمل على انتعاشها، وحتى بعد تأسيس وحدة المغرب العربي وضرورة تبادل الزيارات والمعاملات، فقد ظلت الأوضاع بين المغرب وليبيا كما هي. وفي الواقع فإن بُعد البلدين عن بعضهما يحول دون تدفق المغاربة لزيارة ليبيا، وإقبال الليبيين على زيارة المغرب، كما أنه لم يكن هناك تبادل تجاري ذي بال بين الطرفين، ولا مصالح مشتركة، ولهذا ظلت العلاقات بينهما يشوبها شيءٌ من البرود.

المصالح المشتركة

عندما توليت وزارة الخارجية، لم يكن قد مرّ على استقلال ليبيا أكثر من خمس سنوات، وكانت لا تزال تحتاج إلى الكثير من مقومات الدولة، فكانت ميزانية الدولة تخضع لإشراف المستشار المالي البريطاني، كما أن مشاريع التنمية كانت تخضع لمزاج المسؤولين الأمريكيين، فعلى سبيل المثال طلبت ولاية برقة من المصالح المشتركة الأمريكية بناء مدرسة جديدة، فاشترطت هذه الأخيرة عدم تدريس مدرسيين مصريين فيها، فرفض والي برقة حسين مازق الشرط، وتنازل عن بناء المدرسة التي قامت المصالح المشتركة فيما بعد ببنائها بدون شروط.

كما أن جميع المشاريع التي كان يقوم بها الأمريكيون كبناء مدارس تخضع لمزاجهم، فيجب أن يقتنعوا بالمشروع ويعملوا على تنفيذه، وأحياناً كانوا هم الذين يختارون المشاريع،

وبصورة عامة فإن المساعدات الأمريكية المتمثلة في المصالح المشتركة لم يظهر لها أثراً ملحوظاً، بل كانت الضجة حولها أكثر من واقعها، وكان المشرفون على المصالح المشتركة أحياناً يراعون مصالحهم الخاصة ومدى استفادتهم من بعض المشاريع، فعلى سبيل المثال، سافرت مع مدير المصالح المشتركة إلى طبرق لمقابلة الملك الذي دعانا إلى الغداء، وخلال ذلك تحدث مدير المصالح المشتركة عن مشروع يهم البدو ويفيدهم كثيراً، وهو مشروع توزيع أفران عليهم تعمل بأشعة الشمس تمكّنهم من طهي طعامهم عليه، فسألته وكم ثمن الفرن؟ فقال حوالي ثلاثين دولاراً، فقلت له: إن الثلاثين دولاراً لو مُنحت لكل رب عائلة، لاستطاع أن يشتري عدداً من الأغنام التي تساعده في معيشته ومعيشة أسرته، في حين إن طهي طعامه، سيستعمل الوقود الذي اعتاد عليه، فسكت مدير المصالح المشتركة ولم يضف شيئاً، ويبدو أنه على صلةٍ بمصنع هذه الأفران ويريد أن يتمّم صفقة على حساب ليبيا، ونتيجةً لهذا الحادث حقد عليّ مدير المصالح المشتركة وتركني في طبرق دون أن يعود بي بطائرته إلى بنغازي، لقد كان موظفو المصالح المشتركة يتصرفون في أموال المنظمة وكأنها أموالهم الخاصة، ويحققون لليبيين بعض المشاريع التي يريدونها وكأنهم يتصدقون بها عليهم.

أما الأوضاع الداخلية فكانت لا تزال تسيطر عليها الخلافات بين الحكومة الاتحادية والولايات، إلا أن رئيس الوزراء الحالي عبد المجيد كعبار كان رجلاً مرناً يتحاشى المشاكل، فعمل على تحسين العلاقات بين حكومته والولايات، وبين حكومته ورجال القصر، وعاش بعد ذلك في سلامٍ مع الجميع دون مشاكل ودون إنجازات ظاهرة للحكومة، إذ كان يتحاشى القيام بأي عمل يوقعه في مشاكل مع الولايات أو مع القصر، فسيّر حكومته بهدوء، وبدون ضجة، وبتفاهمٍ مع الجميع، وبدون القيام بأعمال كبيرة ملفتة للنظر.

وعبد المجيد كعبار كان على صلة طيبة بعددٍ كبير من النواب، وكان يتفاهم معهم مسبقاً حول المواضيع التي قد تُثير نقاشاً حاداً في المجلس، وتُعتبر صلته مع سفراء الدول الكبرى طيبة وخاصةً بالسفير الأمريكي، وخلال وزارته لم تقع مشاكل ذات بال، وظلت حكومته متمتعة بالاستقرار وبالهدوء إلى حين وقوع حادث طريق فزان الذي قضى عليه سياسياً.

الأوضاع في البلاد العربية

في الساحة العربية كانت الأوضاع لا تُحمد، فقد إنهار نفوذ بريطانيا وأمريكا وصعد نجم عبد الناصر الذي استطاع أن يقضي على حلف بغداد، وأن يسيطر معنوياً على كل البلاد العربية باستثناء المغرب العربي، أما بالنسبة للأردن فقد ضغط عبد الناصر على الملك حسين ليتخلى عن (جلوب باشا) قائد جيشه والممثل الحقيقي للحكومة البريطانية في الأردن، فكانت هذه صفعة تلقتها بريطانيا وأثّرت فيها كل التأثير، كما تنازل الملك حسين عن المساعدات الأمريكية والبريطانية مقابل ما تعهدت له به مصر وسوريا والسعودية من مساعدات، وزاد عبد الناصر من ضغطه على العراق بإثارة الشعب العراقي ضد نوري السعيد رئيس الوزراء، وعبد الإله الوصي على العرش، وأخذ يحرّض لبنان ضد كميل شمعون وسياسته، وكانت الجماهير في البلاد الثلاثة قد أُفتتنت بشخصية عبد الناصر وأخذت تتتبع أفكاره وسياسته الوحدوية، غير أن الأوضاع إزدادت سوءاً في لبنان وازداد تدخل عبد الناصر في مشاكلها، فاستعان كميل شمعون بالأمريكيين الذين أرسلوا له قوة أمريكية لحمايته، وزاد ذلك من توتر الأوضاع في الداخل ومطالبة الشعب اللبناني بإخراج الأمريكيين، وازداد نفوذ عبد الناصر في لبنان وازداد تأثيره، أما الأردن فقد انتظرت المساعدات العربية بدون جدوى فاتجهت من جديد إلى طلب المعونة من أمريكا وبريطانيا. وعن أوضاع البلاد العربية في تلك الفترة فكانت متوترة للغاية وقابلة للإنفجار، وأخذت الشيوعية في التغلغل في سوريا بقيادة بكداش الذي عمل على إعطاء المناصب الهامة للشيوعيين، فدقّ جرس الخطر الذي دفع بأبناء الشعب السوري إلى طلب الوحدة مع عبد الناصر، وتبعاً لذلك دار نقاش طويل بين عبدالناصر والبعثيين حول الوحدة، وأخيراً تمّ الاتفاق على تحقيقها، وظل القطرين منفصلين لكل منهما حكومته وإدارته، وبما أن الوحدة تمّت بدون دراسة وافية فتبعاً لذلك بدأت المشاكل تظهر بين الطرفين.

جعلت الوحدة السورية المصرية من عبد الناصر بطل الأمة العربية ورمز وحدتها، وألهبت حماسها وأحرجت حكامها، واتجه الملك حسين إلى أمريكا التي وعدته بدفع المبالغ التي كانت قد تعهدت بدفعها مصر والسعودية وسوريا والتي يبدو أنها حنثت بوعدها، وازداد تمرد معارضي لبنان على الوضع النيابي القائم، وخشيت السعودية من ازدياد نفوذ عبد الناصر فعززت علاقاتها بالولايات المتحدة خاصةً بعد زيارة الملك سعود لها، والذي

يبدو أنها شجعته ليكون منافساً لعبد الناصر، فعاد من أمريكا وزار المغرب كما زار ليبيا حيث التقى بالملك إدريس وبحثا معاً أوضاع المنطقة، ويبدو أن الملك سعود في زياراته للبلاد العربية كان يدعو إلى الوقوف في وجه عبد الناصر والحيلولة دونه ودون السيطرة عليها، ولما غادر الملك سعود ليبيا عاد إلى الرياض وشرع في الإعداد لمقاومة الرئيس عبد الناصر، ودعاه تفكيره إلى الاستعانة بمن يستطيعون التخلص منه، فدفع لهم عشرين مليون دولار مقابل عملهم الرهيب، وعندما تبين أن الملك سعود قد دفع مبلغاً من المال لتخريب الوحدة السورية المصرية، كان رد فعل مصر قوياً، إذ اكتسحت الملك سعود، وأجبرته على الابتعاد عن عرشه، فتولى الأمير فيصل شؤون المملكة السعودية بالنيابة عن الملك سعود، وأخذ يعمل على إصلاح العلاقات مع مصر، إلا أن ثورة العراق ومذبحة الأسرة الحاكمة وتولي عبد الكريم قاسم، دفعت المنطقة إلى الاضطراب والقلق، كما شعرت الأردن ولبنان بالخطر على نظاميهما، فاستعانتا ببريطانيا والولايات المتحدة اللتين هبتا لنجدتهما.

لقد كانت ليبيا الهشّة والحديثة الاستقلال، مضطرة إلى المشاركة في هذه الأحداث التي انعكست عليها نتيجة علاقاتها مع مصر، ووجود قواعد بريطانية على أراضيها، والأهم من ذلك تأثر الشعب الليبي بأحداث المنطقة، ومطالبته الحكومة بالسير في الخط العربي الوحدوي، وكان صدى ثورة العراق كبيراً في ليبيا، فقد ظن الناس أن ثورة العراق معناها انضمامه إلى الاتحاد السوري المصري، وبذلك تتحقق الوحدة العربية باتحاد الدول الثلاث الكبرى، فعمّ الفرح المدن الليبية، وأخذ التجار في بنغازي يوزعون المرطبات على المارة احتفاءً بهذا الحدث العظيم، وكانوا يجاهرون بأنه قد حان الوقت لانضمام ليبيا إلى المسيرة الوحدوية العربية.

وعند اندلاع ثورة العراق ومذبحة الأسرة المالكة، تأثر الملك تأثراً شديداً نظراً لعلاقاته بالأسرة الهاشمية ولبشاعة الحادث، فقد قتلوا الملك، والملكة، والأطفال، والنساء، دون رحمة أو شفقة أو سبباً أو مبررا، وقرر الملك بعد هذه المذبحة عدم مد يده لمصافحة هؤلاء الجزارين الملوثة أيديهم بدماء الأبرياء، كما وجدت الحكومة نفسها في موقفٍ حرج إزاء هذه الأحداث التي بدأت تعصف بالمنطقة.

وكان الشعب الليبي يريد موقفاً حازماً من الحكومة إزاء هذه الأحداث، كالإعراب عن رغبتها في الانضمام إلى الوحدة العربية المنشودة، فأعوان مصر وسوريا يعملون في الداخل بكل قواهم لإثارة الشعب ودفعه إلى مواقف معادية للحكومة، وتقرر الحداد لمدة أربعين يوماً، إذ كان الملك في غاية التأثر من مذبحة الأسرة المالكة العراقية، فأمر بالحداد الطويل، وقال لي: لن أضع يدي في أيدي هؤلاء المجرمين ولن أقبل منهم سفيرا. وقد قابلت الدول العربية ثورة العراق بواقعية، والتي انهالت عليها الاعترافات بالنظام الجديد، وعندما فاتحت الملك في موضوع الاعتراف بالنظام العراقي الجديد، إستشاط غضباً على غير عادته، وقال لي: إن الاعتراف لن يتم قبل مرور أربعين يوماً على الحداد، كما قال لي بأنه لن يستقبل أي سفير منهم يأتي لتقديم أوراق اعتماده، وأنه لا يريد رؤية هؤلاء القتلة، واستطرد قائلاً: تعاملوا أنتم مع هذا النظام ولا تعرضوا عليّ التعامل معه، وكان لتأخر ليبيا في الاعتراف بالعراق، انتقادات وتعليقات في الداخل والخارج، وأخذت الناس في ليبيا تقول: إن الحكومة تنتظر اعتراف إسرائيل كي تعترف هي بحكومة العراق، وأخذ النواب يضغطون على الحكومة للتعجيل بالاعتراف.

وطلب مني رئيس الوزراء محاولة إقناع الملك، وفعلاً قابلته وأطلعته على الوضع وقلت له بأن الاعتراف لا مفر منه، فقال لي: لن يكون هناك اعتراف قبل انتهاء مدة الحداد، وكنت أقدّر مشاعره، غير أن سياسة الدولة فوق المشاعر الشخصية، وعندما انتهت فترة الحداد إستدعيت سفير العراق (عبد المنعم الكيلاني) وأبلغته باعتراف ليبيا بالنظام الجديد ورغبة الحكومة في بقائه سفيراً للعراق، وعدم استبداله في تلك الفترة، لأنه في حالة إرسال سفير جديد، فسيكون هناك بعض الصعوبات عند تقديم أوراق اعتماده، وقبلت الحكومة العراقية الطلب، واستمر الكيلاني سفيراً لمدة طويلة، وقد طلبني الملك وكان غاضباً وقال لي بأني خلفت الوعد، إذ كان الاعتراف بحكومة العراق قبل يومٍ واحد من انتهاء الحداد، فاعتذرت إليه وعدت إلى عملي، ووضع اعترافنا بالعراق حداً لتذمر الناس وتعليقاتهم.

وكان الشعب الليبي يتوقع قيام الوحدة بين سوريا ومصر والعراق من يوم لآخر، وهو الأمر الذي سيؤدى باعتقادهم لانضمام ليبيا إلى هذه الوحدة، وكان الشعب متحمساً لها ويتتبع باهتمام مجريات الأمور السياسية في المنطقة، ويعتب على الحكومة موقفها الجامد وعدم مسايرتها للأحداث التي ولا بد أن تكون جزءاً منها، وكان الجميع من أعضاء مجلس

النواب إلى رجل الشارع، يطالبون الحكومة للمشاركة في أحداث المنطقة، أما الحكومة فكانت في حيرة من أمرها، فهي لا تؤمن بالاتحادات القائمة المرتجلة ولا تسعى إلى الانضمام إليها، وتشعر بأنها جزءاً من المغرب العربي وليس من المشرق، إلا أن الجماهير الليبية كانت تتبع الأحداث، وتطالب الحكومة بالانضمام للوحدة الجديدة التي تضم عدة بلاد عربية، وكان العاقلون في البلاد يدركون بأن هذه الاتحادات وهذه الأوضاع الجديدة لا تدوم، وأنه سرعان ما يعود الخلاف والعداء بين الدول المتحالفة، إلا أن الضغط الشعبي كان كبيراً ومصدره المدن فقط، في حين أن الدواخل التي يعيش فيها غالبية الشعب لا تهتم بهذه الأمور ولا تفكر إلا بمصالحها الشخصية، فشعور أهل المدن واتجاهاتهم كان مؤثراً وفاعلاً ويفرض على الحكومة الاهتمام به، وخلق هذا الوضع توتراً في البلاد، وأحدث هوة ما بين الحكومة والشعب، وكانت الدعاية المصرية التي يستمع إليها أغلب الناس في ليبيا تغذي هذا الشعور وهذا التحول.

كانت فترة عصيبة تجتازها البلاد العربية نتيجةً لتغير الأوضاع في العراق، ولإنضمام سوريا إلى مصر، ووقوف الأردن ولبنان مترددتين خائفتين من العواقب، أما مصر فكانت تريد وضع يدها على العراق، إلا أن العراقيين كانوا استقلاليين ولا يقبلوا بهيمنة أحد عليهم، لإدراكهم بمطامع عبد الناصر، فاتخذوا منه مواقف حذرة وبدأت العلاقات بين الطرفين في التوتر، وقد أخطأ عبد الناصر في إرسال مجموعة كبيرة من صوره إلى سفارته طالباً توزيعها على العراقيين، فانزعجت الحكومة العراقية من هذا العمل وبدأت تأخذ احتياطاتها ضد مصر، وكانت هذه الأسرار لا تصل إلى الشعب الليبي الذي كان يعلم فقط بأن العراق ستنضم إلى مصر وسوريا، ويطالب ليبيا بالانضمام إلى هذه الوحدة العربية، هذا في حين كانت دول المغرب تتتبّع الأحداث بهدوء ولا تطالب بالمشاركة فيها، وكان من المفروض على ليبيا اتخاذ الاتجاه ذاته والتعاون مع دول المغرب، إلا أن الليبيين كان يجذبهم تيار المشرق ويريدون المشاركة في مشاكله وخلافاته وقضاياه، في حين كانوا لا يهتمون بالمغرب ولا بتوثيق العلاقة به أو التعاون معه، وبما أن ليبيا تقع على حدود مصر الغربية وعلاقة البلدين على مدى التاريخ أقوى وأهم من علاقاتها ببلاد المغرب العربي، فلذلك كان شعور الشعب الليبي متجهاً إلى المشرق أكثر من اتجاهه إلى المغرب.

وفي خضم هذه الأحداث المثيرة وموقف الشعب الليبي منها، كانت الحكومة تراقب الأحداث بهدوء محاولةً اكتساب رجل الشارع ببعض البيانات والتصريحات، إلا أنها كانت مصرّة على عدم مشاركتها في الأحداث التي تقع إلى الشرق منها، بينما كان الملك يوجه الحكومة ويؤيدها.

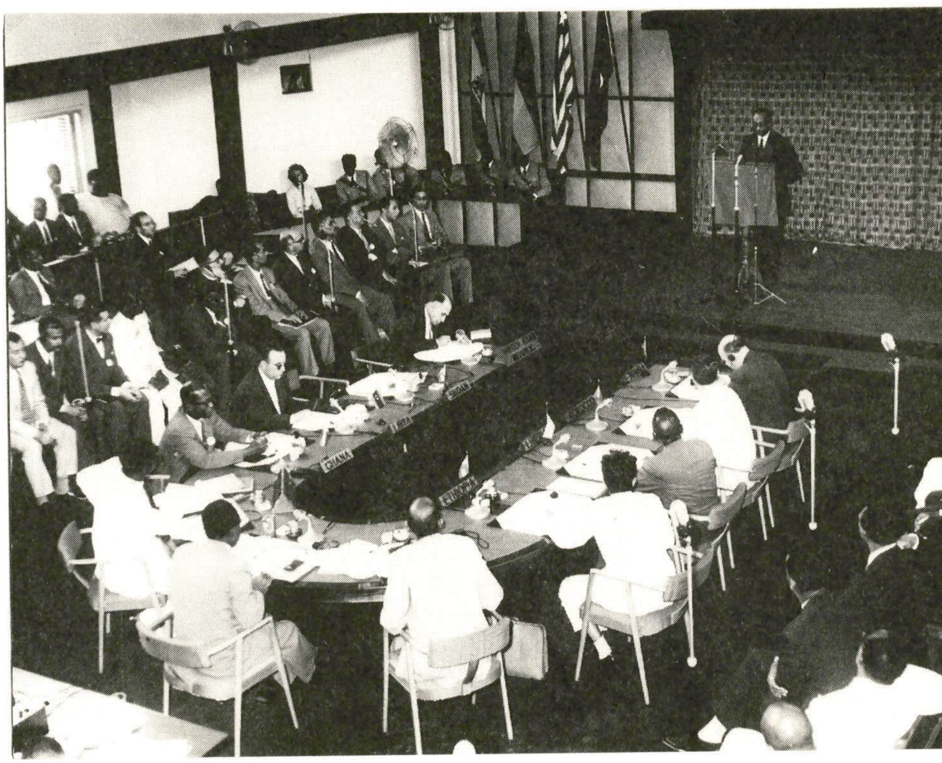
إستقلال أفريقيا

إستقلت غانا عام 1957م، فكانت أول دولة أفريقية فيما وراء الصحراء تنال استقلالها من بريطانيا، وقد ترأس حكومة الدولة الجديدة الزعيم الأفريقي (كوامي نكروما)، المعروف بنشاطه وبعمله من أجل استقلال أفريقيا ووحدتها، ونضاله الطويل من أجل استقلال غرب أفريقيا، وقد توّج نضاله بالنصر عندما دُعي لترأس أول دولة أفريقية جنوب الصحراء تستقل بعد الحرب العالمية الثانية. ولم يمر عام على استقلال غانا حتى قام رئيسها بدعوة الدول الأفريقية المستقلة، وهي سبعة دول، مصر، وليبيا، والسودان، والجزائر، وتونس، وليبيريا، وإثيوبيا، إلى اجتماعٍ لدراسة أحوال القارة، وقبلت ليبيا الدعوة كما قبلتها بقية الدول الأفريقية دون تردد، وكانت هذه المرة الأولى التي تُدعى فيها دول أفريقية لمناقشة قضايا القارة التي كانت لا تزال تخضع للاستعمار الأوروبي. فقبلت ليبيا الدعوة كما قبلتها الدول الأخرى دون علمٍ بالغرض الذي سيُعقد من أجله هذا الاجتماع، ودون معرفة القضايا والمشاكل التي ستُبحث فيه، كما قبلت جميع الدول دعوة غانا لأنها كانت المرة الأولى التي تُدعى فيها الدول الأفريقية المستقلة للاجتماع، وكانت أغلب هذه الدول لا تعرف بعضها وليس بينها أية علاقات، وخاصةً فيما يتعلق بدول شمال أفريقيا والدول الواقعة جنوب الصحراء. فقد التقت لأول مرة بعد التوقيع على ميثاق الأمم المتحدة ثلاث دول أفريقية مستقلة آنذاك وهي مصر، وليبيريا، وإثيوبيا، وتعاونت الدول الثلاث فيما يتعلق بقضية التمييز العنصري في جنوب أفريقيا.

وترأستُ الوفد الليبي الذي سيشارك في المؤتمر، وسافرنا إلى كانو حيث أُستقبلنا فيها من السلطات المحلية، ومن محمد السنوسي أمير كانو، وكان يقيم في المدينة عددٌ كبير من التجار الليبيين الذين يعود وجود بعضهم في كانو إلى وقت تجارة القوافل، ودعانا أمير كانو إلى الإفطار في بيته إذ كنا في شهر الصيام، وقد إحتفى بنا الليبيون احتفاءً كبيراً، وفي اليوم



وصولي إلى غانا للمشاركة في مؤتمر الدول الأفريقية المستقلة.



اجتماعات الدول الأفريقية المستقلة في غانا عام 1958م.

التالي سافرنا إلى أكرا حيث أُستقبلنا استقبالاً حافلاً وكانت العناية بنا فائقة. وقد بذل الدكتور نكروما جهوداً جبارة لإنجاح المؤتمر الذي وضع اللبنة الأولى في صرح أفريقيا الموحدة، وفي دعوة دولها المستقلة إلى الاجتماع وهي التي لم تكن تعرف بعضها وليس بينها أي اتصال، فكانت خطوة جريئة من الدكتور نكروما في إعداد هذا المؤتمر وعدم تكهنه لردود فعل دول شمال أفريقيا، غير أن الجميع استجابوا له وأرسلوا وفودهم برئاسة وزراء الخارجية، وخصّص نكروما لكل رئيس وفد، ڤيلا فخمة، وخدم، وحرس، وسيارة، وفي اليوم المقرر لافتتاح المؤتمر ذهبت إلى هناك واستعرضت طابور الشرف ثم دخلت قاعة الاجتماعات، وتناول الحديث الدكتور نكروما الذي أشار إلى العمل على تحرير بقية البلاد الأفريقية من الاستعمار والمساعدة في استقلالها وانضمامها إليهم، ثم تداول على إلقاء كلماتهم رؤساء الوفود، وعندما جاء دور ليبيا ألقيت كلمتي التي تضمنت عرضاً وافياً لقضايا أفريقيا وضرورة مساعدتها على التخلص من الاستعمار، وقد أشرت في كلمتي أيضاً التي ألقيتها أمام المؤتمر إلى قضية التمييز العنصري في جنوب أفريقيا وكنت الوحيد الذي أشار إلى هذا الموضوع رغم أن القضية تهم جميع الأفارقة، ويجب أن يعملوا من أجل إيجاد حلٍ لها، ودارت خلال المؤتمر زيارات متبادلة بين رؤساء الوفود، فزرت محمود فوزي وزير خارجية مصر وبحثت معه العلاقات القائمة بين مصر وليبيا، فقال لي: إنه عند حدوث أي مشكل فما يكون مني إلا الحضور إليه لمناقشته معه أو أن أستدعيه فيأتي هو إلى طرابلس، وكان الرجل دبلوماسياً بارعاً وفي غاية اللطف والكياسة، وتبادلت الزيارات أيضاً مع عبد الله إبراهيم وزير خارجية المغرب، والصادق المقدم وزير خارجية تونس، كما كانت الجزائر حاضرة أيضاً بوجود مندوبها محمد يزيد، وأنهى المؤتمر أعماله بصدور بيان يحث الدول الأعضاء على التعاون والتقارب والعمل معاً لتحرير بقية البلاد الأفريقية، كما قرر المؤتمر استمرار اجتماعاته سنوياً لمناقشة قضايا أفريقيا، وقد انتقدَتْ خطابي صحيفة (تريبولي سانداي) الصادرة في طرابلس باللغة الانجليزية، فكتبت تقول: (إن كلمة وزير الخارجية الليبي التي ألقاها في المؤتمر والخاصة بالتمييز العنصري في جنوب أفريقيا، قوبلت في المؤتمر ببرودٍ تام) وهذا غير صحيح، فهذه صحيفة أجنبية تتحدث عن وزير الخارجية بهذا الشكل ولا تجد من يحاسبها أو يسائلها.

وكان المؤتمر ناجحاً، وقد وضع أُسس الوحدة الأفريقية، ونالت كلمتي الاستحسان إذ كرر راديو أكرا إذاعتها أكثر من مرة، وقد أثار الدكتور فوزي وزير خارجية مصر موضوع

فلسطين مطالباً مناقشته وتخصيص فقرة له في القرارات، فأيدته ليبيا والمغرب بينما كان موقف السودان وتونس متردداً، وعارضته إثيوبيا وليبيريا، وأخيراً تقدم الدكتور نكروما باقتراح وهو تخصيص فقرة لفلسطين والبلاد الأخرى، وتمّت الموافقة على القرار.

وانتهى المؤتمر من أعماله بنجاحٍ بفضل ما بثّه فيه من روحه الدكتور نكروما الذي عمل جاهداً على حل الخلافات والإعتراضات، وقد أكرم ضيوفه إكراماً بالغاً، ووضع المؤتمر اللبنة الأولى في صرح أفريقا الموحدة وذلك بتأسيس هيئة تتابع أعمال المؤتمر وتحدّد الإجتماعات القادمة، وكانت كل دولة أفريقية تستقل تنضم للهيئة التي تحولت إلى تنظيم سياسي كبير، ويعود الفضل في ذلك إلى الدكتور نكروما الذي بعمله ومثابرته وجهده، إستطاع أن يخلق هيئة أفريقية دائمة تضم الدول المستقلة والتي ستستقل.

و كان الدكتور نكروما مؤمناً بوحدة أفريقيا، ويعتقد بأنه من الأفضل توحيدها قبل استقلالها لأن الوحدة بعد استقلال الدول ستكون صعبة، أما مؤتمر أكرا فهو الذي أدّى إلى مؤتمر (أديس أبابا) الذي وُلدت فيه منظمة الوحدة الأفريقية.

دعا سيكوتوري رئيس غينيا الوفود العربية في مؤتمر أكرا إلى زيارة بلاده، وأرسل إلينا طائرة صغيرة أقلتنا إلى كوناكري، فغينيا هي الدولة الوحيدة في المجموعة الفرنسية التي رفضت الانضمام إلى الكتلة الفرنسية، فعاقبتها فرنسا بسحب موظفيها وأجهزتها وتركتها خالية الوفاض، فهب نكروما لمساعدتها في حدود إمكانياته. أما سيكوتوري فأنزلنا في داره لقلة الفنادق ببلاده وزيادةً في احترامنا، وكانت زوجته تقوم بخدمتنا. وقد حدّثنا سيكوتوري في اجتماعٍ مع حكومته عن الأزمة التي خلفتها له فرنسا ومحاولته اجتيازها، وتحدث عن النظام الاشتراكي الذي تبنته غينيا والذي تؤمن به، فأحمد سيكوتوري كان مسلماً وبلاده مسلمة مئة في المئة إلا أنه لم يتعرض للإسلام بكلمة، فقمت أنا بالحديث وأشرت إلى إمكانية تعاون غينيا الإسلامية بالبلاد الإسلامية الأخرى، ولم يعلّق سيكوتوري على كلامي، وحدثناه عن أمورٍ كثيرة من بينها إسرائيل التي نصحناه بالابتعاد عنها، فأجابنا بأن سفير إسرائيل في كوناكري وسيقدم أوراق اعتماده في الغد، وقال أنه سيؤجل تقديمها إلى ما بعد سفرنا، فقررنا مغادرة غينيا في الليلة ذاتها.

وكان سيكوتوري من الوطنيين الأفارقة المتحمسين لوحدتها والمطبقين للاشتراكية، وهو



رؤساء الوفود الأفريقية في مؤتمر أكرا عام 1958م.

بعلاقته مع إسرائيل يثير غضب البلاد العربية والبلاد الأفريقية المتعاونة مع الأخيرة، وقد لعب سيكوتوري دوراً كبيراً في سياسة أفريقيا ولمّ شملها ووحدتها، وكان في آخر أيامه يتقرب إلى البلاد العربية ويسعى لصداقتها ويتظاهر بإسلامه، وتبعاً لذلك تلقى مساعدات كثيرة من المملكة السعودية وغيرها من البلاد العربية.

بعد عودتي من أكرا قابلت الملك وقدمت له تقريراً عن رحلتي، وكان هناك العديد من المشاكل التي بحثتها معه ومن بينها التمثيل الدبلوماسي مع العراق، وتصفية الجو السياسي مع مصر، ومؤتمر طنجة، وقضية الحدود مع الجزائر، وإنشاء قنصلية ليبية في تشاد.

مؤتمر طنجة للأحزاب المغربية

ضم مؤتمر طنجة الأحزاب السياسية في المغرب، وتونس، والجزائر، ولم تشارك فيه ليبيا لعدم وجود أحزاب سياسية فيها، إلا أن المؤتمرين قرروا المجيء إلى ليبيا وعرض أفكارهم على الملك.

وقد وصل إلى ليبيا السادة، فرحات عباس، رئيس وزراء حكومة الجزائر المؤقتة، والمهدي بن بركة الزعيم المغربي، والباهي الأدغم رئيس وزراء تونس، فصحبتهم إلى طبرق لمقابلة الملك الذي رحب بهم وأحسن استقبالهم، فشرحوا له الغرض من مجيئهم وهو تضامن الأحزاب المغربية في العمل من أجل تحرير الجزائر، ووحدة المغرب العربي، وكان بن بركة يتولى المعارضة في المغرب وهو الذي قُتل في فرنسا فيما بعد بإيعازٍ من المغرب، أما عباس فرحات فكان يتولى رئاسة الحكومة الجزائرية المؤقتة، ويساهم في الاشراف على المعركة الدائرة بين فرنسا والجزائريين من أجل تحرير بلادهم، أما الباهي الأدغم فقد ترأس الحكومة التونسية وهو يمثل حزب الدستور التونسي، ولم تشارك ليبيا في عمل الأحزاب الثلاثة في طنجة لعدم وجود أحزاب فيها وتصميمها على عدم إنشاء أحدها، لقد كانت هناك أحزاب سياسية وتجمعات سياسية قبل الاستقلال، إلا أن الملك أمر بحل جميعها بحجة أن البلاد ليست ناضجة بعد للعمل الحزبي، وظلت الديمقراطية الليبية مبتورة لعدم وجود أحزاب فيها، إلا أنه بقيت بعض التنظيمات الحزبية في طرابلس والتجمعات السياسية في برقة تعملان في الخفاء وتنتظران اليوم الذي تظهران فيه إلى الوجود، وقد إستمع الملك باهتمامٍ إلى المؤتمرين



زيارة السيد فرحات عباس والسيد المهدي بن بركة والسيد الباهي الأدغم لطبرق عام 1958 ويبدو مع الوفد السيد عبدالمجيد كعبار رئيس الوزراء والسيد وهبي البوري وزير الخارجية.

وأيدهم في عملهم، كما شجعهم على المضي قدماً في رسالتهم النبيلة ووعدهم بأن تلحق بهم ليبيا عندما يحين الوقت وتتكون فيها أحزاب، ثم تناول المغاربة طعام الغداء على مائدة الملك وعادوا إلى بنغازي كما عدت معهم.

كانت ليبيا تدرك الصعوبات التي تكتنف فكرة قيام نشاط سياسي مغربي موحد، في الوقت الذي كانت فيه الجزائر لا تزال تكافح من أجل استقلالها وتطالب ببذل جميع الجهود من أجل انتصارها في معركتها المصيرية، وكانت المغرب وتونس لا تبخلان بشيءٍ من أجل مساعدتها، إذ تبنّت الدول الثلاث المغرب، وتونس، وليبيا، قضية الجزائر وعملت على مناصرتها ومد يد العون للمقاتلين الجزائريين من أجل الفوز باستقلالها، أما جيش التحرير الجزائري فكان يقيم ويتدرب في تونس، كما كان المقاتلون المغاربة ينضمون لإخوتهم الجزائريين ليحاربوا إلى جانبهم، أما ليبيا فكانت تقدم كل ما في وسعها من أجل قضية الجزائر، فقضية الجزائر كانت داعياً وسبباً لاتحاد دول المغرب الثلاث وتعاونها فيما بينها من أجل نصرتها.

إلا أن العلاقات ما بين الدول المغربية ظلت ضعيفة ولم يُعمل على تقويتها، وكانت الجزائر في حاجةٍ ماسة إلى مساعدة الدول المغربية الثلاث، والذين لم يبخلوا عليها بشيء واعتبروا قضيتها قضية المغرب بأسره، وكان من المفروض أن اهتمام ليبيا وتأييدها المستمر المتواصل للجزائر سوف يُضعف اهتمامها بالمشرق العربي ومشاكله، إلا أن ليبيا كانت تعمل على مساعدة الجزائر إلى جانب المشاركة في قضايا الوحدة العربية التي لا تهتم دول المغرب بها، وفيما يتعلق بمشاركة ليبيا في القضايا العربية فكانت تحبذ الابتعاد عن أي تكتل سياسي لا ترضى عنه مصر، وتفضل اتباع سياسة (تعاون مع الجميع)، بينما كانت مصر تعارض أي تشكيل عربي لا يتمشى مع مخططاتها، فقاومت إتحاد سوريا والعراق، وفكرة توحيد المغرب العربي، باعتبارهما من صنع الدول الاستعمارية، كما أن الشعب الليبي لا يقبل بالانضمام لأي تشكيلٍ سياسي لا تكون فيه مصر لأنه لا يريد معاداتها وفتح مشاكل معها.

وعلى كل حال، فقد ظل المؤتمرون في طنجة يحملون الفكرة حتى عقد الستينيات عندما تكوّن إتحاد المغرب العربي، الذي لا يزال فكرة لم تتحقق حتى الآن رغم ما بذل

من جهود على مدى أكثر من أربعين عاماً، وذلك بسبب الخلاف ما بين المغرب والجزائر على الصحراء الاسبانية سابقاً وهو الخلاف الذي عجز الجميع بما فيهم الأمم المتحدة في حلّه، فالطرفان متشددان ولا يريد أحدهما التنازل بشيءٍ للطرف الآخر، وقد بذلت مصر ودول أخرى مساعيها لتقريب وجهات النظر وحل الخلاف ولكن بدون جدوى، وتدور الآن مساعي من الأمم المتحدة لإيجاد حلٍ للمشكل وهذا الحل لا يتحقق إلا بالتفاهم ما بين المغرب والجزائر، فالعداء مستحكم فيما بينهما، وقد تناست الجزائر ما قدمته لها المغرب خلال معركتها التحريرية، كما أنها لم تقدّر ما قدمته لها ليبيا وتونس، وكان الأجدر بها أن تتنازل قليلاً وتلتقي مع جارتها المغرب في منتصف الطريق، وبذلك نستطيع أن نحقق فكرة المغرب العربي التي مرّ عليها أربعون عاماً دون أن تتقدم خطوة إلى الأمام.

مشاكل الشرق الأوسط

تدهورت الأوضاع في لبنان، واشتعلت الحرب الأهلية، وأصرّ كميل شمعون على مواقفه معتمداً على الأمريكيين، متهماً مصر بمساعدة وتمويل المعارضين، فقدمت لبنان شكوى إلى الجامعة العربية التي قررت أن يكون الاجتماع في ليبيا نظراً لسياستها المتوازنة، أما الحكومة الليبية فلم ترحب بالفكرة، وقبلت على مضض عقد الاجتماع فوق أراضيها (تحت ضغطٍ من الجامعة العربية)، واختارت بنغازي لاستضافته لبعدها عن التيارات المؤيدة لمصر، وكان ما يبرر هذا الرفض في الاستضافة هو سوء الوضع الذي كانت عليه بنغازي، فالمدينة خارجة من حربٍ عالمية مدمرة، وليس فيها فنادق لائقة ولا مطاعم ولا أماكن ترفيه، فالخراب والدمار لا يزالان ظاهران فيها، وهي لم تكن مستعدة لاستضافة العدد الكبير من الوزراء والموظفين الذين سيشاركون في هذا الاجتماع، وكان فندق بيرينيتشي الفندق الوحيد اللائق نسبياً لاستضافة الضيوف، بينما كانت خدماته لا تزال بدائية.

وفي يوم 30 مايو وصلت بنغازي الوفود العربية، وأغلبها برئاسة وزراء الخارجية باستثناء مصر التي ترأس وفدها وكيل وزارة الخارجية، واقترحتُ على رئيس الوزراء ترأس الاجتماع، لإظهار اهتمام ليبيا بالأمر، وقد حاول حسونة باشا أمين عام الجامعة العربية، وبمساعدتي ومساعدة المحجوب وزير خارجية السودان، إيجاد صيغة لحل الخلاف، إلا أن تعنّت لبنان وتشدد مصر لم يؤديا إلى نتيجة.

واجتمعت الجامعة في مقر المجلس التشريعي، ودارت المناقشات طيلة الوقت دون الوصول إلى نتيجة، وكلما تم التوصل إلى حلٍ مرضي رفضه أحد الطرفين، وكان الخلاف على أشده بين جمال عبد الناصر وكميل شمعون، إذ كان الأخير معتمداً على الولايات المتحدة لإنقاذ بلاده من تدخلات مصر في شؤونها.

وكانت بنغازي وقت انعقاد الجامعة لا تزال منهكة من الحرب، وليس لديها استعداد لاستقبال وفود بهذا المستوى، وسخرت بعض الصحف المصرية من مدينة بنغازي، متناسية بأنها قُصفت بالقنابل على مدى ثلاث سنوات، وقد استضفنا الصحافيين المصريين وبذلنا جهدنا لإرضائهم، كما قمنا بإنزالهم مع بقية الوفود في فندق بيرينيتشي، إلا أن بعضهم أراد إهانة ليبيا والتندر بأوضاعها المؤلمة، والناتجة عن الحرب، فكتب أحد الصحافيين في إحدى الصحف المصرية بأنه أقام في فندق شبيه بفنادق سيدنا الحسين، ونام على حصيرٍ على الأرض، غير أنه في آخر الليل جاءه أحد الخدم وأخذ منه الحصير، لأن زبوناً آخر في حاجةٍ إليه، ولا أدري لماذا هذه الإساءات والتشويه بليبيا؟ فهي لم تطلب عقد الاجتماع على أرضها بل طُلب منها ذلك وقبلته مُكرهة، وليبيا ليست طرفاً في هذه الخلافات، وهي أُختيرت بسبب مواقفها التعاونية مع الجميع وسياستها المعتدلة، فلماذا إذاً هذه السخرية وهذه الهجمات المسيئة لليبيا؟ ولكن هذه أصبحت من طبيعة بعض الصحف المصرية وهو التعرض دائماً لليبيا بالإساءة والتشهير، وعدم تقدير مواقفها الموآزرة لمصر وتأييدها الكامل لها.

ولم ترضَ لبنان بقرارات الجامعة العربية التي أُتخذت في بنغازي، فطلبت عرض القضية على الأمم المتحدة، وقد لعبت ليبيا في هذه الأزمة التي انتقلت إلى أراضيها دوراً متوازناً محايداً في إيجاد حلٍ لها، إلا أن تعنّت لبنان وتشدد مصر تسببا في فشل الاجتماع.

وكانت هذه أول وآخر مرة تعقد فيها الجامعة العربية جلساتها في ليبيا، فليبيا بطبيعتها تنفر من قيام اجتماعاتٍ دولية على أراضيها، وقد حدث خلال الصراع المغربي الجزائري أن طُلب إجتماع الرئيس عبد الناصر، وإمبراطور إثيوبيا، وملك المغرب، ورئيس الجزائر في بنغازي، وذلك للنظر في الخلاف الذي قام بين المغرب والجزائر، فرفض الملك عقد الاجتماع لعدم توفر الإمكانيات وعدم الاستعداد للقيام به، فالبلاد غير مؤهلة لاستضافة شخصيات

بهذا المستوى، وتَبعاً لذلك عُقد الاجتماع في مكانٍ آخر.

تعززت العلاقات الليبية التركية بعد زيارة الملك لتركيا، وقد حاولت أنقره توثيق علاقاتها بليبيا نظراً للتوتر القائم بينها وبين معظم الدول العربية، نتيجةً لحلف بغداد وعلاقاتها بإسرائيل وتبعيتها للولايات المتحدة، كما أن قضية قبرص دفعت بتركيا إلى الحصول على تأييد ليبيا التي كان عليها الخيار بين اليونان وتركيا، فأيدت ليبيا بكل قواها الأتراك وخاصة بعد المذابح التي ارتكبها اليونانيون ضد المسلمين، وتعارضت سياسة ليبيا بالنسبة للأقليات مع معظم الدول العربية خاصةً بالنسبة لمسلمي قبرص وكشمير، فقد كانت الدول الاشتراكية العربية تؤيد الهند واليونان، في حين كانت ليبيا وبعض الدول العربية الأخرى تؤيد الأقليات في كشمير وفي اليونان، وعندما عُرضت قضية قبرص على الأمم المتحدة أيدت مصر ومعظم الدول العربية الأخرى اليونان ضد تركيا، في حين وقفت إلى جانب تركيا كلٌ من ليبيا والعراق والسعودية، وانتهت القضية بتأييد قرار الأغلبية المعادي لتركيا، وهنا نهض وزير الخارجية التركي وقال: بما أن الأمم المتحدة لم تنصفنا فسنأخذ حقنا بأيدينا، وقامت تركيا فيما بعد باحتلال الجزء الإسلامي من الجزيرة والذي لا يزال تحت احتلالها.

زيارة الرئيس التركي لليبيا

زار رئيس جمهورية تركيا (جلال بايار) ليبيا عام 1957 وكان أول رئيس دولة أجنبية يزورها بعد استقلالها، وكان يصحبه وزير خارجيته زورلو، وجاءت هذه الزيارة في الوقت الذي كانت فيه العلاقات بين مصر وتركيا متوترة، وكانت مشكلة قبرص قد دفعت بتركيا إلى محاولة الحصول على تأييد ليبيا، فقوبل الرئيس التركي بحفاوةٍ بالغة كما استقبله الملك شخصياً قرب الميناء، وأُقيمت له الحفلات ورحب به الشعب الليبي أجمل ترحيب.

ودارت مناقشات بين الجانبين الليبي والتركي حول قضايا فلسطين والجزائر، وقد طلب الملك من تركيا مساعدة الفلسطينيين في قضيتهم ضد إسرائيل، ومساعدة الجزائريين في صراعهم ضد فرنسا من أجل الاستقلال، فاعتذر الأتراك عن القيام بهذه المساعدات متمسكين بموقفهم تجاه هاتين القضيتين وذلك لالتزامهم بسياسة خارجية تجاه أوروبا لا يمكن تغييرها، فقال لهم الطرف الليبي: إذا كنتم سياسياً لا تستطيعون مساعدة فلسطين

أو الجزائر ففي إمكانكم مساعدة الجزائريين بالسلاح، وبعد نقاش طويل ضغط الليبيون على تركيا للقيام بهذه المساعدة عوضاً عن المساندة السياسية، وقبل الأتراك إرسال السلاح كهبة إلى ليبيا والذي عليها أن تتصرف فيه كما تشاء، إما بإعطاء جميعه إلى الجزائريين أو إعطائهم جزءاً منه، وكان قبول الأتراك إرسال السلاح نصراً كبيراً لقضية الجزائر، وعُلم فيما بعد بأن الحكومة التركية تصرفت بسرية تامة في هذا الموضوع خشية وصول أخباره إلى فرنسا، وقد أرسلت إلى طرابلس باخرةً مملوءةً بالسلاح والذي تبلغ قيمته قرابة المليون دولار، وظلت عملية إرسال هذا السلاح سراً في تركيا حتى أُكتشف هذا السر في السنوات الأخيرة، وقد قامت الحكومة الليبية بإعطاء الجزائريين ما يحتاجونه من أسلحة خفيفة واحتفظت بالأسلحة الثقيلة لجيشها، وبعد تسليم السلاح إلى الجزائريين عثرت فرنسا على بعض هذه الأسلحة التركية بأيدي الجزائريين، فاحتجت على تركيا التي قالت لها بأنها أهدت الأسلحة إلى ليبيا لا إلى الجزائر.

حقق الجانب الليبي نجاحاً كبيراً في إقناع الأتراك بتزويد الجزائريين بالسلاح، الذي كان ذو أهمية بالغة بالنسبة لهم تفوق بكثير أهمية أي دعم سياسي قد تقدمه تركيا للجزائر، وسكتت فرنسا على السلاح ولم تُثر أية زوبعة مع ليبيا، أما زيارة رئيس جمهورية تركيا فكانت ناجحة جداً إذ توثقت العلاقات بين البلدين رغم العداء القائم بين تركيا ومصر، واستطاعت ليبيا إقناع تركيا بعمل شيءٍ لصالح الجزائر في الوقت الذي اتخذت فيه تركيا موقفاً متماشياً مع السياسات الغربية، وذلك بعدم تدخلها في قضيتي الجزائر وفلسطين وفي الوقت ذاته محافظةً على علاقتها بالدول الأوروبية، واستطاع رئيس الجمهورية التركية ووزير خارجيته تفهم القضايا العربية المطروحة على الساحة، ووعدا بالعمل قدر الإمكان لصالحها، وعاد جلال بايار إلى تركيا سعيداً بزيارته لليبيا، وربما كانت هذه أول زياراته للبلاد العربية، وقد خففت تركيا بعد هذه الزيارة من شدة تأييدها للدول الغربية متوجهةً لنصرة القضايا العربية، واستمرت العلاقات التركية الليبية على أحسن ما يرام.

الخلاف المصري اللبناني أمام الأمم المتحدة

بعد فشل الجامعة العربية في بنغازي في إيجاد حلٍ لقضية لبنان، تقدم كميل شمعون بشكوى في الأمم المتحدة على مستوى وزراء الخارجية، وقد طلبنا من سفيرنا في لندن حضور الاجتماع، فاعتذر بحجة المرض، ولم يكن لدينا سفير في واشنطن فكلفت مستشار السفارة لحضور الاجتماعات، وكان في نيتنا عدم المشاركة في اجتماعات نيويورك، تحاشياً لتوريطنا في هذا المشكل الكبير الذي أزعج الدول العربية وأقلقها، فنحن نريد الوقوف على الحياد، وعدم تأييد طرفٍ على الآخر، واتصل بي القصر طالباً مني السفر إلى نيويورك بأمرٍ من الملك لحضور اجتماعات وزراء الخارجية العرب، وكان رئيس الوزراء متغيباً في طرابلس، ولم أستطع الاتصال به هاتفياً لأخبره بطلب الملك، واتصل بي القصر للمرة الثانية طالباً مني السفر في اليوم التالي، فأخبرتهم بعدم تمكني من محادثة رئيس الوزراء، فقالوا لي سنتصل نحن به ونشرح له الأمر، ورأيت في إلحاح القصر على مشاركتنا في اجتماعات نيويورك دليلاً على أن الطرف الأمريكي طلب منه ذلك، فوافقهم الملك وهو لا يعرف شيئاً عن القضية وتطورها، ومواقف الدول العربية المتناقضة منها، فلو كان قد سألني عن هذه القضية لشرحت له الأمر وأقنعته بأنه من الأفضل وقوفنا على الحياد، وهو ما كان يحبذه، إلا أنه يبدو أن الأمريكيين قد أعطوه صورة مختلفة للقضية عن واقعها. فاخترت اثنين من موظفي الوزارة، وهما منصور الكيخيا، وحسن مخلوف، وسافرنا إلى نيويورك، وبمجرد وصولنا إلى الفندق جاءني شخص من وزارة الخارجية الأمريكية، وقال لي: إن وزير الخارجية دالاس في انتظارك غداً في فندق (والدورف استوريا) الساعة العاشرة، وفي اليوم التالي ذهبت في الموعد المحدد إلى الفندق، فقابلت في الردهة محمد المحجوب وزير خارجية السودان، وكان خارجاً لتوه من مقابلة وزير الخارجية الأمريكي، فسألته ما الأمر؟ فقال لي بأن دالاس يريدنا أن نوافق على مشروع النرويج لصالح لبنان وضد مصر، وهو ما ترفضه مصر وبعض الدول العربية، وعندما دخلت على دالاس وجدته جالساً في غرفة كبيرة ويحيط به جمعٌ من أعوانه، وبدأ كلامه معي بالحديث عن عبدالناصر وخطره على الدول الصغيرة مثل ليبيا، ولبنان، والأردن، وقال بأن هذه فرصتكم كي توقفوه عند حده، مشيراً إلى الوضع في لبنان واعتداء عبدالناصر عليه، وقال إن مشروع النرويج يتضمن خير حلٍ للأزمة القائمة، ولذلك أطلب منك الموافقة على هذا المشروع، فقلت له بأن الدول العربية على وشك الانتهاء من وضع

مشروع متفق عليه، يُعرض على الجمعية العامة ويحل الأزمة، وبأني لا أستطيع الموافقة على مشروع النرويج وهناك مشروع عربي مطروح، فغضب وقال لي: إن عبدالناصر لن يحترم أي قرار، وسترون ما سيحل بكم، وطلب بإصرار الموافقة على المشروع النرويجي، فقلت له: إن سياسة ليبيا هي السير حيث تكون أغلبية الدول العربية، وليبيا في الوقت الحالي لا تستطيع مواجهة مصر أو غيرها من الدول العربية، وهي تريد أن تعيش في سلامٍ مع الجميع، ولذلك أرفض الانضمام إلى مشروع النرويج الذي أراه ضاراً ببلادنا، كما قلت له: إن معظم الشعب الليبي يؤيد عبدالناصر ولا يقبل تخلينا عن قرار الجامعة العربية، وتبنينا لمشروع النرويج الذي لن يحل الأزمة، بل سيزيدها تعقيداً، فأجابني والغضب مرتسم على وجهه: إن مشروع النرويج هو المشروع المناسب لحل الأزمة، أما المشروع العربي فلن يُنفّذ لأن عبدالناصر لن يحترمه وسيستمر في أعماله المعادية للبنان وغيرها من الدول العربية المعتدلة مثل ليبيا، فهذه فرصتكم فانتهزوها ولا تضيعوها، فقلت له: إن سياسة ليبيا هي المحافظة على التوازن بين الشرق والغرب، وبين المتطرفين من الدول العربية والمعتدلين، ثم أنهى دالاس حديثه معي بطريقة لا تليق بوزير خارجية الولايات المتحدة، ولم يقف لتوديعي كما جرت العادة، وخرجت تاركاً إياه غاضباً، وكان دالاس من أقوى وزراء خارجية أمريكا، وهو يحارب الشيوعية دون هوادة، كما كان يريد أن تتخلص الدول العربية من نفوذ عبدالناصر وتستقل بسياستها وبرأيها الذي يجب أن يكون تابعاً للولايات المتحدة، وفي الحقيقة لم أشعر بأي ميلٍ لهذا الرجل الفظ، وقد أفهمته بأن ليبيا دولة صغيرة تتلقى المساعدات من أمريكا مقابل خدمات تقدمها لها، وهي حريصة على هويتها واستقلال سياستها.

وكان في استطاعة أمريكا مصادقة عبدالناصر واستمالته إليها، إلا أن سياستها الفظة العنيفة دفعتها إلى سحب عرضها لبناء السد العالي، وأوقفت بيع السلاح إلى مصر، الأمر الذي دفع عبدالناصر إلى الاستعانة بالسلاح التشيكي والارتماء في أحضان روسيا.

وذهبت إلى الأمم المتحدة فوجدت الوفود العربية مجتمعة، وكان حاضراً محمود فوزي وزير خارجية مصر، وشارل مالك وزير خارجية لبنان، ومحمد المحجوب وزير خارجية السودان، وعبد المنعم رفاعي وزير خارجية الأردن، وكانوا يتناقشون حول وضع مشروع قرار عربي لحل الأزمة، وتقرر عقد إجتماع في المساء في فندق (بيير) لمواصلة البحث، واجتمعت الوفود في الفندق، فتحدث المحجوب عن وضع الأمة العربية وتمزقها وضرورة العمل على إزالة

الخلافات وجمع الشمل وإعادة الوفاق بينها، كما تحدث وزير خارجية لبنان شارل مالك فقال بأن حكومته ترغب في إيجاد حلٍ عربي للأزمة، وسانده في ذلك عبد المنعم رفاعي سفير الأردن، فوافق جميع الحاضرين على القرار وشُكلت لجنة من مصر ولبنان والأردن والسودان لوضع صيغة القرار، فطلب الدكتور فوزي عدم الإشارة إلى سحب القوات الأجنبية في الحال، وترك الأمر للأمين العام للأمم المتحدة ليتخذ التدابير اللازمة لتسهيل سحب هذه القوات، وأعدت اللجنة صيغة مشروع القرار لعرضه على الوفود التي اجتمعت في اليوم التالي وأُطلعت على صيغة القرار، وطلب شارل مالك أن يتضمن القرار الاشارة إلى الاعتداء غير المباشر، فعارض فوزي الإشارة إلى الاعتداء غير المباشر، وحمي النقاش وطال الجدل، فاقترحتُ عليهم قبول المشروع كما هو وإرساله إلى الحكومات لإبداء رأيها فيه، وانفضّ الاجتماع، فوافقت الحكومات العربية على المشروع، ثم عادت الوفود إلى الاجتماع لإقراره، وأخيراً تمّت الموافقة عليه.

دعاني المستر (سلوين لويد) وزير خارجية بريطانيا إلى الغداء، وتحدثنا عن موضوع الساعة، فقال لي: إن المشروع العربي جيد وقد يحل الأزمة، فسألني إذا كان هذا المشروع انتصاراً لمصر، فقلت له: إنه ليس بانتصارٍ لأحد بل حلّ مؤقت للمشكل، وربما يصبح حلاً دائماً إذا عملت جميع الأطراف على احترامه وطبّقته بإخلاص، فقال لي: إنه تحدث طويلاً مع محمود فوزي الذي أكد له أن الاتفاق سوف يُحترم، وأضاف أنه تحصل على تأكيداتٍ من رجال الثورة في العراق بأنهم سيقفون على الحياد.

إجتمعت بمحمود فوزي، فتحدثت معه حول المشروع وحول العلاقات الليبية المصرية وحول التطورات الأخيرة، فقال لي: إن مصر لا تريد شراً لليبيا، وإن التقارير التي تصله لا يُعمل بها جميعها، وأكد لي بأن مصر تود لليبيا دوام استقلالها واستقرارها، كما تحترم الملك وتقدره، وقد قال لي: إنه في حالة حدوث أي مشكل يكدر العلاقات بين مصر وليبيا، فسأجده مستعداً لحله، ومحمود فوزي دبلوماسي قديم، وعاقل، ومتزن، ويعبر عن رأي القيادة المصرية، والذي فهمته منه، أن مصر متفهمة لأوضاع ليبيا ومقدرة لسياستها وشاكرة لها عدم الإساءة إليها.

وقابلت شارل مالك فوجدته مرتاحاً للقرار، وإن كان اهتمامه منصبّاً على رئاسة الجمعية العامة المرشح لها، كما قابلت عبد المنعم رفاعي الذي أفضى إليّ بأسرارٍ كثيرة إذ قال: إن (هامرشولد) الأمين العام للأمم المتحدة حذّر عبدالناصر من سياسة التهديد التي يتبعها، وأن الحالة في سوريا مضطربة، ولولا قيام ثورة العراق لاندلعت الثورة في سوريا، كما قال أيضاً بأن دالاس أخبره أن عبد الكريم قاسم أكد له تعاونه في حلف بغداد، وأن هناك تطورات قد تحدث في العراق قبل أن تستقر فيها الأمور، وأن الشعور بين مختلف القيادات العراقية لا يدل على توافقٍ فيما بينهم.

قابلت السكرتير العام للأمم المتحدة هامر شولد، وكان شديد الحماس لليبيا، وقال بأنها في قلب الأمم المتحدة، وأن الجميع في المنظمة لا يترددون في تلبية أي طلبٍ لها، وأكدّ لي استمرار الأمم المتحدة في دعمها ومساعدتها. ثم تحدثنا عن مشكل الشرق الأوسط، فقال: إن مصر يتجاذبها تياران، واحدٌ معتدل يتزعمه محمود فوزي، والآخر يريد إلقاء مصر في أحضان الشيوعية، كما تحدّث عن القرار العربي الأخير فقال بأنه قرار جيد.

والمستر هامر شولد من أحسن من تولوا أمانة الأمم المتحدة العامة، إذ بدأ في تنظيم المنظمة، إلا أن المشاكل السياسية بين الشرق والغرب شغلته عن الاهتمام بها، وكان يقدر ليبيا ويريد مساعدتها بكل الامكانيات، وخاصةً في النواحي الاقتصادية والتعليمية والصحية والاجتماعية وغيرها، وقد أرسل العديد من الخبراء الدوليين إلى ليبيا لمساعدتها.

إنعقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم 1958/08/21م، فقدم المحجوب المشروع العربي وتمّت الموافقة عليه بالإجماع، وأقام شارل مالك حفل عشاءٍ كبير في أحد نوادي نيويورك حضره جميع وزراء الخارجية ورؤساء الوفود الموجودة، وكان عشاءً فاخراً تبعته سهرة جميلة بعيدة كل البعد عن الأمم المتحدة والسياسة. وكانت هذه أول مرة أشارك فيها في اجتماعات الأمم المتحدة، إذ كنت لا أعرف قوانينها وإجراءاتها وطرق اجتماعاتها، فهي تحتاج لوقتٍ من الدراسة والاطّلاع، إلا أنني فيما يتعلق بالموضوع المطروح للبحث في جمعية الأمم المتحدة، كنت قد تابعته في اجتماع الجامعة العربية الذي عُقد في بنغازي، وتفهمت وضع الطرفين المتنافسين ورغبات كل منهما، وكان تدخل عبدالناصر في لبنان واضحاً، وردود فعل الحكومة اللبنانية كانت في محلها، إلا أن، لا المشروع العربي، ولا المشروع

النرويجي، كانا ليتوصلا إلى حلٍ للأزمة ما لم تتوقف مصر عن التدخل في شؤون لبنان، إلا أن عبدالناصر كان يرى أن المعركة بينه وبين كميل شمعون الرئيس اللبناني، فكانت معركة شخصية يجب أن تنتهي بالإطاحة به، وكان الأخير مستنداً على الولايات المتحدة معتقداً أن في استطاعتها حمايته وإبعاد شر مصر عنه، إلا أن أمريكا عجزت عن مساعدته، فاضطر كميل شمعون إلى ترك بلاده والتخلي عن رئاسته.

وكانت الأوضاع في الشرق الأوسط وفي البلاد العربية بصورةٍ خاصة متردية وغير مستقرة، ففي العراق كان إسقاط النظام الملكي ونوري السعيد، قد جرّ عليها سلسلةً من الأحداث والصراعات التي غيرت وجه البلاد، أما سوريا فكانت أوضاعها لا تسر، وهي على وشك حدوث ثورة فيها، وفي الأردن وبالرغم من وقوف الإنجليز إلى جانبها، كانت خائفة ومترددة بسبب الأوضاع السيئة المحيطة بها، كما كان الوضع في لبنان يزداد سوءاً، إذ كان عبد الناصر من القاهرة يحرّك هذه البلاد ويريدها أن تسير في اتجاهه، في الوقت الذي لم تكن فيه العراق وسوريا بضعف لبنان والأردن اللتين كان يهددهما.

ثم سافرت إلى واشنطن لبحث بعض المشاكل القائمة بيننا وبين الولايات المتحدة، فأقمت في منزل السفير الشاغر مستعيضاً به عن أحد الفنادق الكبرى لعدم استطاعتي دفع نفقاته، فطلبت موعداً مع وزير الخارجية دالاس الذي اعتذر عن مقابلتي، وحوّلني إلى وكيل الوزارة، وكنت أريد مناقشة ثلاثة مشاريع معه لتقوم الحكومة الأمريكية بتمويلها، فالمشروع الأول هو طريق فزان الذي قالوا إنه مكلف للغاية، ومن المستحسن والأرخص الاستعانة بطائرة (داكوتا) ما بين فزان والساحل لنقل ركاب المنطقتين، والتي ستكون نفقاتها أقل بكثير من نفقات الطريق الذي يُراد إنشاؤه، فحاولت إقناعهم بأن الطريق أساسي لربط البلاد ببعضها البعض، ونقل منتجات الجنوب إلى الساحل، وتشجيع نمو الزراعة في الجنوب، غير أنهم رفضوا رفضاً باتاً فكرة المشروع من أساسه مبررين ذلك بكثرة تكاليفه وقلة فائدته.

الموضوع الثاني: ميناء بنغازي الذي دمّرته الحرب، وقد طلبت منهم إعادة إصلاحه، وتشغيله كميناء رئيسي في البلاد، فقالوا لي: لا ضرورة لإعادة بناء ميناء بنغازي ولتكتفي باستعمال الميناء الصغير القديم، وتفريغ البواخر ذات الحمولة الكبيرة في طرابلس، ثم تنقل بواخر صغيرة هذه الحمولة إلى بنغازي، فقلت لهم: إن بنغازي طيلة تاريخها كان لها ميناء،

وميناؤها أهم شيء فيها، فالإيطاليون صرفوا مائتيّ مليون ليرة لبناء ميناء جديد لاستقبال البواخر الكبيرة، غير أنه بمجرد الانتهاء من بنائه، إندلعت الحرب وتناوبت طائرات جميع الأطراف على تدميره، وهو شيءٌ حيوي بالنسبة لبنغازي ولا يمكن الاستغناء عنه، ولكنهم أصرّوا على فكرتهم بعدم إصلاح الميناء وبقاء الأمور على ما هي عليه.

والموضوع الثالث: بناء ثلاجة لحفظ اللحوم في بنغازي، وقد قالوا لي بأن اللحوم تُصدر حيّة لا مذبوحة، فقلت لهم: إن تصدير المواشي ليس بالسهل، أما ذبح المواشي وتصديرها لحوماً فهو أسهل وأجدى وأنفع للبلاد، فأصروا على رفض المشاريع الثلاثة المهمة بالنسبة لليبيا، والضرورية بالنسبة لمدينة بنغازي، فدلّ رفضهم هذا على عدم رغبتهم في مساعدة ليبيا مساعدة جدية، فهم يهتمون ببناء مدرسة، أو وضع مشروع لجمع القمامة وغيرها من المشروعات الصغيرة التي لا تستفيد منها البلاد اقتصادياً.

وتحدثت معه عن وضع القاعدة وتحليق الطائرات فوق المدينة وإزعاج سكانها، وإنه على السلطات الأمريكية أن تجد حلاً لهذا المشكل الذي أقلق جميع سكان طرابلس، إذ يجب إيجاد حلٍ سريع يجنب سكانها هذا الإزعاج المستمر، ثم تطرقت إلى المساعدات الأمريكية إلى ليبيا، وعدم تحقيقها لأهدافها، فهناك مشاريع معطلة بسبب الطرق الملتوية التي تمر بها المساعدات الاقتصادية، وأن المسؤولين عن هذه المساعدات يتصرفون حسب مزاجهم، ولا يتجاوبون مع السلطات المحلية التي هي أدرى باحتياجات البلاد، وطلب مني معرفة بعض المشاريع التي لم يُوافَق عليها، فذكرت له بعضها ومن بينها ميناء بنغازي وطريق فزان فقال: إن هذه المسائل قابلة للتعديل والإصلاح، ثم بحثنا الأوضاع السياسية فقلت له بصراحة: إن ليبيا لا تستطيع أن تسيّر سياستها الخارجية وفقاً لسياسة الولايات المتحدة، إذ أن القومية العربية تحتاج ليبيا كبقية الدول العربية الأخرى، وعلى الحكومة الليبية مراعاة شعور مواطنيها وعدم الاصطدام بهذا الشعور، ولا يمكنها اتخاذ مواقف تتعارض مع مواقف الدول العربية وخاصةً مصر، وأفهمته بأن المساعدات الأمريكية لا يمكنها أن تكون وسيلة ضغط علينا وعلى سياستنا الخارجية، لأن المساعدات التافهة التي تقدمها الولايات المتحدة لليبيا، لا تتناسب من بعيد أو من قريب مع الخدمات الضخمة التي تقدمها ليبيا للولايات المتحدة بوجود قاعدتها العسكرية في طرابلس، فنحن نقدم أكثر بكثير إلى الولايات المتحدة مما تقدمه لنا، ولأمريكا سياسات تتعارض مع السياسة العربية، وعلى سبيل المثال سياسة

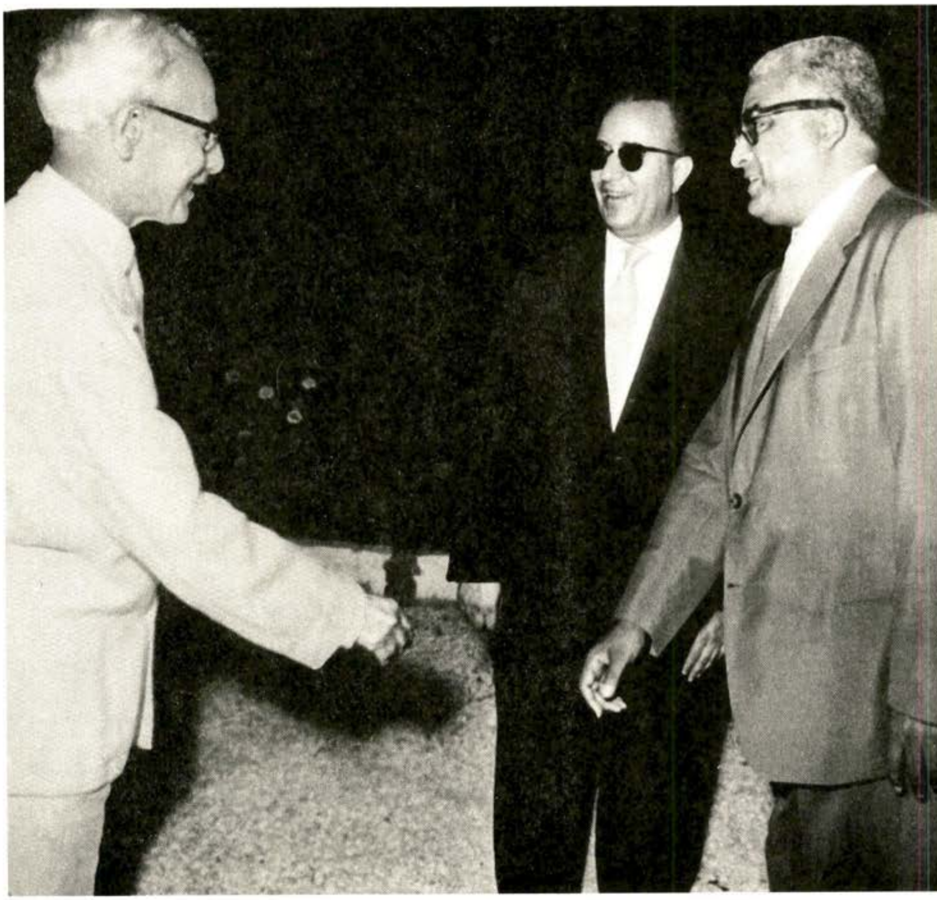
الولايات المتحدة بالنسبة لقضية الجزائر وفلسطين وغيرها، وهي التي تدفع الشعوب نحو الشيوعية، رغم أن العرب كمسلمين ينفرون منها ومن مبادئها، وعندما انتهت المقابلة أدركت أن دالاس ووزارة خارجيته، غير راضين عن مواقف وزير خارجية ليبيا وعن كيفية محادثتهم بهذه الصراحة، وفهمت من مقابلتي لدالاس ووكيله أن الحكومة الأمريكية غير جادة في مساعدة ليبيا مساعدة أساسية، فهي عن طريق المصالح المشتركة تقوم بتحقيق بعض المشروعات الصغيرة، ولا تلتفت إلى أي مشروع هام وكبير، وتناست أن ليبيا خارجة من حرب طويلة مدمرة ومن استعمار غاشم أفقدها نصف سكانها، ولا تقدّر في الوقت ذاته قيمة المساعدة التي تقدمها لها ليبيا بوجود قاعدتها العسكرية الكبيرة في طرابلس، ولعل أمريكا اتخذت هذا الموقف من ليبيا لأن المسؤولين الليبيين لم يواجهوها بصراحة، ولم يطالبوا بحقوق البلاد المفروضة عليهم، فأمريكا تملك قاعدة كبيرة وقواعد إضافية موزعة في ليبيا، ويتمتع جنودها بامتيازاتٍ كثيرة، وطائراتها تحلق فوق طرابلس باستمرار، وهي تستقبل في قاعدتها من تريد وماذا تريد دون أي رقابة من قبل الحكومة الليبية، فهذه الخدمات وهذه الامتيازات التي تتمتع بها الولايات المتحدة في ليبيا، لا يقابلها عطاء أمريكي لمساعدتها في كل ما تحتاج إليه، وأعود فأقول إن تردد المسؤولين في مصارحة أمريكا بالواقع ومطالبتها بحقوق ليبيا، هو الذي خلق هذا الوضع السيئ في العلاقات ما بين البلدين.

وأسرعت الحكومة الأمريكية بتقديم شكواها مني إلى الحكومة الليبية التي سبقتني قبل عودتي إلى ليبيا، وخلال وجودي في أمريكا وصلتني دعوة من الحكومة التونسية لزيارة تونس، فسافرت إلى روما ومنها إلى تونس، حيث أُستقبلت استقبالاً رسمياً من قبل رئيس الحكومة ووزير الخارجية، وأُقيمت لي الحفلات والموائد، وأجريت محادثات مع السيد الباهي الأدغم رئيس الوزراء، والسيد الصادق المقدم وزير الخارجية، والتي تناولت العلاقات الليبية التونسية وضرورة تعزيزها وتقويتها لصالح البلدين، وفي اليوم التالي سافرت إلى (المناستير) بناءً على دعوة الرئيس بورقيبة حيث قابلته وتناولت طعام الغداء معه، وقد منحني وسام تونس الكبير، وحدثني بورقيبة عن ليبيا فوجدته غير راضٍ عن العلاقات بين البلدين، فوعدته بتعزيزها وتقويتها لصالح الطرفين، وكانت تونس في بداية استقلالها فقيرة وضعيفة وفي حاجةٍ إلى مساعدات خارجية، كما أن أوضاع البلاد والاستقلال يتطلب موارد كثيرة غير متوفرة، فذكر لي بورقيبة أنه طلب نصف مليون جنيه قرضاً من ليبيا التي لم تمنحه إياه، فقلت له: يا

سيدي الرئيس، إن دخل ليبيا لا يتعدّى المليوني جنيه، وإن الإنجليز يسددون عجز الميزانية البالغ أربعة ملايين جنيه، فإذا اعتذرت الحكومة الليبية عن تلبية الطلب التونسي فذلك لأنها لا تملك المبلغ المطلوب.

تباحثت مع،الصادق المقدم، وزير الخارجية، في الشؤون الليبية التونسية وضرورة تحسينها، فوجدت لدى التونسيين رغبة ملحة في التعاون وتوثيق العلاقات مع ليبيا، التي كانت قد توترت يوم اعلان الجمهورية، إذ تحدث النائب التونسي (رشيد إدريس) في المجلس قائلا: لم يبقَ في العالم من الملوك سوى، أربع ملوك الورق، وملكة بريطانيا، فانسحب سفيرنا عبدالسلام بسيكري من الجلسة احتجاجا على هذه الأقوال، وتوترت العلاقات بين البلدين بسبب هذا الحادث، وظلت الحكومة التونسية تتجاهل سفيرنا، كما ظلت العلاقات بين البلدين في حاجةٍ إلى إصلاح، وذلك لا يتم إلا برغبة الطرفين، فتوصلت مع الصادق المقدم إلى حل المشكل بسحب سفيرنا من تونس وسفيرهم من طرابلس، وقد ظل هذا الحادث يتسبب في توتر الأوضاع بين البلدين، ولم يعمل الطرفان على حل الخلاف البسيط وعودة العلاقات إلى طبيعتها، فالتونسيون يحطّون من قدر الليبيين وغير مقدرين لهم ولا لبلادهم، أما الرئيس الحبيب بورقيبة فعندما زاره جمعٌ من الصحافيين الليبيين قال لهم: (ليبيا حوش بدون سقف)، فأثّرت هذه الكلمة في الصحافيين الذين هاجموه وانتقدوه لدى عودتهم إلى ليبيا، فهو بطبيعته لا يميل إلى ليبيا رغم أصوله الليبية، إذ أنه في الأصل من مدينة مصراتة، فقد حقد على ليبيا لأنها استقلت قبل أن تستقل تونس، كما حقد عليها فيما بعد لأسبابٍ عدة، وتناسى أنه من الأفضل للبلدين الجارتين التعاون والتفاهم، والمساعدة المتبادلة.

وهذا حظ ليبيا مع جيرانها، فمصر في الشرق لا تحترمها ولا تقدرها، وتونس في الغرب تحقد عليها وتزدري بها، وحاولت خلال زيارتي لتونس تهدئة الأجواء بين البلدين لإعادتها إلى مجراها الطبيعي، وقد لجأ إلى ليبيا المعارض الرئيسي للحبيب بورقيبة وهو (صالح بن يوسف)، فسمحت له الحكومة الليبية الإقامة فيها وممارسة نشاطه السياسي، الأمر الذي أزعج الرئيس بورقيبة وجعله ينقم على ليبيا، ويطالبها باستمرار بعدم السماح لصالح بن يوسف الإقامة فيها، فقررت المخـابرات التونسية خطف صالح بن يوسف والمجيء به إلى تونس، فبدأوا اتصالاتهم بصالح بن يوسف وأفهموه أنهم يريدون محادثته في المنطقة المحايدة


زيارتي الرسمية لتونس عام 1958م.

بين حدود البلدين، فأسرع صالح بن يوسف بإخبار الشرطة الليبية بالأمر، والتي أعدّت في الحال كميناً في المنطقة المحايدة، وجاء صالح بن يوسف، وعندما ظهر هجم عليه التونسيون يريدون أخذه إلى تونس، وهنا تصدّت لهم الشرطة الليبية وأنقذته من بين أيديهم، وقبضت على البعض منهم، وقُدموا إلى المحاكمة معترفين بانتمائهم للحزب الدستوري التونسي الذي يترأسه الحبيب بورقيبة، فوجهت النيابة العامة وثيقة الاتهام إلى رئيس الحزب الحبيب بورقيبة، فثارت ثائرة التونسيين لهذا العمل الذي رأوا فيه اعتداءً على كرامة رئيس دولتهم، وقد أضافت هذه القضية مشكلاً آخر إلى المشاكل المتراكمة بين الطرفين.

واصل الحبيب بورقيبة ضغطه على الحكومة الليبية لإبعاد صالح بن يوسف عن ليبيا، لكي تستقر الأوضاع بين البلدين وتأخذ مجراها الطبيعي، فقامت الحكومة الليبية بإبعاده إرضاءً للحبيب بورقيبة، وقضت بذلك على التوتر القائم بين البلدين، ومن ثم عادت الأوضاع بين تونس وليبيا إلى مجراها الطبيعي، وتحسنت العلاقات الأخوية بينهما.

وكانت زيارتي إلى تونس أول زيارة رسمية أقوم بها، وربما ثاني زيارة يقوم بها ممثل دولة عربية إليها، بعد زيارة وزير خارجية العراق، فتونس كانت قد إستقلت منذ فترة بسيطة، وأوضاعها الاقتصادية غير مرضية، ومواردها محدودة، وشعبها يبحث عن الاستقرار والحياة الجيدة. أما شخصية بورقيبة فكانت مسيطرة في الداخل وفي الخارج، فالرجل قضى حياته في الصراع من أجل استقلال تونس، ودخل السجن أكثر من مرة، وأخيراً إستقلت تونس وأصبح رئيسها.

غير أن الأوضاع تغيرت تغيراً جذرياً عندما رزق الله ليبيا بالبترول، وشرعت في تصديره، فتحولت الكراهية والحقد إلى حسدٍ وغيرة، إلا أن مصر وتونس أرادتا الاستفادة بقدر الإمكان من هذا البترول، فوظفت ليبيا الكثير من عمالهما، وتحسنت التجارة بين البلدين، وزادت صادرات مصر إلى ليبيا التي أخذت تتحسن العلاقات بينها وبين جارتيها الغربية والشرقية، وتدفق طلاب العمل من مصر وتونس على ليبيا للحصول على عملٍ فيها، كما ازداد طلب ليبيا للمدرسين والمهندسين والأطباء من مصر، وبالرغم من استمرار مصر في مواقفها من ليبيا وعدم اتخاذ موقفٍ صريح منها، فقد ظلت العلاقات بين البلدين يشوبها شيءٌ من عدم الارتياح، فمصر لا تزال غير راضية عن وجود القواعد البريطانية بالقرب من

حدودها، وتواصل ضغطها على الليبيين لإزالتها.

عدت إلى ليبيا فوجدت الجو مكهرباً، فرئيس الوزراء كان غاضباً لأني لم أستأذن منه قبل سفري، وربما كان واقعاً تحت تأثير ما نقله إليه السفير الأمريكي، فطلب مني الذهاب معه لمقابلة الملك في البيضاء وتقديم تقرير له عن مشاركتي في أعمال الأمم المتحدة، وقد أعددت تقريراً مفصلاً للملك بحيث يكون على علمٍ بكل شيء، فوجدت الملك متغيراً على غير عادته معي، وأثناء حديثي عن تفاصيل ما حدث في الأمم المتحدة وعما جرى بيني وبين وزير خارجية أمريكا، كان يتظاهر بالنوم، فتوقفت عن الحديث واستأذنت منه وخرجت، وأدركت آنذاك بأن السفير الأمريكي ملأ رأسه بالأكاذيب، وأن عملي في وزارة الخارجية قد انتهى.

وعند عودتي إلى بنغازي، كانت الشائعات تعم المدينة حول تعديل وزاري وخروجي من الخارجية، فذهبت إلى رئيس الوزراء، وطلبت منه أن لا يضمني إلى وزارته المقبلة، فأجابني بأن المرسوم قد وُقّع وأني أصبحت وزيراً للدولة، وهكذا انتهى عملي وزيراً لخارجية ليبيا، وعلمت فيما بعد أن السفير الأمريكي قد أبلغ الحكومة والملك عن عدم رضاهم عني.

عملت كوزير للخارجية أكثر من عامٍ ونصف العام، وقد أعطيت وزارة الخارجية دماً جديداً وأيقظتها من سباتها، ومن الأعمال الروتينية التي كانت تتبعها، وأجريت تعديلات كثيرة في تنظيم الوزارة وسير عملها، وتوزيع الاختصاصات على الموظفين، وكانت تجربة كبيرة بالنسبة لي تعلمت فيها الكثير وخاصةً في ميدان العلاقات الخارجية، وأخيراً تركت الوزارة التي تولاها رئيس الوزراء، واكتفيت بمنصبي الجديد كوزير دولة في الحكومة، إلا أن منصبي الجديد لم يختلف كثيراً عن منصب وزير الخارجية، إذ أن جميع المشاكل والقضايا الخارجية كانت تُسند إليّ للقيام بها.

وأستغرب جداً تحامل وزارة الخارجية الأمريكية عليّ، ألأنني لم أُطع وزير خارجيتها وأعمل بتعليماته؟ فلم أكن أنا الوحيد الذي رفض توجيهات وزير الخارجية الأمريكي، بل رفضها من قبلي وزير خارجية الأردن، ووزير خارجية السودان، ولم تتأثر حكومتيهما باحتجاج، أو شكوى الحكومة الأمريكية من تصرفهما، وإنما ليبيا هي الدولة الضعيفة التي تستطيع الولايات المتحدة أن تفرض عليها ما تشاء، وربما هي التي طلبت إخراجي من

وزارة الخارجية، فالحكومة الليبية خاضعة لضغط أمريكا من جهة، وضغط مصر من جهةٍ أخرى، وتقف مترددة في اتخاذ القرار الذي يتماشى مع مصالحها، ومع كونها دولة مستقلة ذات سيادة.

عملي كوزير للدولة

استلمت وزارة الدولة وكانت عبارة عن إسمٍ على الورق، وقد سبقني إليها خليل القلال، ولا أحد يعرف اختصاصاتها أو لماذا أُنشئت؟ وعادةً يعين وزير الدولة في بلادنا من أجل إرضائه أو إدخال عنصر من القبيلة أو منطقة معينة للمحافظة على التوازن القبلي أو الإقليمي، أما اختياري أنا فكان برغبةٍ من الملك الذي كان يريد أن أبقى في الوزارة. أما مقر وزارة الدولة فكان في مبنى قديم وهو في الأصل مدرسة إيطالية، ويتكون من غرفتين إحداها للوزير والأخرى لسكرتيره، ولم تكن هناك ملفات أو أوراق أو أي شيء ينبئ بأن هذه الوزارة كانت تعمل، فاقتصرت أعمالي خلال تقلدي لمنصب وزير الدولة على حضور المؤتمرات واللقاءات الدولية التي تُدعي ليبيا للمشاركة فيها، والتي من المفروض أن يحضرها وزير الخارجية، وكذلك حضور إجتماعات الجامعة العربية.

وكان عبد المجيد كعبار رجلاً مسالماً حاول أن تكون علاقاته مع القصر والولايات والبرلمان علاقات طيبة، وقد سافر الرئيس كعبار على رأس وفدٍ ليبي إلى لندن للتفاوض مع الحكومة البريطانية بخصوص سد العجز البريطاني للميزانية الليبية، فدارت مفاوضات طويلة بين رئيس الوزراء ووزير الخارجية البريطاني(سلوين لويد)، وكان غرض رئيس الحكومة الليبية طلب زيادة المعونة البريطانية، في حين كان البريطانيون متجهين إلى تخفيضها، فبريطانيا كانت قد سحبت معظم قواتها من ليبيا خلال حرب السويس، وأرادت أن تتولى الولايات المتحدة مساعدة ليبيا عوضاً عنها.

تم الإتفاق بين المتفاوضين على إبقاء المعونة البريطانية بعد تخفيضها بنصف مليون جنيه، وجاءت هذه النتيجة بعد المفاوضات التي أجراها كعبار مع سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا، إلا أن الأخيرة تعهدت بتسليح الجيش الليبي وتدريب الضباط، كما تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية في شهر سبتمبر بزيادة معونتها إلى ليبيا بمبلغ أربعة ملايين دولار لعام 1959م.

وفي هذا العام بدأت شركات البترول عمليات الاستكشاف، وبدأت تدفع رسوم التنقيب والبحث عن البترول وفقاً لقانون البترول الموضوع، فبدأت البلاد تنعم بشيء من

الرخاء بعد الشدة التي لازمتها أعواماً طويلة، ولسوء الحظ ظهر على السطح طبقة من الإستغلاليين والإنتهازيين الذين استفادوا من الظروف، كما تدفق على البلاد سيلٌ من المرتزقة لامتصاص خيراتها وترك فتات المائدة لمعظم الليبيين.

خرجتُ من وزارة الخارجية، إلا أن عبد المجيد كعبار ألقى على عاتقي بالعلاقات الدولية، فقد بدأت البلاد الأفريقية تنال استقلالها، فكثرت مشاكلها واجتماعاتها ومؤتمراتها، فبعد اجتماع أكرا الذي كان أول لقاء للدول الأفريقية المستقلة، عقد نكروما مؤتمراً لجميع الدول الأفريقية، الذي ضم الدول والمنظمات الشعبية في البلدان التي لم تنل استقلالها، وذلك في شهر ديسمبر عام 1958م، وقد ترأست الوفد الليبي الذي شارك في أعمال هذا المؤتمر، وكان عبارة عن مهرجان شعبي أراد نكروما من خلاله تأكيد زعامته لأفريقيا، ومكثنا في أكرا أكثر من أسبوع، ثم سافرنا إلى أبيجان ومنها إلى باريس بسبب تعذر وجود أماكن على الطائرات المسافرة من أكرا إلى طرابلس.

وفي هذا المؤتمر تعرّفت على الكثيرين من رجالات أفريقيا ومناضليها، وزاد تفهمي لقضاياها ومشاكلها المطروحة، وكذلك للمنظمات السياسية التي تعمل على الساحة الأفريقية، وكان نكروما منتشياً وسعيداً بهذا اللقاء الذي أظهر فيه زعامته وتفهمه لمشاكل أفريقيا، كما لاحظت أن اتجاه نكروما وبعض المنظمات التي اجتمعت في أكرا كان يسارياً، كما ضمّ هذا المؤتمر جميع التنظيمات السياسية في أفريقيا التي كانت تطالب بالحرية وبالاستقلال، وكانت جميعها تتبّع الأساليب السلمية في نضالها، باستثناء كينيا التي قامت بنضالٍ مسلح برئاسة (جومو كنياتا) ضد بريطانيا، وقد ظهر في اجتماعات أكرا أن الدول الاستعمارية بدأت تقتنع بمنح الحرية للشعوب الأفريقية، فأخذت تعد العدة لذلك بإعطاء بعض السلطات للمواطنين، على أن تمنحهم الاستقلال والحرية في الوقت المناسب.

وكان عبد المجيد كعبار كما سبق وذكرت، قد اتّبع سياسة المهادنة والتفاهم مع الولايات والنواب والقصر، وكانت هذه السياسة على حساب هيبة الحكومة وصلاحياتها لمحاولته إرضاء الجميع، فنجح فعلاً في خلق جوٍ من التعاون والهدوء، إلا أن رجال المؤتمر الوطني ممن عارضوا النظام القائم، وكذلك جماعات كانوا يعملون في السر، وهؤلاء هم الذين ساعدهم تحسن الوضع الاقتصادي في البلاد، إلى جانب ضعف الحكومة سواء داخل

البرلمان أو خارجه، قد أطلوا برؤوسهم وبدأوا يتحركون ضد الحكومة، وفي هذه الأثناء بدأ النفوذ البريطاني ينحسر ويحل مكانه النفوذ الأمريكي، فبدأت أمريكا تتدخل في شؤون ليبيا وتبسط نفوذها على المسؤولين، كما أخذت تزيد مساعداتها عن طريق المصالح المشتركة، التي وسعت أعمالها فشملت كل ليبيا وأصبح لها نفوذاً كبيرا، فالولايات المتحدة لا تريد أن تدفع مبالغ نقدية إلى الحكومة الليبية، وإنما تقدم خدمات بواسطة المصالح المشتركة التي انتشرت خدماتها في كل البلاد، ولكنها لم تقم بمشروع واحد مفيد لها.

وكان الإتحاد السوفيتي قد تقدم بطلب تقديم المساعدة إلى ليبيا، فأثار هذا الطلب مخاوف الولايات المتحدة التي كانت كل سياستها تخضع لهاجس العداء للشيوعية، فدخلت في مفاوضاتٍ جديدة مع الحكومة الليبية إنتهت برفع المعونة الأمريكية إلى عشرة ملايين دولار، واعتبر كعبار ذلك نصراً للحكومة، حيث أن الولايات المتحدة لم تضع شرطاً على صرف هذا المبلغ، ولم يكن الطلب السوفيتي يكتسب الجدية، وأذكر عندما كنت في وزارة الخارجية أن قام سفير الإتحاد السوفيتي بزيارتي فسألني عن المجال الذي يستطيع فيه السوفيت تقديم المساعدة، فقلت له: إننا نقبل المساعدة في أي مجال، حتى لو كان في مجال الزراعة، كإرسال عددٍ من آليات الحراثة أو غيرها، وذهب السفير ولم يُجب على الطلب، وبعد مدة عرضت روسيا على ليبيا إنشاء مستشفى في غريان، فقبلنا العرض إلا أن روسيا قدمت سلسلة من الشروط التي دفعت بالحكومة إلى صرف النظر عن عرضها، فروسيا لم تكن جادة أبداً في تقديم المساعدات، لأنها تعلم أن المجال كان محتكراً لأمريكا ولمشاريعها الكثيرة، ولكنها كانت ترى أنه من الضروري بين الحين والآخر إظهار نواياها في المساعدة، إلا أنها لم تقدم شيئاً لا للحكومة ولا للشعب الليبي.

في شهر يوليو من عام 1959م انعقد في منروفيا المؤتمر الأول للدول الأفريقية المستقلة، وانضمت إليه جميع الدول الأفريقية المستقلة باستثناء مجموعة الدار البيضاء المؤلفة من مصر، والمغرب، وغانا، ومالي، وغينيا، وليبيا، وقد قررت هذه المجموعة عدم المشاركة في مؤتمر منروفيا، بسبب مشاركة موريتانيا التي يعترض المغرب على استقلالها ويريد ضمها إليه، ولم تُبلّغ المجموعة ليبيا بمقاطعتها الاجتماع، فذهبت ليبيا للمشاركة دون علمٍ منها بمقاطعة مجموعة الدار البيضاء لهذا المؤتمر، وقد شُكل الوفد برئاسة وعضوية عددٍ من موظفي وزارة الخارجية.

ناقش المؤتمر القضايا الأفريقية، وكان يشعر بأن تغيب مجموعة الدار البيضاء قد يؤثر في قرارات المؤتمر، وتبعاً لذلك قرر المؤتمر إرسال برقية إلى الأمين العام للأمم المتحدة يطالب فيها بانضمام موريتانيا إلى الأمم المتحدة، وعندما جاء وقت التصويت على القرار إمتنعتُ عن التصويت ولم أُعارضه، وهو الأمر الذي أسعد الرئيس الموريتاني (مختار ولد دادة) فسارع وشكرني على موقفي.

ازداد عدد الدول الأفريقية بانضمام غينيا ونيجيريا ومجموعة الدول الناطقة بالفرنسية، التي منحتها فرنسا الاستقلال وكوّنت كتلة مرتبطة بها، إلا أنه في مؤتمر منروڤيا بدأ الخلاف بين الدول الثورية والمعتدلة، وقد وجد نكروما في سيكوتوري حليفاً، ووجد الاثنان في نيجيريا خصماً عنيفاً، فقد برهنت نيجيريا منذ استقلالها على رغبتها في تزعم أفريقيا وعدم السماح لأحدٍ بمنافستها في هذه الزعامة، كما ظهرت في المؤتمر مشكلة تمثيل الجزائر التي كانت لا تزال تناضل ضد فرنسا من أجل حريتها واستقلالها، إلا أنها أرسلت (محمد يزيد) إلى مؤتمر منروڤيا ممثلاً لها على قدم المساواة مع ممثلي الدول الأخرى، أما (محمد يزيد) فقد تمسك برفع علم الجزائر إلى جانب أعلام الدول المستقلة، فعارضت بعض الدول الأفريقية ذلك وفي طليعتها ليبيريا، فما كان من يزيد إلا أن طوى العلم وقدّمه إلى رئيس ليبيريا قائلاً: (أرجو أن تتقبل هذا العلم هديةً إلى أن يحين إستقلال الجزائر فتأمرون برفعه)، فتأثر الرئيس من ذلك وأمر في الحال برفع العلم الجزائري، وكانت الدول الأفريقية باستثناء الدول الموالية لفرنسا تعطف على قضية الجزائر وتؤيدها، وتسمح بحضور ممثلٍ عن حكومة الجزائر المؤقتة في جميع اجتماعاتها.

وجدنا منروڤيا في حالة تخلف وفقر، وكان ذلك واضحاً لإقامة رؤساء الوفود في قصر رئيس الجمهورية، في حين اضطر بقية أعضاء الوفود للإقامة في فنادق متواضعة، فمنروڤيا كانت مقر اجتماع الدول الأفريقية المستقلة الثاني، وأثبتت استمرارية فكرة التعاون ما بين الدول الأفريقية وكذلك استمرارية تتبعها للقضايا المطروحة، كما برزت في قضايا الاجتماع بوادر المواجهة بين الثوريين والمعتدلين.

وفي مؤتمر منروڤيا بدأت الدول الأفريقية تشعر بوحدتها وتقاربها، إلا أن الخلافات كانت مستمرة بين الدول اليسارية واليمينية، وقد كان نكروما وسيكوتوري يتزعمان الدول

الاشتراكية المحاربة للاستعمار والمطالبة بوحدة أفريقيا، بينما كانت نيجيريا وإثيوبيا والدول العربية في شمال أفريقيا والكتلة الفرنسية من الدول المعتدلة، إلا أن هذه الخلافات لم تقف عائقاً في وجه تطوير العلاقات وتقوية المنظمة الأفريقية، وظهر ذلك بازدياد عدد المنضمين إليها.

عدت إلى ليبيا في شهر نوفمبر عام 1959م، وفي اليوم الثامن والعشرين رزقنا الله بابننا الثالث طارق.

قضية الكيان الفلسطيني

دخلت قضية فلسطين في متاهات ومشاكل جديدة عندما طالب أحمد الشقيري الذي كانت تدعمه مصر، (بالكيان الفلسطيني) الذي يعني أن جميع الفلسطينيين المقيمين في الأردن تعود تبعيتهم إلى منظمة الشقيري، وكان الملك عبدالله ملك الأردن، (وهو جد الملك حسين) قد ضمّ الضفة الغربية بعد النكبة الفلسطينية إلى مُلكه، كما أنشأت القاهرة حكومة عموم فلسطين وكانت مشروعاً فاشلاً لم يجد القدرة للوقوف على قدميه، وظل معظم الفلسطينيين خاضعين للأردن، ففكرة مصر الظاهرة هي تكوين جهاز يشرف على الفلسطينيين وينطق بإسمهم في المحافل الدولية، وكذلك إنشاء جيش فلسطيني تموّله البلاد العربية المجاورة لإسرائيل، وأما ما خفي فهو تقليص وزن الأردن أو القضاء عليه، وكانت مصر قد إتفقت مع السعودية في هذا الإتجاه، ومن الطبيعي أن يقاوم الأردن الفكرة بكل قواه، ويستند على بريطانيا وأمريكا في الوقوف إلى جانبه ضد هذا الضغط المصري المتواصل باذلاً جهده لإفشال هذه الفكرة، إلا أن مصر والشقيرى واصلا الضغط على الأردن لتشكيل الكيان الفلسطيني مستعينين بجامعة الدول العربية التي كانت لا تستطيع مقاومة رغبات مصر.

عقدت الجامعة العربية إجتماعاً في القاهرة على مستوى وزراء الخارجية لبحث قضية فلسطين وفي طليعتها تشكيل الكيان الفلسطيني، وكُلفت برئاسة الوفد المشارك في الاجتماعات، فسافرت إلى القاهرة. وعُقدت الاجتماعات في جناح حسين العويني (رئيس المؤتمر ووزير خارجية لبنان) في فندق هيلتون، وقد أصيب بزكام اضطره إلى عقد اجتماعات

وزراء الخارجية في جناحه الخاص وهو مرتدياً البيجامة والروب، وكان يأمر بتقديم الشاي والمرطبات قبل البدء بالنقاش، وكانت الاجتماعات تُعقد يومياً ويدور النقاش الروتيني بين وزير خارجية الأردن ووكيل خارجية مصر السوري (أثناء الوحدة المصرية السورية)، وعندما يتوصل الطرفان إلى شبه اتفاق يقوم وكيل وزارة خارجية مصر بتخريبه، ثم نعود في اليوم التالي لنبدأ النقاش من جديد، ولم يكن أحدٌ من رؤساء وفود الدول المشتركة في الاجتماع مقتنعاً بالتوصل إلى حل، إلا أن الاجتماعات كانت تُعقد والنقاش يدور بدون نتيجة، فالأردن مصرّة على موقفها الثابت لأن ليس من حق أحد تمثيل شعبها إلا حكومتها، وأما الشعب الفلسطيني المقيم في الأردن فقد إندمج في الشعب الأردني وأصبحا يكونان شعباً واحداً تتألف منه المملكة الأردنية، وظلت هذه الإجتماعات تُعقد على مدى شهر دون التوصل إلى نتيجة، وكان النقاش والصراع يدور بين مصر والأردن، كما ظل النزاع سائداً حتى نهاية الاجتماعات، فمصر كانت تعلم أن الأردن لن يتنازل عن حقوقه، إلا أنها كانت تريد أن يظل المشكل قائماً بين الفلسطينيين وحكومة الأردن، فواصلت مصر عن طريق أحمد الشقيري مطالبتها بتبعية الفلسطينيين المقيمين في الأردن إلى المنظمة الفلسطينية الجديدة، وهذا يعني زوال الحكومة الأردنية التي ستفقد ثلثي سكانها، غير أن مقاومة الأردن لهذه المشاريع قوية وصامدة بالرغم من تأثير هذه على مسيرتها، فمصر كانت تريد من الدول العربية تمويل منظمة التحرير الفلسطينية وتمويل جيشها المزمع إنشاؤه، وذلك على حساب حكومة الأردن، ولا ندري ما الغرض من خلقها هذا الوضع الغريب الذي يطالب به الشقيري؟ وماذا تستفيد من تدميرها للأردن؟ وهي واثقة من أنّ، لا الشقيري، ولا الأردن، ولا الدول العربية، في استطاعتها التغلب على إسرائيل وتكوين الدولة الفلسطينية، فالجيش الفلسطيني المزمع إنشاؤه، لا يستطيع أن يقف في وجه قوات إسرائيل، ودباباتها، وطائراتها، واستعدادها الحربي الهائل، ففكرة الكيان الفلسطيني كانت فكرة ضارة بالأردن وبالفلسطينيين أنفسهم، إذ أن الشقيري لا يستطيع أن يكوّن دولة فلسطينية ينضم إليها الفلسطينيون المقيمين في الأردن، ولا يستطيع إجبارهم على الانضمام إليه، وهم يقيمون في المملكة الأردنية ويُعتبرون من رعاياها، أما فكرة الشقيري في أن يكون الفلسطينيون المقيمين في الأردن تابعين له مع استمرار إقامتهم فيها، فهذه أفكار لا تفيد القضية الفلسطينية، إذ أن البرنامج الذي وضعه الشقيري بموافقة مصر برنامج خيالي، ولا يستند إلى الواقع، كما

أنه لا يفيد في تحرير فلسطين، لقد كان الأجدى أن تُوجه جميع الجهود للقضية الرئيسية، وهي قضية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

ساء موقف حكومة عبد المجيد كعبار بعد صدور منشور الملك الذي يندد بالفساد، وسوء الإدارة، والرشوة، وانغماس المسؤولين في هذا الفساد، وعدم قيام الحكومة بأي إجراء للتجاوب مع منشور الملك، وقد شجّع المنشور معارضي الحكومة والناقمين على سياستها.

وقد قام كعبار بخطوة هامة بقصد استقطاب وإرضاء الناس، فقام بتعديل قانون الإنتخابات بحيث يتساوى سكان المدن والأرياف في سرية التصويت، وأن العمل بالتعديل سيقع في الانتخابات عام 1960م، وعندما حل عام 1960م قامت الإنتخابات على قدمٍ وساق، وكان التنافس على أشده، كما كانت بعض الشركات الأجنبية وشركات البترول تعمل على فوز العناصر التي تضمن مصالحها، كما كانوا يريدون القضاء على النواب الأوائل، الذين ساهموا في قيام الدولة وتسيير سياسة البلاد وفقاً لمصالحهم، وتكونت طبقة من رجال الأعمال، وأصحاب المصالح، وسياسيين، وحزبيين، بدأت تسيطر تدريجياً على الأوضاع الاقتصادية وتتدخل في سياسة الدولة وفي قراراتها، وتكونت منها مراكز قوى جديدة تتدخل في شؤون البلاد.

طريق فزان

كانت ولاية فزان توالي الضغط على الحكومة، لبناء طريق فزان الذي يربط البلاد ببعضها البعض ويؤمن مواصلاتها، ويشجع سكان فزان على التوسع في الزراعة وتصدير الإنتاج إلى الساحل، فرأت الحكومة العمل على تلبية رغبات أهل فزان المتمشية مع المصلحة العامة، بربط الجنوب بالساحل عن طريق معبّد يخترق الصحراء، وهو الطريق الذي طلبتُ من حكومة الولايات المتحدة تحقيقه عندما زرت واشنطن في عام 1957م، وقد رفضت آنذاك الحكومة الأمريكية رفضاً باتاً إنشاء الطريق مدّعية بأن تكاليفه باهظة، وأنه يمكن الاستغناء عنه بطائرة (داكوتا) تنقل السكان من الجنوب إلى الشمال، ومن الشمال إلى الجنوب، فالطريق كان ضرورياً وحيوياً إذ يربط البلاد ببعضها البعض، كذلك يعمل على تنمية الزراعة في الجنوب والتي يُنقل إنتاجها عبر هذا الطريق إلى الساحل، وكذلك يساعد

في تنقل السكان ما بين المنطقتين، ففزان بدون الطريق ستظل منعزلة في الجنوب عن بقية ليبيا، ويظل سكانها أيضاً منعزلين عن إخوانهم في الشمال، فلا توجد خطوط هاتفية تربط ما بين الجنوب والساحل، ولا يوجد طريق تسير عليه السيارات، فإنشاء طريق يربط ما بين الجنوب والساحل أمر ضروري وحيوي، ولذلك قررت الحكومة بناءه على نفقتها، فاتفقت مع شركة عبد الله عابد السنوسي لبنائه، والذي يبلغ طوله ستمائة كيلومتر بمبلغٍ قدره مليونيّ جنيه، وذلك حسب المواصفات التي قدمتها وزارة المواصلات، وبعد البدء في بناء الطريق اتضح أن به نواقص كثيرة، فعملت وزارة المواصلات على وضع مواصفاتٍ جديدة للطريق، مما اضطرها إلى الدخول في مفاوضاتٍ جديدة مع السيد عبدالله، وتمّ الاتفاق على رفع المبلغ إلى ستة ملايين جنيه لإتمام الطريق وفقاً للمواصفات الجديدة الموضوعة.

بلغ النبأ البرلمان، فانتهز النواب المعارضون الفرصة للقيام بحملةٍ شعواء ضد تصرفات الحكومة، لزيادتها المبلغ المستحق من مليونيّ جنيه إلى ستة ملايين جنيه، فتساءل النواب لماذا لم تضع وزارة المواصلات المواصفات الكاملة منذ بداية الأمر؟ وإن هناك تلاعبٌ ما بين الحكومة والشركة المنفّذة، ووصل الأمر إلى الصحافة وإلى أفراد الشعب، وأصبح الحديث عن طريق فزان في أفواه جميع الناس، فتقدمت الحكومة إلى مجلس النواب بتوضيح ملابسات الطريق وسبب زيادة المبلغ المتفق عليه، ودارت في المجلس جلسة صاخبة شارك فيها عددٌ كبير من النواب، وانتهت بسحب الثقة من الحكومة.

وفوجئ رئيس الوزراء بهذا الأمر الذي لم يتوقعه، والذي يكمن في خطأ وزارة المواصلات، التي لم تقدم المواصفات كاملة عندما تعاقدت مع السيد عبد الله على إنشاء الطريق، وكانت هذه فترة تاريخية هامة في تاريخ ليبيا وسياستها الديمقراطية، فقد قام المعارضون والمشاغبون وأعداء الحكومة باستغلال هذه الفرصة، وانهالوا على الحكومة باللوم والإنتقادات، وكان ولا بد أن يأخذ المعارضون في البرلمان دورهم الرئيسي في هذه المعركة، فسحبوا الثقة من الحكومة وهو ما يحدث لأول مرة في تاريخ ليبيا الحديثة، فاتجه رئيس الحكومة إلى الملك طالباً منه حل البرلمان، إلا أن الملك قال لرئيس الوزراء: (إن الدستور يجب أن يُطبّق وأن تأخذ الديمقراطية طريقها في البلاد)، واستطرد الملك قائلاً: (فإذا سحب مجلس النواب منك الثقة، فأنا لا أستطيع أن ألغي قرار البرلمان، بحله، ولذلك فما عليك إلا قبول القرار وتقديم استقالتك)، وكانت هذه أول مرة في تاريخ ليبيا الديمقراطية أن أسقط البرلمان الحكومة، والفضل في ذلك

يعود إلى الملك الذي حرص على تنفيذ الدستور.

أما عبد المجيد كعبار فقد قام بعد ذلك بترشيح نفسه للانتخابات البرلمانية ولم يفز، وكذلك لم يحالف الحظ وزراء آخرين قاموا بترشيح أنفسهم، مما يدل على نزاهة الانتخابات، وحرية الرأي، وعدم قدرة الوزراء على التدخل أو تحويل الإنتخابات لصالحهم، وكانت هذه فترة مهمة في تاريخ ليبيا برزت فيها الديمقراطية الحقة، وحق الشعب في اختيار من يريده لتمثيله في البرلمان.

وخلال هذه الأزمة السياسية، كنت متغيباً في أديس أبابا مترئساً الوفد الليبي في اجتماعات الدورة الثانية لمؤتمر أكرا، وقد بلغ عدد الدول الأفريقية المستقلة ثلاثة عشر دولة، بزيادة ستة دول عن مؤتمر أكرا الأول، وظهر في هذا الاجتماع الصراع بين الدول الثورية برئاسة نكروما، والدول المعتدلة برئاسة نيجيريا، إلا أن الوحدة الأفريقية زادت متانتها، وبدا واضحا تكتل الدول الأفريقية المستقلة، ورغبتها في الوحدة والتعاون.

إستقبلني إمبراطور إثيوبيا، وتحدث معي طويلاً عن العلاقات بين البلدين، وقال لي: إن هناك تشابهاً بيني وبين الملك إدريس، فكلانا غزت إيطاليا بلاده، وكلانا صارعها، وكلانا أُخرج من بلاده، وكلانا عاد إلى عرشه منتصرا، وقد قال الإمبراطور هذا الكلام الجميل في حق ليبيا، بالرغم من إستياء الإثيوبيين مما فعله الجنود الليبيين الذين كانوا يحاربون إلى جانب إيطاليا بالمواطنين الإثيوبيين من اعتداءاتٍ وتقتيل، ولا زال يوجد في أديس أبابا بقايا هؤلاء الجنود الذين لم يعودوا إلى بلادهم وتزوجوا إثيوبيات، واندمجوا في المحيط الإثيوبي، وحاولنا إقناعهم بالعودة إلى بلادهم، فقبل البعض ذلك، ورفض البعض الآخر العودة.

وفي مؤتمر أديس أبابا تقدمت ليبيا والسودان والمغرب باقتراح بحث قضية فلسطين، واستعمال اللغة العربية في الاجتماعات الأفريقية، وقد عارضت بعض الدول الأفريقية واكتفت مصر بقضية فلسطين، ولم تتخذ تونس موقفاً، وأيدت جميع الدول الأفريقية قضية الجزائر باستثناء الكاميرون، كما أيدت تونس الكاميرون، فثار محمد يزيد مندوب الجزائر وبقية المندوبين العرب في وجه تونس، وأخيراً وافقت الكاميرون على القرارات الخاصة بالجزائر بعد أن أُدخل عليها تعديلٌ طفيف، ولا ندري لماذا تتخذ تونس هذه المواقف المتعارضة مع الموقف العربي؟ ربما لتُظهر للأفارقة بأنها دولةٌ أفريقية بعيدة عن العرب، وكانت

تونس تتوق للوصول إلى مركزٍ متميز داخل الكتلة الأفريقية، إلا أنها لم تَفز بشيءٍ يذكر وظلت كبقية الدول العربية، فالأفارقة لا يريدون إدخال المشاكل العربية في قضاياهم، فجلهم مرتبط بعلاقاتٍ مع إسرائيل ويستفيد من مساعداتها، في حين لم تقدم لهم الدول العربية شيئاً يذكر.

وكان الوفد المصري يعمل وحده فلا يستشير الوفود العربية ولا يطلعها على أفكاره، كما كان رئيس الوفد التونسي الطيب سليم معروفاً ببعده عن القضايا العربية، أما الرئيس بورقيبة فكان يقترح عقد مؤتمر يضم الشعوب المستعمَرة والدول الإستعمارية لحل قضايا أفريقيا، وقام صراع بين تونس والمغرب حول استضافة المؤتمر الأفريقي القادم، فكلٌ من البلدين يصرّ على أن يكون الاجتماع فوق أرضه، ولم تنجح المساعي التي بُذلت لحل المشكل، كما عجزت الدول الأفريقية في التوفيق بين تونس والمغرب، وفي إقناعهما بتنازل أحدهما للآخر، وكانت تونس الأكثر تشدداً في عقد الاجتماع فوق أراضيها، كما كانت تتودد وتتقرب إلى الدول الأفريقية على حساب الدول العربية الأخرى، فكلما اقترح العرب شيئاً لصالحهم، كانت تونس تعارض، وذلك لرغبتها في الحصول على مكانة خاصة بين الدول الأفريقية، وهو ما لم تتحصل عليه رغم جهودها المتواصلة لإرضاء الدول الأفريقية على حساب القضايا العربية، فعندما قررت الدول العربية التضامن مع المغرب بخصوص مقاطعة موريتانيا، كانت تونس الدولة العربية الوحيدة التي اعترفت بها، وكلما تقدمت الدول العربية بقضية فلسطين إلى الأفارقة، تقف تونس منها موقف المعارض أو المتحفظ.

غادرتُ أديس أبابا إلى مقديشو لحضور الاحتفالات باستقلالها، وكانت المدينة في حالة بؤس وتخلف إذ لم يستطع الإيطاليون خلال عشر سنوات من الوصاية إصلاحها وتعميرها، فقد ظلت مقديشو على ما كانت عليه أيام الاستعمار الإيطالي، غير أن الإيطاليين عملوا على خلق إدارة جديدة للبلاد سلموها للصوماليين يوم انتهاء وصايتهم، وظل الكثير من الإيطاليين يقيمون في الصومال، وازداد النفوذ الإيطالي قوةً وازدادت اللغة الإيطالية انتشارا، أما عروبة الصومال فهي موجودة في المنطقة الشمالية التي كان يستعمرها الإنجليز، وقد فرضوا آنذاك على الصوماليين تعلم اللغة العربية، فكانوا يتكلمون بها، أما الصومال الإيطالي فقد أبقته إيطاليا بعيداً عن العرب وعن تعلم لغته، إلا أنه بدأ وعيٌ جديد في تعلم اللغة العربية، وإن كان الصوماليون الرسميين يحاولون استعمال لغتهم الأصلية وهى السواحيلية.

وقد شيد الإيطاليون فندقاً لاستقبال الضيوف والإشراف على الاحتفالات البسيطة التي أقيمت، وخلال إقامتي في مقديشو شعرت بآلامٍ في معدتي، فقررت السفر إلى نيروبي عاصمة كينيا حيث يتوفر الطب المتقدم، وكانت لا تزال تحت الاستعمار البريطاني، وكان برفقتي سكرتيري نجيب الشيباني الذي ظل معي إلى حين عودتنا إلى البلاد.

وكان قد فحصني في كينيا طبيبٌ بريطاني وأخبرني بأني في حاجةٍ إلى عملية في المرارة، وأدخلني مستشفى (أغا خان) الهندي لإجراء الفحوصات، فطلبت منه إدخالي المستشفى الأوروبي، فأجابني بأن قوانين العنصرية تمنع ذلك، فقررت العودة إلى مصر، واستشرت هناك طبيباً أخصائيا، فطلب مني عمل الصورة الملونة، ووصف لي مكان ذهبت إليه، وكانت عيادة قذرة، فأعطاني الدكتور المشرف حقنة فقدت بعدها الوعي، وبعد استردادي له، إتصلت بزوجتي فجاءتني مسرعة وصحبتني إلى مكان إقامتنا، وفي اليوم التالي انتشرت بقع حمراء في جميع أنحاء جسمي، فطلبت من صديقنا الدكتور (رايخمن) المجيء، فجاءني وفحصني وقال لي إنني تحت تأثير تسمم ناتج عن الحقنة الفاسدة التي أعطيت لي، ووصف لي العلاج اللازم، وبعد أن شفيت قررت العودة إلى ليبيا حيث زالت الآلام وآثار التسمم، وعشت عيشة طبيعية بعدها ولم يعاودني الألم إلا بعد عشر سنوات، فأُجريت لي عملية ناجحة للمرارة في إيطاليا.

وفي العالم العربي ازدادت الخلافات والصراعات، وتقرر عقد اجتماع للجامعة العربية على مستوى وزراء الخارجية في (شتورة) في لبنان، فكلفني رئيس الحكومة بترأس الوفد الليبي الذي سيشارك في الاجتماعات، والذي تألف من خليل القلال سفيرنا في مصر، ومن مجموعة من موظفي وزارة الخارجية، وبعد وصولنا بيروت وخروجنا من مطارها لم نجد سيارات في انتظارنا، إذ لم يكن لدينا سفارة في لبنان، والحكومة اللبنانية لم تزودنا بسيارات، فاضطررنا لركوب سيارات أجرة، وكوّنا بها موكباً سارت من أمامه ومن خلفه دراجات الشرطة النارية، وكان منظراً مثيراً للضحك والسخرية، وبعد وصولنا إلى الفندق في شتورة جاءني الضابط المكلف بحراستنا وقال لي: إن هناك ضابط وأربعة جنود سيقومون بحراستي ويجب أن أتكفل بسكنهم وطعامهم، فقلت له: إني لست في حاجة إلى حراسة فالله هو حارسي، وبعد أن غادر الضابط جاءني وزير اليمن واشتكى من طلب ضابط الشرطة، فأخبرته بما دار بيني وبينه، فسر لذلك وقال سأقول له القول ذاته، فاليمنيون فقراء مثلنا ولا

يملك رئيس وفدهم كرئيس وفدنا أموالاً ينفقها في الأبواب الطارئة، ثم جاءني سفير المغرب للسبب ذاته فأخبرته بما قلته للضابط، ويبدو أن الحكومة اللبنانية شعرت بالحرج، فقررت أن تتكفل بنفقات شرطتها.

وكان الكيان الفلسطيني الموضوع الأساسي الذي عُقد من أجله اجتماع شتورة، ودار النقاش طويلاً بين الأردن ومصر حول تحقيق هذا الكيان، واستمرت الأردن في رفضها لهذا المشروع، واُتخذت قضية الكيان الفلسطيني مبرراً للنيل من الأردن وزعزعة أركانه، وكانت الفكرة من إنشاء الكيان الفلسطيني، هي جمع شمل جميع الفلسطينيين بما فيهم المقيمين في الأردن في كيانٍ واحد تحت قيادة الشقيري، بينما كان معظم الفلسطينيين تابعين للأردن، وكانت فكرة مصر الظاهرة هي تكوين جهاز يشرف على الفلسطينيين وينطق باسمهم ويلّم شملهم، كما كان الغرض من هذه السياسة تقليص دولة الأردن أو تدميرها، وجعل مصير الفلسطينيين بأيدي مصر عن طريق أحمد الشقيري، وقد سبق أن عقدت الجامعة العربية اجتماعاً في القاهرة لمناقشة الكيان الفلسطيني، ففشل الاجتماع كما ذكرنا، وتكررت المحاولة اليوم في شتورة، وكانت رئاسة الاجتماعات لليبيا، فترأستُ الجلسة الافتتاحية وألقيت كلمة مناسبة، ثم سلّمت الرئاسة إلى وزير خارجية لبنان، وتواصلت الاجتماعات في جوٍ متوترٍ مشحون، إلى أن وقع حادث إغتيال (هزاع المجالي) رئيس وزراء الأردن، فانفض الاجتماع بدون نتيجة.

وقد كررت مصر محاولتها لقيام الكيان الفلسطيني، وكانت تريد قيام هذا الكيان بموافقة حكومة الأردن، والذي بذل وزير خارجيتها جهوداً جبارة للرد على الهجمات والاتهامات الموجهة إليه من مصر والشقيري، والتي تطالبه بأن يقبل تبعية الفلسطينيين الموجودين في الأردن إلى منظمة التحرير الفلسطينية، لا إلى حكومته، وهو وضعٌ غريب، فكيف يكون مواطنون في دولةٍ ويتبعون نظاماً آخر لا نظام حكومتهم، فهذا لم يحدث في أية دولة من دول العالم.



خلال اجتماعات شتورة بلبنان عام 1962م، من اليمين وزير خارجية لبنان، ثم السيد محمود فوزري وزير خارجية مصر، والسيد وهبي البوري، والسيد وزير خارجية السودان.

حكومة محمد عثمان الصيد

طلب الملك من عبد المجيد كعبار الإستقالة بعد سحب الثقة منه من قبل مجلس النواب، فأرسل كعبار استقالته إلى الملك مع محمد عثمان الصيد وزير الصحة، وعاد الصيد من طبرق ووجهه يطفح بشراً لأن الملك كلّفه بتشكيل الحكومة الجديدة، وهو أمرٌ لم يكن يتوقعه لا هو ولا معظم الناس، وسقطت حكومة عبد المجيد كعبار بعد أن ظلّت في الحكم قرابة الثلاث سنوات، وكان عبد المجيد كعبار رجلاً دمث الأخلاق، مجاملاً ومرنا، إستطاع التعامل مع الجميع بدون أي صدام، ولم يكن يحب المبادرات ولا التطورات، إذ كان همّه الأكبر البقاء في الحكم دون أن يحدث بينه وبين مراكز القوى أي خلاف، وعلى كل حال، فإن فترة حكومته فترة هادئة شهدت بعض التقدم والازدهار، وفي الواقع فمشاكل البلاد الحقيقية كان يواجهها الولاة، لا رئيس الحكومة الإتحادية، ولذلك لم يواجه عبد المجيد كعبار أزمات خطيرة سوى أزمة طريق فزان التي أطاحت به، وبسقوطه من الحكومة فَقَد أيضاً مقعده في البرلمان إذ خسره في المعركة الانتخابية.

وقد شرع محمد عثمان الصيد في مشاوراته، ولم يتصل بي، فأدركت أنه لا يريدني في وزارته، فأخذت أسرتي وسافرت إلى بنغازي، وفي اليوم التالي صدر المرسوم بتشكيل الوزارة وكان إسمي ضمن الوزراء كوزير دولة، ولم يتصل بي الرئيس ولم أتصل به، وذهب أعضاء الوزارة إلى طبرق لأداء اليمين القانونية، ولم أكن معهم وبقيت في بنغازي، وبعد بضعة أيام إتصل بي رئيس الوزراء، وأخبرني بأنه ذاهبٌ في الغد إلى طبرق ويريدني أن أذهب معه لأداء اليمين القانونية، فقلت له بأنه لم يستشرني في الأمر، كما طلبت منه إعفائي عن المشاركة في الوزارة، فأجابني على الفور بأن الملك هو الذي أمر بإدراج إسمي في قائمة الوزراء.

قابل الناس إختيار محمد عثمان الصيد بشيءٍ من عدم الارتياح، لأنه من ولاية صغيرة وليس من شخصيات البلاد المعروفة، إلا أنه تولى الوزارة بجدارةٍ وكفاءة، وكان من أنشط رؤساء الوزارات الليبية وأكثرهم اهتماماً بمشاكل البلاد، وكان يحاول التقرب إلى الشعب وتلبية رغباته.

ومحمد عثمان الصيد جاءته الوزارة دون أن يتوقعها، وأثبت أنه أهلاً لها وليس بأقل من غيره، فهو رجلٌ دمث الأخلاق، وكان قد كوّن نفسه إقتصادياً وأخذ يعد نفسه لمنصبٍ في الوزارة، أهم من منصب وزير الصحة الذي شغله منذ ثمان سنوات، إلا أنه فوجئ بتولي رئاسة الوزارة والتي لم يكن يحلم بها.

وفوجئنا نحن كما فوجئ الشعب الليبي بتولي محمد عثمان الصيد رئاسة الوزارة، وأدرك الملك أنه آن الأوان لكي يعطي فرصة لفزان ليكون لها رئيس وزراء مثل الولايات الأخرى، وبدأ الصيد حكومته بنشاطٍ غير معتاد، فأدخل بعض التعديلات عليها، وكان أول رئيس وزراء يقوم بالتحدث إلى الشعب عن طريق المذياع في المشاكل التي تهمه، وقام بالانفتاح على الخارج بإرسال بعثة الصداقة الليبية إلى البلاد الأفريقية المجاورة للتعرف عليها، وتوثيق العلاقات بين الطرفين، وأعطى ليبيا فرصة التعرف على جيرانها المسلمين، وتعرّف هذه البلاد عليها، وقام محمد بن عثمان الصيد بعملٍ كبير وهو حل المصالح المشتركة التي كان الليبيون يتضايقون منها، لأنها كانت تكوّن دولة داخل الدولة رغم تقديم خدماتها في نواحي كثيرة، أما حل المصالح المشتركة فلم يُرضِ أمريكا التي قبلت بهذا الحل على مضض، ولم تعرف كيف تتصرف حياله، وكان من الأجدى على الحكومة أن تتفاوض مع أمريكا لتحويل المصالح المشتركة إلى هيئة ليبية، إلا أن رئيس الوزراء كان يرمي إلى الدعاية الشخصية، لعلمه بأن هذا العمل سيزيد من شعبيته.

أما العمل الهام الذي قام به محمد عثمان الصيد، والذي يستحق عليه التقدير والتهنئة هو بداية توحيد البلاد، ونقل صلاحيات كثيرة إلى الحكومة الإتحادية وإعطائها مزيداً من السلطة والنفوذ، ومن أهمها ضم شؤون البترول وجميع عملياته إلى الحكومة، وهو انتصارٌ عظيم حققته الحكومة الإتحادية.

ولا أدري ما إذا كان محمد عثمان هو الذي أقنع الملك بتوحيد البلاد، أم أن الملك هو صاحب الفكرة، لأنه منذ بداية الاستقلال كان الملك يقول بأن النظام الفيدرالي نظام مرحلي، وأنه عندما يحين الأوان سوف يعمل على وحدة البلاد، ولعله بعد عشر سنوات من الاستقلال، وبعد التجارب التي مرت بها الولايات والحكومة الاتحادية، قرر بأن الوقت قد حان للبدء في توحيد البلاد.

بعثة الصداقة إلى الدول الأفريقية

أسند إليّ رئيس الوزراء المهمات الخارجية وبعض الأعمال الداخلية، وقد إستشارني بخصوص إرسال بعثة صداقة إلى البلاد الأفريقية المجاورة، فحبذت الفكرة وشجعته على القيام بها بصفتها خطوة في اتجاه ليبيا نحو الانفتاح على الخارج، وأُسندت إليّ رئاسة البعثة التي تكونت على الوجه التالي:

1. توفيق الجربي (عضو مجلس الشيوخ).
2. عبد السلام التهامي (عضو مجلس النواب).
3. مصطفى بعيو (من الجامعة الليبية).
4. علي اعميش (من وزارة الإقتصاد).
5. إبراهيم الطوير (من وزارة الإعلام).
6. عاشور الفرطاس (من وزارة المعارف).
7. صالح بازامه (من الجامعة الاسلامية).

وكانت مهمة البعثة زيارة السنغال، ومالي، والنيجر، ونيجيريا، وتشاد، وقد أعددنا بعض الهدايا الفضية، وملابس عربية لتقديمها إلى رؤساء الدول التي سنزورها، وكانت الهدايا الفضية جميلة ومصنوعة في ليبيا، أما الملابس العربية فقد تم إعدادها في الإسكندرية.

وفي أول يونيو من عام 1961م غادرنا طرابلس في طريقنا إلى السنغال، وقمنا في داكار بزيارة رئيس الجمهورية سنغور الذي رحب بنا ترحيباً حارّاً، وأبدى استعداد بلاده للتعاون مع ليبيا وتوثيق العلاقات بها، كما قابلنا محمد ضياء رئيس الوزراء وهو يختلف عن كل من قابلناهم من حيث التفكير وآرائه السياسية، وبدا لنا من أحاديثه بأنه غير راضٍ عن الوضع، وكانت له شعبية واسعة بين الناس، وقد وجدنا في سيارتنا بعض المناشير، مما يدل على أن الصراع كان شديداً بين محمد ضياء وسنغور، إلا أن سنغور كان الفائز في المعركة بفضل مساندة فرنسا له، وأصبح المسيطر على البلاد رغم أنه كان مسيحياً ويحكم بلاد أغلبيتها الساحقة من المسلمين.

وزارني السفير البريطاني في داكار، وحدثني عن الأوضاع في البلاد، وقال لي بأن مختار ولد داده رئيس موريتانيا، يحاول التخلص من الهيمنة الفرنسية وهو في حاجةٍ لدعمٍ خارجي، واقترح أن تقوم ليبيا بإرسال بعثة صداقة إلى بلاده لشد أزره.

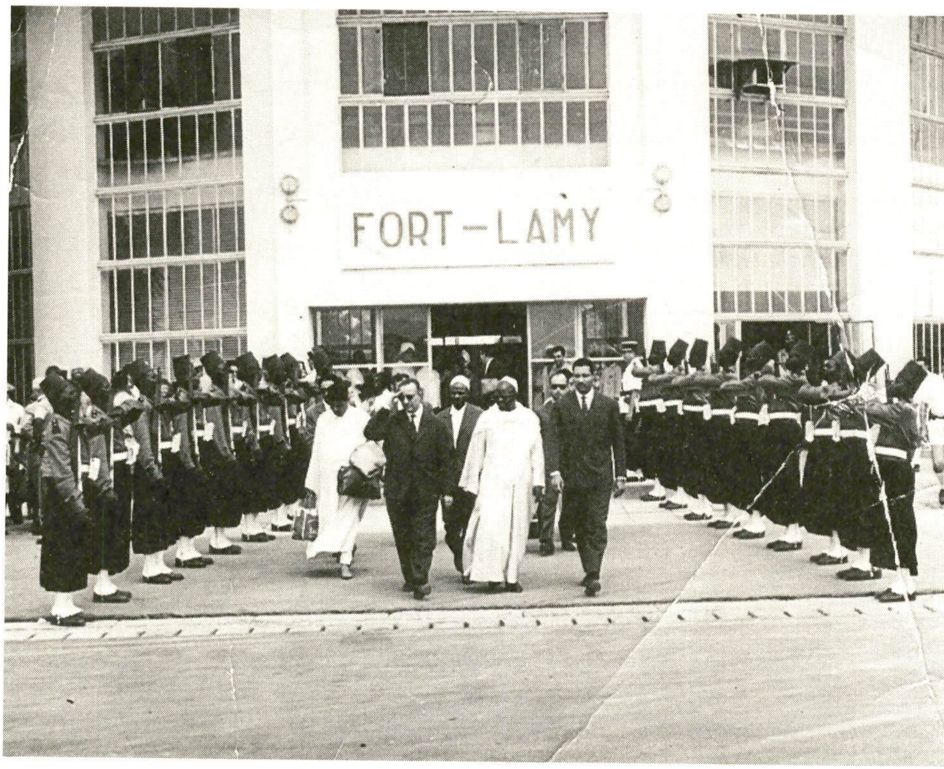
وقوبلنا من الحكومة السنغالية ببرود، فلم يحسنوا ضيافتنا كما لم يقيموا لنا أي حفل، ويبدو أنهم كانوا متأثرين بالطريقة الفرنسية، والسنغال بصفته بلداً إسلامياً كان معارضاً لوجود سنغور على رأس الدولة، وكان تعاطفه الكامل مع محمد ضياء، ورغم استقلال البلاد فإن التأثير الفرنسي كان لا يزال قائماً، والمستشارون الفرنسيين يوجدون في معظم الوزارات، ومع ذلك فإنها دولة منضبطة ومنظمة بالنسبة للدول الأفريقية الأخرى.

غادرنا داكار إلى باماكو عاصمة مالي يوم 17 يونيو فوجدنا مندوباً عن الحكومة في انتظارنا، والذي صحبنا إلى الفندق الوحيد في المدينة حيث تقيم فيه معظم البعثات الدبلوماسية، وقد زارني القائم بأعمال السفارة البريطانية، فأطلعني على أوضاع البلاد وعلى المشاكل التي أدّت إلى انفصام الوحدة بين مالي والسنغال، ومن المعلوم أنه بعد استقلال البلدين ارتبطا بوحدةٍ ضمتهما في دولةٍ واحدة، فسكان البلدين مسلمين، وأوضاعهما متشابهة، ويربط بينهما القرب والجوار، إلا أنهما كانا مختلفين سياسياً، فالنظام المالي إشتراكي وثوري، بينما النظام السنغالي يميني معتدل، ولذلك لم تدم الوحدة بينهما طويلاً.

وزارنا نائب رئيس الجمهورية لتغيب الرئيس في الخارج، والذي كان من المقرر أن يمر بطرابلس في طريق عودته إلى بلاده، وعندما وصل الرئيس عائداً من رحلته، زرته في مكتبه بعد وصوله، وسألته هل توقفت في ليبيا؟ فقال لي نعم لقد توقفت في مطار طرابلس، ولكني لم أرَ أي مسؤول، فشعرت بالخجل ووددت لو ابتلعتني الأرض بدلاً من مواجهة هذا الموقف، وكان الرئيس (موديبو كيتا) قد قرر أن يمر عبر طرابلس وهو في طريق عودته من روسيا إلى بلاده، وأبرق بذلك إلى الحكومة الليبية، غير أن الموظف الذي استلم البرقية وضعها في درج مكتبه وسافر إلى البيضاء دون أن يخبر أحداً بها، ومع ذلك فإن سلطات المطار إستقبلت الرئيس المالي واحترمته وأجلسته في قاعة كبار الزوار، وكان الرئيس المالي قد أبلغ في برقيته موعد وصوله إلى مطار طرابلس، آملاً أن يكون في استقباله بعض المسؤولين، وقد إندهش لعدم وجود أحدٍ منهم، والموظف الذي قام بهذا العمل السيء لم يُعاقب أو



بعثة الصداقة إلى الدول الأفريقية، ويرى في الصورة من اليمين السيد إبراهيم الطوير ممثل وزارة الإعلام، والسيد صالح بازامه ممثل الجامعة الإسلامية، والسيد مصطفى بعيو مدير الجامعة الليبية ، والسيد وهبي البوري، والسيد توفيق الجربي عضو مجلس الشيوخ، والسيد علي عميش ممثل وزارة الاقتصاد، والسيد عبد السلام التهامي عضو مجلس النواب.



وفد الصداقة الليبية في تشاد عام 1961.

يُسائل عما فعله، فقد كانت روح التسيب مسيطرة، والموظفون يفعلون ما يشاءون دون رقيبٍ أو حسيب، ومع ذلك كان الرئيس معنا في غاية اللطف والكرم.

عُقد اجتماع ضمّنا، وضمّ نائب رئيس الجمهورية والوزراء وأمين الحزب الحاكم، وذلك لبحث ومناقشة توثيق الروابط بين البلدين، وتحدث نائب رئيس الجمهورية عن مالي وعن سياستها الاشتراكية وعن اقتصادها، وقال بأن كل مواطن يملك بقرة وأربعة رؤوس من الأغنام.

ثم حدثتهم أنا عن ليبيا، وعن جهادها، وسياستها، وإقتصادها، ورغبتها في توثيق العلاقات بجيرانها المسلمين، وقلت لهم بأن ليبيا جادة في العمل على تحرير بقية الأراضي الأفريقية المستعمَرة، ووجدنا في مالي ترحاباً وحسن ضيافة، وكانت باماكو مدينة بائسة تملك فندقاً واحداً تجمّع فيه السفراء والزوار، ومع هذا فهو شعبٌ طيبٌ مسلم يحب الخير لجيرانه ويرغب في توثيق علاقاته بليبيا، ومالي من البلاد الأفريقية التي اعتنقت الاتجاه اليساري منذ ولادتها، وظلت متمسكة به حتى فترة قريبة، وقد دعانا الرئيس إلى العشاء، وتحدث طويلاً عن رغبته في توثيق العلاقات بليبيا، وتبادل الزيارات وعمل كل ما فيه فائدة لصالح الطرفين، فالرئيس موديبو كيتا كان من أقوى رجال أفريقيا ومن أشدهم تمسكاً بمبادئه الإشتراكية.

وقد أُعجبت به وبشخصيته وبأسلوبه في العمل وبأفكاره، فهو منذ بداية إستقلال بلاده كان يتوق إلى الوحدة الأفريقية، فاتحد مع السنغال وكوّن دولة واحدة معها، إلا أنه لم يتحمل سيطرة فرنسا على السنغال وتدخلاتها في شؤونه، فآثر الانفصال وكوّن دولة مالي، والغريب أن اتجاه موديبو كيتا وسيكوتوري وغيرهم من اليساريين، تكوّن في الوقت الذي كانت تتكون في بلادهم نقابات العمال ذات الاتجاه اليساري، وظلت مالي محافظة على مبادئها الإشتراكية حتى بعد ذهاب موديبو كيتا عنها.

غادرنا باماكو يوم 24 يونيو في طريقنا إلى نيامي عاصمة النيجر، وقد كان في استقبالنا في المطار وزير العدل، ورئيس الجمعية الوطنية، ووزير الصحراء، وأقام لنا وزير العدل بداره حفل عشاءٍ قدم لنا فيه اللحم المشوي على الطريقة الأفريقية. وعُقد اجتماعٌ في اليوم التالي لوصولنا ترأسه رئيس الجمهورية بحضور الوزراء والبعثة الليبية، وقد رحب بنا الرئيس حماني

ديوري ترحيباً حاراً وتحدث عن العلاقات بين البلدين وضرورة تعزيزها، ثم أشار إلى رسم الحدود بينهما لتحاشي أي خلافٍ في المستقبل، وتحدث عن المواصلات وضرورة ربط البلدين ببعضهما البعض.

وتناولتُ الكلمة فشكرت الرئيس على حسن الاستقبال وكرم الضيافة والحفاوة التي أحاطنا بها، وأشرت إلى العلاقات التاريخية بين البلدين الجارين، وقلت إن ليبيا راغبة في التعاون مع النيجر في حدود إمكانياتها، وأنها مستعدة لتقديم المساعدة في ميدانيّ التعليم والشريعة، كما أن معهد محمد بن علي السنوسي مستعدٌ لقبول طلبة من النيجر للدراسة في ليبيا، وتحدثت عن إمكانية جلب ما يحتاجه النيجر من سلعٍ من الساحل الليبي، وقلت لهم بأن ليبيا عازمة على إنشاء سوق حر في أقرب نقطة تبعد عن الحدود الجنوبية، والتي ستسهل المواصلات لنقل البضائع من السوق الحر إلى النيجر وتشاد، وإن في ذلك لفائدة كبيرة لجميع الأطراف الذين ستتعزز علاقاتهم واتصالاتهم ببعضهم البعض.

ثم قمنا بزياراتٍ لعددٍ من الوزراء الذين بحثنا معهم سبل التعاون مع النيجر، وأقام لنا رئيس المجلس الوطني حفل عشاءٍ حضره رجال الدولة، كما أقام رئيس الجمهورية حماني ديوري حفل عشاءٍ كبير على شرف الوفد، تحدث فيه عن العلاقات الليبية النيجيرية، ثم قمت بإلقاء كلمة مناسبة رداً على كلمته، وقد أخبرني رئيس الجمهورية برغبته في إحياء اللغة العربية في النيجر وفرضها في المدارس، وقال إن هناك في النيجر مدارس قرآنية كثيرة تعلّم الأطفال القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية، وأضاف بأنه يرجو من ليبيا إرسال بعض الخبراء لدراسة أوضاع هذه المدارس، والاستفادة منهم في تعليم اللغة العربية في المدارس النيجيرية، وقد وعدته خيراً.

كما أخبرنا الرئيس ديوري أن قبائل الطوارق التي تقيم في شمال البلاد هي نفس قبائل الطوارق الموجودة في ليبيا، فجميعهم يعيشون على الحدود بين البلدين. وأقام الرئيس ديوري مأدبة عشاءٍ لبعض رؤساء الدول الأفريقية الذين كانوا في زيارةٍ للنيجر، كما دعاني معهم وأجلسني إلى يمينه، وكانت فرصةً انتهزتها للتحدث مع هؤلاء الرؤساء، الذين أعربوا عن إعجابهم بسياسة ليبيا المعتدلة وبصداقتها للجميع، وعدم تدخلها في شؤون الغير.

والنيجر بلدٌ قريب من ليبيا، ورئيسه ورجاله يريدون التعاون معها بكل إمكانياتهم، إذ أفصحوا عن رغبتهم هذه في مناسباتٍ شتى خلال إقامتنا في بلادهم، كما قررت حكومة النيجر إرسال وفد إلى ليبيا لمتابعة القضايا التي تمّ الاتفاق عليها، وفي الواقع كنت أوثر بأن لا يرسلوا أحداً لأن وفدهم سيصاب بخيبة أمل، وفعلاً زار الوفد ليبيا وعاد بخفي حنين، لأنه لم يجد فيها من يتفاهم معه أو من يفهم أغراضه، فالحكومة ليست لها سياسة مخططة إزاء أفريقيا وغير مهتمة بها وبمشاكلها، أما ديوري رئيس النيجر فكان متحمساً للتعاون مع ليبيا، إلا أنه لم يجد صدى لحماسه، وكان قد طلب منا أن تهتم البعثة الصحية الليبية بالحجاج النيجيريين في الأراضي المقدسة، وبالفعل لُبِيَ طلبه وقامت البعثة بالعناية بهم.

والنيجر بلدٌ فقير كغيره من الدول الأفريقية التي كان يستعمرها الفرنسيون، ففرنسا استغلت مستعمراتها الأفريقية أكبر استغلال، ولم تفعل شيئاً للنهوض بالمواطنين أو بتحسين أحوالهم أو خلق اقتصاد خاص بهم، وتركت مستعمراتها في حالة فقر واحتياج واقتصاد منهار، فالنيجر ومالي وتشاد وغيرها من البلاد الأفريقية التي كانت خاضعة لفرنسا، كانوا يمرّون بوضعٍ اقتصادي سيء، وبعدم وجود مصادر هامة للدخل، وقد وجدنا أن النيجر كانت الأكثر حماساً من بين الدول الأفريقية التي زرناها للتعاون مع ليبيا وتوثيق علاقاتها بها، وإشراكها في تعليم النيجيريين اللغة العربية، وتبادل الزيارات وتحسين العلاقات بينها وبين ليبيا، وقد أخذوا زيارتنا بطابع الجدية واهتموا بها وبالمواضيع التي ناقشناها معهم، ووعدوا باستمرار نقاشها وبحثها في ليبيا بإرسال وزير لهذا الغرض، وكنت أعلم في داخلي أن هذا الشعور وهذه العواطف لن تجد لها صدى في ليبيا، فليبيا غير مهتمة بأفريقيا أو بمشاكلها أو بربط علاقات بها، لأن الحكومة الليبية كانت منغلقة على نفسها كغيرها من الحكومات التي سبقتها، فهي لا تريد علاقات بالدول، ولا زيارات، ولا مؤتمرات أو ندوات، إلا أن محمد بن عثمان خرج عن المألوف وقام بإرسال بعثة الصداقة الليبية إلى الدول الأفريقية المجاورة، ولم يعمل على تطوير النتائج التي أسفرت عنها زيارة هذه البعثة.

غادرنا نيامي يوم 29 يونيو ونحن متأثرون بما رأيناه من رغبة ملحّة في التعاون مع ليبيا والتقرب إليها، غير أننا كنا نعلم أن الحكومة الليبية كانت منطوية على نفسها، ولا تسعى لربط علاقاتها بالعالم الخارجي، متناسية بأن الدول لا تقوى وتزدهر إلا بقوة علاقاتها الخارجية.

وصلنا ليجوس عاصمة نيجيريا (العملاق الأفريقي) أكبر دولة أفريقية من حيث عدد السكان الذي يتجاوز المائة مليون نسمة، فوجدنا في استقبالنا بعض المسؤولين، كما زارنا في الفندق مدير المراسم وقدم لنا برنامج الزيارة، ثم زارنا وزراء المعارف، والإقتصاد، والزراعة، ووزير الدولة للشؤون الخارجية، والحاكم العام بالنيابة، وأقيم على شرفنا حفل غداءٍ حضره عددٌ من الوزراء والسفراء، وقد علمت من بعض الوزراء، أن السردونا أحمد بيلو حاكم الشمال متغيب في البلاد العربية، إذ ذهب هناك لطلب أساتذة وخبراء عرب للعمل في بلاده، وقال لي أحد الوزراء (إنه يخشى أن يُحضر العرب مشاكلهم معهم)، وقد أُقيم على شرفنا حفل عشاءٍ كبير. كما قمنا بزيارات لمختلف الوزراء، والمؤسسات، والجامعة، وعقدنا مؤتمراً صحفياً حضره عددٌ كبير من الصحافيين، وكان من بينهم مسيحيون، والذين وجهوا أسئلة مختلفة أجبنا عليها، وسأل أحدهم عن التمييز العنصري في ليبيا، فأجبته بأن بين أعضاء الوفد رجلٌ أسود اللون، وهو عضو في البرلمان الليبي ويمثل أربعين ألف مواطن أبيض، وأن ليس لدينا تفرقة عنصرية، فالإسلام يساوي بين الجميع ولا يُقرّ أي تمييز بين البشر.

الوضع في نيجيريا مضطرب ولا يبشر بخير، فأحمد بيلو الزعيم الإسلامي الكبير كان يعمل على قيام دولة إسلامية في الشمال، ورفض الاعتراف بإسرائيل التي اعترفت بها الحكومة النيجيرية، وهو رجلٌ شهم، ومسلم صادق، ويريد التقرب من البلاد العربية والإسلامية، غير أن رحلته هذه إلى البلاد العربية لم تجد تجاوباً مع رغباته، فأحمد بيلو كان يقاوم العناصر المسيحية في الجنوب التي تكرهه ولا تريده، وزار طرابلس أكثر من مرة واجتمع برجالها، وكان مسروراً من زيارته، إلا أنه لقيَ حتفه في الإنقلاب الذي شهدته نيجيريا، عام 1966، والذي قُتل فيه رئيس وزرائها، تافاوا باليوا، وعددٌ من الوزراء ومن الزعماء المسلمين.

وقمنا بزيارة مدينة إيبادان مركز الثقافة والمعرفة في نيجيريا، والتي تُعتبر جامعتها أكبر وأقدم جامعة في أفريقيا، والتي تخرّج منها سيلٌ من المثقفين، وزارنا بعض مشائخ الطريقة الأحمدية وأطلعونا على نشاطهم في نشر الإسلام، كما زرنا بعض مؤسساتهم وهي في غاية النظام، ومجهوداتهم مشكورة رغم ما يقال عنهم، ولهم الفضل في انتشار الإسلام فيما وراء خط الاستواء الأفريقي، وقد عملوا على نشر الدين الإسلامي وإقامة المؤسسات الدينية في كل مكان وإنشاء المدارس، والمساجد، والمستشفيات، لصالح المسلمين، وهم متهمون ظلماً وعدواناً بأنهم غير مسلمين، كما زرنا رئيس الحكومة الإتحادية الحاج، محمد ريبادو،

فرحب بنا أجمل ترحيب، وتحدث عن العلاقات التاريخية التي كانت تربط ما بين شمال نيجيريا وليبيا، وعبّر عن سروره بفتح سفارة ليبية في ليچوس، كما عبر عن رغبة نيجيريا في توثيق العلاقات معها.

غادرنا ليچوس يوم 3 يوليو إلى كانو، فوجدنا في استقبالنا بالمطار المقيم البريطاني الذي أخبرنا بأن أحمد بيلو كان متغيباً، فسافرنا في اليوم ذاته إلى كادونا عاصمة الشمال، وقمنا بعد وصولنا بزيارة وزير الأشغال الذي تحدث عن جودة الطرق في ليبيا، وتمنى أن يكون هناك تعاون بين البلدين في هذا الصدد، وقال إنه سيتم تشييد جامعة أحمد بيلو التي ستكون أكبر جامعة إسلامية في أفريقيا، وأضاف أنه توجد في البلاد حالياً ثلاثة آلاف مدرسة قرآنية. وقد أقمنا مؤتمراً صحفياً شارك فيه عددٌ من رجال الصحافة المحلية ومراسلي الصحف الأجنبية، وتحدثت في المؤتمر عن ليبيا، وجهادها ونهضتها، وكيف أن استقلالها عام 1951م فتح أمام أفريقيا باب الحرية على مصراعيه، وذكّرتهم كيف كان شمال نيجيريا في الماضي يصدّر منتجاته إلى الأراضي الليبية، ويتلقى منها وارداته عن طريق القوافل الليبية، وقلت لهم إن ليبيا عازمة على مد طرقها إلى حدودها مع الدول الأفريقية المجاورة، كما أنها تنوي إنشاء ميناء حر على الساحل الشمالي لخدمة التجارة الأفريقية، وتمنيت أن تزداد العلاقات ما بين المنطقتين قوةً وارتباطا.

وكنا نتوقع أن نلقى في شمال نيجيريا أحسن استقبال، وأجمل ترحيب، بالنظر لوجود جالية ليبية ووزير ليبي في الحكومة، ولعلاقات أحمد بيلو بطرابلس، إلا أنه فوجئنا ببرودة الاستقبال وبعدم الاهتمام بنا، بسبب تغيب أحمد بيلو الذي هو المشرف على كل شيءٍ في شمال نيجيريا، وبتغيبه لم يكن في البلاد من يقوم بواجب ضيافة وفدٍ من بلدٍ صديق.

والسردونا أحمد بيلو أقوى زعيم سياسي في نيجيريا، وهو شديد التعلق بالإسلام وبالمسلمين، وكان يزور كثيراً البلاد العربية والإسلامية، كما كان يكره جنوب نيجيريا المسيحي ويحاول أن يكون للشمال هويته الإسلامية، وذاتيته، واختلافه عن الجنوب، وكان يريد توثيق علاقاته بدول شمال أفريقيا وبالدول الإسلامية الأخرى باعتبار بلده بلداً إسلامياً، ولكن مع الأسف تآمر عليه أهل الجنوب، غير أن الهجمة المتوحشة لم تكن ذات فائدة للذين قاموا بها ففشلوا في إقامة دولة على هواهم، وسرعان ما تغلبت العناصر العاقلة

وأعادت البلاد إلى وضعها السابق وعاد الشمال إلى إسلامه، وترأس الحكومة الإتحادية رئيس مسلم.

غادرت البعثة كادونا في طريقها إلى أنجامينا عاصمة تشاد، فوجدنا في استقبالنا بالمطار نائب رئيس الجمهورية، ورئيس الجمعية الوطنية، وبعض الوزراء، وأعيان الجالية الليبية، وكان هناك طابور شرف من الحرس الجمهوري، وقد أقام نائب رئيس الجمهورية حفل عشاءٍ على شرف البعثة حضره الوزراء، وكبار رجال الدولة، وأعضاء السلك الدبلوماسي، وأعيان الجالية الليبية، وتبادلنا كلمات الترحيب والشكر، وفي اليوم التالي عُقد اجتماع بين أعضاء البعثة وأعضاء الحكومة التشادية، وتحدث نائب رئيس الجمهورية فرحب بزيارتنا وأشار إلى العلاقات التاريخية التي تربط البلدين ببعضهما والرغبة في زيادتها قوة وفعالية، ثم تحدثتُ عن البلدين وتاريخهما المشترك الطويل، وقلت إن ليبيا لا مطامع لها في تشاد وأن كل ما يهمها تحسين التجارة، والمواصلات، والعلاقات الأخوية بين البلدين، وذكرت أعمال الحكومة الليبية الجارية كإنشاء طريق فزان، والميناء البحري، ومصفاة البترول، وأشرت في حديثي إلى شكوى الليبيين المقيمين في تشاد ومواجهتهم لصعوبات، ومعاملتهم كأجانب إذ يجب أن يحصلوا على إذن عمل، فاقترحت تشكيل لجنة مشتركة لمعالجة شؤون التشاديين في ليبيا وشؤون الليبيين في تشاد، وقد أجاب نائب رئيس الجمهورية بأنه نظراً لغياب الرئيس فإنه لا يستطيع إتخاذ أي قرار في هذا الصدد.

كما أقام رئيس الجمعية الوطنية حفل غداءٍ على شرف البعثة دعا إليه نائب رئيس الجمهورية، والوزراء، وكبار رجال الدولة، وأعيان الجالية الليبية، ورجال السلك الدبلوماسي، وفي اليوم التالي أقام الثري الليبي المعروف الحاج خليفة فرج حفل غداءٍ في بستان يقع في ضواحي أنجامينا دعا إليه نائب رئيس الجمهورية، والوزراء، وكبار رجال الدولة، وجاء الطعام في سربٍ من السيارات تحمل عشرات الخرفان المشوية، وقام بخدمتنا عشرات الرجال، والحاج خليفة يعتبر أغنى رجل في تشاد وله نفوذه على المسؤولين وعلى الجالية الليبية، وقد إمتدت إليه يد الدولة فنهبت أمواله وأجبرته على العودة إلى ليبيا.

وبعد عودة رئيس الجمهورية إلى بلاده، استقبلنا وعبّر عن أسفه لتغيبه وقت وصولنا، ورئيس الجمهورية مسيحي ويتعامل بحذرٍ مع البلاد الإسلامية المجاورة، وخاصةً ليبيا التي

تربطها بتشاد روابط تاريخية قديمة، فرئيس تشاد بصفته رجلاً مسيحياً يحكم بلداً مسلماً بكامله وهو شديد الحساسية نحو البلاد الإسلامية، وخاصةً جارته الكبرى ليبيا التي لها تأثيرها التاريخي على تشاد، ولها جالية كبيرة عاملة فيها، كما كان الشعب التشادي متعلقاً بليبيا وبشعبها، أما الرئيس التشادي فكان يريد قطع العلاقات مع ليبيا وإخراج الليبيين من تشاد، وعزل بلاده عن الاتصال بأي بلدٍ إسلامي، غير أن ما كان يدور بخلده قد ذهب مع ذهابه، وعادت العلاقات بين تشاد وليبيا إلى طبيعتها الأخوية، وهي في كل يوم تزداد متانة وقوة.

وفي تشاد كان يقيم البطل الكبير (عبدالله قجه) الذي يعتبر من أصلٍ تشادي، والذي شارك في جهاد الليبيين مشاركة فعالة حتى نهاية المقاومة، فعاد إلى تشاد وأقام فيها، وقد خصصت له الحكومة الليبية راتب لواءٍ في الجيش الليبي يُرسل إليه شهرياً، وقد زرناه في قريته فرحب بنا أجمل ترحيب، وأخذ يتحدث عن ذكرياته الكثيرة في ليبيا.

إنتهت زيارتنا لتشاد، فغادرناها إلى نيس يوم 10 يونيو ومنها إلى روما فطرابلس. كانت زياراتنا لأفريقيا موفقة وناجحة حيث استطعنا أن نقدم صورة جيدة عن ليبيا، ووضعنا اللبنات الأولى في صرح التعاون مع أفريقيا، ولم تستطع الحكومات الليبية المتتابعة من استغلال نتائج هذه الزيارة لتوثيق علاقاتها بأفريقيا، فتوثيق العلاقات بتشاد والنيجر بصورة خاصة هامة، إذ يجب أن تكون علاقتهما بليبيا قوية، فتشاد تُعتبر في الماضي عمقاً طبيعياً لها، إذ أن عائلة سيف النصر في القرن الثامن عشر كانت قد أقامت شبه حكومة في تشاد، وفي العهد القريب كان تأثير الليبيين قوياً فيها، كما دافعت السنوسية عن تشاد ضد الإحتلال الفرنسي أكثر من تسع سنوات، ووقفت حائلاً بين فرنسا واحتلالها لها، فالمناوشات بين الطرفين إستمرت حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، إذ قام القائد الطارقي كوسن باحتلال أغادس بشمال النيجر، وظل مسيطراً على المدينة لمدة ستة أشهر إلى أن جاءت قوات فرنسية وبريطانية مشتركة فأبعدته عن المدينة، وقد إشتعلت الحرب على الحدود الليبية الغربية بين الليبيين وفرنسا، وأرسلت الأخيرة سرباً من الطائرات لمعاقبتهم، إلا أن الليبيين استطاعوا إسقاط إحدى هذه الطائرات وأسر قائدها، وبإنتهاء الحرب العالمية الأولى إنتهت الحرب مع فرنسا، ووجه الليبيون جميع قواهم ضد الغازي الجديد وهي إيطاليا.

وبالرغم من احتلال فرنسا لتشاد، فقد ظل التأثير الليبي قائماً، كما أن أعداداً كبيرة من اللاجئين الليبيين كانت تقيم في تشاد، وظلت العلاقات قائمة بين البلدين وخاصةً بعد أن إتخذ السنوسيون الكفرة مقراً لهم، غير أنه بعد الاستقلال تولى أمرها رجل مسيحي ذو ميول فرنسية يكنّ العداء لليبيا ويخشاها، فبدأ بمضايقة الليبيين والإستيلاء على أموالهم ومعاملتهم معاملة الأجانب، وهو عمل لا يتناسب مع العلاقات التاريخية بين ليبيا وتشاد، ولذلك كان يجب أن تتخذ الحكومة الليبية موقفاً قوياً منها، وإعادة العلاقات بين البلدين إلى طبيعتها السابقة وكذلك إعادة أموال الليبيين المصادرة إلى أصحابها، ولا أظن أن الحكومة الليبية الحالية في استطاعتها اتخاذ مثل هذا الموقف، فبدأ الليبيون المقيمين في تشاد بالعودة تدريجياً إلى ليبيا. أما فيما يتعلق ببقية الدول الأفريقية التي زرناها، فقد وجدنا لديها استعداداً للتعاون مع ليبيا وتوثيق العلاقات بها وتبادل الزيارات والمنافع بينها، غير أن توصيات الوفد التي قُدمت للحكومة ربما لن تجد من يقرأها أو العمل على تنفيذها، فالحكومة منطوية على نفسها ولا تحاول الإنفتاح على الخارج أو الإرتباط بعلاقات ومصالح مع بلاد العالم وخاصةً أفريقيا والبلاد العربية.

وقد قامت الحكومة بإرسال بعثة الصداقة إلى الدول الأفريقية، إلا أنها لم تهتم بتوصيات البعثة أو تضعها موضع التنفيذ.

في عام 1957م زار (نيكسون) نائب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ليبيا، وكان الصراع بين مصطفى بن حليم وبوصيري الشلحي على أشده، فمصطفى بن حليم كان يريد أن تكون زيارة نيكسون زيارة رسمية، في حين أن بوصيري الشلحي كان يريدها زيارة خاصة، وتأثرت زيارة نيكسون من جراء هذا الصراع، فلم تُقم له حفلات كبيرة رسمية، ولم يحظَ بمقابلة الملك، وكانت زيارة مضطربة ولم تأخذ الطابع الرسمي كما يجب.

وجّه الملك بودوان ملك بلجيكا دعوةً للملك إدريس لحضور عقد قرانه، فقبل الملك الدعوة وكلّفني بحضور الحفل نيابةً عنه، وقد إصطحبت زوجتي إلى بروكسل، وشاركنا في احتفالات الزواج الملكي الذي كان يُعتبر حدثاً هاماً في هذه الأوقات، وكانت الاحتفالات رائعة حضرها العديد من ملوك أوروبا ورؤسائها والملوك المخلوعين، وقمتُ بتقديم هدية الملك إدريس إلى ملك بلجيكا بمناسبة زواجه، وقد قضينا أياماً طيبة في بروكسل غمرتنا



زيارة نائب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية لليبيا عام 1952، ويُرى في الصورة من اليمين العقيد بوقويطين، والسيد وهبي البوري، والسيد فتحي الكيخيا نائب رئيس الوزراء، والمستر نيكسون، والسيد بوسيف ياسين مدير الداخلية بولاية برقة.

فيها الحكومة البلجيكية بكرمها، كما منحني الملك بودوان الوشاح الأكبر وهو أكبر وسام بلجيكي، وفي طريق العودة عرجنا على باريس حيث أقمنا بضعة أيام قبل عودتنا إلى طرابلس.

انتقال الحكومة إلى البيضاء

بعد عودتي من أفريقيا أمر الملك بانتقال الحكومة إلى البيضاء والتي كان التنقل ما بين بنغازي وطرابلس قد أتعبها ولم تعرف الاستقرار في مكانٍ واحد، فقد تأثرت أعمالها وتشتت موظفوها، إلا أنه في وجود الولايات كان الضرر أخف، لأن الولاة كانوا يقومون بالعبء الأكبر من أعباء الحكومة ويحافظون على استقرار البلاد وأمنها، فإقامة الحكومة في البيضاء ستزيد من مشاكلها وارتباكها، وكانت مشاكل الدراسة والسكن والعلاقات الانسانية والاجتماعية من العوامل التي تحول دون استقرار الموظفين في البيضاء، فهم أُضطروا إلى ترك عائلاتهم في بنغازي وطرابلس والمجيء بمفردهم للإقامة في العاصمة الجديدة، والسفر في نهاية الأسبوع لرؤية عائلاتهم، فالموظف في البيضاء غير مستقر وغير متفرغ لعمله وعقله وفكره مع أولاده البعيدين عنه، فهذا الوضع الجديد زاد من ارتباك الدولة ومشاكلها وزاد من عجزها في مواجهة هذه المشاكل، فإن بلداً صغيراً وفقيراً مثل ليبيا لا يحتمل وجود ثلاثة عواصم تتنقل بينها الحكومة وموظفيها، وقد اختار الملك البيضاء لتكون عاصمة لليبيا عوضاً عن بنغازي وطرابلس، ولم يتخيل حجم الحكومة وعدد موظفيها الكبير الذين يجب أن توفر لهم البيضاء السكن والمدارس ولوازم الحياة.

وللملك إرتباط عاطفي بالبيضاء، فعندما جاء جده محمد بن علي السنوسي إلى بنغازي نزل في دار إمنينة، وهناك إلتقى بالشيخ أبو بكر بوحدوث، فدعاه للذهاب معه إلى البيضاء وطلب منه الإقامة فيها، وأعطاه أرضاً ليقيم عليها زاويته الأولى التي أطلق عليها اسم (الزاوية البيضاء) والتي استمدّت منها البيضاء إسمها، وكانت أول مكان إستقر فيه جده السيد محمد بن علي السنوسي، وفيها ولد والده السيد المهدي، ومنها انتشرت الدعوة السنوسية، وكانت هذه العوامل العاطفية سبباً في إصرار الملك على جعل البيضاء عاصمة لليبيا، ولم يقدّر المشاكل والمتاعب التي تعترض هذه الفكرة، فيكفي ليبيا المشاكل الكثيرة التي تقوم بمواجهتها ولا تحتمل إضافة مشاكل جديدة عليها، وكان الملك يظن أن انتقال

الحكومة من مكانٍ إلى آخر أمراً سهلاً يتوقف على تهيئة المساكن للمنتقلين، وتناسى أن الموظفين المستقرين أصلاً في بلادهم، وأولادهم الملتحقين بمدارسهم وقد إستقرت حياتهم في مكانهم، فكيف سيتأقلمون على الوضع الجديد؟.

وفكرة البيضاء لازمته منذ بداية الاستقلال، وقد أراد أن تتخذها الحكومة مقراً صيفياً لها، كما كانت تفعل الحكومة المصرية عندما كانت تنتقل في فصل الصيف من القاهرة إلى الإسكندرية، فانتقلت أول حكومة للبيضاء في فصل الصيف عام 1957م، وكان بالمدينة سبع ڤيلات صغيرة وُزعت على الوزراء للإقامة فيها، وكان الوزراء بمفردهم وبدون عائلاتهم، وخُصص لهم طاهٍ يعد لهم الطعام الذي كانوا يجتمعون حوله في وجبتي الغداء والعشاء، كما كان هناك مبنى أُقيم لاتخاذه مكاتب للحكومة، فالبيضاء قرية صغيرة بها فندق إيطالي قديم وسوق صغير وبعض المباني، ولم يستقر الوزراء في فصل الصيف في البيضاء لأنهم كانوا يذهبون باستمرار إلى طرابلس وبنغازي، غير أن الفكرة بدأت تتطور في ذهن الملك وربما كان هناك من يشجعه على ذلك، فقرر أن تكون البيضاء عاصمة لليبيا بدلاً من كونها عاصمة صيفية، وأمر بانتقال الحكومة إليها وبزيادة المباني للموظفين.

وبالرغم من وجود المساكن والأسواق والمدارس الإبتدائية في البيضاء، إلا أن غالبية الموظفين أحجموا عن نقل أسرهم إلى العاصمة الجديدة، ومع زيادة المباني وإصرار الملك على توسيع البيضاء وإعدادها لأن تكون عاصمة، إلا أن أحداً من الليبيين لم يؤمن بأن البيضاء ستكون عاصمة حقيقية لليبيا، وقد أثبتت الأحداث صدق ذلك، والعجيب في الأمر أنه لم يجرؤ أحدٌ من الكبار لفت نظر الملك إلى واقع الأمور وصعوبة إنشاء عاصمة ثالثة، فكل ما يأمر به الملك يُنفّذ، في الوقت الذي كان فيه المسؤولون خائفين على مناصبهم من الضياع في حالة توضيح الحقائق للملك، هذا في حين أن الملك كما عرفته عن كثب لا يصر على رأيه إذا اقتنع بأنه في غير صالح البلاد.

وجاء إلى البيضاء الوزراء وكبار الموظفين وبعض عائلاتهم في حين ظل غالبيتهم في طرابلس، وكان الوزراء لا يستطيعون عمل شيءٍ إلا عن طريق اتصالاتهم الهاتفية بطرابلس لمعالجة المشاكل المطروحة، وهي طريقة لا تمكّن الوزير أو كبار الموظفين من إنجاز الأعمال بسبب صعوبة الاتصال الهاتفي وتفهم المشاكل المعروضة، ولذلك أصيبت

الإدارة الليبية بصورةٍ عامة بشبه شلل عطّل الكثير من القضايا التي تتطلب حلاً، وأصبح الأمر أكثر صعوبة بالنسبة لرئيس الوزراء الذي يجب أن يحيطه المسؤول عن الأمن يومياً بأحداث البلاد، وأن يتتبع عن كثب مجريات الأمور والأحداث، والذي أصبح لا يزوره إلا أصحاب الحاجات الملحة، بينما يتردد الأجانب والدبلوماسيون كثيراً قبل السفر إلى البيضاء، لاضطرارهم ركوب الطائرة من طرابلس إلى بنغازي ثم قطع مائتي كيلومتر بالسيارة للوصول إليها، أما الموظفون فكانوا ينتظرون العطلة الأسبوعية لكي يسافروا يوم الخميس إلى طرابلس وبنغازي لرؤية أسرهم وأولادهم ثم يعودون يوم السبت، وفي الغالب لا يعمل أحدٌ منهم يوم الخميس أو يوم السبت، وبذلك تصبح العطلة الأسبوعية ثلاثة أيام بدلاً من يومٍ واحد، وفي اعتقادي أن وجود الحكومة في البيضاء قد عرقل عملها وشل تحركها وحجبها عن مواقع الأحداث التي تتطلب سرعة الحل.

وفي أثناء وجودي في البيضاء إحتفلت النيجر بعيد استقلالها ودعت ليبيا للمشاركة، فشاركتُ في الاحتفال باسم ليبيا، وعندما وصلت نيامي عاصمتها لم أعثر على حقيبة ملابسي، فقد ظلت في الطائرة، وكان بصحبتي سكرتيري الخاص الذي كان قد أحضر معه الملابس الوطنية الليبية، فاقترضتها منه لأرتديها يوم الاحتفال، وفي اليوم التالي لوصولنا والذي صادف أنه كان يوم أحد والمتاجر مغلقة، طلبت من السائق أن يقوم بتوصيلي إلى متجرٍ لشراء بعض الملابس، فأخذني إلى منزل تاجر لبناني، والذي رحب بي ونزل معي وفتح متجره وأعطاني ما أريد ولم يتقاضَ قرشاً واحداً، ويوم مغادرتي النيجر وجدت حقيبتي في المطار. أما حكومة النيجر فكانت قد أقامت حفلاً ضخماً في بستانٍ كبير دعت إليه كبار القوم، وقدمت فيه الخرفان المشوية على الحضور، فأكل الجميع وتلذذوا بهذه الأكلة الأفريقية، كما أقام الرئيس حفلاً كبيراً للمدعوين تحدث فيه عن هذه المناسبة وعن مرور عام على استقلال النيجر، وأُقيم استعراض عسكري شارك فيه الطوارق بملابسهم التقليدية، ولم يحاول النيجيريون إثارة القضايا التي تمّ الاتفاق عليها مع بعثة الصداقة الليبية والتي لم تقم الحكومة الليبية بتنفيذها.

في صيف عام 1961م ظهرت قضية البعثيين وتم القبض على قرابة مئة شخص، وكنت في ذلك الوقت وزيراً للعدل، وكان من بين المقبوض عليهم (سعدون حمادي) الذي تولى فيما بعد وزارة الخارجية في العراق، وقد حكمت المحكمة بأحكامٍ بسيطة على المتهمين

قضوها في السجن ثم أُطلق سراحهم، وبما أن غالبية المقبوض عليهم كانوا من الموظفين فقد قامت مشكلة مصيرهم، وشُكلت لجنة برئاستي لتقرير مصير فئة الموظفين منهم، وقد قررت اللجنة إعادة الموظفين إلى عملهم ودفع رواتبهم الموقوفة، وكان هذا العمل من طرف الحكومة غاية في الرحمة والشفقة وعدم إيذاء المواطنين مهما فعلوا، فالبعثيون كانوا يتآمرون على الدولة بالاتفاق مع البعثيين في العراق، وكانوا يدبرون في حدوث إنقلاب في ليبيا وتوليهم الأمر، وهذه التهمة في أي بلدٍ آخر تُعاقب بالإعدام لا بالتسامح وعودة القائمين بها إلى وظائفهم ودفع رواتبهم الموقوفة، وهذا التسامح والتراخي والتسيب هو الذي جعل الطامعين يأتون إلى البلاد من كل حدبٍ محاولين نهب أموالها أو الإيقاع بها.

وقع خلافٌ شديد بين رئيس الوزراء ورئيس مجلس الإعمار، عبد الرازق شقلوف، فاشتد الخلاف واتسع نطاقه، ورفض شقلوف دعوة رئيس الوزراء ومجلس الوزراء للتفاهم، وكان شقلوف معتداً بنفسه غير آبهٍ بأحد كما كان مقرباً من الملك، وإزاء هذا الوضع الغريب الذي لا يحدث في أية دولة أخرى، قرر رئيس الوزراء الذهاب إلى الملك وعرض الأمر عليه بعد موافقة مجلس الوزراء، فسافر إلى طبرق وقابل الملك وعاد منتصراً، إذ أن الملك أمر بإقالة شقلوف، وقد دل هذا الجدال على تفكك الحكومة وعدم تناسقها، فشقلوف كان أحد مراكز القوى الكبيرة المنتشرة في البلاد بل لعله من أقواها، إذ كان رئيساً لمؤسسة المصالح المشتركة الأمريكية، ووكيلاً لوزارة المالية، ومقرباً من الملك، وفي إمكانه التصرف في أموال الدولة بدون رقيب، وهو بالإضافة إلى ذلك كان باستطاعته التصرف في أموال المصالح المشتركة بالاتفاق مع الأمريكيين، وكانت إقالة شقلوف نصراً لمحمد بن عثمان الذي شعر بأنه يزداد قوةً ونفوذا.

تولي وزارة البترول

قام محمد بن عثمان بتعديل وزاري، فأخرج ثمانية وزراء وجاء بغيرهم وأسند إليّ وزارة البترول، وقال لي بأنه تشاور مع الملك بخصوص إسناد هذه الوزارة إليّ، ويبدو أن الملك هو صاحب الاقتراح، لأني عندما قابلته قال لي إنه وضعني في هذا المنصب لتسيير هذه الوزارة وفقاً لمصالح البلاد لا لمصالح الأفراد، ولكي أضع حداً للفساد والرشاوى واستغلال النفوذ، والوقوف في وجه كل من يريد العبث في ثروة ليبيا حتى ولو كان رئيس الوزراء، وقد

علمت أن الكثيرين من النواب، والمسؤولين، والوزراء، وكبار ضباط الشرطة، قد ارتبطوا بشركات البترول عن طريق تأجير السيارات، والتموين، والخدمات الأخرى، كما خصصت الشركات رواتب لبعض الموظفين وضباط الشرطة، وكانت صلاحيات الوزير محدودة، في حين كانت جميع الصلاحيات بيد لجنة البترول الممثلة للولايات. وكان في وزارة البترول ثلاثة أو أربعة موظفين لا يعرفون شيئاً عنها، وعندما توليتُ هذه الوزارة انهالت عليّ الطلبات، كلٌ يريد مني مساعدته في ناحيةٍ معينة بينما كان أكثر عمل الوزارة تشريعي، وكان بها مستشار فني هو،نديم الباجه جي، وهو الذي وضع اللائحة رقم 6 المعروفة والتي استغلتها الشركات لصالحها، وكانت لجنة البترول برئاسة،الشريف القاضي، الذي كان على خلافٍ مع الباجه جي. وعندما بدأتُ الاتصال بالشركات أدركت أنها لا تعطي أهمية كبيرة للوزارة إذ كان جلُّ أعمالها مع اللجنة، وطالبت بوضع عطاءٍ عام يشترك فيه الراغبون في المشاركة، وكانت الشركات بهذه الطريقة تشتري المسؤولين ومن بينهم القادرين على تنفيذ أغراضها، أما رقابة الحكومة على نفقات الشركات ومشترياتها فكانت محدودة بسبب قلة العناصر المتخصصة، والقادرة على تفهم صناعة البترول ومراقبة أعمال الشركات بصورة جيدة. ويجب الاعتراف بأن قانون البترول من أجود القوانين المعمول بها في البلاد المنتجة للبترول إن لم يكن أجودها، فبلاد الشرق الأوسط مرت بمراحل كانت الحكومات تتحصل فيها على جزءٍ ضئيل من إنتاجها، ومع مرور السنين إزداد دخلها إلى أن وصلت إلى المستوى الحالي، وعند وصول الدول المنتجة إلى هذه المرحلة كانت ليبيا قد وصلتها بعد بداية إنتاجها، وقد استفادت ليبيا من تجارب الدول الأخرى، فلم تمنح امتياز أراضيها لشركةٍ واحدة وإنما قسّمت أراضيها إلى قرابة المئة إمتياز تختار الشركات منها ما شاء لها.

وشاركت الشركات في عام 1965م في وضع قانون البترول، وسمحت الحكومة للشركات المستقلة بمحاسبتها بالسعر المحقق لا المعلن، وقد دفعت هذه التشجيعات والتسهيلات بمعظم شركات العالم إلى المجيء إلى ليبيا، للبحث والتنقيب عن البترول وذلك لقربها من الشواطئ الأوروبية، والاستغناء عن قناة السويس ورأس الرجاء الصالح اللذين كان يُنقل عبرهما البترول، وبلغت الشركات التي بدأت تنقب عن البترول في ليبيا العشرين شركة، مع وجود عددٍ كبير من الحفارات، وقد عُثر على البترول وأُستخرج وصدّر في أقل من ثلاث سنوات، وضربت ليبيا رقماً قياسياً في سهولة العثور عليه واستخراجه وتصديره، وكانت

من العوامل المشجعة على البحث عن البترول في ليبيا جودته الفائقة وقربه من الشواطئ الأوروبية.

وفي عام 1961م أُحتفل في البريقة بتصدير أول كمية من البترول الليبي، وكان الحفل كبيراً حضره الملك وأعضاء الحكومة وكثيرٌ من أعيان البلاد وأصحاب شركات البترول الذين جاءوا خصيصاً من نيويورك.

وعندما حاولت الحكومة أن تفرض على الشركات القيام بمشترياتها في الداخل والخارج عن طريق عطاءٍ عام واختيار الأجود والأرخص، فلم تفلح لأن عملية شراء المعدات والأدوات كانت عملية معقدة، ولأن الشركات كانت تتصرف كما تشاء لأنها هي التي تدفع الثمن وتختار ما تحتاجه وتعرف أين تجده. وكانت شركة (اويزيس) تنوي مدّ خط أنابيب من الامتياز 52 إلى الامتياز 59، فجاء مدير الشركة ليبحث معي موضوع مدّ الأنابيب التي تقرر أن تصب بقرب بنغازي في ميناء يُعد لهذا الغرض، وكان والي برقة، محمود بوهدمة، مصرّاً على أن يصب الأنبوب الجديد في بنغازي، فجاءني مدير الشركة ليقول لي أن مد الأنبوب الجديد سيكلف مبالغ طائلة، في حين أن ربطه بالأنبوب المتجه إلى البريقة سيكون أقل تكلفة، ولم أنظر إلى ما سوف تستفيده بنغازي من المشروع وإنما نظرت إلى مصلحة الصناعة البترولية بصورة عامة، وقمت بالضغط على الوالي حتى وافق على ربط الأنابيب الجديدة بالأنبوب المتجه إلى البريقة.

وكان مشروع الشركة فيه الكثير من التوفير، في حين أن فكرة الولاية كانت ستكلف أموالاً طائلة، ولذلك ضغطتُ على الولاية حتى وافقت على مشروع الشركة، وطلبت من الشركات عدم تأجير سيارات إلا بعد الاستئذان من الوزارة، وكذلك عمليات المقاولات والعطاءات وغيرها، وطلبت من مدير الشركة أن يضع عملية مدّ الأنابيب الجديدة في عطاءٍ عام وأن نشارك في اختيار الجهة التي سيرسي عليها العطاء، فاعترض المدير على ذلك مستنداً على أن هناك مسائل فنية كثيرة معقدة وأن السرية التامة مرغوبة في هذه الحالات، فأجبته بأن بيننا قانون البترول الذي يعطي كلاً منا حقه، وما للشركات من حقٍ لا نجادلها فيه، وكنت أحاول بموجب صلاحياتي المحدودة أن أؤكد وأصون حقوق الدولة تجاه الشركات، وكذلك بعدم خلق طبقةٍ تستأثر بجميع الخدمات البترولية في حين تظل الأغلبية



حفل افتتاح ميناء السدرة عام 1962 ثاني الموانى البترولية الليبية بحضور لفيف من المدعوين.

محرومة من هذه المنافع، وتقدمت إلى رئيس الوزراء بمشروع يرمي إلى الحدّ من تسلط وغش الأفراد المرتبطين بالشركات، وذلك بأن يقتصر الفرد أو الشركة بنوعٍ واحد من الأعمال، أي أن الذي يعمل في النقل لا يمكنه أن يعمل في التموين أو في أي نشاطٍ آخر، بحيث تتوزع الأعمال على أكبر عددٍ من المواطنين، إلا أنه لم يوافقني على هذا الاقتراح ولا أدري لماذا؟ فالإقتراح كان يرمي إلى نزع بعض الأعمال من المحتكرين وإعطائها لمواطنين آخرين، بحيث تعم الفائدة الناتجة عن تعامل المواطنين مع شركات البترول.

وقد أحدث اكتشاف البترول في ليبيا تغيراً هاماً في البلاد، وفي حياة الناس، وفي أخلاقها، وفي معاملتها مع بعضها البعض، فالبلاد قبل اكتشاف البترول كانت فقيرة معدمة تعيش على دخلٍ يُقدّر بمليوني جنيه، بالإضافة إلى أربعة ملايين تدفعها الحكومة البريطانية لتغطية العجز في الميزانية، وكانت ميزانية البلاد البالغة ستة ملايين يُنفق منها على رواتب الموظفين، والشرطة، والتعليم، والصحة العامة، والمواصلات، وعلى أربع حكومات، وأربع مجالس نيابية، وعلى غيرها من النفقات التي تحتاجها الدولة، إلا أن بعض المساعدات التي كانت ترد من الولايات المتحدة أو من غيرها من الدول كانت تتيح للحكومة التوسع قليلاً في مصروفاتها، ولم يكن أحد في ليبيا يأمل في اكتشاف البترول في باطن أرضها، وكان الناس عندما يسمعون أن هناك شركات تنقب عن البترول يقولون ليتهم يجدون الماء الذي نحن في أشد الحاجة إليه، وعندما اكتشفت شركة (إسو) حقلاً صغيراً للبترول بقرب الحدود مع الجزائر، جاءت الشركة إلى رئيس الوزراء بقارورة مملوءة بالسائل الأسود وهي أول كمية من البترول تُستخرج من ليبيا، وكان رئيس الوزراء يعرض هذه القارورة على زواره مسروراً وسعيداً، إلا أن الزوار الذين يرونها كانوا يقولون لبعضهم (إن أمريكا تضحك علينا) فليس هناك من بترول ولا ما يشابهه. وقد استطاعت الحكومة في هذه الفترة رغم ضيق إمكانياتها أن تشيّد المدارس، وتبني الطرق، وتصلح الموانئ المدمرة، وتبني الجامعات، وكانت تعمل على أن تكون دولة متكاملة بفضل ميزانيتها المحدودة، والدخل الذي يأتيها من الرسوم التي تدفعها الشركات مقابل التنقيب عن البترول، ومن المبالغ التي خصصتها لها الحكومة الأمريكية، فقبل تصدير البترول والانتفاع بدخله كانت أحوال الحكومة الليبية الاقتصادية قد انتعشت وأصبح في إمكانها الإنفاق بسعةٍ على مصالح الدولة، وجاء البترول وليبيا غير مستعدة له وغير متفهمة لصناعته، لقد كانت مفاجأة سارة فرح لها الجميع دون أن تكون

للدولة المقدرة على رقابة ومعرفة الإنتاج وتعقيداته، فقد تركت الأمر للشركات تتصرف كما تشاء، تنقب، وتبحث، وتستخرج البترول، ثم تصدره، وتحاسب الحكومة على نصيبها من الدخل وتعطيه لها، وحاولت الحكومة الاستعانة بمستشار عراقي خبير في البترول إلا أنه تآمر مع الشركات وحقق لها ما تريد، وعلى كل حال فقد كانت الحكومة والشعب سعداء بما يدره عليهم البترول من خيرات ومن دخلٍ متزايد، دون الاهتمام ما إذا كانت الشركات تنصف الحكومة أو تخدعها، فكانت ثقة الحكومة كبيرة بالشركات وخاصةً شركة إسو التي كانت تستشيرها في كثيرٍ من أمورها، أما الشركات الصغيرة فكانت تدفع للحكومة نصيبها من السعر المحقق وهو دولار وواحد وستين سنتاً في حين كان السعر المعلن يصل إلى دولارين وواحد وعشرين سنتاً، وكانت هذه الأسعار هي السائدة بالنسبة لجميع البلاد المنتجة، وطلبت وزارة السيد حسين مازق من الشركات المستقلة التي تتمتع بالسعر المحقق، عدم الدخول في عطاءاتٍ جديدة في ليبيا إلا إذا تنازلت عن حقها في السعر المحقق، فقبلت الشركات الطلب ودفعت للدولة السعر المعلن، وتساوت جميعها في سعر البترول المدفوع للدولة.

الشروع في توحيد البلاد

قام محمد بن عثمان بخطوةٍ جريئة في طريق تحقيق وحدة ليبيا، فقد حصل على موافقة الملك لتعديل الدستور وزيادة صلاحيات الحكومة الإتحادية، ويبدو أن الملك هو الذي كان يريد ذلك، فهذه الخطوة غيرت أوضاع البلاد وفتحت أمامها إمكانية الوحدة الشاملة التي كان الكثيرون من أبناء ليبيا يريدونها، ولكن هذه الخطوة لم ترق لسكان برقة وفزان الذين كانوا ينعمون باستقلالٍ ذاتي وبنصيبٍ وافر من دخل البترول، إلا أن الخطوة كانت ضرورية لتوحيد البلاد، وتماسكها، وعدم تجزئتها، فالنظام الإتحادي قام بواجبه كاملاً وتم التطور الذي شهدته البلاد بسبب التعاون بين الحكومة الإتحادية والولايات، وهذه الخطوة ستقود حتماً إلى الوحدة الكاملة وإلغاء النظام الفيدرالي.

وكان مما حققته هذه الخطوة إشراف الحكومة الاتحادية الكامل على صناعة البترول، وبموجب هذا التعديل أُلغيت لجنة البترول المؤلفة من الولايات الثلاث، وأصبح وزير البترول وحده المتصرف في شؤون الدولة البترولية، وهذا معناه أني أصبحت الرجل الوحيد الذي

يتصرف في شؤون البترول، وهذا ما لا أريده لا خوفاً على نفسي من الإنحراف ولكن خوفاً من أن يأتي غيري وينحرف ويعبث بثروة البلاد، ولذلك تقدمتُ باقتراحٍ إلى مجلس الوزراء بتأسيس مجلس أعلى للبترول يكون له الإشراف على سياسة البترول وعملياته باعتباره صمّام أمان، واقترحت تشكيل المجلس من عدة جهات من بينها البنك الوطني، ووزارة المالية، ووزارة الاقتصاد، وغيرها، وقد أصبح هذا المجلس فيما بعد أداةً هامة في الإشراف ومراقبة عمليات البترول، ونَصّ قانون المجلس على أن يرفع الوزير قراراته إلى مجلس الوزراء للموافقة عليها أو رفضها، وتشكل المجلس من عناصر جيدة وحسنة السمعة، وقد كان أداة جيدة وأدّى واجبه على أكمل وجه إلا أن وجود المجلس لم يرق للحكومات التالية التي حدّ من تصرفاتها، فأخذت تدّعي بأن توصية المجلس هي إستشارية لا إلزامية، واتصل بي رئيس الوزراء عندما كنت أعمل في الأمم المتحدة ليسألني عن رأيي في الموضوع بصفتي واضع القانون، فقلت له: إن رأى المجلس إلزامي يجب على الحكومة أن تعمل به أو ترفضه، وظل مجلس البترول قائماً يؤدي واجباته إلى أن جاءت الثورة فحلته مع مؤسسات أخرى.

إشتد الصراع ما بين رئيس الوزراء ورجال القصر، وبدأت الشائعات تردد قرب استقالة الحكومة، وكان الملك قد استدعى محي الدين فكيني سفيرنا في واشنطن، ومنصور قدارة، وفؤاد شنيب من باريس، للتشاور معهم، وفسّر الناس هذا التحرك بأن الملك يبحث عن رئيس وزراء جديد وخاصةً أن فكيني لم يغادر البلاد وقابل الملك أكثر من مرة، وعندما ذهب رئيس الوزراء لمقابلة الملك جمع مجلس الوزراء، وقال لنا بأنه اجتاز أزمةً خطيرة وأنه مضطر إلى إجراء تعديل وزاري يتخلى فيه عن بعض الأصدقاء الذين كان يود إستمرارهم في العمل معه، وكان الخارجون من الوزارة أحمد عون سوف، ونوري بن غرسه، واعتقدت أن الوزارة ستستقر غير أن الشائعات زادت قائلة بأن التعديل الوزاري قد زاد موقف الحكومة سوءاً. واستُقبلت التعديلات الدستورية بخصوص وحدة البلاد استقبالاً متفاوتاً، فقد سرّ لذلك سكان طرابلس واعتبروها خطوة جديدة في الطريق الصحيح، في حين لم يرضَ عنها سكان برقة وفزان اللذين رأيا في هذا التعديل بدايةً لتقليص صلاحياتهما، ولم يحدث أي احتجاج أو تظاهر ضد التعديلات التي قبلها الجميع بهدوءٍ واستسلام، فسكان الولايتين يخضعان لكل ما يأمر به الملك، وربما رأى الملك أنه بعد عشر سنوات من الاستقلال قد حان الوقت للشروع في توحيد البلاد، وتقويتها، وتنظيم شؤونها، إلا أن الوحدة التي كان

يبتغيها ستظل مبتورة مادام يصرّ على أن البيضاء هي عاصمة البلاد.

زلزال المرج

في شهر فبراير عام 1963م حدث زلزال المرج الذي دمّر المدينة الصغيرة وقتل قرابة الألف من سكانها، وقد هبّت بريطانيا، وأمريكا، ودول أوروبية أخرى، والمغرب، وتونس، والجزائر لمد يد المساعدة بإرسال المؤن، والملابس، والأغطية للمتضررين، وبذلت الحكومة مجهوداً كبيراً لإيوائهم، وتبرع الجيش البريطاني بالخيام التي أوت العديد منهم كما تبرعت دول أخرى بالمؤن والملابس، وكان زلزال المرج كارثة كبيرة لم تكن الحكومة الليبية مستعدة لمواجهتها، ولولا مساعدات الإنجليز الذين أرسلوا جنودهم لإنقاذ المواطنين من تحت الأنقاض، وتزويدهم بالخيام، والمؤن، ولولا تلك المساعدات لكانت الكارثة أشد وقعاً، أما الحكومة فكانت مترددة بين خيارين، إما شراء المساكن الجاهزة لإيواء اللاجئين أو بناء مدينة جديدة، ودار نقاش طويل حول الموضوع، وتقرر إرسال لجنة وزارية إلى المرج لدراسة الوضع على الطبيعة، واقترحت اللجنة شراء مساكن جاهزة بوجه السرعة لأن المتضررين في حالة سيئة وفي حاجة ملحّة إلى مساكن تأويهم.

ووصلت المساكن الجاهزة ووُزعت على المتضررين وكانت خير حلٍ مؤقت للمشكل، كما قررت الحكومة في الوقت ذاته بناء مدينة جديدة في موقعٍ إختاره خبراء الزلازل اليابانيين، وعينت محمد الساقزلي مشرفاً على بناء المدينة وزودته بالأموال اللازمة لذلك، وقد شُيدت مدينة حديثة منظمة بمسجدها وخدماتها ومرافقها تلفت النظر لجمالها وتنسيقها، وانتقل سكان المساكن الجاهزة وغيرهم من سكان المرج إلى المدينة الجديدة، فسكنوها وعمّروها وأصبحت من المدن الليبية المعروفة.

ازدادت الشائعات حول وضع الوزارة، في الوقت الذي استمرت فيه المشاورات بين الملك ومحي الدين فكيني، وقد استقال عبد المولى لنقي من الوزارة ففتح بذلك ثغرة في كيانها، فاضطر مجلس الوزراء إزاء تطور هذه الأحداث إلى مطالبة رئيس الوزراء بزيارة الملك ومعرفة رأيه في الحكومة القائمة، وعندماعاد رئيس الوزراء من زيارته له جمع مجلس الوزراء وأخبره بأنه قدّم استقالة الحكومة، ولا ندري ما هي أسباب الاستقالة، فحكومة بن عثمان

لم تكن أقل من غيرها نشاطاً وعملاً في سبيل مصلحة البلاد، إلا أنها ظلت كغيرها من الحكومات السابقة عاجزة عن تطوير البلاد وتحسين أحوالها وإرضاء المواطنين، وهو عملٌ كانت تستطيع القيام به بعد توحيد البلاد، وزيادة الدخل، والشروع في حياةٍ جديدة.

خرج محمد بن عثمان من الوزارة دون أن يرتكب شيئاً ملموساً يقتضي إبعاده عنها، إلا أن الملك كان غير راضٍ عن جميع الوزارات التي تولت الحكم في ليبيا، وقد أقالها الواحدة بعد الأخرى، إذ كان يرغب في التغيير بوجود رئيس وزراء شاب ومثقف يستطيع أن يحسّن وضع الحكومة والبلاد، ولعله قد وجد في محي الدين فكيني ضالته المنشودة، ووفقاً لمقترحات البعض بأنه أصلح من يتولى الوزارة، ووفقاً لمقترحات خارجية بأنه الأنسب لتوليها.

حكومة محي الدين فكيني

كُلف محي الدين فكيني بتشكيل الوزارة وبدأ مشاوراته. أما أنا فذهبت ذاك النهار لقضاء يومٍ في منزل أحد الأصدقاء، وفي المساء أخبرني صديق أن فكيني يسأل عني، فاتصلت به هاتفياً، فعرض عليّ المشاركة في حكومته كوزيرٍ للبترول، فقبلت العرض، وعندما ذهبت إلى منزل بوصيري الشلحي أخبرني أن الملك هو الذي طلب من فكيني بقائي في وزارة البترول. وفي أول اجتماع لمجلس الوزراء صرّح الرئيس أنه اتفق مع الملك على ثلاث قضايا، إلغاء النظام الاتحادي، وتوحيد البلاد، واتخاذ طرابلس عاصمة للدولة، والبيضاء عاصمة علم، وإشعاع، ومصيف.

ضمت الوزارة الجديدة مجموعة من الشبان المثقفين من ذوي السمعة الطيبة والمقدرة الإدارية، وأمِل الناس خيراً في الوزارة الجديدة واعتبروها تحولاً هاماً في تاريخ البلاد، فلأول مرة يتولى الوزارة عنصرٌ شاب لا ينتمي لطبقة الحكام التقليديين السابقين، إذ ضمّ إلى وزارته عدداً من الشبان المثقفين من ذوي السمعة الجيدة والقادرين على العمل والإنتاج، غير أن الوزارة الجديدة لا تستطيع السير بعملها بعيداً عن المؤامرات والدسائس التي ستلتف حولها، اللهم إلا إذا وضع الملك ثقته الكاملة في الوزارة وساندها وإلا فسيكون مصيرها كمصير الوزارات التي سبقتها، فإن ما كنت أخشاه أن لا يطول شهر عسل الوزارة الجديدة، فتبدأ بمواجهة المشاكل المستعصية والدسائس التي ستعصف بها كما عصفت بغيرها.

وبالرغم من أهمية البترول ومشاكله التي تشغل الوزارة، فقد طلب مني رئيس الوزراء ترأس وفد ليبيا في مؤتمر وزراء خارجية أفريقيا الذي سيُعِدّ وينظم مؤتمر القمة الأفريقي، الذي تقرر عقده يوم 25 مايو 1963م في أديس أبابا والذي سيحضره ولي العهد نيابةً عن الملك، فسافرت على رأس وفدٍ من موظفي وزارة الخارجية إلى القاهرة يوم 21 مايو ومنها إلى أديس أبابا.

مولد الوحدة الأفريقية

كان مؤتمر أكرا قد وضع اللبنة الأولى في صرح الوحدة الأفريقية، وقد توالت اجتماعاته سنوياً وازداد عدد الدول المستقلة المنضمة إليه، وفي هذه الأثناء تكونت كتلةٌ من الدول الناطقة باللغة الفرنسية، والتي منحتها فرنسا إستقلالها باستثناء دولة غينيا، وكونت هذه الدول منظمة مستقلة، هذا في حين عُقد في منروڤيا مؤتمرٌ لجميع الدول الأفريقية لبحث إمكانية إقامة منظمة تضم جميع الدول الأفريقية المستقلة، وتغيّبت عن حضور المؤتمر دول مجموعة الدار البيضاء، والتي رفضت حضور مؤتمر منروڤيا بسبب وجود موريتانيا التي كانت المغرب تطالب بها كجزءٍ من أراضيها، واشتد الخلاف بين المجموعتين وبين المجموعة الفرنسية، الأمر الذي دعا إمبراطور إثيوبيا إلى التحرك وزيارة عدة دول أفريقية للاتفاق معها على عقد مؤتمر لجميع الدول الأفريقية بأديس أبابا في شهر مايو عام 1963م.

إجتمع مؤتمر وزراء خارجية أفريقيا في أديس أبابا يوم 15 مايو، بحضور ثلاثين وزيراً من بينهم خمسةٍ وعشرين وزير خارجية، وهذه هي المرة الأولى التي يجتمع فيها كل هذا العدد من الوزراء، فقد ازداد عدد الدول الأفريقية المستقلة، وازدادت خلافاتها، وصراعاتها، وتعددت منظماتها، وكان الصراع على أشده بين مجموعتي الدار البيضاء ومنروڤيا.

واجتمع وزراء الخارجية في أديس أبابا لوضع مشروع الوحدة، وكانت إثيوبيا قد أعدت مشروعاً عُرض على وزراء الخارجية، فكلفوا لجنة لدراسته، وطُلب من الجزائر إعداد صيغة أخرى لتؤكد التعاون والتضامن بين الدول الأفريقية، فالرئيس الغاني نكروما كان الوحيد الذي يطالب بحكومةٍ واحدة، وبرلمان واحد، ولا يجد من يوافقه على أفكاره لأن الجميع كان يعلم استحالة قيام حكومة أفريقية واحدة، وبرلمان واحد في تلك الفترة وفي تلك الظروف، وكانت نيجيريا بثقلها البشري تحاول أن تجر المؤتمر إلى ما تريده، وعندما بُحث موضوع (الترانزيت) أشار الوفد الليبي إلى عزم ليبيا إنشاء ميناء حر في خليج سرت، وبناء طريق عبر الصحراء يربط ليبيا بالبلاد الأفريقية المجاورة وذلك لتشجيع الترانزيت بالنسبة للدول البعيدة عن البحر، فاستحسنت الدول الأفريقية هذا القرار ورحبت به وشكرت ليبيا لتقديمها هذا المشروع.

وانكبّ وزراء الخارجية على دراسة المشاريع التي أمامهم، غير أنهم لم يتفقوا على أيٍ منها، فتقدمت إثيوبيا بمشروع جديد تمّت الموافقة عليه بعد إدخال بعض التعديلات.

بدأ رؤساء الدول يتوافدون على أديس أبابا، وفي طليعتهم الرؤساء جمال عبد الناصر، والحبيب بورقيبة، وأحمد بن بلا، وسنغور، ونكروما، وسيكو توري، ونيريري، وكاوندا، وهوفيه ديوانييه، وأحمد اهيجو، وتافاوا باليوا رئيس وزراء نيجيريا، وبقية الرؤساء الذين اجتمعوا يوم 25 مايو عام 1963م للدراسة والموافقة على المشروع الذي أعده لهم وزراء الخارجية، وقد إقترح الرئيس عبد الناصر إعتبار اللغة العربية لغة من لغات التنظيم، فأيدتُ الاقتراح، كما أثار الرئيس نكروما موضوع الوحدة الأفريقية الكاملة، إلا أنه لم يتجاوب معه أحد وكان يعلم جيداً أن أحداً لن يوافقه على فكرته غير أنه أراد أن يسجل أفكاره للتاريخ، فهو رجلٌ صادقٌ في وطنيته وصادقٌ في فكرته الرامية إلى توحيد أفريقيا، وكان يقول إن توحيدها سيكون أسهل قبل استقلالها وصعباً بعد حصولها على الاستقلال.

وفي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل وافق الرؤساء على ميثاق التنظيم الجديد الذي أُطلق عليه أسم (منظمة الوحدة الأفريقية)، وتتابع الرؤساء على التوقيع واحداً بعد الآخر، ولم يوقع رئيس وزراء المغرب على المشروع إحتجاجاً على اشتراك موريتانيا فيه، ولم تهتم الدول الأفريقية بامتناع المغرب عن التوقيع بل داومت فرحتها بهذا الإنجاز العظيم في تاريخ أفريقيا.

وهكذا وُلدت منظمة الوحدة الأفريقية التي شاء لها أن تلعب دوراً هاماً في تاريخ أفريقيا والعالم، والتي ضمّت البلاد الأفريقية إلى بعضها البعض وحاولت حل مشاكلها وقضاياها، وقد لعبت المنظمة دوراً كبيراً في جمع الدول الأفريقية المعتمدة لدى الأمم المتحدة، وفي عملها المشترك في سبيل تحرير ما تبقى من الدول الأفريقية، وكانت تتعاون وتتفاهم من أجل تحقيق هذه الغاية، كما كان لها إجتماعات دورية في الأمم المتحدة تناقش فيها الموضوعات المعروضة على الأمم المتحدة وتتخذ القرارات في المسائل التي لها علاقة بأفريقيا.

وعندما حل العام الأول على تأسيس المنظمة وصادف أن كنت رئيساً للمجموعة الأفريقية في الأمم المتحدة في ذلك الشهر، طلبت المجموعة إقامة إحتفال بالمناسبة فأعددناه، وعندما عُرضت قائمة المدعوين أصرّت دولة ساحل العاج وبعض الدول الأخرى على دعوة

إسرائيل، ورفضت أنا الفكرة من أساسها، وقام خلاف كبير بيني وبين المعترضين، وأخيراً تقرر أن يُعطى كل عضوٍ أربع بطاقات دعوة يدعو فيها من يشاء، وكنا نعلم أن ساحل العاج ستدعو إسرائيل، وفي يوم الاحتفال ترأسته ووقفت في استقبال المدعوين، إلا أنني إتفقت مع سفير إثيوبيا أنه عندما يأتي سفير إسرائيل سأتخلى عن مكاني ويتولى هو الإستقبال، ومع ذلك، ففي الكلمة الرئيسية التي ألقيتها في الاجتماع تعرضت إلى قضية فلسطين الأمر الذي أثار غضب المندوب الاسرائيلي والدول المتضامنة معه.

وصل الأمير الحسن ولي عهد ليبيا إلى أديس أبابا، واستقبله الإمبراطور في المطار وقمت بالترجمة بينهما، واستغرب الإمبراطور موجهاً كلامه إلى الأمير الحسن قائلاً له: إن ولياً للعهد شاباً سيعتلي عرش ليبيا يجب أن يتعلم لغة أجنبية، وعندما فاتحت الأمير في الأمر وجدته متأثراً من كلام الإمبراطور وراغباً في تعلم لغة أجنبية، وفي طريق عودتنا مررنا بالخرطوم ووجدنا في استقبالنا بعض المسؤولين، فرجوتهم أن يوفروا مدرساً ليقوم بتعليم الأمير اللغة الإنجليزية، فقالوا بأنه سيكون في طرابلس بعد أسبوع، ووصل المدرس وشرع في تعليم الأمير، إلا أنه عاد إلى الخرطوم بعد شهرين لأن الأمير لا يريد أن يتعلم.

خلال عملي في وزارة البترول، تقدمت شركة كونتننتال العاملة في ليبيا بمشروع إنشاء مصنع لإنتاج الأمونيا بطاقة نصف مليون طن في العام، تقدر تكاليفه بأكثر من مئة مليون دولار ويدخل تحت قانون البترول، أي أن حصة الحكومة تسدد بنسبة خمسة في المئة في العام، في حين تتقاضى أرباحها من أول عام، وتتعهد الشركة بتسويق الإنتاج وبعودة ملكية المصنع إلى الدولة الليبية بعد عشرين عاما، ويعد هذا المصنع أكبر مصنع لإنتاج الأمونيا في العالم خارج الولايات المتحدة.

وتحمستُ للمشروع وأدركت أنه مفيد لليبيا مثل البترول أو أكثر، وكانت مشكلة الأمونيا في تسويقها، وقد تعهدت الشركة بالتسويق وبتسليم الأرباح كاملة إلى ليبيا، وقد طلبتُ خبيراً ذا شهرة عالمية من بريطانيا، فجاء الخبير إلى ليبيا ودرس المشروع وأدخل عليه بعض التعديلات، وقال لي: إن المشروع في صالح ليبيا لأن إنتاج الأمونيا في تزايد وسيكون التسويق صعباً، فأتممنا وثائق المشروع وأصبح جاهزاً للتوقيع، وكنت أريد توقيعه أنا ورئيس الوزراء لأهميته وفائدته بالنسبة للبلاد، فهو سيُعد أكبر مشروع صناعي بترولي يتحقق فيها،

وقد أحطْتُ رئيس الوزراء الجديد به علماً وشرحت له المشروع فوافق عليه وانتظر إحضاره له للتوقيع، إلا أن الشركة أخذت وقتاً طويلاً في إعداده للتوقيع عليه، وفي هذه الأثناء عرض عليّ رئيس الوزراء تولي منصب مندوب دائم لليبيا في الأمم المتحدة، فقبلت العرض لأني كنت راغباً للعمل في الخارج.

وبعد قرابة ثلاثة أشهر زارني مدير شركة كونتننتال وأخبرني أنه اتصل بوزارة البترول للإتفاق على موعدٍ للتوقيع على إتفاقية مصنع الأمونيا، غير أنه لم يجد أحداً على علمٍ بالمشروع، فقد إختفت جميع الملفات والوثائق التي عملنا عليها معاً لمدة طويلة، واستطرد قائلاً: أود أن أسألك، عندما كنا نتفاوض معك هل كنا نتفاوض بصفتك الخاصة أم كممثل للدولة الليبية؟ ولم أجد ما أقوله له أكثر من التعبير عن أسفي، وقد تفاعلت عوامل الغيرة والحسد والطمع والتنافس في إخفاء المشروع ظناً منهم أنهم سيجدوا مشروعاً مماثلاً يستفيدون منه، فأي مسؤول لا يحقق مشروعاً دون أن يكون له فيه نصيب، وربما ظن البعض أن لي نصيب من وراء تحقيق هذا المشروع، ويعلم الله أني طيلة مدة عملي في وزارة البترول لم يدخل جيبي قرشاً واحداً غير مرتبي، وإن الذين أخفوا المشروع قد ألحقوا بليبيا ضرراً كبيراً، إذ بعد سنوات إستدعت وزارة البترول شركة كونتننتال وأخبرتها بموافقتها على المشروع الذي تم الاتفاق عليه بيني وبينها، وطلبت من الشركة التوقيع عليه، إلا أن الشركة قالت لهم بأنها لا ترضَ بالشروط القديمة، وأنه يجب أن يدخلوا معها في مفاوضاتٍ جديدة لأن الأوضاع بالنسبة للأمونيا قد تغيرت، وقد ظل موضوع إنشاء مصنع للأمونيا معلقاً عدة سنوات، إلى أن توصلت وزارة البترول إلى إنشاء مصنعٍ صغير ينتج سبعين ألف طن في العام، بينما كان المشروع الذي اتفقتُ عليه مع شركة الكونتننتال ينتج نصف مليون طن في العام من الأمونيا تتكفل الشركة ببيعها، وهكذا كان تلاعب الموظفين وسوء تصرفاتهم وعدم المراقبة عليهم قد أضاع على البلاد فرصةً كبيرة من الدخل الإضافي.

وكانت المصالح الخاصة في ليبيا تُقدّم على المصلحة العامة، وأغلب من بيدهم الأمور كانوا يريدون أن يستفيدوا مادياً من مناصبهم دون مراعاةٍ لمصالح الدولة التي قد تتضرر، فقليلون الذين كانوا يفكرون في البلاد وفي تقدمها والمحافظة على مصالحها، فعندما كنتُ في وزارة البترول إنهالت عليّ الطلبات من كبار وصغار المسؤولين والأفراد لأتوسط لهم لدى الشركات، وقد صمدت في وجه الجميع تنفيذاً لتعليمات الملك، وخرجت من وزارة البترول

دون أن أطلب من الشركات مساعدة أو مجاملة أي شخص، لأني كنت أريد منها أن تعامل الجميع على قدم المساواة.

عملي في الأمم المتحدة

وافقتُ على تولي منصب مندوب ليبيا الدائم في الأمم المتحدة، واستشرت الملك فوافق، وأخذت أُعد نفسي للسفر، وكنت مسروراً بالخروج من الوزارة والابتعاد عن ليبيا ولو لفترة قصيرة، فالأوضاع في ليبيا كانت مرتبكة والحكومات تحيط بها الدسائس والمؤامرات، وكان كل رئيس وزارة يتولى الحكم يحاول إطالة مدة حكمه وذلك بإرضاء مراكز القوى على حساب المصلحة العامة، وقد عملت سبع سنوات في مختلف الوزارات وأديت واجبي بالكامل ولم أمد يدي على شيءٍ لا أستحقه، في حين انتشرت الرشوة والعمل للصالح الفردي بين الكثير من المسؤولين، وكانت شركات البترول هي العامل الأساسي في هذا الوضع وفي نشر الرشوة والفساد.

وفي يوم 19 سبتمبر عام 1963م غادرت ليبيا مع أسرتي في طريقي إلى أمريكا لاستلام مهام عملي الجديد الذي أمارسه لأول مرة، ولم يسبق لي العمل فيه، وقد وصلت نيويورك ومعي شيك بخمسة عشر ألف دولار، سلّمتها لي وزارة الخارجية من أجل تأجير وتأثيث المكاتب وسكن المندوب، وبحثنا عن مختصٍ يشرف على التأثيث، فطلب منا عشرة آلاف دولار لمجرد اختيار الأثاث وتنظيمه، فقررنا أن نتولى بأنفسنا الشراء والتأثيث، وقد اتخذنا مكتبا في فندق روزفلت الذي استأجرنا فيه غرفتين، كما كنا نقوم بعملنا في الأمم المتحدة ونبحث في الوقت ذاته عن مكانٍ لمكاتب البعثة وعن سكنٍ لرئيسها، فعثرنا بالقرب من الأمم المتحدة على مكاتب استأجرناها وانتقلنا إليها، وعينا الموظفين المحليين وشرعنا في عملنا كاملاً، وكان يوجد في المبنى عددٌ من البعثات الدبلوماسية الأخرى، أما عائلتي فأقمت معها في فندق إلى حين استئجار شقة.

وبعد مرور أسبوعين استأجرنا شقة في شارع (پارك أڤنيو) وهو أفخم شارع في نيويورك لسكن رئيس البعثة، وقمنا بتأثيثها وإعدادها بأحسن صورة، وكانت دورة الأمم المتحدة قد بدأت ووصل موظفون إضافيين من ليبيا لأنه لم يكن في البعثة سوى موظفٍ واحد وطباع، وكانت دورة الأمم المتحدة التي نحضرها لأول مرة هي بالنسبة إلينا تجربة وتعليم، فقد كنا ننصت أكثر مما نتكلم، وكانت قضية فلسطين هي البارزة في أعمال الوفود العربية وكان علينا أن نشارك فيها في اللجنة السياسية، فشاركت في أعمال اللجنة بإلقاء كلمة جيدة



تقديم أوراق اعتمادي للأمين العام للأمم المتحدة عام 1963م.



صورة الرئيس كينيدي وهو يُلقي خطابه في الأمم المتحدة، ويُرى الوفد الليبي وهو جالس في أول المقاعد.

تحدثت فيها عن قضية فلسطين وضرورة عودة اللاجئين إلى ديارهم، لأن القضية المثارة في ذلك الوقت كانت قضية اللاجئين، وتعرّفت على رؤساء البعثات العربية وتوثقت الصلة والصداقة والتعاون فيما بيننا، وكان للمجموعة العربية اجتماعات دورية لبحث المشاكل القائمة في الأمم المتحدة والاتفاق على مواجهتها.

وقد أدخلت أولادي مدرسة الأمم المتحدة، واستقرت أحوالنا وبدأنا حياتنا الأمريكية، أما إجتماعات الأمم المتحدة فكانت كثيرة، وكان من المفروض أن يمثل ليبيا مندوباً في كلٍ من اللجان الستة المحالة إليها جميع قضايا الأمم المتحدة، وقد نجحنا في الدورة الأولى في وضع ممثلٍ ليبي في كل لجنة في حين يشارك رئيس البعثة في اللجنة السياسية، وسارت أمورنا على ما يرام، وانتهت الدورة بخيرٍ وسلام، وقد استفدنا منها ومن حضور جلساتها، ومناقشاتها، واتخاذ قراراتها، وكانت تجربة جيدة بالنسبة لي ولزملائي.

وكانت الحرب الباردة على أشدها، والتنافس بين الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي قوياً، فكل دولة من الدولتين تريد استقطاب أكبر عددٍ من أعضاء الأمم المتحدة لجانبها لتأمين نجاح مشروعاتها أو إحباط مشروعات الطرف الثاني، أما الدول العربية فكانت باستثناء قضية فلسطين منقسمة على نفسها ما بين الكتلتين الكبيرتين، بينما كانت القضايا الأفريقية تنال تأييد وإجماع الدول العربية.

إهتزت الولايات المتحدة والعالم لنبأ اغتيال الرئيس كنيدي، وعمّ الحزن الولايات المتحدة وشعبها، وظلت مدينة نيويورك أياماً يخيم عليها الحزن والأسى، وقد كلفني الملك بالاشتراك في الجنازة نيابةً عنه، وقمت بالمشاركة وقدمت التعازي للرئيس الجديد ولحرم الفقيد جاكلين كنيدي، ولم يرضَ الأمريكان عن تمثيلي لملك ليبيا، بل كانوا يتوقعون مجيء شخصية كبيرة من ليبيا لمشاركتهم أحزانهم، ولم يلفت أحد انتباه الملك بأنه كان يجب تكليف ولي العهد، أو رئيس مجلس النواب، أو رئيس الوزراء، للمشاركة في جنازة كنيدي، فجميع الدول أرسلت مندوبين من مستويات عالية، أو شارك رؤساء الدول شخصياً في الجنازة، ودُفن كنيدي بحضور المندوبين الأجانب، وعمّ الحزن الولايات المتحدة بأجمعها، فقفلت دور العرض أبوابها وكذلك الملاهي والمسارح وكل مكانٍ للترف واللهو، وكان الحزن ظاهراً على الجميع، فقد كان كنيدي محبوباً من شعبه الذي كان يتوقع منه إحداث الكثير

من التعديلات لصالحه، وتولى الرئيس الجديد جونسون في ذات اليوم الذي أُغتيل فيه كنيدي، وبعد أيامٍ قليلة سارت الحياة في أمريكا بشكلٍ طبيعي بدون كنيدي، إلا أنّ اغتياله ظل لغزاً معقداً لم يستطيعوا أو لم يريدوا حلّه.

وصل نيويورك، محي الدين فكيني، رئيس الوزراء للمشاركة في الدورة، وألقى كلمة ليبيا، وأقام حفلاً للوفود، ثم سافر إلى واشنطن حيث التقى بالرئيس كنيدي وكان ذلك قبل اغتياله، ثم عاد إلى نيويورك، وكان قد اتصل بنا (دين راسك) وزير خارجية الولايات المتحدة طالباً لقاء رئيس الوزراء محي الدين فكيني، والذي إعتذر عن مقابلته بحجة أنه قابل رئيسهم وبحث معه جميع القضايا المتعلقة بالبلدين، وهو عملٌ غير لائق ارتكبه فكيني عن جهل، فوزير الخارجية في أمريكا بمثابة رئيس وزراء في الدول الأخرى، وليس من اللائق أن يطلب رئيس وزراء أمريكا موعداً مع رئيس وزراء ليبيا والأخير يرفض مقابلته، وقد ساءني هذا العمل لأنه يشوه سمعتنا في نظر الأمريكيين. وكما استاء الأمريكيون من رفض مقابلة رئيس وزرائنا لوزير خارجيتهم واعتبروه عملاً مشيناً، إلا أنهم لم يقولوا شيئاً، وعاد فكيني مغتبطاً بما فعله وبنتيجة اتصالاته، إلا أن سكرتير كنيدي الخاص نشر في مذكراته أن الرئيس كنيدي استاء من زيارة رئيس وزراء ليبيا فكيني، وخاصة عندما طلب منه زيادة المساعدات الأمريكية في الوقت الذي أصبحت فيه ليبيا دولة بترولية.

بدأت عملي في المنظمة الدولية بتعلم سير عملها، وكيفية معالجة القضايا المطروحة، وتعاون الوفود مع بعضها، وطريقة التصويت، وتكتل الوفود، وإعداد مشاريع القرارات، وغيرها.

واستقرت أوضاعنا في نيويورك، وبدأت البعثة في القيام بواجباتها كاملة، وقد زُودت بعددٍ من الموظفين بينهم عيسى البعباع، وإبراهيم الضراط، ومنصور الكيخيا، الذين طلبتُ منهم جميعاً الاستعداد للإلتحاق بالجامعات الأمريكية من أجل الحصول على درجة الماجستير، وقد قاموا بمجهودٍ جبار لإنجاح أعمال البعثة ومساعدتي في مهامي، كما تبوأوا بعد ذلك مناصب هامة لدى عودتهم إلى ليبيا.

في أوائل شهر يوليو عام 1964م، وصلتني برقية من حسين مازق وزير الخارجية يدعوني فيها للمشاركة في مؤتمر القمة الأفريقي الذي سيُعقد في القاهرة، في الوقت الذي وصلت

فيه الدول الأفريقية قمة مجدها، إذ استقل معظمها وانضمت للأمم المتحدة. فسافرت إلى بنغازي ومنها رافقت وزير الخارجية إلى القاهرة للمشاركة في المؤتمر، وعُقد المؤتمر في القاهرة على مستوى وزراء الخارجية، وبُحثت المشاكل المطروحة ومن بينها مساهمة الدول في ميزانية المنظمة وفي ميزانية المقاتلين الأفارقة، وقد إقترحت ليبيا أن تكون المساهمة وفقاً لمساهمة الدول في الأمم المتحدة،وهو الاقتراح الذي تبناه الرئيس عبد الناصر فيما بعد وقدمه للمؤتمر الذي وافق عليه. وقد انقسمت الدول الأفريقية على نفسها ما بين دولٍ اشتراكية ويمينية، وانعكس هذا الوضع على إجتماع القاهرة، فكانت الخلافات بين النقيضين ظاهرة، وكانت مصر تشجع الجانب اليساري، كما دارت نقاشات حادة حول مساهمة كل دولة في ميزانية المنظمة وفي بند مساعدة الافريقيين المقاتلين، وكان النقاش حاداً في مؤتمر وزراء الخارجية، حتى أنهم ظلوا يعملون إلى الساعة الثالثة صباحاً، وكانت تونس تتودد كثيراً للدول الأفريقية باعتبارها الأقرب إلى قلوبهم، بينما يفتر حماسها عندما يطرح العرب قضاياهم على المؤتمر.

أُفتتح المؤتمر يوم 17 يوليو، وكان يترأس الوفد الليبي ولي العهد الحسن الرضا، وكان حاضراً حسين مازق وزير الخارجية وجمعٌ من موظفي وزارة الخارجية، وقد ألقى الرئيس عبد الناصر الكلمة الرئيسية، فتحدث عن جهاد أفريقيا ضد الاستعمار وأشار إلى جهاد المغرب، والجزائر، وتونس، ومصر، وكينيا، وجنوب أفريقيا ضد المستعمر دون أن يشير إلى ليبيا وإلى جهادها الطويل ضد الاستعمار، فتأثرتُ من ذلك، فجمعت الوفد الليبي وقلت لهم يجب تغيير كلمتنا والتركيز على جهادنا، وفعلاً إستهلينا كلمتنا التي ألقاها الأمير الحسن ولي العهد بذكر جهادنا ضد إيطاليا على مدى عشرين عاماً، وما تكبدته إيطاليا من خسائر وما تكبده الشعب الليبي من تضحياتٍ خسر فيها نصف سكانه، وذكرنا مشاركة ليبيا إلى جانب القوات البريطانية لتحرير أراضيها، وقد أدرك الجميع أننا كنا نرد على جمال عبد الناصر، وكان يجلس إلى جانبي جومو كينياتا رئيس كينيا، فقال لي: لم نسمع بجهاد ليبيا إلا الآن، فلماذا لا تعملوا على نشر أنباء هذا الجهاد المشرّف؟ كما سألني بعض الرؤساء الأفارقة السؤال ذاته، وأجبتهم بأننا نفتقر إلى جهاز دعاية قوي كغيرنا من الدول، لأننا لا نؤمن بأن الدعاية هي كل شيء.

وكانت هذه أول مرة يجتمع فيها الأفارقة في بلدٍ عربي ويشعرون بالأخوة العربية وبقوة العلاقات التي تربط ما بين الطرفين، وكان المؤتمر ناجحاً من حيث أغراضه، إذ وثّق حلقة

الترابط بين الأفارقة والعرب. وعند عودتي إلى ليبيا استدعاني رئيس الوزراء، وقال لي: إن السفير الإيطالي محتجٌ على الكلمة التي أُلقيت في المؤتمر الأفريقي الذي عُقد في القاهرة، والتي ذُكر فيها أن الشعب الليبي فقد نصف سكانه خلال الاستعمار الإيطالي، فقلت له يجب أن يطلب من السفير الإيطالي زيارتي لكي أوضح له الأمر، وفعلاً زارني السفير مبدياً احتجاج إيطاليا على كلمتنا التي أُلقيت في القاهرة، فتحدثتُ إليه وقلت له: إن عدد سكان ليبيا وقت الاحتلال الإيطالي كان يصل إلى مليون نسمة وفقاً للمصادر الإيطالية والمصادر التركية، فوافقني السفير على ذلك، ثم قلت له في عام 1936م بعد نهاية الثورة، أجرت الحكومة الإيطالية إحصاءً دقيقاً للسكان ظهر فيه أن سكان ليبيا بأجمعها يتجاوزون سبعمائة ألف نسمة بقليل، وقلت للسفير أنه إذا راعينا الزيادة الطبيعية للسكان فنجد المليون نسمة الموجودين وقت الاحتلال، من المفروض أن يصبحوا مليونيّ نسمة بعد خمسةٍ وعشرين سنة من الاحتلال الإيطالي لا أن يكونوا سبعمائة ألف نسمة، فسكت السفير وغيّر الموضوع ثم استأذن وذهب. وقد سررتُ كثيراً لاستدعائي لحضور المؤتمر والمشاركة في أعماله.

عُقد مؤتمر القمة العربي في القاهرة، فشارك فيه رئيس الوزراء فكيني نيابةً عن الملك الذي شارك في مؤتمر القمة الذي سبقه، وساهم المدرسون المصريون في غسل رؤوس الطلبة ودفعهم إلى التظاهر، وفي مظاهرة احتجاجية على عدم مشاركة الملك في مؤتمر القمة العربي، اشتبك الطلبة مع الشرطة التي أطلقت عليهم النار فقتلت اثنين منهم، وكان هذا أول حادث من هذا النوع يقع في ليبيا الهادئة ويثير ضجة بين أفراد الشعب، وحدث هذا في الوقت الذي كان فيه رئيس الوزراء محي الدين فكيني متغيباً في مصر للمشاركة في مؤتمر القمة العربي، وعندما عاد من القاهرة وعلم بالأحداث، طلب مقابلة الملك ليطالبه بإقالة محمود بوقويطين مدير الشرطة العام، ولا ندري ما دار بينه وبين الملك من حديث، إلا أن الزيارة انتهت بأن طلب منه الملك تقديم استقالته وهو الذي لم يمض عليه في الحكم سوى أشهرٍ قليلة، وقد توقع الناس عند توليه الوزارة أنه لن يُعمّرَ طويلاً لأنه غيرُ مستعدٍ للتعامل مع الأوضاع القائمة في ليبيا، وكان يعتقد أنه رئيس وزراء بمعنى الكلمة، يقرر ما يشاء، ويفعل ما يشاء، وكانت صدمة قوية أصيب بها فكيني إذ كان يهيئ نفسه لحكم ليبيا لعدة سنوات، ويُدخل عليها عدة تطورات إصلاحية حديثة، وقد إنزوى فكيني في مزرعته ولم يعد

يظهر أمام الناس إلى أن توفاه الله.

وكان على الملك الخيار بين الاثنين فضحى بالحكومة وبرئيسها، وأبقى على محمود بوقويطين الذي بيده أمن ليبيا وسلامتها، فمحمود بوقويطين من العناصر القوية في ليبيا، وهو يترأس قوة دفاع برقة ويدين للملك بالطاعة العمياء، وكان من المعروف أن حكومة فكيني لن تدوم لأنه سرعان ما ستصطدم بالواقع، وقد عزّ على الكثيرين استقالة حكومة فكيني التي كانت تُعلق عليها الآمال، لأنها تتكون من رئيسٍ شاب ومثقف ومن مجموعة من الشبان المثقفين، وكان يخشى الناس بعد ذهاب فكيني أن يعود الملك إلى الرؤساء القدامى، وفعلاً، فقد كُلف محمود المنتصر برئاسة الوزارة، وأُسند إلى حسين مازق وزارة الخارجية، فاتخذت المعارضة من مقتل الطالبين ذريعةً للإحتجاج والمطالبة بمعاقبة المسؤولين.

وازدادت الحالة سوءاً، وتكونت بين الشباب خلايا شيوعية، وبعثية سورية، وبعثية عراقية، وناصرية، وقومية، وكانت هذه الخلايا تعمل بتوجيهٍ من الخارج، وتوزعت الاتجاهات وأصبحت قلة التي تفكر في مصلحة ليبيا، فغياب الأحزاب فتح الباب على مصراعيه أمام التدخلات الأجنبية ومطامعها، وتشجيع الشباب على معارضة الحكومة وانتقاد الوضع القائم، فالبلاد كانت تتطلب زعامة قوية تسيطر على الوضع وتضع حداً للتدخلات الأجنبية وتصون شبابها من الانحراف، غير أن هذه الزعامة لم تتواجد في ظل التغييرات الكثيرة للحكومات، والتي تتسبب في عدم الاستقرار وعدم سير البلاد في الاتجاه الصحيح، فغياب الأحزاب وعدم وجود زعامة قوية جعل الأمر يفلت من أيدي الحكومة ويشجع التنظيمات المعادية لها، هذا مع العلم بأن أكثرية الناس كانت مشغولة بالنشاط الاقتصادي الكبير وبجمع المال دون الاكتراث بما يجري في البلاد، إلا إذا مسّت الأحداث بمصالحهم.

وقد تكونت من الرأسماليين مراكز قوى مؤثرة بدأت تتدخل في قرارات الحكومة وفي سياستها، وهذه القوى لا تتحرك إلا إذا مُسّت مصالحها، فهي غير مكترثة بأوضاع البلاد أو بما يحدث فيها ما دام ذلك كان بعيداً عن المساس بمصالحها، وإلى جانب هؤلاء كانت هناك مراكز قوى أخرى لها تأثيرها على الأحداث وعلى الأوضاع.

إستقالت حكومة محمود المنتصر وكُلف حسين مازق بتشكيل الوزارة، وقد وصلتني برقية بتعييني وزيراً للخارجية في الحكومة الجديدة، ولا ندري سبب استقالة محمود المنتصر

بعد توليه الوزارة لأشهرٍ قليلة، وعلى الرغم من زوال سلطة الولايات، والتي أصبحت الحكومة الإتحادية وحدها المسيطرة على البلاد والمسيّرة لها كما تشاء، فأي مشاكل جديدة وقفت في وجه محمود المنتصر ودفعته إلى الاستقالة؟ فتغيير الوزارات بهذه السرعة وبهذه الطريقة لا يبشر بخير، وإنما يبشر بعدم الاستقرار والفوضى والارتباك في الدولة، ولا ندري من وراء الملك في دفعه إلى إقالة الوزارات بهذا الشكل المحموم؟ وفي الحقيقة لم يعجبني نبأ تعييني وزيراً للخارجية لأني كنت مرتاحاً في نيويورك وأقوم بعملي على أكمل وجه، ولي صلاتي وأصدقائي الذين أصبحت أعتز بهم، وقد أحببت عملي في الأمم المتحدة كما أحببت الإقامة في نيويورك، وكنت قد ألحقت أولادي في المدرسة الدولية وكانوا سائرون فيها على ما يرام، فذهابي إلى ليبيا معناه الاستعداد لحياةٍ جديدة ومواجهة تغيير مدارس الأولاد، وبما أن منصب وزير الخارجية يعتبر منصباً كبيراً، فاختياري لهو دليلٌ على ثقة رئيس الوزراء في شخصي.

وكان الوضع الداخلي في ليبيا مضطرباً، والعلاقات مع مصر متوترة بسبب مقاطعة ألمانيا، وقد حدثت تخريبات في حقول البترول ووُزعت مناشير تهدد بمزيدٍ منها، وكانت ألمانيا قد وعدت إسرائيل بدفع التعويضات لأهالي ضحايا المحرقة، أما عبدالناصر فكانت لديه مشاكل مع ألمانيا، فما كان منه إلا أن أثار مشكل ألمانيا وإسرائيل في اجتماع الجامعة العربية في القاهرة الذي كان على مستوى رؤساء الحكومات، واقترح جمال منع ألمانيا من دفع التعويضات لإسرائيل، كما طلب من المجتمعين إتباع قرارات ثلاثة، وهي أولاً سحب السفراء العرب من ألمانيا، ثم المقاطعة الإقتصادية، وبعدها المقاطعة السياسية، إذا لم تتوقف ألمانيا عن دفع التعويضات لإسرائيل، فوافقت الدول العربية على مقترحات عبدالناصر باستثناء المغرب، وتونس، وليبيا التي تحفظت على القرارات.

وكانت ليبيا أضعف البلاد الثلاث التي عارضت مصر، فقربها من مصر، وتأثر سكانها بعبد الناصر، وتأثيره الكبير على الشعب الليبي، ووجود عدد كبير من المدرسين في المدارس الليبية، فكان من الخطأ معاداة مصر وليبيا لا تقوى على مخالفتها، فهاجمت الصحافة المصرية ليبيا ورئيس وزرائها، كما اتهمت حكومتها بالخضوع للتأثير الأجنبي، وقامت إذاعة صوت العرب بدورها في التهجم على ليبيا، ومخاطبة شعبها ودفعه إلى التحرك لصيانة حقوقه، وأوعزت مصر إلى عملائها في ليبيا بالتحرك، فقاموا بتوزيع المنشورات المعادية،

وبتحريض الناس على الثورة، وبالتهديد للقيام بأعمال تخريبية، وقد قامت أيدي مجهولة مستندة على مصر بالطبع بحرق بعض المنشآت البترولية، وكان للحادث وقعه السيئ والمؤلم لأنه ينذر بدخول ليبيا في مرحلة جديدة لا تستطيع احتمالها، وامتعض أغلبية السكان والحكومة من الحادث وتألموا لوقوعه، فلأول مرة منذ استقلال ليبيا تحدث فيها أحداث عنف كحادث حرق منشآت البترول.

عودتي للعمل في ليبيا

وصلت إلى ليبيا لاستلام منصبي الجديد تاركاً أسرتي في نيويورك، فقابلني رئيس الوزراء مقابلة حسنة وأقام على شرفي حفل غداءٍ فاخر، وانتقلت معه إلى بنغازي حيث أقام حفلاً على شرفي ضم كبار الموظفين وأعيان البلاد. وقد وجدتُ في البلاد وضعاً مضطرباً، فالمنشورات توزع وتهدد الحكومة بالويل وبإحداث تفجيرات أخرى بالمنشآت البترولية، وعرف الجميع مدى عجز الحكومة عن حماية مصادر ثروتها وأمنها، فالعملاء يتجولون في البلاد بحريةٍ ويفعلون ما يروق لهم، وبدأ الناس يخشون على أمن بلادهم وعلى ثرواتها التي منحها الله لهم، كما وجدتُ منشورات تتحدث عن تهديدٍ بنسف وزارة الخارجية والبرلمان ومؤسسات حكومية أخرى، وكان الأمن الليبي عاجزاً عن معرفة من وراء المنشورات ليضع حداً لها.

أُفتتح مجلس الأمة في شهر مايو عام 1965م وكان يخيم عليه الخوف والقلق، وبعد الانتهاء من افتتاح المجلس عاد الملك إلى قصره واستدعاني فذهبت إليه، ووجدت في معيته محمود المنتصر، وحسين مازق، وطلب مني الملك حضور اجتماعات رؤساء الحكومات العربية المقبل في القاهرة يوم 15 مايو عام 1965م نيابةً عن رئيس الحكومة، فوافقت على الطلب مشترطاً عودة السفير الليبي من بون إلى طرابلس وحرية التصرف خلال وجودي في القاهرة، وكذلك حرية الاتصالات التي سأقوم بها، فقبل الملك شروطي وأمر باستدعاء السفير الليبي من بون، وقررت السفر إلى القاهرة لحضور اجتماعات مجلس رؤساء الحكومات العربية مصطحباً معي أعضاء مجلس الدفاع المشترك، وهم رئيس الأركان العامة نوري الصديق، ووزير الدفاع عبد السلام بسيكري، وعدداً من موظفي وزارة الخارجية.

مهمتي السياسية في مصر

سافر الوفد الليبي إلى القاهرة، وكنا نتوقع معاملة سيئة من المصريين إلا أن الشعب المصري أثبت أنه صاحب حضارة، فقد صعد إلى الطائرة وزير المواصلات للترحيب بنا في مصر، وعندما نزلنا من الطائرة وجدنا طابور شرف فاستعرضناه، وذهبنا في موكب رسمي إلى الفندق حيث التقيت بالقائم بأعمال سفارتنا خليفة المنتصر، فأعطاني صورة قاتمة عن

الوضع وعن الموقف تجاه ليبيا، فقد قال لي بأن الحكومة المصرية غاضبة لاتخاذ ليبيا موقفاً مضاداً لها إلى جانب المغرب وتونس، وفي الصباح ذهبت إلى مكان انعقاد المؤتمر فوجدتُ حسونة باشا (أمين عام الجامعة العربية) وهو رجلٌ فاضلٌ تولى سابقاً وزارة الخارجية المصرية، ويتولى الآن بجدارة أمانة الجامعة العربية كما أنه صديق حميم، فأحطته علماً بموضوع الخلافات بيننا وبين مصر، وأخبرته بأن القرار الأول الذي وضعه عبد الناصر وهو سحب السفراء العرب، قمنا بتنفيذه وسفيرنا في بون موجود الآن في طرابلس. وحسونة باشا كان رجلاً متفهماً للأمور إذ قال لي: إن عليك أن تلتقي بزكريا محي الدين رئيس المؤتمر وأنا سأقوم بأخذ موعدٍ لك معه، وبالفعل قابلت السيد زكريا محي الدين في اليوم ذاته وشرحت له الوضع وقلت له: إننا سحبنا سفيرنا من بون وانتهى الأمر، فاستمع إليّ باهتمام، وكان رجلاً فاضلاً معتدلاً معروفاً باتزانه ورجاحة عقله بين أعضاء مجلس قيادة الثورة المصري، فوعدني خيراً وقال لي إنه سيعمل على عقد لقاءٍ بيني وبين الرئيس عبد الناصر في أقرب وقت لكي أشرح له موقف ليبيا، وهو سيتفهم هذا الموقف.

بدأ المؤتمر أعماله في هدوء، وكان الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية يتحرك بين الوفود، مطالباً بمعاقبة تونس وإخراجها من الجامعة العربية بسبب ما قاله الرئيس بورقيبة خلال رحلته إلى الشرق، إذ قال إنه كان على الفلسطينيين أن يقبلوا بقرار التقسيم، فذهبت إلى الشقيري وقلت له أن يكف عن هذا العبث، لأن إخراج تونس من الجامعة العربية لن يفيد القضية الفلسطينية، وإنما سيلحق بها الضرر، لأن تونس ستكف عن مساعدتها وتأييدها لها، وسألته هل في استطاعة الفلسطينيين العودة إلى قرار التقسيم؟ فقال لي كلا، بل نحن متمسكون بعودة جميع الأراضي الفلسطينية إلى الفلسطينيين مهما كلفنا الأمر، وأفهمته صراحةً بأنه لو طلب خروج تونس من الجامعة العربية فإن ليبيا والمغرب والجزائر ستعارضه، فوعد بالكف عن ذلك، وكان الشقيري صديق قديم وعلاقتي به طيبة، وكان عندما يحضر اجتماعات الأمم المتحدة يتخذ من بعثتنا مكتباً له ويستعين بموظفينا لإعداد أعماله.

حدد لنا الرئيس عبد الناصر موعداً للقائه قبل نهاية انعقاد المؤتمر، فذهبت إليه وبصحبتي نوري الصديق، وعبد السلام بسيكري، ومحمود الخوجة سفيرنا في مصر، وقابلنا عبد الناصر في غرفة صغيرة وكان جالساً قبالتنا، وبدأت الحديث فقلت له: إن ليبيا شقيقة

مصر الصغرى وعلاقات البلدين مستمرة منذ قديم الزمن، وعندما احتلت إيطاليا ليبيا هبّ الشعب المصري بكامله يقدم الأموال والسلاح والرجال إلى المجاهدين، ولم تتوقف المساعدات المصرية عن المجاهدين طيلة حرب عمر المختار التي دامت عشر سنوات، وقبل استشهاد عمر المختار عثر الإيطاليون على مجاهدٍ ليبي قتيل قرب الحدود، وبحوزته رسائل مرسلة من عمر المختار إلى وجهاء وزعماء مصريين يطلب منهم العون والمساعدة، ونحن لا ننسى وقوف مصر إلى جانبنا بعد الاستقلال إذ زودتنا بمئات المدرسين، والمهندسين، والقضاة الذين كنا نفتقر إليهم، فالدولة الليبية عند قيامها تطورت بفضل جهود ومساعدة المصريين، والآن عندما ضُغط علينا لمقاطعة ألمانيا شعرنا بالخطر على اقتصادنا، لأن معظم بترولنا يصدر إليها ولذلك تحفظنا على قرار المؤتمر، وتحدث عبد الناصر فقال: نحن لم نطالب بالمقاطعة الاقتصادية وإنما بسحب السفراء، فأجبته بأنني قبل مغادرتي بنغازي قد أمرت بعودة سفيرنا من بون وهو الآن موجود في ليبيا، فقال عبد الناصر: مادمتم سحبتم سفيركم فليس هناك مشكل، وأضاف عبد الناصر بأنه لا يملك أزراراً سحرية يدوس على زرٍ فتقع ثورة في بلدٍ ما، ويدوس على زرٍ ثاني فيقع إنقلاب في بلدٍ آخر، ويدوس على زرٍ ثالث فيقع إنفجار للبترول في بلدٍ ثالث، وكان واضحاً أنه أراد أن يشعرنا بأنه قادر على ذلك، وعبد الناصر لا يميل إلى ليبيا ولا إلى أوضاعها وظل دائماً بعيداً عنها، فعندما كان الملك عام 1953م في القاهرة، كان يزوره اللواء نجيب باستمرار كما زاره أعضاء مجلس قيادة الثورة، إلا أنني لم أرَ عبد الناصر يزور الملك ولو لمرة واحدة، ولا ندري سبباً لهذه الكراهية، فالقواعد الأجنبية عندما شرعت الحكومة الليبية بالمطالبة بإبعادها قال عبد الناصر لحسين مازق وزير الخارجية: لماذا تضغطون على الأمريكان في موضوع القواعد؟ ومع ذلك فقد كان عبد الناصر زعيماً عظيماً استطاع أن يخلق لمصر موقعاً جديداً، وأن يبعث في البلاد العربية روح الوحدة والعمل المشترك لصالح الجميع، فلعبد الناصر الفضل في تشجيع الدول العربية على معاملة أوروبا وأمريكا معاملة الند للند وعدم الخوف منها، كما كان الوضع في السابق، واتخذ من القضية الفلسطينية حجةً لجمع شمل الدول العربية وتوحيد كلمتها إزاء الدول الغربية، غير أن بعض الدول العربية تمسكت بعلاقاتها بأمريكا وأوروبا ولم تصغِ لما كان يريده عبدالناصر، ومع ذلك كانت جميع الدول العربية تهابه وتحترمه وتحاول إرضاءه.

وخرجنا بعد اجتماعنا بعبد الناصر ونحن مطمئنون بأن المشكل قد انتهى وعادت الأمور إلى طبيعتها، إلا أنه انتابني شعور بأن عبد الناصر لا يميل إلى ليبيا إذ خلال حديثنا الطويل لم يذكر ليبيا بكلمة طيبة، وعندما وقع زلزال المرج عام 1960م، والذي ذهب ضحيته ألف شخص ودُمرت مدينة بكاملها، أرسلت أوروبا المساعدات وكذلك فعلت المغرب، وتونس، والجزائر، ولم يصلنا شيئاً من معظم الدول العربية ومصر من بينها، فقد أبرق إلينا الرئيس عبد الناصر يقول: إن إمكانيات مصر تحت تصرفنا فلنطلب ما نريد. ولم نطلب شيئاً ولم يرسل شيئاً، كما سبق وذكرت.

وبعد خروجنا من لقائنا مع الرئيس عبد الناصر ذهبت إلى مقر المؤتمر وكان يوم جمعة لا عمل فيه، فالتقيت بالسيد زكريا محي الدين الذي قال لي: إن مسجداً قد أُعد في الجزيرة لصلاة الوفود العربية، وأضاف قائلاً: إني ذاهبٌ إليه، ودعاني لمرافقته، ثم اصطحبني في سيارته ونزلنا أمام المسجد حيث كان رجال الإعلام ينتظرون، وقد أذاع راديو القاهرة في نشرة أخبار الساعة الثانية والنصف خبر وصول زكريا محي الدين إلى المسجد وبصحبته وزير الخارجية الليبي، فعندما استمع الليبيون إلى النشرة أدركوا أن الأمور أصبحت على ما يرام وأني قد نجحت في مهمتي.

عندما عدنا إلى بنغازي وجدنا عدداً كبيراً من الناس في استقبالنا، وقد عبروا عن سرورهم لحل المشكل بيننا وبين مصر وزوال الغمة التي كانت مخيمة على البلاد، وكان الناس يخشون استمرار الأزمة واستمرار التهديد المصري، أو القيام بانفجارات أخرى وبأعمال تخريب لإرباك البلاد والمساهمة في عدم استقرارها.

في أواخر الستينيات أرسل عبد الناصر أحد مستشاريه إلى الملك يطلب منه المساعدة، فجمع الملك مجلس الوزراء وسألهم عن رصيد الدولة، فقالوا له عشرون مليون جنيه، فقال لهم: أعطوا عبد الناصر عشرة ملايين جنيه، وسُلم المبلغ إلى المندوب المصري الذي عاد به إلى القاهرة، وفي هذا دليل على نوايا ليبيا الحسنة تجاه مصر ومحاولة إرضائها بقدر الإمكان.

عندما عدت إلى ليبيا كنت قد تركت عائلتي في نيويورك، وكانت الجمعية العامة قد بدأت أعمالها، فقررت السفر إليها لحضور الاجتماعات والعودة بأسرتي، وفعلاً شاركت في أعمال الجمعية العامة، وألقيت كلمة ليبيا، وأجريت بعض الاتصالات، والتقيت بأصدقائي

من السفراء العرب ومن الأمريكيين، فأكرموني وأقاموا لي الحفلات، وجاءني (أدلاي إستيڤنسون) المرشح السابق للرئاسة يحمل معه رسالة من الرئيس جونسون يهنئني فيها بتولي وزارة الخارجية، ولم أذهب إلى واشنطن للإتصال بالمسؤولين الأمريكيين، وكانت أسرتي قد إستعدت للسفر فغادرنا نيويورك إلى ليبيا.

انقلاب الجزائر

غادرنا نيويورك في طريقنا إلى الجزائر حيث يُعقد مؤتمر القمة الأفريقي الآسيوي يوم 15 يونيو، على أن يسبقه انعقاد مؤتمر لوزراء الخارجية، وتوقفت الطائرة في مدريد، فأخبرني سفيرنا، محمد السمين، بأن انقلاباً وقع في الجزائر أطاح، ببن بلا، وجاء، بهواري بو مدين، فقررنا أن يواصل الأولاد رحلتهم إلى طرابلس في حين أنزل أنا في الجزائر، فوجدت في استقبالي وزير الخارجية بوتفليقة الذي صحبني إلى قاعة التشريفات حيث انشغلنا بالحديث، وعلمت بعد ذلك بأن بوتفليقة علم بوجود عائلتي على متن الطائرة المتوجهة إلى طرابلس فأمر بإنزالها لاستضافتها، وأصدر أمراً بنقل عائلتي إلى دار الشعب حيث لحقت بها، وقد أعدّت لنا الحكومة الجزائرية رغم ظروفها الصعبة ڤيلا في الضواحي وسيارة وخدم، وأمضى الأولاد وقتاً طيباً في هذه الڤيلا لمدة خمسة عشر يوماً.

كانت الوفود تجتمع كل يوم في فندق (أليّتي)، ويتساءلون متى يُعقد الاجتماع الذي كانت الحكومة مصرة على عقده، وكان ممثلو الدول المشاركة منقسمين على أنفسهم بين محبذٍ لإقامة الاجتماع وبين رافضٍ له، أما مصر فكانت على رأس الدول التي لا تريد اجتماعاً للمؤتمر لأنه يعطي قوةً ونفوذاً للفئة التي أطاحت ببن بلا، والتي استولت على مقاليد الحكم مكانه، وكان (شوان لاي) وزير خارجية الصين من بين الحاضرين، وقد وجدت الحكومة الجزائرية صعوبة في عقد المؤتمر فقررت تأجيله، وغادرت جميع الوفود مدينة الجزائر، وتبعاً لذلك لم يحضر أحد من رؤساء الدول هذا الاجتماع.

إستقبلني الرئيس بومدين في مكتبه وحدثني عن الأوضاع التي تسببت في حدوث التغيير، وقال: إن بن بلا كان دكتاتوراً ولم يراعِ مصالح الجزائر. فبومدين كان واثقاً من نفسه ومقتنعاً بأن ما فعله هو الصواب، وعندما علم أني أحضرت أسرتي معي، أمر بإعطائنا



استقبال وزير خارجية ليبيا وهبي البوري بمطار الجزائر، في الوسط السيد وهبي البوري وإلى يساره السيد عبد العزيز بوتفليقة وزير خارجية الجزائر وشخصيات جزائرية، وإلى يمينه السيد عبد المنعم رفاعي وزير خارجية الأردن والسيد حسين الغناي والسيد شمس الدين عرابي.

إحدى الڤيلات المخصصة للرؤساء، ثم قابلت بوتفليقة فقال: إن الجماعة كانوا يريدون أن يتعشوا بنا فتغدينا بهم، أي أن بن بلا كان يدبر مكيدة لبومدين فسبقه الأخير وأطاح به، ولم نجد أي صدى للأحداث الخطيرة التي وقعت في الجزائر بين أفراد الشعب الجزائري، فقد كان الهدوء يخيم على البلاد والأمور تسير وفقاً لطبيعتها، ولا يشعر الإنسان بأنه وقع تغيير خطير في نظام الحكم.

وقال لي بوتفليقة: إن اختيار (بن بلا) تم بواسطتي إذ طلبت مني لجنة التحرير قبل الاستقلال السفر إلى فرنسا والاتصال بالزعماء الخمسة المسجونين فيها والاطـلاع على أحوالهم ومعرفة من هو الأصلح لقيادة البلاد، فسافرت إلى فرنسا، وزرت الزعماء في سجنهم وتكلمت معهم، وتحدثنا طويلاً عن مستقبل الجزائر ونظام الحكم، ثم غادرتهم مقتنعاً بأن بن بلا هو أصلحهم لقيادة البلاد، فأخبرت اللجنة بذلك، ولكنها طلبت مني العودة إلى فرنسا مرةً أخرى والاجتماع بالزعماء المسجونين للتأكد من قراري، فسافرت إلى باريس واجتمعت للمرة الثانية بالزعماء، فتأكدت أن بن بلا هو أصلحهم للرئاسة.

لم أعرف الرجلين ولكن يبدو أن الغيرة لعبت برأس بومدين الذي كان يسيطر على الجيش فقام بالإنقلاب، ولاشك أن هذا التغيير المفاجئ في دولةٍ لم يمر على استقلالها أكثر من عامين سوف يؤثر على مستقبلها تأثيراً سيئاً، فالشعب الجزائري ضحى بالعديد من أبنائه في حرب الاستقلال، وقام ببطولاتٍ نادرة في هذا الصدد، وفاز باستقلاله بعد عدة سنوات من الصراع الدامي، ونحن نخشى على الجزائر أن تدخل في دوامة الأحداث التي مرّت بها البلاد العربية، والله يجنبها كل شر.

غادرنا الجزائر في طريقنا إلى ليبيا، ووصلنا البيضاء وبقينا فيها، وأُعطيت سكناً جميلاً، وأحاطني رئيس الوزراء بلطفه وكياسته المعهودة، إلا أنني وجدت الأوضاع كما هي، ولم يتغير شيئاً فيها، فالشباب كان مندفعاً نحو الجمعيات السرية العربية، وموزّعاً على هذه الأحزاب في بنغازي وطرابلس، وكلٌ من هذه الأحزاب يعمل من أجل حدوث إنقلاب في البلاد لصالح الحكومة التي يمثلها، وكانت الحكومات الليبية المتتالية غير قادرة على ملاحقة الأوضاع والقضاء على هذه الحركات المعادية، فقد كان الإعلام ضعيفاً وفاشلاً ولا يؤدي المطلوب منه، والمسؤولون عنه غير أكفاء وغير قادرين على القيام بالمهمة، كما كان مجلس

الوزراء أعلى سلطة في البلاد لا يعرف شيئا عمّا يحدث، ولا تُعرض عليه مشاكل البلاد الداخلية أو الخارجية، فقد كانت هذه المشاكل تُبحث ما بين رئيس الوزراء والملك ولا يطّلع عليها مجلس الوزراء، الذي كانت مهامه منحصرة في مراجعة القوانين والمسائل العادية.

الأوضاع في ليبيا

توفي محمود بوقويطين وهو الرجل القدير الذي كان يسيطر على أمن البلاد، وخلفه (مفتاح بوشاح) وهو مجاهدٌ قديم ورجلٌ طيب، ولكنه كان غير كفءٍ لتولي رئاسة الأمن العام في ليبيا، وكان ضباط الجيش قلقين وغير مرتاحين وينتظرون التغيير، أما مجلس النواب فكان على وفاقٍ مع الحكومة ويقضي وقته في مراجعة القوانين، بينما كانت المعارضة فيه قوية ونشطة، وتقدم بين الحين والآخر استجوابات تُحرج الحكومة وتنتهي باتفاق الطرفين، وكان بعض النواب يتنافسون للحصول على بعض خدمات البترول التي كانت بعض الفئات تمارسها وتتقاسم الأرباح مع مدراء الشركات، ومن جهةٍ أخرى، فالحكومة كانت حكومة أبوية تريد الخير للشعب وتعمل على النهوض به إقتصادياً، وإجتماعياً، وثقافياً، إلا أن احتياجاته كانت كثيرة والإمكانيات محدودة، ولا أُنكر أن بعض رجال الحكومة كانوا متورطين مع شركات البترول ويجنون الأرباح الطائلة، وقد عملت الحكومات الليبية في حدود إمكانياتها على النهوض بالبلاد وإعمارها وإصلاح الخراب والدمار الذي كان قد حل بها، فبنت الطرق، والكباري، وأصلحت الموانئ، والجمارك، وأقامت المدن الرياضية، والمساكن لمن لا سكن له، وقررت بناء مئة ألف وحدة سكنية خلال خمس سنوات، وشيدت المستشفيات في جميع أنحاء ليبيا، والمدارس، والجامعات، وأظهرت البلاد في مظهر حضاري من حيث نظامها، وخدماتها، وإجراءاتها، واهتمت الحكومات بصورةٍ خاصة بالتعليم الذي كانت محرومة منه البلاد، فأسست المدارس في كل مكان، وجلبت أعداداً كبيرة من المدرسين من مصر، وأنشأت الجامعة الليبية عام 1955م، وزودتها بخيرة الأساتذة المصريين، وخصصت منحاً دراسية لجميع طلاب الجامعة والمدارس الداخلية، وشيدت المدن الرياضية للشباب، وبثت الروح الرياضية في البلاد، وبدأت ترسل بعثات من الطلبة إلى أمريكا وأوروبا للدراسة، وساهمت في جميع النشاطات الدولية التي كانت تدعى إليها، وقد شعر الشعب الليبي بالراحة والهدوء والرخاء بعد سنين طويلة من الفقر والمعاناة، وبدأ دخل البترول يؤثر

في حياة الناس وفي أعمال الدولة، فزيدت الرواتب، ونشطت التجارة والصناعة، وتكونت شركات كبيرة للوطنيين، وأقبل الناس على السفر إلى الخارج إما لنشاطٍ تجاري أو للترفيه، وغطى الرخاء الاقتصادي على العوامل السياسية التي كانت تشغل الناس، وأصبح الجميع مهتم بتحسين الأوضاع الاقتصادية في هذه الفترة.

وظلت قضية القواعد الأجنبية تشغل الحكومة والشعب وخاصةً بعد أن أصبح للدولة دخل يغنيها عن المساعدات الأجنبية، وبدأ عبد الناصر يثير هذا الموضوع إذ لكلامه صَداه في نفوس غالبية سكان المدن من الشعب الليبي، أما أوضاع البلاد فكانت بصورة عامة مستقرة وهادئة، إلا أن النار كانت تشتعل تحت الرماد، وطبقات كثيرة من الشعب متأثرة بسياسة مصر وغير راضية عن سياسة الحكومة المعتدلة، وكان ضعف الحكومة وضعف إعلامها من العوامل التي أدت إلى هذا الوضع، وحسين مازق رجلٌ ذو أخلاق عالية معتدل وواثق من تصرفاته ولا يميل إلى العنف أو استعمال القوة، وقد حكم برقة عشرة أعوام فلم يحدث فيها أي مكروه. وعندما اشتعلت حرب عام 1967م، بين إسرائيل، ومصر والأردن وسوريا، كان صداها في ليبيا فظيعاً، فقد تأثر الناس وتحرك المشاغبون والمعارضون لإحداث اضطرابات في البلاد، ففي بنغازي أرادوا الاعتداء على القواعد البريطانية إلا أن الشرطة أوقفتهم عند حدهم، فعمدوا إلى إحداث بعض الحرائق، وفي طرابلس كان الوضع أشد وأعنف فقد اعتدوا على اليهود، وقام ضابط شرطة بأخذ ثلاثة عشر يهودياً إلى غابة (جود دايم) وقتلهم جميعاً، وعمد آخرون إلى حرق المدينة بصب البنزين في المحال التجارية وحرقها، وانتشرت أحداث طرابلس حتى وصلت أخبارها إلى نيويورك، فقام أحد أعضاء الوفد الإسرائيلي وصرح في الجمعية العامة أن ثلاثة عشر يهودياً قتلوا في ليبيا، فاتصلنا بطرابلس لمعرفة حقيقة الخبر إلا أننا لم نجد من يؤكد لنا ذلك، فاكتفيت بتكذيبه، وانتظرنا مزيداً من المعلومات من ليبيا ولكن ما من مجيب، وعجزت الحكومة في السيطرة على البلاد وإعادة الأمن إليها، فاستقالت حكومة حسين مازق وتولى الرئاسة عبد القادر البدرية المعروف بشدته، فاستطاع أن يعيد الأمور إلى نصابها وأن يحافظ على أمن البلاد، وكانت تجربة قاسية مرت بها ليبيا بسبب ضعف حكوماتها وتسيب الأمور، وكنت في نيويورك عندما وقعت أحداث ليبيا، وقد اتصل بي أحد مدراء شركات البترول وقال لي إنه وصل للتو من طرابلس، فطلبت منه أن يمر عليّ في مكتبي فجاءني وعندما سألته عن الأحوال في ليبيا قال: غادرت

بنغازي وهي تحترق، وغادرت طرابلس وهي تحترق، وفي إمكانك أن تستخلص النتائج.

في يوم 22 يوليو وقعت إنفجارات في ثلاث خزانات للبترول، وخُرب جهاز إطفاء الحرائق، وسبق الإنفجارات توزيع منشورات، وقد دل ذلك على أن الحكومة لم تتعظ من التفجيرات الأولى ولم تتخذ إجراءات أمنية صارمة حول منشآت البترول، فقد ظل التسيب والإهمال على ما كان عليه فوقعت الانفجارات الجديدة المعروف مصدرها وفاعليها.

أثبتت الحكومة عدم قدرتها على حماية أمن البلاد، وقد أُتهم بحدوث الإنفجارات عقيد سابق في الشرطة المصرية، والذي أُلقى القبض عليه وتم التحقيق معه وقدم للمحاكمة، وحُكم عليه بالسجن عدة سنوات دون أن تُذكر جنسيته خوفاً من ردود فعل مصر، فكان من الأحرى إستغلال الفرصة للتشهير بمصر وفضح أعمالها التخريبية في ليبيا ومساعيها لتغيير النظام القائم فيها، غير أن الحكومة ظلت خائفة ومترددة للقيام بأي عملٍ يمس مصر التي قد توقفت عن أعمال التخريب، إلا أنها جندت جزءاً من موظفيها العاملين في ليبيا للتجسس على الليبيين ورصد أفعالهم وأقوالهم، وهذا بالإضافة إلى العملاء الليبيين، فمصر كانت تعلم بأن أمريكا وبريطانيا لن تسمحا لها باحتلال ليبيا، غير أنها كانت تدبر في حدوث إنقلاب داخلي تعترف به وتضع الجميع أمام الأمر الواقع. وقد أُسند إلى شركة المقاولين العرب مهمة بناء شبكة مجاري في بنغازي، فجاءت الشركة بقرابة الألف عامل وجلهم من المجندين، وجاءوا ومعهم أسلحتهم يدخرونها لوقت الحاجة، وكان لمصر عيون في أغلب دوائر الحكومة وفي الأسواق، ولا أحد يعلم نوايا مصر من جميع هذه الاستعدادات التي تتخذها في ليبيا رغم وجود البريطانيين والأمريكيين، فهي كانت ترمي إلى ثورة داخلية تغير النظام وتأتي بنظامٍ موالٍ لها، وكانت هذه الفترة من أسوأ الفترات التي مرت بليبيا والتي لم تستطع الحكومة مواجهتها كما يجب، فالحكومة كانت مترددة في اتخاذ إجراءات صارمة ضد المخربين والعاملين على هدم ليبيا وتخريبها، ولقد كان في وفاة محمود بوقويطين خسارة كبيرة لأنه كان رجلاً يعرف كيف يحافظ على أمن البلاد وسلامتها.

مؤتمر القمة العربي في الدار البيضاء

تقرر عقد مؤتمر قمة عربي في يوم 14 سبتمبر عام 1965م في الدار البيضاء لبحث قضية فلسطين والأوضاع العربية المتردية، وقام الملك إدريس بإنابة ولي العهد لحضور المؤتمر وأن أترأس أنا الوفد الليبي الذي سيشارك في الأعمال، وكلفني الملك بالسفر قبل انعقاد المؤتمر، للإتصال بالملك الحسن وتقديم اعتذاره له لعدم مشاركته في المؤتمر، وكذلك بحث العلاقات الليبية المغربية معه، وكان الملك الحسن قد أرسل مندوباً خاصاً إلى ليبيا قابل الملك وسلّمه دعوة الملك الحسن لحضور الاجتماع.

كانت المغرب بدورها راغبة في الاستفادة من الوضع الاقتصادي الليبي، وخاصةً في مجال العمالة للتخفيف من عبء البطالة المتزايدة في بلادها، بالإضافة إلى العامل السياسي الذي يتمثل في طموح الملك الحسن في زعامة شمال أفريقيا بتعاونٍ وثيق ما بين تونس والمغرب وليبيا واستبعاد الجزائر، وهذا التعاون يزيد من قوة المغرب التفاوضية الدولية، وقد زار الملك الحسن الملك إدريس في طبرق زيارةً رسمية، وتباحث معه في مختلف المسائل المتعلقة بالمغرب العربي وخاصةً ما بين ليبيا والمغرب، واتفق معه آنذاك على اتخاذ موقفٍ موحد تجاه طلبات عبد الناصر بخصوص مقاطعة ألمانيا.

غادرت طرابلس يوم 6 سبتمبر عام 1965م بطائرةٍ خاصة تابعة لشركة إيطالية على رأس وفد يضم عبد السلام بسيكري وزير الدفاع، واللواء نوري الصديق رئيس الأركان، ومحمود الخوجة سفيرنا في القاهرة، ووكيل وزارة الأنباء، والمقدم مبروك طاهر عن وزارة الدفاع، ومن وزارة الخارجية فرج بن جليل، ويحي زكريا، وعددٌ من الصحافيين، ولدى وصولنا إلى مطار الرباط وجدنا في استقبالنا وزير الدفاع، ووزير الإعلام، وأحمد العلوي رئيس الديوان، ورجال سفارتنا وعدداً من الناس والصحافيين، وكان وزير الخارجية بن هيما على رأس المستقبلين، وقد أدليتُ بحديثٍ مناسب إلى الصحافة، وذهبنا بعد ذلك إلى الاستراحة الملكية حيث تناولنا طعام الغداء، وفي الساعة الرابعة زارني وزير الخارجية وبحثت معه المسائل التي سأبحثها مع الملك الحسن ومواضيع مؤتمر القمة.

وفي الساعة السادسة زارني أحمد العلوي وصحبني معه إلى القصر الملكي لمقابلة الملك الحسن الثاني، وكان أمام القصر طابور شرف لاستعراضه، واستقبلني عند مدخل القصر

الطيب بن هيما وزير الخارجية، كما استقبلني مدير التشريفات الذي صحبني إلى مكتب الملك، فوجدت الملك الحسن الثاني واقفاً في انتظاري، وحضر المقابلة أحمد عون سوف سفيرنا في الرباط، وبن هيما وزير الخارجية، وإدريس الحامدي رئيس الديوان، وقد إستغربت لوجود الملك واقفاً لاستقبالي إذ جرت العادة أن لا يقف ملك المغرب لزائر، وتذكرت الرئيس بورقيبة عندما دعته المغرب لزيارتها، فقد إشترط أن يقابله الملك وهو واقفاً على قدميه لا جالسا.

رفعت إلي الملك الحسن تحيات الملك إدريس وأطيب تمنياته وقمت بتسليمه الرسالة الملكية، واستهل الملك الحسن حديثه عن ليبيا وعن مكانتها لدى المغاربة، وعبّر عن شكره للملك على الحفاوة التي قوبل بها مبعوثه أحمد العلوي، ثم قرأ الرسالة التي تضمنت اعتذار الملك إدريس عن المشاركة في مؤتمر القمة، وكان الملك الحسن قد بعث إليه برسالةٍ مع أحمد العلوي يدعوه فيها إلى زيارة المغرب والمشاركة في مؤتمر القمة العربي، فالرحلة ستكون شاقة على الملك إدريس إذ سيقطع المسافة ما بين طبرق والدار البيضاء بالسيارة وصحته لا تتحمل هذا الجهد. ثم تحدث الملك الحسن عن تحسين العلاقات ما بين البلدين مؤكداً على العلاقات الاقتصادية والتجارية بينهما، وأشار الملك بصورةٍ خاصة إلى العمالة إذ قال بأن ليبيا في حاجةٍ إلى اليد العاملة الأجنبية والمغرب لديه فائض منها، وكان الملك الحسن من أقدر وأذكى الرؤساء العرب، فهو يريد الانفتاح على ليبيا للخروج من العزلة التي فرضتها عليه الجزائر، وقد وقع نزاع مسلح في بداية الأمر بين المغرب والجزائر، إلا أن الدول العربية تدخلت وأوقفت القتال، وعلاقة المغرب بالبلاد العربية ضعيفة بالنسبة لعلاقته بأوروبا التي لا يستطيع الاستغناء عنها. واتفقت مع الملك على توقيع اتفاقية للعمالة مابين الطرفين، فوقعتها مع بن هيما بعد استشارة حكومتي، وظلت هذه الاتفاقية حبراً على ورق لأن العمال المغاربة لم يذهبوا إلى ليبيا، وليبيا لم تطلب عمالة مغربية، وقد عقد الملك الحسن مؤتمر القمة العربي في بلاده لإعطاء المغرب دوراً في القضايا العربية، إذ كان دائماً منعزلاً عنها، فالملك الحسن طموح ويطمع في قيادة دول المغرب العربي باستثناء الجزائر، وهذا الطموح يؤكده له حسن علاقاته بتونس وبداية تحسن علاقاته بليبيا، أما ليبيا فتقف حائرة بين تكتل المشرق العربي والتكتل المغربي، وإن كان اتجاهها دائماً إلى الكتلة الشرقية التي تتزعمها مصر، وكانت الأخيرة لا تنظر بعين الرضا إلى توحيد المغرب إذ كانت تشجع

الجزائر على مواقفه العدائية من المغرب، فعبدالناصر كان لا يريد أي تكتل عربي بدونه، وكان نشاطه ونشاط أعوانه بادياً في أغلب الدول العربية، والدليل على ذلك موقفه من لبنان ومحاولته منع اتحاد العراق مع سوريا.

وفي يوم 9 سبتمبر بدأ وصول وزراء الخارجية، فزارني حسونة باشا أمين عام الجامعة العربية، وبحثت معه المواضيع المدرجة في جدول الأعمال، وكان متفائلاً بخروج الرؤساء العرب بنتائج طيبة، كما زارني كلاً من جورج حكيم وزير خارجية لبنان، وعبد الرحمن البزاز وزير خارجية العراق، وبحثت معهما المشاكل المحتملة، وعلمت بأن جهوداً قد بذلت لانضمام بورقيبة للرؤساء إلا أنه اعتذر عن المجيء ووعدنا بإرسال المنجي سليم نيابةً عنه.

وعندما وصل المنجي سليم أخبرنا أن بورقيبة لن يشارك في الاجتماع وأن بياناً بهذا الخصوص سوف يوجهه إلى المؤتمرين في الغد، والبيان يتضمن وجهة نظره ومفهومه للوحدة العربية وكذلك الأسباب التي تحول دون مشاركته في مؤتمر القمة، وقد دار جدلٌ طويل حول هذا البيان الذي طلبت تونس اعتباره وثيقة رسمية من وثائق المؤتمر، وبعد نقاشٍ طويل رفض وزراء الخارجية ذلك.

وتعددت طلبات الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وتهديداته في مؤتمر وزراء الخارجية والدفاع المشترك، فكان يطالب بوضع رسوم لصالح فلسطين على تذاكر دور الخيالة، والطيران، والسفر بأنواعه، وغيرها من الرسوم التي تفرضها جميع الدول العربية، كما طالب بنسبةٍ من قيمة صادرات البترول العربية لتمويل المنظمة الفلسطينية لتنفقها في محاربة إسرائيل وفي تكوين جيش فلسطيني وغير ذلك من النفقات، وعارض جميع الوزراء هذه الطلبات واتفقوا على تخصيص مبلغ مقطوع يحدده الرؤساء يُدفع إلى المنظمة، وكانت في الواقع صلاحيات وزراء الخارجية محدودة لأن المسائل الشائكة لا يحلها إلا الرؤساء، وكان الشقيري يتحرك ويتكلم كما لو كان هو سيد الاجتماعات، وقد أثار موضوع التنقل وطالب أن يكون له موكبٌ كباقي رؤساء الدول الأخرى، وتساءلت في نفسي، هل هذا الرجل يستطيع أن يترأس منظمة تريد أن تقاتل إسرائيل وتخرجها من فلسطين؟ وتذكرت بن بلا وفرحات عباس عندما كانا يأتيان إلى طرابلس ويسكنان في شقة متواضعة ولا يراهما أحد، ولا يزعجا أي نظام حكومة عربية بطلباتٍ غير السلاح وتسهيل مروره والمحافظة عليه،

ولم يهتم الزعماء الجزائريون أبداً بالمظاهر أو بالمزايا الأخرى، أو التدخل في شؤون الدول العربية، أو الانحياز لدولةٍ ضد دولةٍ أخرى.

بدأ الرؤساء في الوصول كما وصل ولي عهد ليبيا الأمير الحسن، وكما جرت العادة، تبادل الرؤساء الزيارات والتشاور ومحاولة حل الخلافات الكثيرة بين العرب، ابتداءً بالخلاف السعودي المصري، والخلاف العراقي السوري، والخلاف مع تونس، والصراع المستمر بين الثوريين والمحافظين، وانعكاسات الحرب الباردة على الأقطار العربية.

ووضعتُ للأمير برنامج زيارات للرؤساء والملوك، وبدأنا بالرئيس عبد الناصر، فاستقبلنا بودٍ وبشاشة وتحدث عن العلاقات بين البلدين، وأشار إلى اتهامات بورقيبة بأن مصر تريد السيطرة على العرب، وقال إن لدينا من مشاكل بلادنا ما يكفينا وما لا يسمح لنا بالتدخل في شؤون الغير، ونفى أن يكون شيوعياً، وقال: إن علاقتنا الوثيقة مع روسيا هي لمجرد إمدادها لنا بالسلاح في وقتٍ شحّ علينا فيه الغرب، وأعرب عن أمله في أن يسود التفاهم والوئام بين الدول والشعوب العربية.

في يوم 14 سبتمبر أُفتتح مؤتمر القمة بكلمات ألقاها الملك الحسن الثاني، والرئيس عبدالناصر، والأمين العام للجامعة العربية حسونة باشا، وجميعها تشير إلى الأخطار المحدقة بالأمة العربية والدعوة إلى التعاون والتفاهم، وأثار الشقيري موضوع البروتوكول الفلسطيني وطالب بالموافقة عليه بدون تحفظ، ودار نقاش حامي في هذا الخصوص إقترح على أثره الملك فيصل أن يقوم الشقيري بالتفاوض مع الدول المتحفظة على هذا البروتوكول. وقد ترأس الرئيس عبد الناصر هذا الاجتماع التمهيدي، ومن خلال النقاش بدأت سوريا تتهم العراق والأخير يبادلها الاتهامات، وعندما احتدت المواجهة بينهما إقترح المحجوب تأجيل الاجتماع ودعوة الملوك والرؤساء إلى اجتماعٍ سري يقتصر عليهم.

وعندما عاد المؤتمر إلى الاجتماع، كان هناك جوٌ ينبئ بوجود رغبةٍ في تجنب المهاترات والخلافات لإنجاح المؤتمر وتحقيق ما عُقد من أجله، ومن الطبيعي أن تحتل قضية فلسطين الصدارة في أعمال المؤتمر، وهي تحتاج إلى عملٍ إيجابي لا يمكن تحقيقه إلا إذا ساد التعاون والتفاهم بين الدول المجتمعة، وقد تحدث الرئيس عبدالسلام عارف رئيس العراق، فأشار إلى أن إيقاف الحملات الإعلامية التي وافق عليها الرؤساء ليست الوحيدة التي تهدد التضامن

العربي، فهناك أمور أخرى مثل توزيع المنشورات، والدس، والتدخل، والتحريض على الثورة ضد النظم القائمة، وقد تحدث أيضا الفريق أمين الحافظ، فأشار بدوره إلى تضامن البلدان العربية في مواجهة المحن التي تواجهها، ومن خلال هذا النقاش أُقترح وضع ميثاق عربي وكُلف المحجوب بوضع صيغته، وتمت الموافقة على صيغة الميثاق، فوقّع عليه الملوك والرؤساء وعمّت الفرحة جميع المؤتمرين وفُتح باب الأمل والرجاء أمامهم، وهذا هو نص الميثاق:

(إيماناً بضرورة التضامن بين الدول العربية، ودعم الصف العربي لمناهضة المؤامرات الاستعمارية، والصهيونية التي تهدد الكيان العربي، ويقينا منا بالحاجة القصوى لتوفير الطاقات العربية تمهيداً لتعبئة القوى لمعركة الكفاح لتحرير فلسطين، وإيماناً بالحاجة إلى الانسجام والوفاء بين الدول العربية لكي يتسنى لها أن تلعب دوراً فاعلاً في إقرار السلام، ورغبةً منا في توفير جوٍ يسوده روح الود والإخاء بين البلاد العربية حتى لا يتمكن الأعداء في أن يفتّوا من عضد الأمة العربية، فقد التزمنا نحن ملوك ورؤساء الدول العربية في مؤتمر القمة بالدار البيضاء بين 12–17 سبتمبر عام 1965م، بما يلي:

أولاً: العمل على تحقيق التضامن في معالجة القضايا العربية، وخاصةً قضية تحرير فلسطين.

ثانياً: احترام سيادة كلٍ من الدول العربية، ومراعاة النظم السائدة فيها وفقاً لدساتيرها وقوانينها، وعدم التدخل في شؤونها الداخلية.

ثالثاً: مراعاة قواعد اللجوء السياسي وآدابه وفقاً لمبادئ القانون والعرف الدولي.

رابعاً: استخدام الصحافة والإذاعة وغيرها من وسائل النشر والإعلام لخدمة القضايا العربية.

خامساً: مراعاة حدود النقاش الموضوعي والنقد البناء في معالجة القضايا العربية، وإيقاف حملات التشكيك والمهاترة عن طريق الصحف والإذاعات وغيرها من وسائل النشر.

سادساً: مراعاة قوانين الصحافة في كل بلدٍ عربي، بقصد سن التشريعات اللازمة لتحريم أي قول أو عمل يخرج عن حدود النقاش الموضوعي والنقد البناء، وكل ما من شأنه

الإساءة إلى العلاقات بين الدول العربية أو التعرض بطريق مباشر بالتجريح برؤساء الدول العربية).

وقّع الملوك والرؤساء على هذا الميثاق وساد المؤتمر جواً من التفاؤل والانفراج، وظن الكثيرون أن ذلك يشكل منعطفاً هاماً في العلاقات العربية وأنه سيؤثر إيجابياً على أعمال المؤتمر، وكان وزراء الخارجية قد بحثوا البنود المدرجة في جدول الأعمال، وتركوا المسائل المستعصية للرؤساء، فكانت قضية فلسطين في قمة أعمال المؤتمر، بالإضافة إلى العلاقات العربية . العربية التي كانت في تلك الفترة في أسوأ حالاتها، وكان الأمل كبيراً في تغلب المؤتمر عليها، ودلّ هذا الميثاق الذي وقع عليه الرؤساء على حسن النية، ورغبة الجميع في حل المشاكل والعودة إلى التضامن والأخوة.

كان الصراع الهندي الباكستاني مدرج في جدول الأعمال، وكانت الدول العربية مختلفة في معالجته، فالمغرب، وليبيا، والأردن، والسودان، والسعودية، وسوريا، كانت تطالب بتأييد باكستان وبحق تقرير المصير لكشمير، في حين أن مصر، ولبنان بصورة خاصة كانتا تعارضان ذلك، وتطالبان بوقوف العرب على الحياد حتى يتمكنوا من الوساطة بين الطرفين، ولم تتخذ الكويت، والعراق، والجزائر موقفاً صريحاً من القضية، ودار نقاش طويل حول تقرير المصير، وأخيراً تقدمتُ باقتراحٍ ليبي وهو أن يُشار إلى مبدأ تقرير المصير الذي تلتزم به الدول العربية في مقدمة البيان، على أن تتلوها الفقرات المباشرة المتعلقة بكشمير بحيث يُفهم أن كلمة تقرير المصير تعني كشمير، وتمّت الموافقة على ذلك من الجميع.

وأثار بروتوكول تنقلات وسفر وإقامة الفلسطينيين في البلاد العربية جدلاً حامياً، وقد تحفّظت كلٌ من ليبيا، والكويت، والمغرب، والسعودية على المادة الأولى من البروتوكول والتي تعطي الفلسطينيين حق العمل في البلاد العربية أسوةً بالمواطنين، وقد عارضت لبنان معظم بنود البروتوكول، ورُفض المشروع رغم ما بذله الشقيري من جهود.

كما أُثير نقاش حاد بخصوص المؤسسة المالية لتحرير فلسطين، وهو المشروع الذي قدّمه الشقيري ويهدف إلى جمع قرابة خمسٍ وأربعين مليون جنيه في العام، عن طريق فرض رسوم على صادرات البترول وغيرها، وقد وقفت الدول البترولية في وجه المشروع وفضّلت أن تُقدم المساعدات للمنظمة من الحكومات مباشرة، ولو تمت الموافقة على هذا المشروع،

فسوف تلتزم ليبيا بما يزيد عن خمسة ملايين جنيه في الثلاث سنوات الأولى ثم ثمانية ملايين في السنوات التالية، وكانت مصر وسوريا تساندان المنظمة في طلبها، وعندما رُفض المشروع تعرض الشقيري لحكومة الأردن، وقال: إن قسماً من هذه الأموال سيذهب إلى الأردن لمساعدتها في التخلص من تبعية المساعدات الأجنبية التي لا تستطيع أن تعيش بدونها، وكان الشقيري يتهجم على الدول ويتطاول عليها لاعتماده على مساندة وتأييد مصر له، ومن المعروف أنه لا يتحرك إلا بموافقة مصر أو بإيحائها.

وكان من بين اقتراحات الشقيري إنشاء جيش تحرير نظامي من الفلسطينيين وانتشاره في الأردن ولبنان، وإنشاء قوات جديدة في مصر، وسوريا، والعراق، وفرض التجنيد الإجباري على الفلسطينيين المقيمين في البلاد العربية، ورأى تحويل هذا الموضوع الشائك برمته إلى مجلس الرؤساء والملوك. ثم أثار الوفد السعودي ضرورة معرفة كيفية صرف الأموال التي تُجبى من الدول العربية من أجل القضية، إذ كان يريد أن يُشعر الجميع بأن هذه الأموال، إما أن تذهب لمصر، وإما لعمليات ضد الدول العربية الممولة.

في الاجتماع الأول للرؤساء والملوك أُثيرت مسألة جيش التحرير وانتشاره في لبنان والأردن وفرض رسوم على البترول وغيره، وتكهرب الجو بعد أن عاد الشقيري إلى الحديث بلهجةٍ متعجرفة طالباً من الدول التي تحفظت على البروتوكول الفلسطيني أن تسحب تحفظها، وقد رد عليه الملك فيصل طالباً منه أن يتصل بالدول مباشرةً لإقناعها بسحب تحفظها، وأن هذا المكان ليس بالمناسب لذلك، وتحدث الملك حسين بدوره رافضاً مرابطة قواتٍ فلسطينية في بلاده، وقال: إن للإحتمال حدود وأن إحتماله قد وصل حدّه، وهنا إقترح الملك الحسن الثاني اجتماع الرؤساء والملوك في جلسة سرية تقتصر عليهم فقط، ودامت جلسات الملوك والرؤساء أيام 14-15-16-17 سبتمبر بدون مشاركة أعضاء الوفود، وبقي الوزراء والوفود يحتسون الشاي الأخضر في الردهات وينتظرون استدعائهم بدون جدوى، وشارك الأمير الحسن في هذه الاجتماعات، وكان عندما يعود إلينا يأتينا بالقليل مما كان يدور فيها، أما الرؤساء فقد توصلوا كما سبق الذكر إلى وضع ميثاق التضامن العربي وواصلوا البحث في موضوع الروافد، والحماية الجوية العربية، والاستعداد لخوض المعركة، وكان الفريق، علي علي عامر، رئيس أركان القيادة العربية الموحدة قد قدّم تقريراً مفصلاً عن وضع الدول العربية العسكري، وكان دقيقاً وصريحاً في تقريره إذ

عرّى الدول العربية المدّعية بالقوة وأظهرها على حقيقتها، فذكر بأن الدول العربية مجتمعة كانت من حيث العتاد الحربي، والمطارات، والمعدات، والتدريب، دون إسرائيل، وقدّر بأن البلاد العربية إذا ما قامت بمجهودٍ عسكري كبير في التسلح، والإعداد، والتدريب، وبناء المطارات، تحتاج إلى ثلاث سنوات لتصل إلى مستوى إسرائيل شرط أن لا تطور إسرائيل إمكانياتها العسكرية في هذه الفترة تطوراً ملحوظاً، وهي تحتاج إلى سنواتٍ أكثر لتصل مجتمعة إلى التفوق العسكري على إسرائيل، وتقدم الفريق عامر بمشروع إعداد، وتسليح، وتدريب منسق بين البلدان العربية لتحصل على الوضع المرغوب، ويتطلب الأمر أعباءً مالية لا تستطيع دول المواجهة تحملها بحجة أنها تنفق جزءً من ميزانياتها على التسلح، ولذلك يجب أن تتحمل الدول الغنية العبء الأكبر.

وفي يوم 16 أي اليوم الذي ستوزع فيه الأعباء العسكرية والمالية على الدول، إعتذر الأمير عن الحضور إذ تمارض وطلب مني أن أحل مكانه، وكنت قد توقعت أن تكون هناك التزامات مالية تتبلور من خلال الاجتماعات، فسألت رئيس الوزراء عن الحدود التي نستطيع أن نلتزم بها، فقال لي: في حدود نصف مليون دولار، فذهبت إلى الاجتماع وأنا مدرك أنني مقيد بأن لا أتخطى المبلغ الذي حُدد لي.

دخلت غرفة الاجتماعات فوجدت مائدة مستطيلة في غرفة ليست بالكبيرة وحولها الملوك والرؤساء، فجلست في مكان الأمير الحسن بعد أن أبلغتهم توعك صحته وعدم استطاعته الحضور، وكان الرئيس جمال عبد الناصر يترأس الاجتماع، ووجدت عن يميني الملك فيصل، وعن يساري الفريق أمين الحافظ، وقبالتي الرئيس عبد السلام عارف، والرئيس شارل الحلو، والملك حسين، والرئيس هواري بومدين، وإلى جانب الملك فيصل، جلس إسماعيل الأزهري رئيس السودان، والمشير عبد الله السلال رئيس اليمن، وجابر الصباح أمير الكويت، وجلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب، وأعترف أنني شعرت برهبة لوجودي على مائدةٍ واحدة مع عظماء الأمة العربية، فجميعهم رؤساء دول ولم أكن سوى وزير خارجية، وعندما أبلغتهم إعتذار الأمير عن الحضور لم يهتم أحدٌ منهم بالسؤال عن صحته.

إفتتح الرئيس عبد الناصر الجلسة وتحدث عن تمويل التغطية الجوية والتعزيزات العسكرية، فقال: إن المطلوب لذلك مبلغ 156 مليون جنيه، و16 مليون جنيه إدانة، وأن 124 مليون

من هذا المبلغ قيمة التسليح الذاتي للدول التي ستقوم بتسليح نفسها، وباقي المبلغ على الدول التي تقوم بالتسليح الذاتي أي ليبيا، والكويت، والسعودية، وغيرها علماً بأن السعودية التزمت بتسليح ثلاثة أسراب، والكويت بثلاثة أسراب، والعراق بثلاثة أسراب، ومصر بستة أسراب.

وتساءل عبد السلام عارف، لماذا لا تساهم ليبيا ودخلها يفوق دخل العراق؟ وهي لم تلتزم بشيءٍ في المجهود الحربي ويجب عليها المساهمة كالدول الأخرى، فقال له الرئيس عبد الناصر، دعونا من ليبيا فهي قد تساهم في مسائل صغيرة جانبية، ورفعت الجلسة لاستراحةٍ قصيرة، فاقترب مني الملك فيصل، وقال: ماذا أنتم فاعلون؟ اتقوا شر ألسنتهم كما أفعل، فقد حمّلوني بما يفوق الثمانين مليون جنيه رغم ما عليّ من التزامات، فقلت له: إننا غير مفوضين بالتزامات مالية غير ما التزمنا به في السابق، وعندما عاد الاجتماع إلى الإنعقاد تحدث أمين الحافظ فقال: إن بلده تنفق أكثر من 60% من ميزانيتها على الجيش، وأما البلاد التي تتدفق عليها الملايين بدون عناء فيجب أن تعطي نصيبها، وإني أعرف بالقلم والورق كم دخل ليبيا التي لا تريد أن تساهم بشيء، وأضاف بأن مصر ستتحمل ما قيمته 47 مليون جنيه، والسعودية ستنشئ ثلاثة أسراب جوية وثلاث ألوية مشاة، ولبنان كتيبة، والعراق ثلاثة أسراب، والجزائر سرباً، والكويت ستقوم بتمويل ثلاثة أسراب، والسودان والمغرب ستجهز قوات لوقت الحاجة، وكان يعني بأن ليبيا هي البلد الذي يتدفق عليه الملايين ولا يساهم في المجهود الحربي المشترك، وهنا رأيت من الضروري أن أتدخل، فاستأذنت في الكلام وقلت: إن ليبيا وقفت إلى جانب فلسطين عام 1948م، وساهمت بالمتطوعين، والمساعدات، وبحلي نسائها، في وقت كانت تُعد فيه أفقر بلد في العالم وتعيش فيه على الصدقة الدولية، وقد ساهمت كما هو معلوم في جميع النفقات التي أقرتها مؤتمرات الملوك والرؤساء من قبل، وسددت ما التزمت به من أموال وستقوم بما سيترتب عليها من التزامات مستقبلاً، أما فيما يتعلق بالبترول والأموال التي تتدفق عليها بدون عناء، فأود أن أوضح بأن ليبيا لم تنعم بواردات صادراتها من البترول إلا منذ أقل من ثلاث سنوات، وجاءت هذه الثروة بعد نصف قرن من الكفاح المسلح ضد إيطاليا دفعت فيه نصف عدد سكانها وثرواتها الطبيعية، وبعد أن دارت على أرضها حرب عالمية طاحنة ضربت مدنها وبنيتها الأساسية وقضت على الأخضر واليابس، ومرّ على استقلالها عشر

سنوات عاشت فيها على المساعدات الدولية، وهي بحاجة إلى سنواتٍ عديدة لتعيد بناء الدمار والخراب الذي لحق بها، وإن دخل البترول المحدود قد رصدته لمشاريع من أجل البناء والنهوض بالشعب الليبي الذي لا يزال أغلبيته في حاجةٍ إلى العمل، والسكن، والعلاج، وإن كل نقطة من البترول تنتجها فهي مختلطة بدماء الضحايا والشهداء الذين دافعوا عن هذه الأرض لتظل عربية، وعلى ضوء هذا الواقع فإن مساهمتنا يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في هذه الأوضاع، وإن الوفد الليبي غير مفوض للالتزام بمبالغ لم تدرج في جدول الأعمال، وإن ما يقرره المجلس بالنسبة لنا سنحوله إلى الحكومة لبحثه والموافقة عليه إذا استصوبت ذلك، وهنا تحدث الرئيس عارف وقال: إننا نعلم مدى ما تحملته ليبيا ومدى ما بذلته في جهادها الطويل، إلا أننا نريد أن تشترك مع بقية الدول العربية في الصراع المشترك، وسألني عبد الناصر عن حدود تفويضنا فقلت له: في حدود نصف مليون جنيه، فقال: إن نصف مليون لعشر سنوات يكون خمسة ملايين جنيه تلتزم بها ليبيا، فقلت له: سأنقل الاقتراح للحكومة للموافقة عليه، فقال: إن الحكومة ستوافق بدون شك.

وقد شعرت بعد حديثي أن الرؤساء تفهموا أوضاع ليبيا، وقد التفت إليّ الملك فيصل، فشعرت بأنه يشجعني على قبول المبلغ المقترح، إلا أن هذا النقاش الذي دار حول ليبيا يدل على مبلغ الحسد والغيرة لكون ليبيا البلد الصغير الفقير قد منّ الله عليه بهذه الثروة، وإني أعود بذاكرتي إلى الوراء، عندما كانت الأمم المتحدة توجه نداءات للدول لمساعدة ليبيا، فلم تتحرك دولة عربية واحدة لمساعدتها اللهم إلا العراق والسعودية اللتين ساعدتا بمبلغٍ بسيط من المال، ومصر التي ساعدت بالمدرسين، والقضاة، والمهندسين، فالشعب الليبي كان يتضور جوعاً ويعاني الفقر والبؤس، أما اليوم فهم يرون أن لهم الحق في ثروة ليبيا التي لا تهبها لهم بسعة ولا تدعهم يشاركون في خيرها.

واستمر النقاش في جوٍ هادئ لا يعكره إلا ذكر البترول، وعندما طُلب من سوريا دفع نصف مليون جنيه في العام، ثار أمين الحافظ وقال: إن بلاده تنفق 60% من ميزانيتها على الجيش، وهنا تدخل الملك فيصل والتزم بدفع هذا المبلغ عوضاً عن سوريا شريطة عدم عودة أمين الحافظ إلى الحديث عن البترول، وتعهدت لبنان، والسودان، والأردن، والعراق بدفع نصف مليون سنوياً علاوةً على التزاماتهم العسكرية، وتبرّع الملك الحسن الثاني بمبلغ نصف مليون جنيه، وقال: إننا نضع جيشنا وإمكانيتنا تحت إمرة القيادة الموحدة، وإننا نتبرع

بهذا المبلغ رغم أننا لا نملك بترولاً مثل ليبيا، وهكذا نرى أن الجميع ابتداءً بالملك الحسن الثاني، ومروراً بعبد الناصر، وعبد السلام عارف، وأمين الحافظ، جميعهم يحسدون ليبيا على البترول كما لو أنه كان هبةً منهم لا من الله، وكما لو أن ليبيا لا تستحق هذه الثروة ولا تحتاجها، وقال لي عبد السلام عارف خلال الاستراحة: أين تذهب نقودكم؟ لقد نزلت بمطار طرابلس ولم أشعر أن بهذا البلد دولة أو حكومة، وقد تكون ملاحظته هذه في محلها إذ ربما لم يُستقبل استقبالاً رسميا.

وقد أخبر الملك الحسن الرؤساء بأن البوليس المغربي قام بالتقاط مكالمة، تفيد بأن شخصاً قال إن لديه صورة من التقرير السري للقيادة ويريد إرسالها إلى مكان ما، وألقى البوليس القبض عليه، ودهشنا جميعاً للنبأ، فكيف تسربت الأسرار بهذه السرعة؟ أو ربما أراد الملك الحسن إظهار كفاءة شرطته وسيطرته على الوضع.

ولم يكد يجف حبر توقيعات الملوك والرؤساء على وثيقة التضامن وخطة التحرير، حتى تلقى الرئيس عارف أنباءً من بلاده تفيد بأنه جرت محاولة انقلاب في العراق قامت بها بعض العناصر الناصرية، ولكن أخاه عبد الرحمن عارف أحبط المحاولة وأرسل المتهمين إلى القاهرة، وعندما سأل أحد الرؤساء الرئيس عبد السلام عارف عما حدث في العراق؟ فأجابه: (اسأل الأخ جمال)، ولم يجبه عبد الناصر وحافظ على هدوئه، أما عبد السلام عارف فقد غادر الدار البيضاء فوراً إلى بلاده تاركاً وراءه جواً مشحوناً بالتساؤلات، وبجدوى اجتماعات القمة التي لم يَنتج عنها سوى سلب المزيد من أموال الدول البترولية.

وبدا لي من هذه التجربة المريرة، أن الصراعات ما بين الدول العربية أقوى وأشد وأهم من الصراع مع إسرائيل، ففي الوقت الذي كانت فيه إسرائيل تستعد وتتسلح، كان العرب يتقاتلون في اليمن ويدبرون المكائد لبعضهم البعض ويضعون القرارات التي تظل حبراً على الورق، وكانت نتيجة هذا الوضع وهذا التمزق نكبة عام 1967م، وساد غياب الثقة من جديد وتجميد ميثاق التضامن العربي، وعاد الإعلام المصري يهاجم بكل عنف، الملك حسين، والملك فيصل، وبورقيبة، والدول التي يُطلق عليها اسم رجعية والمتهمة بتعاونها مع الغرب. والدليل على عدم جدية العرب في محاربة إسرائيل، أن الفريق، علي علي عامر، قد أطلع المؤتمر بأن إسرائيل قد تنتج القنبلة الذرية بعد ثلاث سنوات، وقال عبد الناصر

إن مصر ساعية لإنتاج القنبلة الذرية وهي تحتاج لعشرين عامٍ لصنعها، وقال إن الأبحاث حول الحرب الجرثومية والكيميائية لديهم قد وصلت إلى مرحلةٍ طيبة ولا تزال هناك مرحلة التصنيع، أما بالنسبة لصناعة الذرة فقال إن الروس لم يقوموا بالرد على طلبه ولا يُنتظر منهم أن يوافقوا، في حين أن الأمريكيين وافقوا على إنشاء فرن ذري شريطة أن يأخذوا البلاتونيوم، ويرى أنه كان هناك فائدة في إنشاء الفرن، أما إعطاء الأمريكيين البلاتونيوم، فهو دليل على سعيهم لإنشاء فرن مماثل.

ولا أدري بعد ما سمعته وشاهدته أن أجزم ما إذا كان العرب حقاً مقدرين لخطر إسرائيل، وهل يعتقدون حقاً بأساليبهم المرتجلة وأنظمتهم التي يسيطر عليها الحقد والحسد، أنه في إمكانهم مواجهة إسرائيل أو إيقاف مسيرتها المنظمة.

وفي يوم 18سبتمبر، عدنا إلى طرابلس في طائرة للخطوط الجوية الليبية، بعد المشاركة في هذا المؤتمر الفاشل الذي لم يستطع حتى إيقاف الحملات الإعلامية، وخلق جو هادئ بين الدول العربية، وقد بدا لي بأن الحرب الباردة بين الشرق والغرب قد انعكست على الدول العربية بكل تبعيتها، وانقسم العالم العربي إلى جبهتين، واحدة تدّعي الاشتراكية والتقدمية وتريد أن تفرض نفسها ونظمها على البلدان العربية، وجبهة أخرى إرتبطت بالغرب ووجدت فيه حمايةً لمصالحها ووجودها، وفي الواقع، فإن الصراع في حقيقته كان يدور بين الدول البترولية الغنية قليلة السكان وبين الدول الفقيرة المكتظة بالبشر.

وقد كشف مؤتمر الدار البيضاء الأوضاع العربية على حقيقتها، فليس هناك استعداد لمحاربة إسرائيل ولا قيام الدول بالتسلح الذي أعلنت عنه في المؤتمر، ولا رغبة لهذه الدول في التضامن والتعاون في إطار الجامعة العربية، فالصراع بين مصر والعراق والأردن أشد من الصراع مع إسرائيل، ولا ندري بعد مضي عشرين عامٍ على قيام الجامعة العربية إلى أين البلاد العربية تسير؟ فمصر تريد السيطرة على الجميع مع فرض إرادتها وسياستها في توحيد العرب تحت قيادتها، وهو أمرٌ صعب المنال، ويحتاج إلى جهودٍ صادقة وقناعات، وهناك معركة أخرى بين الدول الفقيرة المكتظة بالسكان وبين الدول التي أغدق الله عليها نعمة البترول، فمهما قدّمت الدول البترولية من مساعداتٍ مالية إلى الدول الفقيرة فهي لا تكفيها بل تطالب دائماً بالمزيد، وإن وحدة العرب في هذه الأوضاع أصبحت مستحيلة

وبعيدة المنال، لأن الدول الغنية ستحافظ على ثروتها ولا تقبل أن يشاركها فيها أحد، في حين تظل الدول الفقيرة تطالبها بمزيدٍ من المساعدات بحجة الصراع ضد إسرائيل. ومع ذلك وافقت الحكومة على دفع مليون ونصف مليون جنيه في العام تنفيذاً لقرارات مؤتمر القمة التي لم تُنفّذ، وقد كان من المستحسن أن تفوضنا الحكومة الليبية بالتصرف وفقاً لما نراه ضرورياً وتجنبنا الإحراج من ألسنة الدول العربية، والتي كانت تعتقد بأن ليبيا أصبحت في وضع مالي يفرض عليها المساهمة والمشاركة في المجهود العربي وإعانة الدول العربية الفقيرة، وأن تكون هذه المساهمة طبيعية لا تحت الإكراه.

بعد عودتي من مؤتمر قمة الدار البيضاء، قدمت تقريراً إلى رئيس الوزراء وأطلعته على الأوضاع العربية كما لمستها، وشرحت له بأن ليبيا لا تستطيع أن تنعم بثروتها واستقرارها ما دامت تعيش بين بلاد فقيرة تنظر إليها بحسدٍ وطمع، وقد مرّت الكويت بهذه التجربة فأسست صندوقاً للتنمية لمساعدة الدول العربية المحتاجة، واقترحتُ أن تنشئ ليبيا صندوقاً مماثلاً لتقديم القروض والمساعدات لمصر بصورة رئيسية، ولتونس، والسودان.

ولم يتعظ القائمون بالأمر في ليبيا بأحداث الماضي ولم يتحصنوا ضد أحداث المستقبل، فقد كانوا يظنون أن في إمكانهم أن ينعزلوا ويتمتعوا بثرواتهم بهناء، وقد فشلت الحكومات المتتالية في إرضاء الشعب في الداخل أو تحسين صورتها في الخارج، وكان الوضع مهلهلاً إذ دلت الأحداث المتتالية على عجز الحكومة في فرض سيطرتها على الأمور، فقد كانت مراكز القوى القبلية، والحزبية، والرأسمالية أقوى من الحكومة، والغريب في الأمر أن الجميع من القمة إلى القاعدة يشكون من الوضع إلا أن أحداً لا يُقدم على إصلاحه، وقد شجعت المجاملات والتردد والتخويف على ازدياد التحلل والاستهتار بالسلطة، ووجدت الأحزاب الراديكالية العربية الفرصة سانحة فعملت تقريباً بحرية، مؤملةً في السيطرة على البلاد، وكان من أسباب تردي الوضع التغييرات المستمرة في الحكومات، وتدخل مراكز القوى في أعمال الحكومة وإملاءاتها لما تريده عليها، ولم تكن المناصب والمسئوليات تُوزع وفقاً للمقدرة والكفاءة وإنما لإرضاء القبائل، والأسر، والأفراد، تحت وهم البحث عن مخلصين وحفظ التوازن، وقد حدثني أكثر من سفير في الأمم المتحدة عن التخوف من حدوث شيءٍ ما في ليبيا، وقال لي سفير إيران بالذات، إنتبهوا لأوضاعكم فالطامعون في ثرواتكم لا حد لهم والمؤامرات تُحاك من حولكم، وعندما طلبت منه توضيح ما قاله أجاب باقتضاب، إن هذا ما سمعه وسكت.

وبعد عودتي من مؤتمر الرباط، شعرت بأن الوحدة والتضامن العربي كلامٌ أجوف لا أثر له في الواقع، فالجامعة العربية بعد عشرين سنة من مولدها لازالت كما هي تعالج في المشاكل التي وُلدت معها، فليست هناك رغبة من الدول العربية في التضامن والوحدة، بل هناك تيارات قوية ضد الوحدة، وضدّ التقارب فيما بينها، وإن إسرائيل وقضية فلسطين تتخذ منها البلاد العربية مبرراً مزيفاً للتضامن والتعاون مع بعضها، في حين كانت لا تُخفِ رغباتها في عكس ذلك، ومع الأسف فإن مصر وسوريا كانتا تعملان باستمرار لشق الصف العربي وإبعاده عن وحدته، فمصر تريد الوحدة العربية ولكن تحت إشرافها وإدارتها، والدول العربية كلٌ منها حريصة على استقلالها ووضعها القائم ولا تقبل الإندماج مع أية دولة عربية أخرى، وقد زاد الطين بلة إنقسام الدول العربية إلى يساريين ويمينيين وانعكاس الحرب الباردة عليهم، فارتباط الدول الإشتراكية بروسيا والدول المعتدلة بأمريكا، أقوى بكثير من إرتباط الدول العربية ببعضها البعض، وكان العداء بين بعض الدول العربية أشد من عدائها لإسرائيل، ولم يأتِ مؤتمر الدار البيضاء ولا المؤتمرات التي سبقته والتي ستلحق به، في تغيير الأوضاع العربية وتحسين علاقاتها ببعضها، ووضعها على الطريق الصحيح المؤدي إلى وحدتها وإلى محاربة إسرائيل.

وخلال وجودي في نيويورك صدر مرسوم بتعديل وزاري خرجت بموجبه من وزارة الخارجية، ثم صدر مرسوم آخر بتعييني مندوباً دائماً للأمم المتحدة، وكنت بعد عودتي من مؤتمر الرباط قد فاتحت الرئيس حسين مازق في موضوع تعليم أولادي الذين لا أجد لهم المدرسة المناسبة، لا في البيضاء، ولا في بنغازي، وطلبت منه إعفائي من منصبي لعدم إستطاعتي القيام بواجباتي دون أن أقرر مصير دراسة أبنائي، وكنت أيضاً قد أشرت إلى الملك بوضعي هذا الصعب وبرغبتي في الخروج من الحكومة، فقام حسين مازق بإجراء التعديل الوزاري وإعادتي إلى الأمم المتحدة، وكان غير راضٍ عن خروجي من الوزارة، لأنه اختارني بالذات لأكون وزير خارجيته ومساعده في معالجة مختلف المسائل التي يواجهها الوطن، وقد عزّ عليّ أيضاً أن أخيب أمله وأترك الوزارة بعد أقل من ستة أشهرٍ بقيت فيها، وكنت أتمنى أن أظل فيها لكي أخدم بلادي في مجالاتٍ شتى، وأُنعش وزارة الخارجية وأزيد علاقاتها بالخارج، وأقوم بفتح سفاراتٍ جديدة لإظهار ليبيا بالمظهر اللائق بها، غير أن بقائي في مدينة وأولادي في مدينةٍ أخرى لن يمكنني من الاستقرار والعمل كما يجب،

كما أن وجود الحكومة في البيضاء لا يساعد على القيام بالعمل الخارجي، لأن السلك الدبلوماسي والمنظمات الدولية جميعها، وكذلك وزارة الخارجية بموظفيها ووثائقها موجودة في طرابلس، ويصعب عليّ تسيير الأمور الهامة والخطيرة بالهاتف ما بين البيضاء وطرابلس، ولذلك قدمت استقالتي على مضض.

عدت إلى ليبيا لتصفية أموري واصطحاب أسرتي إلى أمريكا، وقد علمت بأن الملك هو الذي أمر بإعادتي للأمم المتحدة بعد أن علم بعدم رغبتي العمل في الوزارة، أما حسين مازق فلم يكن راضياً عن ذهابي، وقد كان في الإمكان حل موضوع تعليم الأولاد بإلحاقهم بمدراس في طرابلس وجعل هذه المدينة مقراً لوزارة الخارجية، إذ أن وجودها هناك ضرورياً بسبب وجود السلك الدبلوماسي وجميع المشاكل الخارجية، فالمملكة العربية السعودية قامت بترك وزارة خارجيتها في جدة بينما كانت كامل حكومتها تقيم في الرياض، فكان في الإمكان القيام بحلٍ من هذا النوع، إلا أن الحكومة لم تقبل به وفضّلت بقائي في البيضاء، وبالإضافة إلى ذلك، فإنني لم أكن راضياً عن الأوضاع المتردية في البلاد، وأيضاً لعدم إستعداد الحكومة لمواجهة المؤامرات التي كانت تُحاك في الداخل والخارج، فكنت أفضل أن أكون بعيداً لعدم قدرتي في المساعدة على حل مشاكلها.

وقد كان عام 1965م هاماً بالنسبة لي، إذ قمت خلاله بأهم ما قمت به في حياتي السياسية، وواجهت فيه مشاكل سياسية كبيرة ومن بينها العلاقات الليبية المصرية، ومؤتمر رؤساء الحكومات العربية، فعندما عدت من أمريكا واستلمت وزارة الخارجية، وجدت الحكومة قد وقعت في مأزق معارضة مصر بالاتفاق مع تونس والمغرب، وكانت ليبيا هي وحدها التي إنصب عليها غضب مصر ولا تستطيع أن تحتمله، في حين أن تونس والمغرب ظلتا بعيدتين عن متناول مصر، وقد توصلت إلى إصلاح الموقف معها وأوقفت حملاتها وغضبها علينا ولو بصورة مؤقتة، وقمت في الرباط بمواجهة ملوك ورؤساء الأمة العربية، ودافعت عن ليبيا دفاعاً مجيداً، ووضحت لهم موقف ليبيا من ثرواتها المحدودة التي لا زالت في أشد الحاجة إليها، لبناء ما خُرب ودُمر منها خلال الاستعمار الإيطالي والحرب العالمية الثانية، فلم يمر بلد عربي، بالمحن، والشدائد، والخسائر، التي مرت بها ليبيا خلال هذه الحقبة من الزمن.

وفي اعتقادي أني لو بقيت في وزارة الخارجية فترةً أخرى، لكان هذا عاملاً لازدياد خبرتي وتكوين شخصيتي السياسية وبروزي في المحيط السياسي العربي، إلا أنني كنت غير راضٍ عن أوضاع البلاد الداخلية، ولا عن سياستها الخارجية وعلاقاتها الدولية، وقد شعرت بارتياحٍ لخروجي من الوزارة والابتعاد عن أوضاعٍ تسير بالبلاد تدريجياً إلى الهاوية، ولا قدرة لي على إيقافها.

فترة عملي الثانية في الأمم المتحدة

كانت الأمم المتحدة بالنسبة لي مدرسة كبرى مررت من خلالها بتجارب كثيرة، وتعرفت على العديد من ساسة العالم، وارتبطت بصداقات رجال وزملاء ساهمت معهم، وتعلمت منهم أساليب معالجة القضايا الدولية وتفهم خباياها وطرق التعامل معها، وكانت الأمم المتحدة في قمة مجدها عندما عملت فيها، إذ كانت الحرب الباردة بين الشرق والغرب على أشدها، وكان على الدول الصغيرة التي تحاول أن تتجنب تبعية أحد العملاقين، أن تبذل جهداً كبيراً للمحافظة على مصالحها وأمنها دون إغضاب أحد الطرفين، فليبيا منذ ولادتها ارتبطت بالمعسكر الغربي، وهي كدولةٍ يقودها رجلٌ فاز بعرشه عن طريق تعلق الشعب بالسنوسية، لا تقبل ولا ترضَ أن تتعاون أو تتبع نظاماً شيوعياً يحارب الأديان ولا يعترف بها، وهي في الوقت ذاته إحدى دول الجامعة العربية الداخلة في صراعٍ مع إسرائيل والتي يتعاون أهم أعضائها مع الاتحاد السوفيتي، فكانت مصر، وسوريا، والعراق، والجزائر، تتعاون مع روسيا وتحصل منها على السلاح والمساعدات، في حين كانت بقية الدول العربية الأخرى تتعاون مع الغرب وتحاول أن تكون على علاقاتٍ عادية مع الاتحاد السوفيتي، باستثناء السعودية التي لا ترتبط معه حتى بعلاقاتٍ سياسية. وإذا كانت الدول العربية المتعاونة مع الغرب تستطيع أن تتخذ مواقف معلنة وملزمة في قضيةٍ ما تتعلق بعلاقتها بالشرق أو بالغرب، فإن ليبيا بالنظر إلى أوضاعها الداخلية التي سبق ذكرها وإلى ضعف مكانتها الدولية، فإنها كانت تتّبع سياسة تذبذب غير واضحة سواء في علاقتها بالغرب أو بالشرق، الأمر الذي جعل الطرفان لا يقيمان لها وزناً سياسياً، كما أنها لم تعرف استغلال قدرتها الاقتصادية لتحسين وضعها الدولي، كما فعلت السعودية والكويت على سبيل المثال.

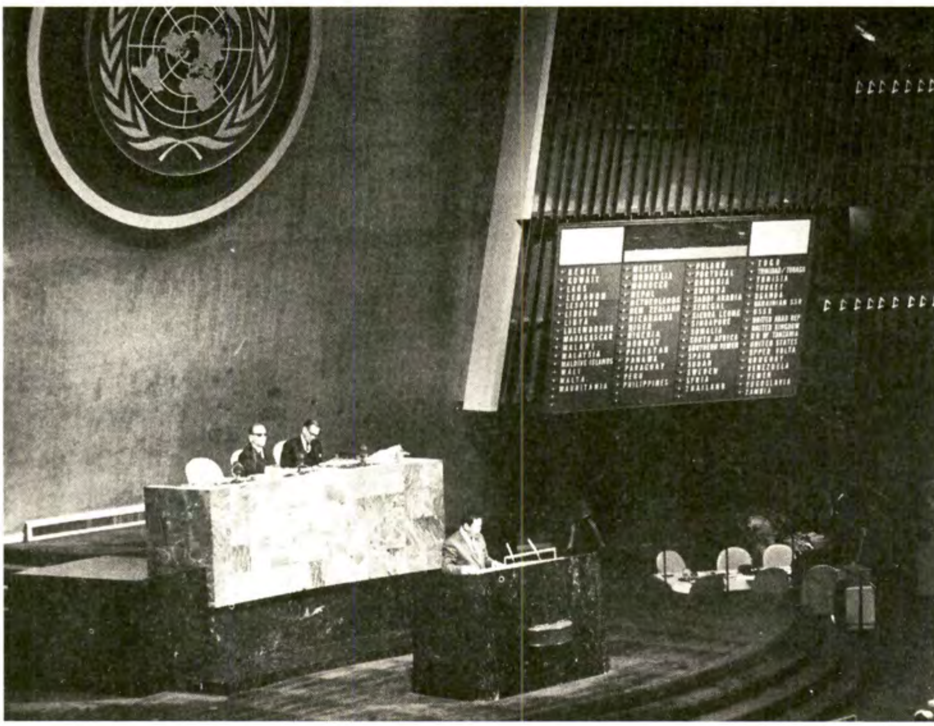
قامت ليبيا بتعاونٍ ملموس مع الدول الشيوعية وأعطتها أعمالاً في ليبيا في الإنشاء وغيره، واستعانت بأطباء من يوغسلافيا، وبلغاريا، وبولندا، وغيرها، كما عرقلت الحكومة من قبل بناء مستشفى سوفيتي في غريان، ولم تستفد ليبيا من انفتاحها على الدول الشيوعية بأي مردود سياسي، ولم تعرف كيف تستغل هذا الانفتاح لتحسين صورتها في المعسكر الشرقي أو لتعزيز موقفها تجاه الغرب، فقد استفادت الدول الشيوعية مادياً من ليبيا



اجتماع السفراء العرب بالأمم المتحدة وهم من اليمين السيد محمود رياض سفير مصر، والسيد محمد حسن الزيات نائبه، والسيد وهبي البوري سفير ليبيا، والسيد جورج طعمة سفير سوريا.



اجتماع السفراء العرب في نيويورك من اليمين عبدالخالق حسونة باشا أمين عام الجامعة العربية، والسيد محمد حسن الزيات نائب سفير مصر، والسيد وهبي البوري سفير ليبيا، والسيد رشاد مراد مدير مكتب الجامعة العربية بنيويورك، والسيد ادوارد غرة سفير لبنان.



رئاستي للجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1969م.



اجتماع الغرفة التجارية العربية الأمريكية، ويُرى السيد وهبي البوري وهو يُلقي بالكلمة الرئيسية.



في احدى اجتماعات الدول الإفريقية، ويُري وهبي البوري وهو يُلقي بكلمته.

وحسنت أوضاعها السياسية دون مقابلٍ يذكر وظلت علاقات ليبيا بروسيا كما هي، أما السفارة الروسية في ليبيا فكانت محاصرة من الأمريكيين، ولم تتطور العلاقات بين ليبيا وروسيا حتى بعد السماح لها بفتح سفارة فيها.

وقد استفـادت الدول الشيوعية التابعة لروسيا من المزايا الاقتصادية التي تحصلت عليها، وإلى جانب ذلك أخذت تتصل بالعناصر الشيوعية المحلية التي ارتبطت بها في الوقت الذي كانت فيه الحكومة غافلة عما يجري، إلا أن الأمريكيين كانوا واقفين لهم بالمرصاد ويتتبعون تحركاتهم وأعمالهم.

ومن خلال هذه الأوضاع المتناقضة وغياب تخطيط واضح لسياسة ليبيا الخارجية، فكان عليّ أن أتكيفَ في الأمم المتحدة مع هذه الأوضاع، وكانت قضية فلسطين وتصفية الاستعمار، وقبرص، وكشمير، وعُمان، القضايا التي تهمنا مباشرة، فبالنسبة لقضية فلسطين كان موقفنا منها التأييد الكامل مثل بقية الدول العربية، والدفاع عنها في اللجنة السياسية أو الجمعية العامة مثلما يدافع عنها بقية العرب، ولم يكن لنا أي تحفظ فيما يتعلق بهذه القضية، والموقف ذاته اتخذناه فيما يتعلق بتصفية الاستعمار ومحاربة التفرقة العنصرية، إذ اندفعنا في تأييدنا لهذه القضايا دون تحفظ، أما قضية قبرص فقد انقسم العرب بخصوصها من مؤيدٍ لتركيا ومؤيدٍ لليونان، وكنا نحن من مؤيدي المسلمين مع مراعاة علاقتنا باليونان، وعندما أُثيرت القضية في اللجنة السياسية، وقفت مصر، وسوريا، ولبنان، وغيرها من الدول العربية مع اليونان في حين تبنّت السعودية، والعراق، وليبيا، وأفغانستان، وإندونيسيا قراراً لصالح تركيا، وفازت المجموعة المؤيدة لليونان، أما تركيا فقد سُرّت لمساندة بعض الدول العربية لها، فالحق كان إلى جانبها إذ كانت تدافع عن حق المسلمين في الجزيرة وعن الاتفاقيات التي داستها اليونان بأقدامها، ونتيجةً لهذه المواقف قررت تركيا إحتلال الجزء الإسلامي من الجزيرة. وقد تصرفتُ في هذا الموضوع بدافعٍ من قناعتي ولم أستشر الحكومة ليقيني بعدالة الموقف التركي، إذ أن اليونانيين كانوا يريدون تكرير ما فعلته الصهيونية في فلسطين، أي إرهاب المسلمين عن طريق القتل والمذابح وإجبارهم على اللجوء إلى تركيا وترك الجزيرة لهم، وبالرغم من التيارات السياسية المختلفة، فكان ارتباطي بالسفراء العرب قوياً وكان الجميع يقدرني ويحترمني.

وظلت علاقتي بالسفراء الأفارقة جيدة، وقد ترأست المجموعة الأفريقية أكثر من مرة كما ترأست المجموعة الأفروآسيوية، وكان الأفارقة والآسيويون ينظرون إلى ليبيا كبلدٍ متزن يقف باعتدال بين مختلف التيارات السياسية دون تطرفٍ أو مزايدة، ومع ذلك ومع ازدياد أهمية البلاد اقتصادياً فإن ليبيا لم تستطع أن تخلق لها وزناً دولياً في علاقتها الخارجية، وكان المسؤولون الليبيين يتهربون من عقد أي إجتماع دولي ببلادهم أو أية زيارات لرؤساء دولٍ أو ساسة، وقد سبق خلال الصراع المغربي الجزائري أن إقترح الإمبراطور (هيلاسلاسي) عقد إجتماع في ليبيا كما سبق وذكرنا، يحضره الرئيس عبدالناصر، ورؤساء تونس، والمغرب، والجزائر، للوساطة وحل المشكل، فاعتذر الملك إدريس عن قيام الاجتماع في ليبيا لأسبابٍ تتعلق به شخصياً، ولأن البلاد غير مستعدة لاستقبال هذا العدد من رؤساء الدول، وخاصةً وجود جمال عبد الناصر في ليبيا وما سوف يُثيره في الليبيين من حماس، وقيامهم بتظاهرات لا تُعرف نتائجها، فليبيا كانت غير مستعدة أن تلعب دوراً دولياً أو أن تكون في ساحة الأحداث السياسية، فقد تميزت سياستها بالمحافظة على وضعها الداخلي واستقرارها، ولا تريد أن تكدرها بأي عملٍ خارجي لا تريده، ولذلك عُقد الاجتماع في مكانٍ آخر بعيداً عن ليبيا، وكان عدم استعداد الملك لاستقبال زوار أجانب أو رؤساء دول، نظراً لما يتطلبه ذلك من جهدٍ لا تتحمله صحة الملك ولا أسلوب حياته.

فعلى مدى قرابة العشرين عاماً من النظام الملكي لم يزر ليبيا من رؤساء الدول سوى رئيس تركيا جلال بايار، والملك الحسن الثاني، والرئيس الغاني نكروما، الذي لم يرَ الملك، وزار بورقيبة البلاد عندما كان رئيساً للوزارة لأول مرة واجتمع بأعضاء الحكومة، وكان لديه إقتراحات كثيرة إستمع إليها المسؤولون ولم يهتموا بتنفيذها، وسافر إلى طبرق لزيارة الملك، ومعه أكثر من عشرة مرافقين، فدعاه الملك إلى الغداء وأفهمناه بأن مائدة الملك لا تحتمل أكثر من إثني عشر شخصا، فكان عليه أن يختار البعض من رفاقه ليكونوا معه على المائدة الملكية، فثار بورقيبة وزمجر احتجاجاً على ذلك وقال إنه لا يستطيع أن يفرق بين رفاقه، وأخيراً تفهم الوضع وقبل ما أُقترح عليه، وكان بورقيبة ثائراً على كل شيء وينتقد كل شيء، فهو مستهزئ بليبيا وبأوضاعها وبحياتها السياسية. كما زار، الملك سعود، ليبيا من خلال جولته في البلدان العربية، وفي أمريكا، وأُستقبل في ليبيا استقبالاً حافلاً، وكانت أمريكا تريد أن تخلق من الملك سعود منافساً لعبد الناصر، غير أنه بعد عودته إلى بلاده

وتورطه في دفع عشرين مليون دولار من أجل اغتيال عبد الناصر، وانكشاف المؤامرة، فقد انهزم الملك سعود على الساحة السياسية، فتخلى تدريجياً عن السلطة لأخيه الأمير فيصل الذي استطاع معالجة الوضع وإعادة العلاقات إلى طبيعتها مع مصر. وكنا في كل مرة نقترح فيها على الحكومة دعوة لجنة من اللجان الأفريقية إلى الاجتماع في ليبيا كان يُرفض طلبنا، وعندما اجتمعت الجامعة العربية في بنغازي سنة 1958م، لم يستقبل الملك وزراء الخارجية العرب الذين شاركوا في الاجتماع كما جرت العادة، ورغم الجوار والقرب والعلاقات الطيبة، فإن عبد الناصر لم يزر ليبيا ولم يرها إلا بعد قيام الثورة.

هذا التقوقع، وهذه العزلة، وسياسة الانطواء المتبعة، قد أضعفت ليبيا على الساحة العربية والساحة الدولية، وحالت دونها ودون القيام بأي دورٍ على الساحتين أسوةً ببقية دول الشمال الأفريقي، وقد حدث أن رشحت ليبيا نفسها ولأول مرة للحصول على عضوية المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة، فتصدت لها تونس التي لم تقبل التنازل لصالحها، فاجتمعت المجموعة الأفريقية لحل المشكل القائم بينهما، وكان اغلب الأعضاء متعاطفاً مع ليبيا لأنها ترشح نفسها للحصول على مقعدٍ من مقاعد الأمم المتحدة لأول مرة، في حين كانت تونس تحتل مقاعد كثيرة فيها، وبذل الأفارقة جهوداً جبارة لإقناع تونس بالتنازل لليبيا ولكن بدون جدوى، وأصرت تونس على موقفها بادعائها بأنها أحق من ليبيا لتولي هذا المقعد، وفي لقاءٍ في أروقة الأمم المتحدة التقى الدكتور (أحمد البشتي) وزير خارجية ليبيا (بالحبيب بورقيبة الابن) وزير خارجية تونس، ودار الحديث حول التنافس بين ليبيا وتونس على عضوية المجلس الإقتصادي والإجتماعي، فقال وزير خارجية تونس بكل صراحة بأن ليبيا لا تستطيع أن تقوم بأعباء هذا العمل الدولي، فشعرت آنذاك وكأن خنجراً قد طعنني في صدري، فهل الاستهانة بنا وصلت إلى هذا الحد؟ وعندما اختليت مع الدكتور البشتي رأيته ميالاً إلى عدم الدخول في معركة مع تونس، غير أنني أفهمته بأننا سنواصل التحدي وخوض المعركة إلى النهاية بالتصويت في الجمعية العامة، إذ كنت أعتقد بأن غالبية الدول ستصوت لصالح ليبيا، إلا أن تونس واصلت الرفض وقامت حكومتها باتصالاتٍ على أعلى المستويات لإقناع الدول بتأييدها ضد ليبيا، في حين لم تفعل الحكومة الليبية شيئاً لمساعدتنا ووقفت موقف المتفرج، وعندما بحثت الجمعية العامة للأمم المتحدة الترشيحات للمجلس الإقتصادي والإجتماعي، كانت جميعها قد تمت بالتراضي بين الدول المختلفة

باستثناء المقعد الذي تتنافس عليه ليبيا وتونس، وكان المقعد الوحيد الذي صوتت عليه الجمعية العامة، وعندما بدأ التصويت في الأمم المتحدة تحصلت ليبيا على أصواتٍ أكثر من تونس إلا أنها لم تحصل على الثلثين من الأصوات لتأمين فوزها، واستمر التصويت ثلاث مرات أخرى، وكان في كل مرة يزداد عدد الدول المؤيدة لليبيا حتى نجحنا في الحصول على الثلثين وفزنا بالمقعد، وأدركت في تلك الليلة بأن دولاً كثيرة كانت تحترمنا وتتعاطف معنا.

وقد أصيبت تونس بطعنة في كبريائها، لتخلي المجتمع الدولي عنها، والذي فضّل عليها ليبيا التي كانت لا تقيم لها وزناً ولا تخشى منافستها، أما ليبيا المستهزِئة بها والتي قالت عنها بأنها لا تستطيع القيام بأعباء هذا المنصب فقد قامت به خير قيام. وعلى إثر فوز ليبيا بالمنصب، طلبتُ من رئيس الوزراء أن يختار الدكتور علي عتيقة لتمثيل ليبيا في المجلس، فقبل الرئيس إقتراحي وأمر الدكتور علي عتيقة بالتوجه إلى نيويورك لشغل منصب ليبيا في المجلس الإقتصادي والإجتماعي، وعندما شارك الدكتور علي عتيقة في أعمال المجلس، وقع الإختيار عليه لكي يكون نائباً للرئيس وأثبت أنه جديرٌ بالمنصب، وقد لفت الأنظار إليه لقدرته الفائقة وكفاءته، كما نال إعجاب وتقدير المسؤولين في الأمم المتحدة، وقد إستطاع علي عتيقة أن يخلق لنفسه مركزاً مميزاً في الأمم المتحدة وفي اوساطها الإقتصادية، بحيث أنه عندما شُكلت لجنة عام 1968م لتقييم أعمال برنامج الأمم المتحدة للتنمية، والمؤلفة من ثمانية أعضاء يمثلون جغرافياً الكرة الأرضية، وقع الاختيار على الدكتور علي عتيقة ليكون عضواً فيها، وكان العضو العربي الوحيد في هذه اللجنة.

وقد استطاع الدكتور علي عتيقة بكفاءته تكوين مركزاً له في الأمم المتحدة، وأصبح معروفاً لدى الدوائر الإقتصادية في المنظمة، كما قام في المجلس الإقتصادي والإجتماعي بأعمالٍ كثيرة ناجحة لفتت إليه أنظار المسؤولين في الأمم المتحدة، ثم تولى الدكتور علي عتيقة في ليبيا وزارة الاقتصاد ووزارة التخطيط، ونجح في تقدم الوزارتين وتحسين أعمالهما، كما عينته بعد ذلك الأمم المتحدة ممثلاً مقيماً للأمين العام في الأردن، ثم نقلته ليحتل منصباً هاماً في برنامج الأمم المتحدة للتنمية.

المركز الإسلامي في نيويورك

عندما بدأت عملي في الأمم المتحدة، كان السيد كامل عبد الرحيم وكيل وزارة الخارجية المصرية سابقاً، يترأس المركز الإسلامي الذي يضم في عضويته جميع السفراء المسلمين، وقد اضطر السيد كامل عبد الرحيم للسفر إلى مصر والتخلي عن رئاسة المركز الإسلامي، فوقع اختيار السفراء المسلمين عليّ لأكون رئيساً للمركز فتوليت رئاسته، وكان هذا المركز يديره الدكتور عبد الرؤوف خريج الأزهر ويشرف على شؤونه، أما مسلمو نيويورك فكانوا يتجمعون في الأعياد الإسلامية في إحدى قاعات الفنادق المستأجرة لأداء صلاة العيد والتلاقي، وعدم وجود مسجد في نيويورك كان من الأمور التي تشغل بال المركز ومسلمي نيويورك، فقرر مجلس إدارة المركز العمل على جمع الأموال لبناء مسجد، فاشترى أرضاً تقع في الشارع رقم (86)، وكانت مساحة الأرض تقارب الخمسة آلاف متر مربع أي مساحة كافية لبناء مسجد وحوله المركز الإسلامي، غير أن بناء المسجد والمركز كما كنا نتخيله يتطلب مبالغ مالية كبيرة غير متوفرة.

إشتد حماس السفراء والشخصيات الإسلامية في نيويورك بخصوص بناء المركز الإسلامي، وخاصةً أنه تم شراء الأرض بفضل تبرع الملك إدريس، والملك فيصل، وأمير الكويت، كلٌ منهم بمائتي ألف دولار، وقد تطوع أحد المعماريين الإيرانيين بوضع التصميم، والذي تضمن مسجداً، ومدرسة للأطفال، وفندقاً، ومكتبة إسلامية، وقاعات للإجتماعات، وسوقاً تُعرض فيه البضائع الشرقية، بحيث يكون علماً من أعلام نيويورك يزوره زوارها، كما قرر مجلس المركز إيفاد بعثة للإتصال بالدول الإسلامية لجمع التبرعات والتأييد للفكرة، وتألفت البعثة مني بصفتي رئيساً للمركز، ومن السيد،أمجد علي، سفير باكستان، ومن السيد، فخر الدين محمد، سفير السودان.

وكان يدير المركز الدكتور عبد الرؤوف خريج الأزهر، إذ كان يحاول بقدر طاقته أن يجعل للمركز نشاطاً ووجودا، وكانت مهمة المركز الكبيرة هي إستئجار قاعة في أحد الفنادق للإحتفال بالأعياد، وليصلي فيها المسلمون صلاة العيد بصحبة زوجاتهم وأولادهم وتكون فرحتهم كبيرة لالتقائهم ببعضهم البعض في يوم العيد، لذلك كان الجميع يتمنى بناء مركز إسلامي يضم قاعات يجتمع فيها المسلمون في الأعياد وفي المناسبات الأخرى ويكون رمزاً

للوجود الإسلامي في نيويورك.

رحلتي إلى البلاد الإسلامية باسم المركز الإسلامي

قرر مجلس إدارة المركز الإسلامي كما ذكرنا، إرسال بعثة لزيارة الدول الإسلامية والإتصال برؤسائها للحصول على مساعدتهم من أجل بناء المركز الإسلامي الجديد، وقد شرعت في رحلتي هذه بصحبة سفير باكستان، أمجد علي، وسفير السودان، فخر الدين محمد، يوم 1967/02/17م متوجهين إلى داكار والتي وصلناها بعد ست ساعات ونصف الساعة من الطيران، وقابلنا بعد وصولنا بقليل وزير الداخلية الذي رحب بالفكرة، ووعد ببذل كل مساعدة، غير أن الحكومة السنغالية لم تهتم بنا أو بالمهمة التي جئنا من أجلها.

وفي اليوم التالي سافرنا إلى الدار البيضاء، فاستقبلنا في المطار السيد علي بوسريويل مستشار السفارة الليبية، ولم يكن هناك أي مغربي رسمي في استقبالنا، ثم سافرنا رأسا إلى الرباط حيث وافانا مندوبٌ من وزارة الخارجية بعد الغداء، وفي المساء قابلنا زميلنا الذي كان يشغل منصب الممثل الدائم للمغرب لدى الأمم المتحدة سابقاً، وهو، الطيب بن هيما، وكيل وزارة الخارجية حالياً وقد قال لي: إن الملك الحسن منزعج من رحلة سفيرنا في إسبانيا إلى الصحراء الإسبانية ومن تصريحاته، وأضاف قائلاً: إن الملك يريد الحديث معك بهذا الأمر، فأجبته بأني لم أطّلع على تصريحات سفيرنا وربما حرّفت وكالة الأنباء الإسبانية أقواله، وقد تعودت على حساسيات المغرب المبالغ فيها، ولم يدرك المغرب بأن العالم قد تغير وأن حق تقرير المصير أصبح من المبادئ الأساسية في سياسة العالم المعاصرة، وأن حرية القول أصبحت مضمونة للجميع، فلماذا يلوموا سفيرنا في إسبانيا على تصريحاتٍ أدلى بها تعبر عن رأيه الخاص لا عن رأي حكومته؟ وقد جامل العرب المغرب كثيراً ولم يعترفوا باستقلال موريتانيا إرضاءً له، في الوقت الذي إعترف بها الأفارقة وأيدها. وتعود بي الذاكرة إلى حادثة عدم توقيع المغرب على ميثاق الوحدة الأفريقية في أديس أبابا احتجاجاً على وجود موريتانيا، وعندما اجتمعت اللجنة السياسية للوحدة الأفريقية في داكار وكان مندوب المغرب حاضراً في الإجتماع، إحتج الوفد الموريتاني لوجود الوفد المغربي وذلك لعدم توقيع حكومته على الميثاق، وطالب بإخراج مندوب المغرب من القاعة، وضغطت الوفود العربية على موريتانيا ولكنها تمسكت بموقفها، كما صادف مرور الرئيس بن بلا من داكار، فاجتمعنا به وطلبنا

منه الضغط على موريتانيا لسحب طلبها، وإخبارها بأن المغرب سيقوم بإصلاح وضعه في المنظمة، فتراجعت موريتانيا عن تحفظها وسارع المغرب بالتوقيع على الميثاق.

والمغرب دولة عظيمة تُشعر زائرها بمجدها التليد، فقد تداولت عليها إمبراطوريات إمتد سلطانها إلى مصر، وسوريا، وأوروبا الإسلامية، وظلت دولة مستقلة منذ قيام الأدارسة حتى عام 1912م عندما فرضت عليها فرنسا حمايتها، وقد أخبرني، بن هيما، أن بلاده مشغولة ومنزعجة من تسلح الجزائر ويخشى أن تصبح قاعدة للتوسع الروسي في أفريقيا، فالصراع المغربي الجزائري مستمر منذ استقلال الجزائر، وقد عرقل وحدة المغرب العربي واستقراره، أما نحن أعضاء الوفد فقمنا بالإجتماع بوزير الأوقاف وطلبنا منه المساهمة في بناء المركز، بينما لم يستقبلنا الملك الحسن ولم يحدثنا لا في موضوع السفير الليبي ولا في مساعدة المركز، وقد استغربت كثيراً سفر سفيرنا في إسبانيا إلى الصحراء المغربية، ولا أعتقد أن الحكومة الليبية قد كلفته القيام بهذه الزيارة لأنها تعلم بأن ذلك يسيء للمغرب الذي أصبحت علاقتنا به على ما يرام، وأعتقد أنه ربما كانت إسبانيا هي التي دعت أو أوعزت للسفير الليبي بزيارة الصحراء الإسبانية (سابقاً)، وعلى كل حال لم نشعر خلال وجودنا في المغرب بأي ترحيب أو إهتمام بنا أو بالغرض لذي قدمنا من أجله.

وفي الجزائر أُستقبلنا استقبالاً حارا، وزارنا العديد من الشخصيات الإسلامية، وقمنا من جانبنا بزيارة مفتي الديار الجزائرية ورئيس المجلس الإسلامي، وأخذتنا الدهشة للروح الإسلامية السائدة، وقد أُقيمت على شرفنا عدة حفلات، كما أقام مدير عام الأوقاف حفلة شارك فيها بعض الطلبة الدارسين في فرنسا، والذين تعرضت أحاديثهم وتعليقاتهم الصريحة حول أوضاع بلادهم والبلاد العربية الأخرى، وكانت الجزائر تتمتع بالهدوء والإستقرار بفضل إدارتها القوية، كما قابلنا الرئيس بومدين والذي كان كعادته يستمع أكثر مما يتكلم، وقد أشاد بمهمتنا وأعرب عن ضرورة وجود مسجد في نيويورك واعداً بتقديم كل ما يمكن من مساعدة.

والجزائر بلد إسلامي متحمس إلا أن النظام الجزائري الذي كان يحكمه منذ سنوات لم يستطع حل مشاكل البلاد، ولا القضاء على البطالة أو تنمية البلاد التي كانت لا تزال في حالة إهمال، فالصراعات السياسية غطّت على حاجة البلاد للتقدم والاستقرار، ونظام

بومدين نظام دكتاتوري فرض على البلاد أوضاعاً أضرت بها كالتسيير الذاتي وغيره، ولم يقم بومدين خلال حكمه بإصلاحاتٍ ظاهرة في الجزائر، فأوضاعها كانت سيئة والبطالة بين الشباب كثيرة، والدولة لا تعمل على حل مشاكلهم بإيجاد مشاريع تهيئ لهم فيها العمل. لقد كان في الجزائر فندق (سان جورج) الذي يُعتبر فندقاً عالي المستوى، وفندق (فونتانا) الذي كان في حالةٍ لا يحسد عليها، وباستثناء هذين الفندقين لا يوجد أي فندق عصري يستقبل ضيوف الجزائر، وكانت حالة البلاد الإقتصادية غير مرضية، والحكومة لا تهتم بإصلاحها وتقدمها إذ كان العمل السياسي شغلها الشاغل.

واستقبلنا في تونس الرئيس بورقيبة، والباهي الأدغم رئيس الوزراء، والعديد من المسؤولين والشخصيات الإسلامية، وقد عبّر الرئيس بورقيبة عن سروره لفكرة المركز ووعد بتقديم كل ما في استطاعته لتحقيق المشروع، وقد أُقيمت لنا عدة حفلات مما يدل على الروح الإسلامية السائدة في البلاد، رغم المظاهر المضادة لبعض المشاعر الإسلامية، فبورقيبة رجل متحرر يريد أن يدفع ببلاده إلى مستوى الدول الأوروبية ولكنه يجد أمامه تياراً إسلامياً قوياً.

ولولا الخلاف ما بين المغرب والجزائر، لكان في الإمكان توحيد المغرب العربي والعمل على تقدمه وازدهاره، إلا أن الخلافات فيما بينهما على الصحراء الإسبانية (سابقاً) حال دون تقاربهما وتعاونهما، في وقتٍ تشتد فيه الحاجة إلى مثل هذا التعاون.

وصلنا طرابلس يوم 28 فبراير، ودُعينا في المساء إلى حفلٍ كبير حيث تم تعريف أعضاء الوفد بالمسؤولين الليبيين، وقضينا سهرة طيبة، وفي صباح اليوم التالي سافرنا إلى طبرق بطائرة صغيرة نفاثة وصلناها بعد أقل من ساعتين، وذلك لمقابلة الملك الذي أعرب عن استعداده لتقديم المساعدة لإنشاء المركز، وكان الملك إدريس من المتحمسين لبنائه لنشر الإسلام وإظهار المسلمين بالمظهر اللائق، وقد تبرع بمائة ألف دولار لبناء المركز، بالإضافة إلى مائتيّ ألف دولار أخرى سبق وتبرع بها. وفي طرابلس أُقيمت لنا عدة حفلات، وأُستقبلنا استقبالاً حافلا، وقد شجع الملك الوفد على المضي قدماً في إنشاء المركز الإسلامي المقترح ووعد بزيادة المساعدات عند الشروع في بنائه.

وفي القاهرة قابلنا وزير الأوقاف الذي تعهد بالمساعدة في إعداد الرسوم والإشراف على بناء المسجد، ثم قابلنا زميلنا السابق في الأمم المتحدة، محمود رياض، وهو يشغل

الآن منصب وزير الخارجية، وكذلك قابلنا بعض الشخصيات وشيخ الأزهر، ولم نتمكن من مقابلة الرئيس عبد الناصر، وقد شعرنا بأن مصر غير مهتمة بالموضوع وغير مستعدة لدفع قرشٍ واحد، ولذلك كانت مقابلتنا باردة، فمصر تجتاز مرحلة تحتاج فيها إلى العملة الصعبة، ولذلك لا تستطيع أن تقدم أي مبلغ نقدي إلى المركز، إلا أنها كانت على استعداد لتقديم بعض الخدمات.

ومن القاهرة سافرنا إلى الخرطوم، فوجدنا في استقبالنا نائب وزير الخارجية الذي أكرمنا وأنزلنا في دار الضيافة، أما الرئيس اسماعيل الأزهري فقابلنا في قصره وأقام لنا حفل استقبال حضره السيد، الصادق المهدي، رئيس الوزراء وعددٌ من الوزراء، والسفراء العرب، والمسلمين، ورجال الدين، وقد كان ترحيب السودان بنا حاراً وتلقائياً، فسعدنا كثيراً بهذه الزيارة، ولمسنا في السودان روحاً عربية صادقة تجلت في تصريحات المسؤولين، إلا أن السودان يحتاج إلى جهدٍ كبير ليتخلص من تخلفه، فثرواته الطبيعية كثيرة، ولكن السودانيين لا يعتنوا بها ولا يستغلونها لصالح البلاد، فهم مشغولون أكثر بخلافاتهم وحربهم مع الجنوب وصراعاتهم الحزبية، ولكن بصورة عامة يبدو لنا أن هناك نوايا حسنة من المسؤولين لتحسين أوضاع بلادهم، إلا أن الخلافات السياسية والصراعات الحزبية تنهكه وتعرقل مسيرته البنّاءة، فالسودان غنيٌ بالمياه، والحيوانات، والغابات، والأراضي الصالحة للزراعة، وأرضه غنية بالبترول وبمعادن أخرى، ولكن الحكومات المتتالية على حكمه لم تهتم بالنهوض باقتصادياته، وبعيداً عن العوامل السياسية، فالسودان أرضٌ غنية بالخيرات وإذا ما أُحسن استغلالها فستكون من بين البلاد العربية الثرية.

وصلنا الكويت يوم 9 مارس، وقد أعد لنا زميلنا، راشد الراشد، الذي كان الممثل الدائم للكويت في الأمم المتحدة سابقاً، جميع وسائل الراحة والحفاوة، واستقبلتنا حكومة الكويت وأكرمتنا، كما قابلنا الأمير الذي تبرع للمركز بمائة ألف دولار بالإضافة إلى المائتي ألف دولار التي سبق وتبرع بها للمركز، وأقام لنا راشد حفل عشاءٍ دعا إليه رجال السلك الدبلوماسي والشخصيات البارزة، وزميلنا راشد الراشد رجل فاضل عرفته في نيويورك وكان لي خير صديق، وهو يتبوأ بجدارة في هذه الفترة منصب وكيل وزارة الخارجية.

ثم زرنا البحرين، حيث أقام لنا أميرها حفل عشاءٍ فاخر، وتعرفنا على المسؤولين

البحرينيين الذين إحتفوا بنا، غير أن أوضاع البحرين الإقتصادية ربما لا تمكنها من المساهمة في بناء المركز.

وزرنا قطر، فقابلنا أميرها وشرحنا له الأوضاع، وقد وعدنا بالمساهمة، وقطر بلد صغير في دور النشوء ولا يزال تحت الحماية البريطانية، وموارده في ازدياد ويُؤمّل أنه سيكون من بين البلاد العربية المزدهرة، غير أني وجدته عبارة عن قرية كبيرة بها الأسواق، ومجموعة ڤيلات يسكنها الخبراء الأجانب، وقصر كبير للأمير الذي تبرع لنا بخمسة آلاف دولار وصلت نيويورك بعد وصولنا.

ثم عدنا إلى البحرين، لنسافر منها إلى السعودية، فتأخرنا عن موعد الطائرة التي كانت ستقلنا إلى جدة لحضور موسم الحج، ولم تكن هناك رحلة أخرى من البحرين إلى جدة، فسافرنا إلى الكويت داعين الله أن نجد طائرة تقوم بإيصالنا إلى جدة في الموعد المحدد، ولكن ولسوء الحظ لم نصل جدة إلا في صباح يوم الوقفة، فنقلونا رأساً إلى عرفة حيث وقفنا على جبل عرفات، وفي المساء ذهبنا إلى منى وقضينا فيها الليلة، وفي اليوم التالي قابلنا الملك فيصل الذي أبدى إهتماماً كبيراً لبناء المركز، وكان لطيفاً للغاية، وقال لي: أتمم جولتك في البلاد الإسلامية واجمع منهم ما تستطيع، ثم عد إليّ لأكمل لك بقية المبلغ الذي يحتاجه بناء المركز الإسلامي في نيويورك.

وشكرت الملك على كرمه الإسلامي، ووعدته أن أبذل جهدي للحصول على ما تسخى به بقية البلاد الإسلامية ثم سآتي إليه ليكمل لي المبلغ، والملك فيصل من أعظم رؤساء الدول الإسلامية، وهو ذكي ويريد الخير للمسلمين ويسعى جهده لتحسين أحوالهم، وقد أمر بإنشاء المؤتمر الإسلامي، والبنك الإسلامي، وأمر ببناء المساجد، والمراكز الإسلامية في كثير من البلاد الأفريقية والإسلامية.

وسافرنا إلى المدينة المنورة على متن طائرة خُصّصت للرئيس الأزهري وعدنا معه في اليوم ذاته، وفي المساء سافرنا إلى بيروت، والتقينا فيها، بجورج حكيم، وزير الخارجية وهو زميلنا السابق في نيويورك، ولبنان نصف سكانه من المسيحيين والنصف الآخر من المسلمين، وكنا لا نريد إحراج الأخيرين بطلب مساعدةٍ للمركز.

وكان من المقرر أن نزور العراق إلا أننا قررنا السفر إلى إيران، وفي طهران قابلنا وزير الخارجية زاهدي، ووزير الأوقاف المهتم بالشؤون الإسلامية، والذي وعدنا بفرش المسجد بالسجاد وكساء جدرانه بالقيشاني، وقد دعانا وزير الأوقاف إلى الغداء في أحد المطاعم، أما الشاه فلم يقابلنا، وقد كنا نعتقد أننا سنجد في هذا البلد الإسلامي الكبير إهتماماً أكبر بتشييد المركز الإسلامي في نيويورك، إلا أننا وجدنا بروداً وعدم إهتمام بالموضوع، ربما لأنهم كانوا يظنون كما قال لي سفيرهم في نيويورك بأن المركز سيكون سُنياً، وقد طمأنت السفير آنذاك بأننا لا نفرق بين الشيعة والسنّة، فالجميع في نظرنا مسلمين والمركز سيُبنى لهم جميعا.

وأُستقبلنا في كاراتشي إستقبالاً حاراً حيث كان بالمطار رئيس المجلس الإسلامي، ومندوبٌ من وزارة الخارجية، وعددٌ من الشخصيات الباكستانية، وقد أنزلنا، أمجد علي، في ڤيلا أنيقة واحتفى بنا غاية الإحتفاء، وأقام لنا وزير الخارجية وليمة فاخرة، كما أقيمت عدة حفلات استقبال من قبل رئيس المجلس الإسلامي وغيره، أما الرئيس، أيوب خان، فقابلنا ووعدنا بتزويد المركز بما يحتاجه من الرخام. أما زميلنا في رحلتنا، أمجد علي، فقد غمرنا هو وأسرته بكرمهم وهداياهم، وكانت باكستان آخر محطة في رحلتنا الرسمية، وبقي السيد، أمجد علي، في باكستان، في حين واصلت مع، فخرالدين، الرحلة إلى هونج كونج.

وفي باكستان لمست روحاً إسلامية عالية، وتخوفاً مستمراً من جارتهم الهند بسبب قضية كشمير، وعندما زرت أيوب خان رئيس الدولة شعرت وكأني في بلاط أوروبي، فالضباط المحيطون به يشبهون كثيراً الضباط الإنجليز في سيمائهم، وملابسهم، وتحركاتهم، فهذه أكبر دولة إسلامية بعد إندونيسيا وعليها يُؤمل المسلمون كل خير، وأيوب خان رجلٌ عظيم، طويل القامة، أبيض اللون يشبه الجنرالات البريطانيين، وكان لطيفاً معنا، وقد سألنا كثيراً عن المركز ومهمته ووعدنا بتقديم كل ما يمكن من مساعدةٍ له، وباكستان غارقة إلى أذنيها في صراعها مع الهند من أجل كشمير، وقد دارت رحى حرب بين الطرفين، وظلت كشمير موضع الخلاف بينهما لأن كل طرف لا يريد أن يتنازل للطرف الآخر، وباكستان على حق، فهي تطالب لكشمير بحق تقرير المصير وخلق دولة فيها لا تتبع، لا للهند ولا لباكستان، والقضية وُلدت منذ استقلال الأخيرة ولا تزال تبحث حتى الآن عن حلٍ مرضي، وفي باكستان تكثر المؤسسات والمدارس الإسلامية حيث يكب المختصون على الدراسة والبحث في الدين الإسلامي، وهناك علماء بارزون من ذوي الشهرة العالمية ولا يقلون شهرةً

وإنتاجاً عن علماء الأزهر.

في هونج كونج، أقمت مع فخر الدين ثلاثة أيام في هذه المدينة المعجزة، فإن مبانيها الشاهقة ونشاطها المستمر في العمل والتجارة يجعلها بحق معجزة آسيوية، ومن هونغ كونغ سافرنا إلى طوكيو الدولة العظيمة التي أدهش تقدمها العا لم، وعاصمتها طوكيو عاصمة جميلة بفنادقها الفاخرة، ومتاجرها، ومطاعمها، وشوارعها الجميلة. وبقينا في طوكيو ثلاثة أيام تجولنا خلالها بالمدينة وتعرفنا على معالمها، وأُعجبنا بالنبوغ الياباني الظاهر في كل مكان، فهذه الدولة التي هزمتها الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية وجعلتها تستسلم نتيجة إلقاء القنابل النووية عليها، نهضت من كبوتها وجندت قواها لتحتل المكان الإقتصادي بدلاً من المكان العسكري، كما استطاعت أن تأتي بمعجزات، وتتقدم على جميع دول العا لم إقتصادياً، فاليابان هي معجزة القرن العشرين.

سافرنا بعد ذلك إلى هونولولو حيث أقمنا ثلاثة أيام، ثم سافرنا إلى نيويورك التي وصلناها يوم 14 أبريل عام 1967م، وبذلك إنتهت رحلتنا حول العا لم، وزيارة البلاد الإسلامية، وعندما شرعنا في الإعداد لبناء المسجد وإعداد الرسومات الخاصة بالمركز ككل، إشتعلت الحرب العربية الإسرائيلية في يوم 1967/06/05م، وتأجل العمل في بناء المركز، ولم أذهب لزيارة الملك فيصل لأن الظروف السياسية شغلت الجميع، وغطت قضية الاعتداء الإسرائيلي، واحتلال الضفة، وغزة، والجولان على غيرها، فأرجئنا الموضوع إلى أن تهدأ الأحوال، إلا أن الأحوال لم تهدأ، وظلت الأموال والأرض راكدة إلى أن جاء الكويتيون، فشيدوا في الأرض وبالأموال المتوفرة مسجداً متواضعاً بعيداً عن المشروع الذي كنا نحلم بإنجازه، وإنما المهم هو توفير مسجد للمصلين.

نكبة عام 1967م

لم أرَ طيلة عملي في الأمم المتحدة هذه الكثرة من الصحافيين والبشر يتزاحمون في ردهات الأمم المتحدة، مثلما رأيت يوم 5 يونيه عام 1967م، فقد كانت قاعات وردهات الأمم المتحدة تغص بالبشر من مختلف الألوان والجنسيات، تجمعوا لمتابعة الأحداث وإظهار إعجابهم بما فعلته إسرائيل، فاجتمع مجلس الأمن في الساعة التاسعة صباحاً، وكان قد إتصل بي أحد موظفي الأمم المتحدة من أصدقائي هاتفياً الساعة السادسة صباحا، ليخبرني بأن الحرب قد أُعلنت في الشرق الأوسط، وأن القتال على أشده بين القوات المصرية والإسرائيلية، وأن مجلس الأمن مدعو للاجتماع في الساعة التاسعة، فأعددت نفسي على عجلٍ للخروج، ووصلت الأمم المتحدة فوجدتها تموج بالناس، وكانت الجمعية العامة على وشك الاجتماع، وبدأت الوفود تتابع في إلقاء كلماتها، وعندما إعتلى مندوب إسرائيل المنصة إستهل كلمته متهماً مصر بالتحرش بإسرائيل وباستفزازها، وغلق شرم الشيخ في وجه الملاحة الإسرائيلية، وهو الأمر الذي يتناقض مع الإتفاقيات المعقودة معها، هذا بالإضافة إلى طلب مصر إبعاد قوات الطوارئ عن أراضيها، فقد هجمت إسرائيل على مصر دفاعاً عن نفسها، وقواتها في تقدمٍ مستمر في اتجاه قناة السويس، وإعتلى المنصة المندوبون العرب وهم لا يعرفون ما سيقولون لنقص المعلومات لديهم، ولعدم قيام حكوماتهم بتزويدهم بالأخبار الصحيحة، وكان العرب حائرين بين التلفاز الأمريكي الذي يُظهر إنتصارات إسرائيل واحتلالها لسيناء موقعاً بعد الآخر، وبين الإذاعات العربية وما كانت تردده من إنتصارات خيالية للقوات العربية المشاركة في المعركة، فبالإضافة إلى مصر شاركت في القتال ضد إسرائيل المملكة الأردنية، وسوريا، اللتين إحتلت منهما إسرائيل الضفة الغربية، والجولان، بالإضافة إلى سيناء.

وقد وضع الإسرائيليون على ما أعتقد، في ردهات الأمم المتحدة أجهزة التلفاز في أكثر من مكان ليرى الحاضرون مدى تقدم القوات الإسرائيلية في سيناء، وكيف استطاعوا تدمير الطيران المصري بكامله وهو جاثم على الأرض دون أن تقابلهم طائرة واحدة في الجو، وكنا نحن السفراء العرب حائرين ومذهولين لا نصدق ما يحدث، فأحمد سعيد من القاهرة ومن خلال برنامجه الإذاعي (صوت العرب)، كان يشيد بالإنتصارات العربية، وبالتقاء

القوات المصرية بالقوات الأردنية في العقبة، هذا في حين كان التلفاز الأمريكي يذيع تقدم القوات الإسرائيلية في سيناء، وتراجع القوات السورية، واحتلال الضفة الغربية، والقضاء على الطيران المصري.

واجتمعت الجمعية العامة وكانت غاصة بالناس، وتعدد المتكلمون، وقد إعتلى المنصة المندوب الإسرائيلي وأعلن أن ثلاثة عشر شخصاً ما بين نساءٍ وأطفال وشيوخ يهود قُتلوا في ليبيا، وحاولنا الاتصال بليبيا لنعرف صحة الخبر، وبما سنرد عليهم، ولكن بدون جدوى، فاكتفيت بتكذيب النبأ، واستمرت الضجة إلى أن إنعقد مجلس الأمن فانتقل الحاضرون إليه، وقد حاول العرب الحصول على قرارٍ بإيقاف القتال وعودة القوات الإسرائيلية إلى مواقعها التي تحركت منها يوم 5 يونيه، ولكن إسرائيل وأمريكا كانتا تماطلان وتريدان الحصول على مزيدٍ من الوقت لتستطيع إسرائيل توطيد احتلالها، وتتعمدان تأخير صدور قرارٍ من مجلس الأمن، ورأيت السفير الباكستاني يبكي، وبكى غيره، في حين كانت إسرائيل ومن يؤيدها في قمة النشوة والسرور، وشعر العرب بتفاهتهم، وعجزهم الكامل في إثبات وجودهم كأُمّة تحترم نفسها. وعندما أعلنت إسرائيل التعبئة العامة، إجتمع السفراء العرب وطلبوا من سفير مصر أن يمدهم ببعض المعلومات عن الوضع، وسأله مندوب السعودية ما إذا كانت مصر مستعدة للحرب؟ فقال: أطمئنوا فنحن مستعدون لكل احتمال، ولمواجهة إسرائيل ومن يقف وراءها.

وقد إستطاعت إسرائيل تدمير الطيران المصري في بضع ساعات، ووضعت القوات المصرية في سيناء تحت رحمة طائراتها، ولم تكن سوريا ولا الأردن بأسعد حظاً، وظلت الأمم المتحدة ثلاثة أيام وكأنها سوقاً مالية، وظلت الكلمات تُلقى وإسرائيل تكمل احتلالها وتوطد أقدامها في سيناء، وفي الضفة الغربية، وغزة، والجولان، وهي الأراضي التي احتلتها في حربها الخاطفة، والتي باستثناء سيناء، لا زالت الدول العربية وإلى وقتنا هذا تعمل على استعادتها.

وفي مساء اليوم الثالث للهجوم الإسرائيلي، قام سفير مصر الرجل الفاضل، محمد القوني، والذي يحظى بتقدير الجميع، والألم يعتصره، بتقديم رسالة إلى رئيس مجلس الأمن تحتوى قبول مصر إيقاف القتال دون العودة إلى الحدود التي تحركت منها إسرائيل

يوم 1967/06/05م، وكان بادياً على وجهه الألم ويكاد يبكي لقيامه بهذه المهمة الشاقة، فقبول إيقاف القتال دون العودة إلى القواعد التي تحركت منها إسرائيل معناه استسلام مصر والدول العربية الأخرى، وكانت لحظة رهيبة وحزينة تألم لها جميع العرب والمتعاطفين معهم، وقد طلبت مصر والدول العربية منذ اندلاع الحرب إيقاف القتال والعودة إلى القواعد التي قامت منها إسرائيل يوم 1967/06/05م، إلا أن أمريكا وإسرائيل رفضتا ذلك لكي تحصل إسرائيل على الوقت اللازم لإتمام إحتلالها لسيناء.

واحتفل يهود نيويورك بالنصر على طريقتهم، فأقاموا مسيرة كبيرة شارك فيها عشرات الآلاف، وطافوا شوارع المدينة حاملين ثلاثة نعوش كتب عليها اسم مصر وسوريا والأردن، واقتحموا بعض السفارات العربية، وأرسلوا صوراً خليعة للسفراء العرب، وشارك الإعلام الأمريكي في هذه الفرحة وفي التشفي من هذه الأمة التي إستحقت كل ذلك، والتي تسببت في هذه المأساة بدخولها حرباً غير مستعدة لها، وعلى غير علمٍ بمدى قدرة وقوة عدوها.

لقد قهرت إسرائيل الدول العربية وفازت عليها في ساعاتٍ معدودة نتيجة عدم الاستعداد، والإهمال، والتسيب، وعدم النظر إلى الأمور بجدية، فهذه الهزيمة قد تسببت في ضياع سيناء، والضفة الغربية، والجولان التي إحتلتها إسرائيل وأرست أقدامها فيها، فباستثناء سيناء التي إستطاع الرئيس السادات إعادتها إلى مصر، فقد ظلت الضفة الغربية، وغزة، والجولان إلى الآن تحت الإحتلال الإسرائيلي، وأصبحت إعادتها إلى أصحابها الشرعيين أمراً مشكوكاً فيه بعد مضي أكثر من أربعين عاماً على ضياعها.

إجتمع السفراء العرب في منزل سفير المغرب، الطيب بن هيما، لبحث مختلف مشاريع القرارات المعروضة على الأمم المتحدة لحل الأزمة، وتواصلت هذه الإجتماعات قرابة الشهر دون التوصل إلى نتيجة، لأن أي مشروع يقدم لا يحظى بالاتفاق عليه سواء من الجانب العربي، أو من الجانب الإسرائيلي، وكنا في كل يومٍ نجتمع ونناقش المشاريع المطروحة كل يوم، وكان سفير مصر يردد بأننا لا نريد إلا ورقةً تُذكر فيها عودة الأراضي المحتلة إلى أصحابها، وأخيرا جاء اللورد كارادون سفير بريطانيا بمشروعه الذي حل الأزمة، ورغم عيوبه فيما يتعلق بإنسحاب إسرائيل، إذ تحدث النص الإنجليزي عن (إنسحاب من أراضٍ محتلة)، في حين تحدث النص الفرنسي عن (الإنسحاب من الأراضي المحتلة)، والفارق بين الاثنين هو أن

الأول يشير إلى عودة بعض الأراضي، في حين أن الثاني يشير إلى عودة كامل الأراضي.

وقال وزير خارجية إسرائيل، أبا ايبان، إن إسرائيل لا تعترف إلا بالنص الإنجليزي، ولم يهتم العرب كثيراً بهذا التلاعب في القرار، وكانوا يريدون فقط قراراً من الأمم المتحدة يؤكد إنسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها، في حين لم ينص القرار على الانسحاب من جميع الأراضي التي احتلتها إسرائيل، فالعرب كانوا في موقف العاجز، لا يستطيعون الحصول على أي حق، ما لم يتحدوا ويوظفوا ما لديهم من قدراتٍ اقتصادية وسياسية، لإجبار إسرائيل والولايات المتحدة على حل قضية فلسطين الحل العادل والمشروع، وظل الموقف العربي يتصف بالخنوع، والمذلة، والعجز على مدى أكثر من أربع عقود، وقد مرّ أكثر من أربعين عاماً على صدور القرار الناقص الذي لم يُلبِ الطلبات العربية، والذي لم تقم إسرائيل بتنفيذه حتى الآن، وقد إستولت على جزءٍ كبير من الضفة الغربية وأقامت فيها المستعمرات اليهودية، وعملت على تهويد القدس بتطويقها بالمستعمرات الإسرائيلية، ولا زال العرب يسعون لتنفيذ القرار، ثم جاءت مع القرن الجديد مرحلة التمزق والتشرذم، وأصبح الفلسطينيون منقسمين على أنفسهم وتحت رحمة إسرائيل تقتل، وتعتقل، وتدمر المنازل، وتقتلع الأشجار، وتبيد اللاجئين الفلسطينيين الذين يستميتون في مقاومتها، ويضحون بحياتهم في سبيل الدفاع عن وطنهم وحقوقهم، والأمة العربية واقفة كعادتها تتفرج ولا تحرك ساكناً لأنها غير قادرة على مواجهة إسرائيل عسكرياً بعد هزيمتها في عام 1967م، إلا أن الشعب الفلسطيني لا زال يقاوم القوى الإسرائيلية ويضحي كل يوم بأرواح أبنائه ويتحمل تضحيات أخرى، في حين تقف البلاد العربية مكتوفة الأيدي لا تحرك ساكناً لنصرته، وستواصل إسرائيل اعتداءاتها وغطرستها مادامت تحظى بالتأييد الأمريكي المطلق والمساعدة اللامتناهية.

واصل المندوبون العرب بالأمم المتحدة نشاطهم المتمثل في مطالبة إسرائيل بالإنسحاب من الأراضي التي إحتلتها عام 1967م، وفقاً لقرار الأمم المتحدة، إلا أن إسرائيل ضربت بجميع قرارات الأمم المتحدة عرض الحائط، ولم تنسحب من الأراضي المحتلة، أو من أراضٍ محتلة، فباستثناء سيناء التي إستعادها الرئيس السادات بعد حربٍ طاحنة وتدخل الولايات المتحدة، وذلك بعد خمس سنوات من عام 1967م، إستطاعت إسرائيل أن تسترضي مصر، فأعادت إليها سيناء، وآبار البترول، وقيّدتها بمعاهدةٍ ظهرت آثارها خلال

الانتفاضة الفلسطينية في القرن الجديد، فقد وقفت مصر صامتة تجاه جميع الجرائم التي ارتكبتها إسرائيل ضد الفلسطينيين في رفح، وغزة، والضفة، ولم يقتصر السكوت على مصر بل كان شاملاً جميع الدول العربية دون استثناء، وبعد أن كان المندوبون العرب يطالبون بعودة اللاجئين، أصبحوا الآن يطالبون بانسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها عام 1967م، وقد بادر الإسرائيليون بعد احتلال القدس الشرقية إلى إعلان القدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل، وكرر، أبا ايبان، وزير خارجية إسرائيل أمام مجلس الأمن أكثر من مرة أن القدس أصبحت عاصمة إسرائيل الأبدية، وكان المندوبون العرب رغم إخلاصهم، وقدراتهم، وكفاءتهم، قد دمرت الهزيمة معنوياتهم، وشلت ألسنتهم، وكانوا يطالبون بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة التي ضربت بها إسرائيل عرض الحائط بفضل حماية ومساندة الولايات المتحدة لها، والتي شجعتها على التوسع في أراضي الضفة الغربية وبناء العديد من المستعمرات فوق الأراضي العربية، وفي كل يوم يمر تزداد مستعمراتها وتتقلص مساحة الأراضي التي في يد العرب.

فالولايات المتحدة هي التي خلقت إسرائيل، وتكفّلت برعايتها وبتوفير المال والسلاح لها لكي تكون أقوى من جميع الدول العربية مجتمعة، وفهم العرب هذا الوضع وتعايشوا معه، إلا أنهم كانوا يضغطون على الولايات المتحدة لتتخلى إسرائيل عن الأراضي التي احتلتها عام 1967م، أما ما نهبته في السابق فأصبح في ذمة التاريخ، وإسرائيل التي تملكتها مشاعر القوة والتفوق على جميع العرب لا ترغب في إعادة جميع الأراضي العربية التي احتلتها عام 1967م، بل جزءاً منها، وضربت عرض الحائط بكل الإتفاقيات التي تمت في مدريد، وأوسلو، وأماكن أخرى، وأظهرت استهانتها بعرب فلسطين وبالعرب عموماً، وهي في كل يوم تلقن الفلسطينيين درساً والعرب يشاهدون ذلك دون حراك، والموقف الدولي يؤيدهم بدايةً من الولايات المتحدة إلى الدول الأوروبية وإلى كثير من الدول الأخرى، وقد مرّ حتى الآن أكثر من أربعين عامٍ على إحتلال إسرائيل للأراضي العربية، ويعلم الله كم سيمر من السنين الأخرى قبل أن تعيد إليهم أراضيهم إذا إضطرتها الظروف إلى ذلك.

مؤتمر الخرطوم

بعد نكبة عام 1967م وما تلاها من أحداث، قرر العرب المذهولين من شدة الصدمة أن يجتمعوا في الخرطوم، ويراجعوا أوراقهم ويبحثوا أوضاعهم على ضوء الهزيمة الشنعاء التي حلت بهم، وقد وصلتني برقية وأنا في نيويورك من وزير الخارجية يطلب مني الحضور إلى ليبيا للمشاركة في مؤتمر الخرطوم، فسافرت إليها، ورافقت الوفد الليبي إلى الخرطوم في شهر أغسطس عام 1967م، وكانت مدينة الخرطوم تفتقر إلى الفنادق الجيدة وإلى القاعات الصالحة للإجتماعات.

إجتمع وزراء الخارجية لمناقشة تأثيرات المعركة على الدول العربية التي شاركت في الحرب، ولم يُبحث في المؤتمر أسباب النكبة، ولا تأثيراتها، ولماذا خسرت الدول العربية المعركة؟ لم يُبحث عن مواقع الضعف في السياسة العربية، وعن الإستعداد الحربي الذي تسبب في الهزيمة، لم يُبحث لماذا إسرائيل منذ الساعات الأولى تفوقت على ثلاثة جيوش عربية ودمرتها؟ ولم يُبحث عن كيفية الاستعداد لمواجهة إسرائيل وعن الثأر للهزيمة التي مُنيت بها الدول العربية، إنما جرى البحث عن تعويض الدول المتضررة في الحرب، وهي مصر وسوريا والأردن، وتحدث مندوب كل دولة عن خسائره ومطالبه، وكان الإتجاه منصرفاً إلى السعودية والكويت وليبيا لتقوم بتعويض الدول المتضررة، كما لو أنها كانت السبب في ضررها، وعندما بدأوا يقررون قيمة الأموال التي ستدفعها كل من الدول الثلاث للدول المتضررة، رفعت يدي وقلت لهم: إن الوفد الليبي لا يملك تفويضاً بالموافقة على أي مبلغ إلا بعد الاتصال بالحكومة وموافقتها، فهب مندوب الكويت وقال: هل هذا كلام يقال في هذا الموقف؟ فقلت له: إذا أنت لديك تفويض بالتبرع بما تشاء، فإننا دولة ديمقراطية، لا يستطيع الملك، ولا رئيس الوزراء، ولا الوزير بالتبرع بشيءٍ بدون موافقة الحكومة والبرلمان.

وأخيراً إجتمع الملوك والرؤساء في جوٍ كئيب، ودخل الملك فيصل ممسكاً بيد الرئيس عبد الناصر بعد أن اختليا ببعضهما وناقشا أسباب خلافاتهما، ليعلنا أنهما تصالحا واتفقا، واجتمع الجميع ما عدا الشقيري ممثل فلسطين الذي كان محتجاً على بعض الأمور، فبعث أمين الجامعة العربية بالبعض لاسترضائه لحضور الاجتماع، فما كان من الملك فيصل إلا أن أمر الأمين العام بافتتاح الجلسة، وقال له: إننا نفتتح الجلسة بدون سوريا فما بالك بأحمد

الشقيري، وجاء الشقيري مسرعاً وجلس في مقعده، وتحدث الرؤساء في كيفية مساعدة الدول المتضررة، فقال الملك فيصل: إننا ندفع خمسين مليون دولار في العام للدول الثلاث، والكويت تدفع خمسين مليون دولار، وليبيا تدفع ثلاثين مليون دولار، فرفعت يدي وقلت لهم: إننا سنرفع إلى الحكومة هذا الإقتراح للموافقة عليه، وتقبل الجميع هذه المبالغ، وانفض الاجتماع، وحُلت قضية الهزيمة، فمؤتمر الخرطوم رغم شدة النكبة وتأثيراتها الكبيرة على الدول العربية، لم يخرج بأي قرار إلا بإجبار ليبيا والسعودية والكويت على دفع تعويضات للدول المهزومة في الحرب، وخرج المؤتمر بقرار اللاآت الثلاثة (لا صلح، ولا تفاوض، ولا اعتراف بإسرائيل) وهي اللاآت الثلاث التي ستعيد للعرب أراضيهم المغتصبة، وعندما عدت إلى ليبيا واتصلت برئيس الوزراء، قال لي: إنا كنا بين خيارين، إما أن نوافق على دفع المبلغ المقترح، أو أن نُتهم بالخيانة ونُحمّل وزر هزيمة الدول العربية، فقررنا دفع المبلغ والعوض على الله.

وتقبلت الدول العربية البترولية دفع ما فُرض عليها إتقاءً لتذمرهم، ودعايتهم، ومهاتراتهم، وربما قد يتهمون هذه الدول بأنها كانت سبب النكبة، وتخلفت سوريا عن حضور اجتماع الخرطوم إلا أن نصيبها من التعويضات قد تقرر، ولم يحدد المؤتمر عدد السنوات التي يستمر فيها دفع الدعم، وقد توقفت بعض الدول عن الدفع بعد عامٍ أو عامين، في حين إستمرت ليبيا في دفع حصتها لعدة سنوات أخرى.

وفي ليبيا فوجئت الحكومة والشعب بانفجار الحرب في الشرق الأوسط، ولم تتخذ الحكومة عندما لاحت دلائل وقوع الحرب، أية إجراءات أمنية لحفظ النظام والأمن وعدم حدوث أي شغب، فقد قام المتحمسون والعملاء في بنغازي بعد إعلان الحرب بالإعتداء على السيارات، والقواعد البريطانية، إلا أن قوات الأمن في بنغازي إستطاعت إيقاف المشاغبين عند حدهم، والمحافظة على الأمن والنظام، هذا في حين قام بعض الناس بحرق بعض المحلات التجارية والسكنية، أما في طرابلس فقد حدث اعتداء على اليهود، فبادرت الحكومة بجمعهم في مكانٍ واحد تحت الحراسة، إلا أن ضابطاً من ضباط الجيش إستطاع أخذ ثلاثة عشر يهودياً إلى غابة (جود دايم) حيث أمر بقتلهم جميعاً، وقام المشاغبون بحرق المتاجر والمباني العامة، وأخيراً تحركت قوات الأمن وأوقفت المشاغبين وأعادت الأمن والإستقرار إلى البلاد، وظل الوضع متوتراً فيها، فكانت تجربة مؤلمة مرت بها البلاد ودلت

على مدى عجز الحكومة في المحافظة على الأمن والنظام في وقت الشدة، وكنت آنذاك في نيويورك وعلمنا بوقوع الأحداث في ليبيا إلا أننا لم نجد من يزودنا بحقائق الأمور، وفي اليوم التالي من وقوع الحرب حدثني بالهاتف أحد مدراء شركات البترول الذي كنت على معرفةٍ به، فقال لي: إني قادم الآن من ليبيا، فطلبت منه أن يزورني لأني في حاجةٍ للحديث معه، وبعد فترةٍ من الوقت جاءني، فسألته عن الوضع في ليبيا، فقال لي: سافرت من بنغازي وهي تحترق، وغادرت طرابلس والنيران مشتعلة فيها، وأترك لك إستخلاص النتائج.

وقد أطاحت الأحداث بحكومة حسين مازق التي أتهمت بالتقصير في مواجهة الأحداث، وتولى رئاسة الحكومة خلفاً لحسين مازق عبد القادر البدري، وكان رجلاً قوياً إستطاع إعادة الأمور إلى طبيعتها، ووضع حداً للشغب والفوضى، وقبض على البلاد بيدٍ من حديد حتى استتبت الأمور، وظل عبد القادر البدري في الوزارة بضعة أشهر، ثم أُقيل لأسبابٍ لا أعرفها، وعُين مكانه رئيساً للوزراء عبد الحميد البكوش الذي أُقيل أيضاً بعد بضعة أشهر من توليه الوزارة.

تعييني سفيراً في فنزويلا

صدر مرسوم ملكي بتعييني سفيراً في فنزويلا إلى جانب قيامي بعملي في الأمم المتحدة، فسافرت إلى كاراكاس يرافقني سليمان الضراط، وفي اليوم التالي من وصولي إليها ذهبت إلى وزارة الخارجية لتقديم صورة من أوراق إعتمادي، فأخبروني بأنهم سيحددون لي موعداً مع رئيس الجمهورية وسوف يعلموني بذلك، فخرجت وأخذت أتجول في مدينة كاراكاس الجميلة، إلا أن ما يلفت النظر، هذه الهوة الساحقة بين الفقراء والأثرياء، فبمجرد دخولك مدينة كاراكاس تلاحظ هذا الفرق الشاسع، إذ أنك تشاهد في الشارع العريض الذي تمر منه في طريقك من المطار إلى وسط المدينة، بيوت الفقراء على هضبة وهي في حالة بائسة، بينما يقابلها من الناحية المواجهة لها بيوت ومباني الأغنياء الرائعة، فكاراكاس مدينة جميلة وجوها معتدل باستمرار، وسكانها لا يعرفون الصيف ولا الشتاء، وأهلها طيبون يحبون الغريب ويعملون على راحته. وقمت في هذه الأثناء بزيارة سفير السعودية، وسفير مصر، والسفير السوري، وهم السفراء العرب الوحيدين الموجودين في كاراكاس، وقد دعاني السفير المصري إلى الغداء، وتحدثت معه عن سياسة البلاد، وأوضاعها، ومشاكلها، وكان

ملماً بكل ما يحدث فيها.

وبعد وصولي بيوم إتصل بي رجال البروتوكول وقالوا لي إن الرئيس حدد لي موعداً في الساعة الحادية عشر، فارتديت ملابسي وأخذت معي أوراق إعتمادي، وصحبني ابراهيم سليمان الضراط وذهبنا إلى قصر الرئاسة حيث استقبلنا الرئيس، وكان رجلاً متواضعاً سألني عن ليبيا، وعن أوضاعها، وعن البترول، وقد أجبته بكلمة أبديت فيها سروري بكوني أول سفير لليبيا في ڤنزويلا، وأبديت له رغبة ليبيا في التعاون مع بلاده في ميدان البترول ومشتقاته وفي ميادين أخرى، وسلمته أوراق الاعتماد ثم استأذنت وخرجت، وقد قمت بزيارة وزير البترول الڤنزويلي وتباحثت معه في سبل التعاون بين البلدين في ميدان الطاقة، كما زرت بعض الوزراء الآخرين، وبعد إقامة بضعة أيام واصلت فيها إتصالاتي بالمسؤولين قررت العودة إلى نيويورك.

وقد قمت فيما بعد برحلةٍ ثانية إلى ڤنزويلا وصحبت معي زوجتي، وقد أقمنا فيها أكثر من عشرة أيام حضرنا خلالها إحتفالات العيد الوطني، ثم قمت بزياراتٍ للسفراء العرب، وسفراء أمريكا، وبريطانيا، وإيطاليا، وفرنسا، كما قمت بزيارةٍ خاصة لممثل الڤاتيكان الذي حدثني عن قضايا ڤنزويلا ومشاكلها وما تجتازه من صعوبات، وكان ملماً بكل كبيرة وصغيرة تقع في البلاد، فڤنزويلا بلد مصدر للبترول وعضو في منظمة الأوبك، وبها فقراء كثيرون لم يستفيدوا من البترول، ورغم ذلك، تبــدو على المدينة مظاهر التقدم والنهضة.

ومما أدخل علينا البهجة دعوة أخ فلسطيني صاحب مزرعة زهور تقع خارج المدينة، والذي دعا أيضاً عدداً من الدبلوماسيين العرب لحضور الغداء الذي أعدّه لنا، وقد قضينا يوماً طيباً في مزرعة هذا الرجل الكريم، وبعد مغادرتنا ڤنزويلا مررنا بمدينة المكسيك حيث أقمنا فيها ثلاثة أيام تجولنا خلالها في هذه المدينة الضخمة، وزرنا معالمها وأسواقها المليئة بكل الخيرات، وبعدها عدنا إلى نيويورك.

وكانت الأخبار التي ترد من ليبيا لا تسر، فالأوضاع مضطربة والبلاد في حالة فوضى، والحكومات لا تستقر حتى تستطيع معالجة الأوضاع، فقد أقيلت حكومة محمود المنتصر وتلتها حكومة الساقزلي التي لم تعمر طويلاً، ثم آلى الحكم إلى مصطفى بن حليم الشاب الطموح الذي أدار دفة الحكم بكفاءةٍ ومقدرة متغلباً على المشاكل القائمة أو متجنبها،



تقديمي أوراق اعتمادي إلى رئيس جمهورية ڤنزويلا سنة 1969م.


خلال زيارتي لڤنزويلا ووضع باقة من الزهور على قبر (سيمون بوليڤار) الزعيم الوطني.

إلا أن علاقاته برجال القصر ساءت بعد أن كانت جيدة في مطلع رئاسته، وبدأ يعاني المشاكل والصعوبات إلى أن طُلب منه تقديم استقالته في عام 1957م، ثم تولى عبد المجيد كعبار الذي كنتُ وزيراً لخارجيته، فأدار الأمور بهدوء دون إثارة مشاكل أو التعرض للقضايا الصعبة، إلا أنه اصطدم بموضوع طريق فزان الذي قضى عليه سياسياً، أما حكومة محمد عثمان الصيد فقد قامت بحل المصالح المشتركة وبعدة إنجازاتٍ أخرى وانتهت هي أيضاً في عام 1963م، فكُلِّف محي الدين فكيني بتشكيل الحكومة، وكان فكيني شاباً طموحاً ومغروراً، كما كان يعتقد بأنه بتوليه رئاسة الحكومة قد أصبح قادراً لفعل ما يشاء في ليبيا، وسرعان ما اصطدم بالواقع فقدم استقالته ليعتكف بعد ذلك في مزرعته، ثم تولى محمود المنتصر الوزارة للمرة الثانية ولم تدم وزارته سوى بضعة أشهر، فتولاها من بعده حسين مازق الذي أدارها بكفاءةٍ إلى أن اصطدم بأحداث عام 1967م فقدم استقالته، وعُين بعد ذلك عبدالقادر البدري الذي دامت وزارته أيضاً بضعة أشهر، ثم آلت إلى عبد الحميد البكوش والذي لم يدم فيها سوى بضعة أشهر، وكُلف من بعده ونيس القذافي بتشكيل آخر وزارة للمملكة الليبية، في الوقت الذي كانت فيه الأوضاع السياسية في هذه الفترة غير مستقرة، ولم تستطع حكومة من هذه الحكومات إنجاز ما كانت تريد إنجازه بسبب المشاكل والصعوبات التي كانت تواجهها، وكان رجال القصر في الغالب هم الذين يخلقون المشاكل للحكومات بطلباتهم التي لا تتماشى مع نظام الحكومة السائد ولا مع تشريعاتها، وبالإضافة إلى رجال القصر فقد كانت هناك مراكز قوى لها تأثيرها وقوتها.



صورتي مع الرئيس جمال عبدالناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ويُرى في الصورة أيضاً السيد محمود الخوجة سفير ليبيا في مصر والسيد عبدالسلام بسيكري وزير الدفاع، والسيد نوري الصديق رئيس أركان الجيش الليبي.



مع الملك الحسن ملك المغرب.



مع الملك حسين ملك الأردن.



مع أمير البحرين.



مع الأمير فهد قبل أن يعتلي عرش المملكة العربية السعودية.



مع ملك وملكة النيبال



مع الرئيس اللبناني فؤاد شهاب خلال اجتماعات الجامعة العربية في بيروت.



مع الرئيس عبد العزيز بو تفليقة عندما كان وزيراً للخارجية، وإلى جانبه السيد أحمد الطيب بن هيما وزير خارجية المغرب.



مع إمبراطور إثيوبيا هيلاسلاسي خلال مؤتمر أديس أبابا عام 1963م.



مع الرئيس كوامي نيكروما رئيس جمهورية غانا.



مع رئيس جمهورية ليبيريا الذي قلدني أكبر وسام في بلاده.



رئيس أول حكومة صومالية يجتمع برؤساء الوفود العربية بعد إعلان استقلال الصومال علم 1960م.



الوفد الليبي المؤلف من ولي العهد الأمير حسن الرضا ووهبي البوري وزير الخارجية والسيد فتحي الخوجة رئيس التشريفات الملكية يعزي الملك الحسن ملك المغرب في وفاة والده الملك محمد الخامس ويهنئه بتوليه الملك في المغرب.(عام 1961)



مع الرئيس نجيب رئيس جمهورية مصر بحضور السيد علي الجربي.



مع الرئيس بيرتيني رئيس جمهورية إيطاليا خلال إنعقاد مؤتمر التعاون العربي الأوروبي.



مع الرئيس بن بلا رئيس جمهورية الجزائر في داكار عام 1962م.



الملكة إليزابيث ملكة المملكة البريطانية المتحدة خلال زيارتها للملك إدريس في طبرق عام 1954م.



مع الجنرال أيوب خان رئيس الجمهورية الباكستانية خلال زيارة وفد المركز الإسلامي في نيويورك إلى باكستان عام 1967م.



الأميرعبدالله السالم الصباح أمير الكويت في زيارة لولي عهد ليبيا خلال انعقاد مؤتمر القمة العربي في المغرب.

القواعد الأجنبية في ليبيا

كانت قضية القواعد الأجنبية شوكة في جانب رؤساء الحكومات الليبية، وقد وُلدت هذه القضية عندما فاجأ الرئيس عبد الناصر الشعب الليبي مطالبته بإلغاء القواعد الأجنبية في ليبيا، وللرئيس عبد الناصر أنصارٌ كثيرون في كل ليبيا يطيعونه ويفعلون ما يريد، فأدركت الحكومة جدية مطلبه وتأثيراته في الشعب، وخوفاً من تجدد المظاهرات وأعمال العنف، اضطرت الحكومة إلى إصدار بيان أعلنت فيه عدم رغبتها في تجديد المعاهدة البريطانية، والإتفاقية الأمريكية، بعد انتهاء مدتهما التي كانت تقارب على النهاية.

وبعد ذلك أُثير الموضوع في البرلمان الذي طلب من الحكومة إلغاء المعاهدات والإتفاقيات العسكرية، وجلاء القوات الأجنبية، وإعطاء الحكومة فرصة لإبلاغ ذلك لبريطانيا وأمريكا، فطلبت الحكومة الليبية من الحكومتين الأمريكية والبريطانية الدخول في مفاوضات للنظر في إنهاء المعاهدات، وفي مارس من العام ذاته أعلن السيد محمود المنتصر رئيس الوزراء في البرلمان بدء المفاوضات، ثم أعقبه بتصريح يوضح فيه أن الهدف منها هو إنهاء المعاهدة البريطانية، والإتفاقية الأمريكية، وتصفية القواعد العسكرية، وتحديد موعد جلاء كل القوات الأجنبية عن ليبيا، وكما يظهر من تصريحات السيد محمود المنتصر، فهو لم يُفصح عن قرار الحكومة دفعة واحدة، بل واصل إصدار عدداً من التصريحات تتفاوت في توقيتها تجنباً لرد فعل الملك الذي كان يتابع تطورات الموضوع دون تدخل، ولمعرفة ما سيستقر عليه رأى البرلمان والحكومة. ولكن تصريحات رئيس الوزراء الأخيرة وتمشيه مع كل ما يطالب به البرلمان أثار شكوك الإنجليز والأمريكان، لأنه تعدّى ما طُلب منهم رسمياً في المفاوضات التي بدأت فعلاً على أساس التصريحات الأولية لرئيس الوزراء، وهكذا إتصل السفيران الإنجليزي والأمريكي بالملك لمعرفة رأيه، ويظهر أنه أخبرهما من قبل بأن الأمر متروك للحكومة وللبرلمان ولا يريد التدخل، ولكنه بعد ذلك صارحهما برأيه وهو معارضة ما توصلت إليه الحكومة والبرلمان.

عاد محمود المنتصر إلى الحكم بعقلية جديدة وتفكير جديد، فهو لم يعد المتمسك بالتعاون مع الغرب، بل أصبح يرى الخطر المتربص بالدولة بسبب إنتقاد وجود القواعد الأجنبية، وقد فجّر الرئيس عبد الناصر موضوع القواعد، مما دفع بمحمود المنتصر إلى

الإعلان عن رغبته في إلغائها، والدخول في مفاوضات مع الدولتين الأمريكية والإنجليزية في هذا الصدد.

وأمام تطورات الأحداث، إتخذ الملك قراراً حاسماً في قرارة نفسه للوقوف ضد محاولات حكومته ومجلس الأمة لوضعهما في موقفٍ لا خيار فيه، ولم يعلن رأيه هذا بصراحة علناً ضد الإلغاء والإجلاء، لأنه ملكٌ دستوري يملك ولا يحكم، وأن القرار في شؤون الدولة بيد الحكومة ومجلس الأمة.

فقرر الملك الإستقالة نظراً لسير الأمور في الحكومة خلافاً لرغبته، فهو لم يكن يريد أن تندفع الحكومة بمجرد سماعها لخطاب عبد الناصر، وتطالب بإلغاء المعاهدتين البريطانية والأمريكية وجلاء قواتهما عن الأراضي الليبية، فطلب حضور رئيس الوزراء ورؤساء الوزارات الثلاثة السابقين، وأعلمهم بعزمه على الاستقالة والتخلي عن العرش، فاحتج الحاضرون على ذلك وطالبوه بالعدول عنها، إلا أنه سلّم إستقالته إلى رئيس الوزراء وانفض الاجتماع، وسافر الملك بعد ذلك إلى طبرق، وعندما ذاع نبأ إستقالة الملك توافد على طبرق مشائخ القبائل والأعيان ليطلبوا منه العدول عن الاستقالة، فقابلوه وأصروا عليه بسحبها، فاستجاب لذلك إرضاءً للجميع، إلا أنه ظل متمسكاً في قرارة نفسه بعدم سير الحكومة في طريق إلغاء القواعد البريطانية والأمريكية، وقد أدرك الجميع بأن سبب استقالة الملك هو عدم رضاه عن الخطوات التي اتخذتها الحكومة ومجلس النواب بخصوص القواعد الأجنبية.

وبعد سحب الملك لاستقالته عاد محمود المنتصر إلى طرابلس وأدخل تعديلاً على وزارته ضم إليها بموجبه بعض الوزراء الشبان، كما عيّن وكلاء وزارات شبان في المناصب الشاغرة.

بالرغم من كل ما حدث، فقد استأنفت الحكومة المفاوضات مع البريطانيين والأمريكيين في مدينة البيضاء كما كان مقرراً، وأصدر رئيس الوزراء بياناً على إثر ذلك بنتائج المفاوضات الأولية، وفاءً لوعده بإعلام مجلس الأمة بها في مدةٍ لا تزيد عن ثلاثة أشهر، واكتفت الحكومة بهذا البيان دون دعوة مجلس الأمة للإنعقاد خوفاً من تجدد المناقشات بين الحكومة والنواب، ولم يمضِ سوى يومٍ واحد على صدور بيان الحكومة، حتى أمر الملك بحل مجلس النواب وإجراء انتخابات جديدة.

ولم يُغلق باب المفاوضات مع بريطانيا وأمريكا، إلا أنها تتابعت ببطءٍ شديد للأسباب التي سبق واستعرضناها، وتواصلت المفاوضات وقبلت بريطانيا وأمريكا مبدأ الجلاء، ووافقت بريطانيا بعد ذلك على تحديد موعد الجلاء عن طرابلس وبنغازي، وقبلت أمريكا مبدأ جلاء قواتها لكنها ماطلت في تحديد موعدٍ لها قبل انتهاء مدة الإتفاقية، إلا أنها اقترحت مشاركة الليبيين في مطار الملاحة ورفع العلم الليبي إلى جانب العلم الأمريكي، وهو الأمر الذي رفضه الجانب الليبي، واحتفظت بريطانيا بمطار العدم وأجلت قواتها عن طرابلس وبنغازي كما وعدت، واستمرت الحكومات المتتالية في الإعلان في تصريحاتها وفي خطب العرش عن استمرار مفاوضات الجلاء، وإنهاء وجود القوات الأجنبية في ليبيا، وهذا لم يقنع الرأي العام الليبي، واستمر في موقفه السلبي مع الحكومات المتعاقبة.

وقد سافر الملك على رأس وفدٍ كبير مؤلف من رئيس الوزراء، ووزراء، وكبار الموظفين إلى القاهرة لحضور مؤتمر القمة العربي، وتمّ إستقباله في الإسكندرية بمظاهر الود والإحترام، وفاجأ الرئيس عبد الناصر محمود المنتصر بتحديد موعدٍ لمقابلته، وهو الذي لم يقابله منذ زمنٍ طويل، والذي تسبب له في مشاكل كثيرة بسبب خطابه بخصوص إلغاء القواعد البريطانية والأمريكية، فذهب محمود المنتصر وقابل الرئيس عبد الناصر وعاد مرتاحاً وراضياً عن المقابلة، وعُلم أن الرئيس عبد الناصر قابل محمود المنتصر بمودةٍ معتذراً له عن خطابه الذي تسبب له في مشاكل، وقال بأن الخطاب كان رداً على ما أُثير في مجلس العموم البريطاني ضده، وكانت القواعد العسكرية البريطانية في ليبيا وقبرص إحدى النقاط التي أثارها لإنتقاد السياسة البريطانية في المنطقة، ولم يخطر بباله أنه يتعرض لمسألة قد تثير المشاكل للحكومة الليبية في وقتٍ صعب، فهو يعرف الظروف التي وُقّعت فيها المعاهدة البريطانية الليبية والغرض منها، وهو وضع ليبيا المالي الضعيف آنذاك.

وكَلف الملك رئيس الوزراء محمود المنتصر بزيارة المملكة السعودية لتهنئة الملك فيصل لاعتلائه العرش، وتألف الوفد من رئيسيّ مجلس الشيوخ والنواب، ورئيس أركان الجيش، وبعض الوزراء، وقد رحب بهم العاهل السعودي أجمل ترحيب، وعبّر لهم عن شكره وامتنانه للملك إدريس لإرساله هذا الوفد المتميز لتهنئته، واشتكى في حديثه، من مصر وتدخلاتها في السعودية ودعايتها الموجهة إليها، وفي المساء أقام الملك فيصل حفل عشاءٍ للوفد الليبي حضره العديد من الأمراء السعوديين، وعاد الوفد في اليوم التالي إلى ليبيا.

في أول ديسمبر عام 1964م قام السيد محمود المنتصر بزيارةٍ رسمية إلى تونس، والمغرب، والجزائر، على رأس وفدٍ كبير ضم عدداً كبيراً من الوزراء، وهي أول زيارة رسمية لوفد ليبي بهذا المستوى، وفي تونس إستقبل الرئيس بورقيبة الوفد في منزله في قرطاج، وكان بشوشاً كعادته صريحاً ومنتقداً للسياسة العربية والرؤساء العرب فرداً فردا، فرحب بالوفد الليبي وأشاد بالعلاقات المتينة بين البلدين. ولبورقيبة تاريخ طويل مع ليبيا كما سبق وذكرنا، فهو من أصلٍ ليبي، وقد عاش في ليبيا واختلط بزعمائها الوطنيين وكان ذلك لدى قدومه من مصر محاولاً الدخول إلى تونس، وقد ساعده الليبيون في الدخول إليها رغم منع السلطات الفرنسية له بذلك. وعلاقات الرئيس بورقيبة بليبيا غير مستقرة، فأحياناً يغضب عليها ويكيل لها الإهانات، وأحياناً يرضى عنها ويذكر الليبيين بالخيرلما قاموا به نحوه ونحو التونسيين المهاجرين، وفي مقابلته لرئيس الوزراء الليبي والوفد المرافق له عبّر عن سروره وافتخاره لكونه ليبي مهاجر من مصراته، وأنه ليبي وتونسي في نفس الوقت، ثم تعرض لسياسة الرئيس عبد الناصر وتهجمه على تونس وليبيا وغيرها من البلدان بدون سببٍ أو داع، وأنه يجب أن يُوقف عند حده ويكف عن هذه المهاترات، وأنهى الوفد زيارته لتونس بالتوقيع على بعض إتفاقيات كالعادة.

وانتقل الوفد بعد ذلك إلى الجزائر حيث قوبل مقابلة ودية، وكان على رأس المستقبلين الرئيس أحمد بن بلا ونائباه، الهواري بومدين، ومحمد السعيد، وكانت الجماهير على طول الطريق من المطار إلى قصر الشعب تستقبل الوفد الليبي بالزهور والزغاريد، فقدكانت هذه أول زيارة رسمية يقوم بها وفدٌ ليبي بهذا المستوى بعد استقلال الجزائر، فحاول الرئيس بن بلا ونائباه استغلال زيارة الوفد الليبي لتحسين العلاقات، وقد رافق نائبا الرئيس السيدان، بومدين، ومحمد السعيد، الوفد الليبي طوال إقامته في الجزائر لزيارة كل المرافق والمناطق الجزائرية، كما أقيم العديد من الحفلات والمآدب على شرف الوفد.

وجرت مباحثات بين الطرفين تقدم خلالها الجزائريون بمجموعةٍ من الاتفاقيات الإقتصادية، والإجتماعية، والأمنية، والسياسية، والثقافية، وغيرها، مما أزعج الوفد الليبي الذي لم يكن مستعداً للتوقيع على هذه الاتفاقيات، فطلب بإحالتها إلى الحكومتين لدراستها وإعدادها للتوقيع، وتدخّل الرئيس بن بلا فقال: نحن نقبل على بياض كل ما يريده الليبيون ونوقع عليه، فهذه الإتفاقيات لصالح البلدين، وأضاف يقول: أنا جزائري

وليبي في نفس الوقت وإن مستقبل بلدينا واحد، وانتهت الزيارة بالتوقيع على معاهدة صداقة بينهما على أن يُنظر في بقية الإتفاقيات فيما بعد.

قُوبل الوفد الليبي في المغرب ببرود، وكان في استقباله رئيس وزراء المغرب والوزراء، وأقام ولي العهد الأمير عبد الله مأدبة عشاء صغيرة على شرف رئيس الوزراء الليبي، كما أقام رئيس الوزراء المغربي مأدبة غداء على شرف الوفد الليبي، وقد تقرر في اليوم ذاته زيارة الوفد الليبي للملك الحسن، وذهب الوفد إلى القصر الملكي وظل ينتظر فترة من الزمن قبل أن يقابله الملك مقابلة قصيرة، ثم قابل بعد ذلك رئيس الوزراء لبضعة دقائق، ويبدو أن حادث زيارة الملك إدريس للسلطان بن عرفة خلال عودته من أوروبا عام 1954م لا يزال مؤثراً في العائلة الملكية المغربية وفي علاقاتهم بليبيا، أو ربما هي طبيعة المغاربة في مقابلة ضيوفهم وزوارهم.

جرت المعركة الانتخابية في عام 1965م، وكان الجميع مستعداً لخوضها أو مساعدة مرشحيهم على الفوز، أما رئيس الوزراء محمود المنتصر فسافر إلى أوروبا للعلاج وترك وزير الداخلية فاضل الأمير ليشرف عليها، والتي سارت بنزاهةٍ تامة وعدم تدخل باستثناء من أوصى الملك بعزلهم عن البرلمان، وهم النواب المطالبون بإلغاء القواعد الأجنبية، ولم يفز في هذه الانتخابات المرشحون المعروفين بمعارضتهم للإتفاقيات العسكرية البريطانية والأمريكية، والمنادين بالجلاء العاجل عن كل التراب الليبي، وتكوّن مجلس نواب خالٍ من المعارضين للحكومة أو المنادين بإلغاء إتفاقيات القواعد وجلاء القوات الأجنبية عن البلاد.

وسكت الشعب على مضض بخصوص القواعد الأجنبية، وقد انشغل بالشؤون الإقتصادية وبالتعامل مع شركات البترول، إلا أنه ظل يطالب بإلغائها وبجلاء القوات الأجنبية عن أراضي الوطن، ثم انشغل الناس ونسوا موضوع القواعد الأجنبية، ولم يعد يُثار لا في الحكومة ولا في مجلس النواب، فكانت المشاكل التي واجهت الحكومات التي خلفت حكومة محمود المنتصر من نوعٍ آخر، وقد أطاحت بها الواحدة تلو الأخرى.

وقام عبد الحميد البكوش لأول مرة في تاريخ ليبيا بالحديث عن الشخصية الليبية محاولاً الانفتاح على الدول الغربية، وتوثيق العلاقات معها على حساب علاقاتها بالدول العربية وفك ارتباطاتها بها تدريجياً، وفكرته هذه لم تجد صدى لدى الحكومة الليبية ولا بين أفراد

الشعب الذين كانوا يؤمنون بأنهم جزءٌ لا يتجزأ من العالم العربي، والذي حدث أنه لم يسنح الوقت لعبد الحميد البكوش لتحقيق أفكاره لأنه أُقيل بعد بضعة أشهر من توليه الحكم.

وكان السيد عبد الحميد البكوش قبل إقالته قد خطط لزيارة باريس، ولندن، وواشنطن، لتوثيق العلاقات بين هذه الدول وليبيا ووضْع أُسسٍ سياسية جديدة تقوم على التعاون ما بين الطرفين، وقد وقع نبأ إقالة عبد الحميد البكوش على العواصم الغربية وقعاً سيئاً، إذ رأوا فيه دليلاً على أن ليبيا لا تريد التقدم ولا التخلي عن أوضاعها السياسية القديمة، وخوفها المستمر من جيرانها الشرقيين، وبالرغم من أن الملك ساعد الدول الغربية على بقاء قواعدها، إلا أنها انتقدت سياسته لإقالته عبد الحميد البكوش الذي كانت ترى فيه الرجل الذي كان بإمكانه خلق ليبيا جديدة متطورة ومنفتحة على العالم.

وانتقدت الدول الغربية سياسة الملك إدريس الرجعية وعدم قدرته على التعامل مع المستجدات السياسية، وأعربت عن تخوفها من خطر حدوث إنقلاب في ليبيا يكون لصالح الدول الشيوعية، فتصبح نتيجته وبالاً على مصالح الدول الغربية في ليبيا.

لم تقتصر المساعدات الليبية على الثلاثين مليون دولار التي كانت تُقدم سنوياً إلى الدول المتضررة في حرب 1967م، والتي كانت الدول الأخرى المانحة قد توقفت عن الدفع، بل امتدت المعونات إلى تشاد والنيجر اللتين أُقيم لهما مراكز إسلامية ومساجد، وامتدت المساعدات إلى مسلمي يوغوسلافيا في مجال حاجاتهم الدينية، كبناء المساجد والمدارس، وشملت هذه المساعدات المساهمة في مشاريع الجاليات الإسلامية الثقافية في الدول الأوروبية والأمريكية، كما فُتح الباب أمام الطلاب الأفريقيين المسلمين للدراسة في الجامعات، والمعاهد الليبية، وأيضاً فتحت جامعة محمد بن علي السنوسي في البيضاء أبوابها لقبول أبناء المسلمين من مختلف أنحاء أفريقيا للدراسة والإقامة، فالكثيرون من رجالات أفريقيا تلقوا تعليمهم في الجامعة المذكورة.

وجذبت ثروة ليبيا المحدودة من البترول مطامع الكثير من الدول التي أرسلت مندوبين لطلب المساعدة، ومن بين هذه الدول العراق، واليمن، وتونس، والمغرب، والسودان، واعتذرت ليبيا عن تلبية هذه الطلبات إلا أنها قدمت قرضاً لتونس وواصلت مساعدتها لفلسطين.

وكان عام 1968م عاماً مليئاً بزيارة الشخصيات الأجنبية لليبيا، فقد عُقد مؤتمر المغرب العربي للمواصلات السلكية في 20 يناير 1968م، وزار ليبيا في هذا العام وزير الاقتصاد الوطني الأردني في 27 فبراير، ووزير التجارة البريطاني السير إدوارد س. أندروس يوم1 مارس، كما زار ليبيا وزير التجارة الإيطالي يوم 13 مارس، ووزير التجارة المغربي يوم 14 مارس، ووزير التجارة التركي يوم16 مارس، ووزير التجارة المالطي يوم17 مارس، ووزير المواصلات التركي يوم 22 أبريل، ورئيس وزراء مالطا يوم 27 أبريل، والأمين العام للجامعة العربية يوم 6 يونيه، والوزير التركي للخارجية يوم 17 يونيه، ورئيس وزراء مالطا يوم 8 يونيه، ورئيس وزراء السودان يوم 20 أغسطس، ووزير التجارة السوداني يوم 2 سبتمبر، ووزير الدولة البريطاني يوم 12 أكتوبر، كما عُقد مؤتمر وزراء العمل العربي في طرابلس يوم 3 نوفمبر عام 1968م.

وكانت حكومة ونيس القذافي آخر حكومة تتولى الحكم في العهد الملكي خلفاً لحكومة عبد الحميد البكوش، والفرق بين الرجلين كبير، فالبكوش كان شاباً ذو مطامح كبيرة، وكان يريد الإصلاح والتطور في سياسة الدولة وتوجيه سياستها توجيهاً جديداً يتناسب مع موقعها وأهميتها، إلا أنه اصطدم بالواقع الجامد فأقيل من منصبه، أما ونيس القذافي فهو رجلٌ دمث الأخلاق معتدل في سياسته لا يريد صعوبات أو مشاكل مع أحد، وقد بدأ حياته موظفاً في الإدارة البريطانية حيث تعلم الإنجليزية وأتقنها، ثم إنتقل للعمل مع الجانب الوطني فعينه حسين مازق رئيساً للمجلس التشريعي البرقاوي، ومن بعدها أصبح وزيراً للداخلية في الحكومة الليبية، وظل في هذا المنصب إلى أن تم اختياره رئيساً للوزراء ولم يطل أمد وزارته، إذ فاجأه الانقلاب العسكري فأسقطه واعتقله كما اعتقل جميع وزراء ورجال العهد الملكي.

الدول الأفريقية والأمم المتحدة

في الستينيات من القرن الماضي بدأ يتزايد عدد الدول الأفريقية المستقلة وانضمامها إلى الأمم المتحدة، وبدأ يتزايد تأثيرها في تصويت الأمم المتحدة وتتزايد أهميتها، وكانت إسرائيل مستعدة لاستقطاب كل دولة أفريقية مستقلة حديثاً، فترتبط بعلاقات سياسية معها وتقدم لها بعض المساعدات وتكسبها إلى جانبها، وهو الأمر الذي لا تستطيع ولا ترغب فيه الدول العربية، وقد استقطبت إسرائيل المجموعة الفرنسية وبعض دول شرق أفريقيا التي كانت لا تصوت معنا ضد إسرائيل. وإني ذكرت سابقاً كيف أن سيكو توري رئيس غينيا الذي تحدى فرنسا وطلب الاستقلال، قد دعا خمس وفود عربية كانت في غانا لزيارة بلاده، وعندما وصلنا علمنا أن سفير إسرائيل ينتظر لتقديم أوراق إعتماده، وعندما إجتمعت الوفود بسيكو توري وحاولت إقناعه بالتخلي عن إقامة علاقاتٍ مع إسرائيل، قال لنا أنا متأسف لعدم وجود فندق يوفر لكم الراحة في منروڤيا، ثم قادنا إلى النافذة وأشار إلى بناءٍ ضخم، وقال: هذا فندق حديث كبير تقوم ببنائه إسرائيل وتقدمه هديةً لمدينة منروڤيا، فهل أستطيع قطع علاقاتي بإسرائيل؟. وسيكو توري رجلٌ اشتراكي ومعادي للغرب كما أنه وطني يريد تحرير أفريقيا، ومع هذا أصرّ على ارتباطه بعلاقاتٍ مع إسرائيل رغم أنه وشعبه يدينون بالإسلام.

وكانت الدول مثل تشاد والنيجر ومالي تحاول التهرب من التصويت لصالح إسرائيل مراعاةً لليبيا والجزائر. لقد كنا نريد من الغير التضحية بمصالحه من أجلنا دون أن نضحي نحن بشيء، وكانت دولة ساحل العاج التي كان يترأسها هوفوي دي پوانيه الأشد عداوةً للعرب، وبالرغم من ذلك فقد استمر رئيسها في بحث القضية الفلسطينية في اللجنة السياسية، كما استمر النقاش الروتيني حولها دون الخروج بأية نتيجة، فكانت الوفود العربية تلتقي في كل دورة من دورات الأمم المتحدة في اللجنة السياسية ويلقي المندوبون كلماتهم التي تتكرر منذ سنواتٍ كثيرة، وقد أصبحت روتينية لا معنى لها، بينما كانت إسرائيل صامدة في موقفها وآرائها ولا تتنازل عن شيء وتنفي وجود أرض إسمها فلسطين.

وقد انشغلت الأمم المتحدة في عقد الستينيات بقضايا التحرير الأفريقية، وكانت المستعمرات تستقل واحدة بعد الأخرى لتنضم إلى الأمم المتحدة على الفور، ولم يتبقَّ من

المستعمرات الأفريقية آنذاك سوى المستعمرات البرتغالية، وروديسيا، وناميبيا، وقضية التمييز العنصري في جنوب أفريقيا، وقد شعرت الدول الأفريقية المنضمة إلى الأمم المتحدة بثقل وزنها في المنظمة، وشعرت بأهميتها وبأن الجميع يتهافتون للحصول على أصواتها، إلا أن الدول الأفريقية بعد استقلالها وانضمامها إلى الأمم المتحدة ظلت منقسمة إلى دولٍ يمينية تابعة لفرنسا وأخرى إشتراكية، فالعلاقات بين الدول المستقلة ومستعمريها السابقين ظلت قوية ومتينة، وظلت الحرب الباردة تعصف بالعلاقات ما بين الدول، والتي طالت أيضا البلاد الأفريقية الحديثة الإستقلال، فكان بعضها متجهاً إلى الشرق والبعض الآخر إلى الغرب، وكانت كلٌ من الدولتين الكبيرتين تحاول استقطاب أكبر عددٍ من الدول الأفريقية إليها، وبالرغم من قيام منظمة الوحدة الأفريقية فلم تتّحد دولها بالأمم المتحدة في سياستها أو في تصويتها، فقد ظلت الفرقة والإنقسام مسيطران عليها باستثناء معالجتها للقضايا الأفريقية.

ووقع في عام 1961م حادث كوبا ومحاولة روسيا إتخاذها قاعدةً ضد الولايات المتحدة، واشتد الخلاف بين الدولتين حتى أصبحت الحرب قاب قوسين أو أدنى، وأخيراً تغلبت الحكمة والتعقل على الاندفاع والتهور، ووُضع حدٌ للمشكلة التي لو قامت حرب بسببها لدمرت نصف العالم، والفضل يرجع في ذلك إلى سياسة الرئيس كنيدي وإلى مرونة السياسة الروسية، لقد إجتاز العالم لحظة رهيبة كادت أن تقضي على عددٍ كبير من سكانه، وتم الإتفاق بين الطرفين وسحبت روسيا قواعدها من كوبا، وسجل الرئيس كنيدي انتصاراً دولياً زاد من مكانته ومن شهرته، وأثبت الطرفان أنهما في مستوى المسؤولية وتحاشيا حدوث حربٍ مدمرة.

في عام 1969م دعت الحكومة الليبية سكرتير الأمم المتحدة يوتانت لزيارة ليبيا، وحُدّد يوم 5 سبتمبر لهذه الزيارة، وكنت قد سافرت مع أسرتي في شهر أغسطس لقضاء إجازتنا في بنغازي، وكانت الأوضاع في ليبيا تزداد تحللاً وتسيبا، ومراكز القوى تلعب دورها بكل حرية، وكان يترأس الحكومة ونيس القذافي، وهو رجل طيب ومثقف وذو أخلاق عالية، إلا أنه لم يكن الرجل المناسب في هذه الظروف الصعبة، وقد وُزعت منشورات في البلاد تفيد بأن الجيش على استعداد للعمل لتغيير الوضع. وفي هذه الأثناء طلبت مني وزارة الخارجية أن أعود إلى أمريكا لاصطحاب سكرتير الأمم المتحدة إلى ليبيا، فغادرت

بنغازي يوم 27 أغسطس، وقبل سفري مررت على هاشم العبار مدير شركة الطيران الليبية وتحدثت معه قليلا وقلت له: لم أسافر قبل ذلك من بنغازي وأنا بهذا الضيق الذي أشعر به من الحالة الراهنة في البلاد.

وصلت نيويورك يوم السبت، وكنت أنوي أن أزور يوتانت يوم الاثنين، غير أنه في صباح ذاك اليوم رنّ جرس الهاتف وكان المتكلم سليمان تربح الذي يعمل في الأمم المتحدة، فأخبرني بأن إنقلاباً عسكرياً حدث في ليبيا، فنهضت من فراشي وفتحت التلفاز فرأيت الملك وهو ينزل من درج الباخرة التي أقلته إلى تركيا، وكان المعلق يقول إن ما وقع في ليبيا كان نتيجة الدكتاتورية والفوضى التي تعمّ البلاد. ويوم الاثنين ذهبت لزيارة سكرتير الأمم المتحدة، وعندما دخلت عليه قال لي: إني أعلم لماذا أتيت، ونظراً للظروف فإن الزيارة قد أُلغيت، فتأسفت له كثيراً، ولكنه قال لي: زيارتي لا تهم بل الأهم أن تستقر الأوضاع في ليبيا، وبقيت في نيويورك أتتبع الأحداث في بلادي، وكانت الجمعية العامة ستجتمع يوم 17 سبتمبر، فأبرقت للحكومة الجديدة أخبرها بموعد الاجتماع، وبضرورة تعيين رئيساً للوفد وإرسال الموظفين اللازمين لحضور الاجتماعات، فأجابتني وزارة الخارجية بأن أتولى رئاسة الوفد وأن أقترح أسماء الأعضاء اللازمين للمشاركة.

فجاء من ليبيا موظفون للمشاركة مع الوفد في الإجتماعات، وبدأت الجمعية العامة إجتماعاتها كالعادة، وتداول على المنصة مندوبٌ بعد الآخر كل منهم يوضح سياسة حكومته تجاه القضايا المطروحة، وقد جمعت موظفي السفارة وتحدثت إليهم قائلاً: إن مهمتنا خدمة ليبيا المتمثلة في حكومتها، فنحن نخدمها مهما كان لونها، ولذلك فالتطورات التي حدثت في ليبيا لا تغير شيئاً من أعمالنا، وألقيت كلمة ليبيا متحدثاً عن الأوضاع الجديدة في البلاد وعن رغبة الحكومة الجديدة في استمرار التعاون والعلاقات الطيبة مع الجميع.

وعينت الحكومة الجديدة ثلاث ضباط كبار ليعملوا في البعثة، وبذلك إزداد عدد الموظفين، وكان علينا أن ندّرب ونعد هؤلاء الضباط للعمل في الأمم المتحدة، غير أنه فيما بعد انسحب اثنان من الضباط وبقي واحدٌ في البعثة يواصل العمل معنا، وقد سارت الأمور بيننا وبين الحكومة وبين عملنا في الأمم المتحدة على ما يرام، وكانت الحكومة الجديدة

لا تهتم كثيراً بما يجري في الأمم المتحدة بقدر إهتمامها بمشاغلها الداخلية، وقد تواصلت أعمال دورة الأمم المتحدة، وواصل الموظفون الذين وزعتهم على اللجان القيام بأعمالهم، وأعطيت جزءاً هاماً من خطابي عن فلسطين والأراضي المحتلة وضرورة تخلي إسرائيل عنها في أقرب وقت.

العودة إلى الوطن

في اليوم الأول من شهر يونيو جاء أمرٌ باستدعائي إلى ليبيا وإنهاء مهمتي في الأمم المتحدة، فأخذت أعد العدة للسفر مع أسرتي، وقد أقام لي بعض السفراء حفلات توديع، كما أقام المركز الإسلامي حفلاً رائعاً لوداعي، وأبدى الجميع أسفهم لفراقي، فقد كنت أعمل مع السفراء العرب بمودةٍ ومحبة، ولم تَحُل الخلافات القائمة بين مختلف حكوماتنا دون تعاوننا مع بعضنا البعض ودون أن تسود روح المودة والإنسجام بيننا، فغادرنا نيويورك بعد أن أقمنا فيها قرابة الثمان سنوات، وبعد أن أديت واجباتي فيها على أكمل وجه، وسعدت أنا وأسرتي بالإقامة فيها بين الأصدقاء والمحبين، والآن أغادر نيويورك نهائياً وقلبي يتألم لفراق الأصدقاء، وأيضاً فراق هذه المدينة الرائعة التي قضينا فيها أوقاتاً طيبة لم تتوفر لنا في أي مكانٍ آخر، وعدت إلى ليبيا مع أسرتي، وكنت متوقعاً لهذه العودة ومدركاً بأن النظام الجديد يريد تغيير الأشخاص والأوضاع، وخاصةً أني من أقدم شخصيات النظام السابق.

وصلت ليبيا وأقمت في بنغازي، وانتظرت وصول تعليمات بتقرير مصيري، إلا أنني فوجئت بإحالتي على التقاعد أنا وفتحي العابدية السفير في واشنطن، فالإحالة إلى التقاعد معناه بقائي بدون عمل وهو أمرٌ مكروه للإنسان، وخاصةً لمن كان له نشاطاً عارماً وشغفاً فائقاً في مجال عمله السياسي مثلي، وبعد وصولي بنغازي وصلتني برقية من الأمم المتحدة تنبئني بتعييني مديراً لدورة الدبلوماسيين الذين ينتمون إلى العالم الثالث في داكار، وكان عليّ أن أسافر وأعد المحاضرات التي سألقيها في الدورة، وطلبت الإذن من الحكومة للإلتحاق بالمنصب الجديد، فاشْتَرطت إخطارها بيوم سفري، ولكني وجدت بعد ذلك بأن الظروف غير ملائمة، فقدمت استقالتي من المنصب إلى الأمم المتحدة.

وشغلت وقتي بالقراءة وكتابة بعض المقالات للصحف المحلية، وقد عرض عليّ مدير جامعة بنغازي أن ألقي بعض المحاضرات في الجامعة، فوعدته بذلك، ولكن في الواقع لم أكن متحمساً فاعتذرت.

وفي عام 1972م سافرت مع الأولاد إلى القاهرة حيث قضينا وقتاً طيباً وممتعاً، وكنت ألتقي باستمرار مع زميلي السابق سفير مصر في الأمم المتحدة محمد القوني، والتقيت أكثر

من مرة بحسن الزيات وزير الخارجية، كما التقيت بالعديد من الأصدقاء والمعارف، وقد قضينا وقتاً طيباً في القاهرة مع الأصدقاء والأحبة الذين أكرمونا، وفي طليعتهم الأستاذ رشاد مراد مدير مكتب الجامعة العربية سابقاً في نيويورك، وهو الآن يحتل منصب مدير فندق شيراتون، فقد أقام لنا في الفندق حفلةً ساهرة جميلة تمتعنا بها، كما زرت معالم القاهرة ومساجدها المشهورة، وإنني دائماً أحنّ إلى القاهرة فلي فيها ذكريات جميلة.

وفي عام 1973م ذهبت لأداء فريضة الحج برفقة أحمد بوزريبة، وعيسى المحجوب، وكانا نعم الرفيقين، وبعد الإنتهاء من أداء فريضة الحج ذهبت إلى بيروت لزيارة أولادي، الذين كنت قد ألحقتهم في المدرسة الثانوية التابعة للجامعة الأمريكية في بيروت، وفي هذا البلد الجميل التقيت بالعديد من الأصدقاء من بينهم، رشاد البربير، و،كامل مُروّة، صاحب جريدة الحياة الذي دعانا للغداء في منزله، وقد إغتالته أيدي آثمة فيما بعد نتيجةً للصراع السياسي الدائر في بيروت والذي كانت مصر طرفاً فيه، وكانت الأوضاع في بيروت آنذاك غير مستقرة ولا تبشر بخير. وعاد الأولاد في العطلة الصيفية إلى بنغازي، وبعد إنتهاء عطلتهم سافروا إلى بيروت، فصادف ذلك يوم ضُرب مطارها بالقنابل، ويعلم الله كم كان وقع هذا النبأ علينا، فاتصلنا هاتفياً بالمدرسة التي طمأنتنا بوصولهم سالمين، وقد قررت إبعادهم عن بيروت فألحقتهم بمدرسة (دولاسال) في مالطا.

كانت الحياة في بنغازي رتيبة لا تغيير فيها، وإنما كانت حياة طيبة هادئة مستقرة، وقد كان لي أصدقاء أزورهم وألتقي بهم، وفي عام 1975م أتم الأولاد دراستهم في مالطا، فالتحق أحمد وخالد بالجامعة الليبية، والتحق طارق بجامعة باث الإنجليزية، وتخرج أحمد في الهندسة وعُين معيداً في الجامعة، كما تخرج خالد في الطب بامتياز وعمل في مستشفيات بنغازي.

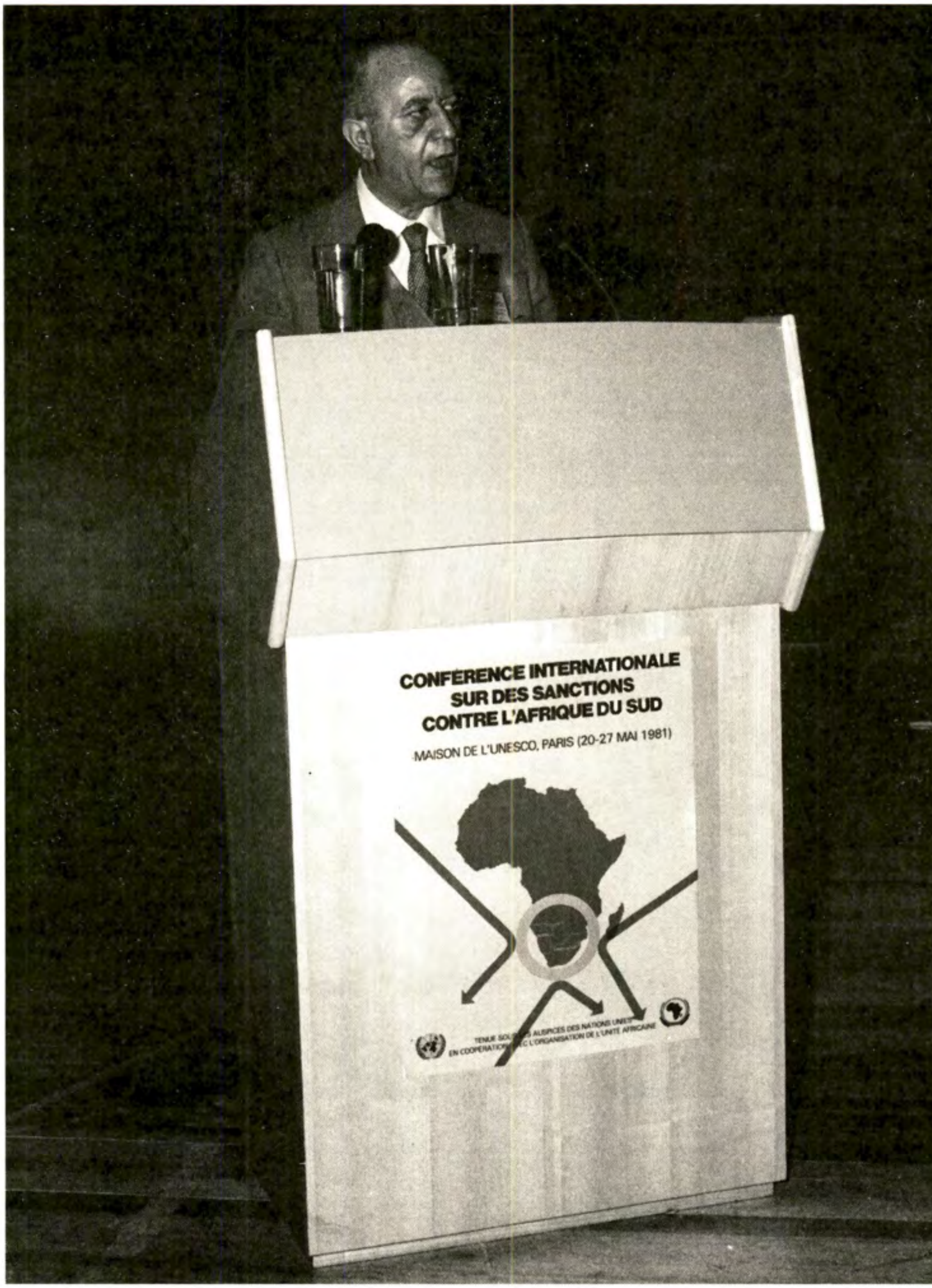
عملي في منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول

وصلتني دعوة من صديقي القديم الدكتور علي عتيقة الذي كان يتولى منصب أمين عام منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول في الكويت، وذلك لزيارته، فسافرت إلى الكويت وقابلت الدكتور علي عتيقة الذي عرض عليّ العمل معه كمستشار للعلاقات الدولية،

فقبلت العرض بسرور، وعدت إلى بنغازي للحصول على الإذن للعمل في الكويت، ولم أجد من يتحمل مسؤولية منحي الإذن بالعمل فيها، فاتصلت بوزير البترول الذي وعدني خيراً، وقال لي بأنه إتصل برئيس الوزراء، وقد علمت فيما بعد أن إذن عملي في الكويت صدر من جهاتٍ عليا، فقررت السفر، وقد زودتني وزارة الخارجية بجوازاتٍ دبلوماسية لي ولزوجتي وأولادي، ولكن ظلت أمامي مشكلة الأسرة، فأنا لا أستطيع أن أقيم سنواتٍ في الكويت بدون أسرتي، واصطحاب الأسرة معي أمرٌ مستحيل لوجود الأولاد في الجامعة، ولذلك قررت أن أصطحب زوجتي والولد الصغير أسامة وإبنتيّ سوسن وأميرة، وترك أحمد وخالد بالمنزل في بنغازي عساهما يستطيعان تدبير أمورهما بنفسيهما،أما طارق فكان يدرس في بريطانيا، وبعد أن وصلت الكويت واستلمت عملي ووجدت سكناً، طلبت من زوجتي والأولاد المجيء إلى الكويت، وكانت زوجتي تقيم معنا شهرين ثم تذهب إلى ليبيا لتقيم مع ولديّها الآخرين مدة شهرين أو أكثر، والتحق الأولاد بالمدارس، سوسن في ثالثة ثانوي، وأميرة في المدرسة الإعدادية، وأسامة في المدرسة الثانوية، وقضينا في الكويت وقتاً طيباً، وقد تعرفنا على بعض العائلات الفلسطينية الذين تربطهم أواصر القرابة بزوجتي، وكان الدكتور علي عتيقة يصحبني معه حيثما سافر، ويدعوني إلى كل حفلٍ يقيمه لزواره، وقد أكرمني وبالغ في إكرامي جزاه الله كل خير.

وكان عملي في الكويت هو الإعلام وكتابة المقالات، وتكليفي بحضور المؤتمرات والندوات في الخارج وغير ذلك من الأعمال، وكنت سعيداً بعملي في هذه المنظمة التي كانت تضم مثقفين من المستوى العالي، وكان يزورها مثقفون من جميع البلاد العربية، وقد عمل الدكتور علي عتيقة على رفع شأن هذه المنظمة وجعلها بدايةً للعمل العربي المشترك، كما استطاع إقناع الدول الأعضاء بتأسيس شركات تعمل في مجال نقل البترول، والحفريات، والإستثمارات، وإصلاح السفن، وقد بلغ حجم رأس مال هذه الشركات ما يقارب المليارَيّ دولار تقاسمتها بينها الدول الأعضاء على قدم المساواة، وهذه الشركات لا تزال قائمة وتعمل بجدٍ وإخلاص، وتوسعت أعمالها وزاد دخلها وأصبحت من أهم نشاطات العمل العربي المشترك الهامة.

وكانت فكرة صائبة لتعزيز التعاون العربي المشترك ووضعه أمام الأمر الواقع، غير أن بعض الدول العربية لم تكن راضية عن هذا النشاط، ولم تشجع الشركات التي أسستها



ندوة مقاطعة البترول عن جنوب أفريقيا (باريس) عام 1981، ويرى وهبي البوري وهو يُلقي بكلمته في الندوة



ندوة التعاون بين أوروبا والعالم العربي، ريميني، إيطاليا عام 1979م.



الدكتور علي عتيقة أمين عام منظمة الأقطار العربية المصدّرة للبترول في أحد الاجتماعات
(في يسار الصورة)

المنظمة، فعلى سبيل المثال تقرر بالنسبة للشركة العربية لنقل البترول أن تشتري كل دولة حاملة بترول ضخمة تضيفها إلى حاملات البترول التي تملكها الشركة، وحدث أن وقعت أزمة لحاملات البترول الكبيرة، فاضطرت الشركة أن توقف العمل بثلاثٍ من هذه الحاملات ومن بينها واحدة سعودية، وكانت الشركة تدفع ثلاثة ملايين دينار للمحافظة وصيانة هذه البواخر، وعلمت الشركة بأن الحكومة السعودية تستأجر ناقلات بترول ضخمة لتخزين بترولها، فعرضت عليها الشركة أخذ ناقلتها أو استئجارها بدلاً من استئجار ناقلات أجنبية، فرفضت الحكومة السعودية الطلب وتركت ناقلتها راسية في أحد الموانئ، أما الدراسات التي كانت تُعدها المنظمة فهي على أعلى المستويات، بينما كانت الدول العربية تشتري الدراسات من الخارج ولا تستعين بدراسات المنظمة، ومع ذلك فقد رفع الدكتور علي عتيقة من قيمة المنظمة، وزاد نشاطها وجعلها من المؤسسات البترولية الكبرى في العالم، وكان الخلاف بينه وبين الدول العربية، أنه كان يريد أن يخلق منظمة طاقة تضم جميع البلاد العربية، في حين كانت الدول العربية تريد بقاء وضع المنظمة على ما هي عليه.

ومن المعلوم أن سبب قيام منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول، هو أنه عندما تقرر في الخرطوم تحميل الدول البترولية بنفقات إزالة الأضرار التي سببتها الحرب ما بين إسرائيل، ومصر وسوريا والأردن، وتقرر أن تدفع السعودية خمسين مليون دولار سنوياً، وأن تدفع الكويت مبلغاً مماثلاً، في حين فُرض على ليبيا دفع ثلاثين مليون دولار سنوياً، فاجتمعت السعودية والكويت وليبيا، وقررت إنشاء منظمة تضمها لتدافع عنها ضد مطامع الدول العربية المتزايدة، إلا أنه مع مرور الوقت لم تقتصر المنظمة على أعضائها الثلاثة بل إنضمت إليها دولٌ أخرى بترولية إلى أن بلغ عددها عشر دول، وتناست الغرض الأساسي الذي أُنشئت من أجله، وأصبحت منظمة بترولية عربية تخدم مصالح الدول العربية المنتجة للبترول.

وكانت تعمل منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول مع شركة (ايني) الإيطالية للبترول ودول جنوب أوروبا، على إعداد نموذج للإعتماد المتبادل بين الدول العربية ودول جنوب أوروبا، واستغرق إعداد هذا النموذج عدة سنوات من العمل بين الطرفين، وكنا نسافر مراراً إلى إيطاليا، وكان الإيطاليون يجيئون إلى الكويت، فكانت فرصة لزيارة إيطاليا التي عشت فيها طويلاً وارتبطت فيها بكثيرٍ من الصداقات، ففي كل مرة أذهب إليها كنت ألتقي بأصدقائي القدامى.

وقد أُحْتفل في روما بانتهاء نموذج الإعتماد المتبادل بين الدول العربية المصدرة للبترول وبين دول جنوب أوروبا، وشارك في الإحتفال وزراء البترول العرب ووزراء من جنوب أوروبا، وكان إحتفالاً جيداً أكرمت خلاله إيطاليا الوفود المشاركة خير إكرام، وقابل رئيس الجمهورية الإيطالية الوفود العربية، وأقيمت الحفلات لهم في أكثر من مكان، وكان الإيطاليون متفائلين لأن هذا النموذج سيفتح باب التعاون ما بين الدول العربية المنتجة للبترول وبين إيطاليا وجنوب أوروبا، إلا أن العرب لم يواجهوا هذه الآمال بمثلها، ولم يفعلوا شيئاً جديداً في سبيل التعاون ما بين الطرفين وفي سبيل وضع النموذج موضع التنفيذ، وظل النموذج حبراً على ورق ومحفوظاً في المكاتب.

وواصلت عملي في المنظمة ومشاركتي في أعمال الجامعة العربية في تونس، وإلقاء محاضرات بالدورة الأساسية التي تُعقد كل عام لكبار الموظفين من الدول البترولية، والتي يشارك فيها خبراء وأساتذة كبار متخصصين، وقد ألفت خلال إقامتي في الكويت كتاب (البترول والعلاقات العربية الأفريقية) الذي تُرجم إلى اللغتين الفرنسية والإنجليزية، كما قمت بترجمة كتاب (إنريكو ماتي) إلى اللغة العربية، وكتبت مقالات للنشرة الشهرية للمنظمة، ولمجلة (البترول والتعاون العربي)، كما كتبت مقالات لمجلة (العربي) الصادرة في الكويت، ومجلة (الإداري) الصادرة في بيروت، ومجلة (العالم الثالث) بالفرنسية الصادرة في باريس، كما كتبت مقالات للصحف اليومية الكويتية والأردنية.

وعُقد مؤتمر البترول الثالث في أبو ظبي شارك فيه وزراء البترول وشخصيات أوروبية وعربية، وأُعدّت ندوة لنقاش وبحث شؤون البترول، وقد أكرمنا المسؤولون في أبو ظبي منتهى الإكرام، كما عُقد مؤتمر البترول العربي الرابع في الجزائر، فسافرت إليها للإتصال بالمسؤولين الجزائريين من أجل الإتفاق على تنظيم المؤتمر، فلاحظت غياب الفنادق اللائقة بالمؤتمرين، وكان هناك فندقاً متواضعاً قريباً من مقر العمل، لإقامة أعضاء المؤتمر والمشاركين فيه، في حين خُصص لوزراء البترول الفيلات التي شيدت في عام 1965م لإقامة رؤساء الدول الذين كان من المفروض أن يشاركوا في المؤتمر الأسيوي الأفريقي، والذي أُلغي بسبب الإنقلاب الذي تمّ على (بن بلا)، أما جلسات المؤتمر فكانت ستقام في قاعة قصر الصنوبر للمؤتمرات، وشارك في المؤتمر وزراء البترول ومسؤولين عن الدول البترولية والمنظمات البترولية، وباحثون من مختلف البلاد، ودارت الجلسات والنقاش في جوٍ علمي شارك فيه الكثيرون

بأوراقٍ معدّة لذلك، وكان الإجتماع ناجحاً بالرغم من بعض الفوضى التي لمسناها لدى الإخوة الجزائريين.

وخلال عملي في الكويت رشحتني وزارة الخارجية الليبية لعضوية معهد الأمم المتحدة للتدريب والأبحاث، وهو معهد ملحق بالأمم المتحدة ويقوم بمساعدة الدول النامية في مجال التدريب والأبحاث، وقد أمر الأمين العام للأمم المتحدة بتعييني عضواً بالمعهد ابتداءً من عام 1980م، وعضوية المعهد تدوم ثلاث سنوات، ويجتمع مجلس إدارة المعهد مرة أو مرتين في العام، فسافرت في صيف عام 1980م إلى نيويورك وحضرت إجتماعات المعهد، كما زرت أصدقائي في الأمم المتحدة. ثم عدت إلى الكويت، وتكررت إجتماعات مجلس الإدارة في عامي 1981م و1982م فشاركت في جميعها، وأعطتني عضويتي في المعهد فرصةً للإطلاع على مشاكل العالم الثالث، وعن مدى حاجته إلى المساعدة، ومحاولات الأمم المتحدة تقديم كل ما في مقدورها له.

كانت حكومة الكويت تقوم بين الحين والآخر بحملاتٍ إعلامية لصالح القضايا العربية، وقد وصلتني دعوة من الشيخ، ناصر أحمد الصباح، وزير الإعلام الكويتي لمشاركة الوفد الكويتي في رحلةٍ إعلامية إلى فرنسا، فسافرت بصحبة الأمير إلى باريس، حيث أقيمت ندوة فرنسية عربية شارك فيها العديد من الشخصيات الفرنسية السياسية والثقافية والوفد الكويتي المشارك في الندوة، وقد قَدّمتُ في هذه الندوة ورقة حول (تعزيز العلاقات الفرنسية العربية وتطويرها)، ثم أُقيمت ندوة أخرى في جامعة السوربون تحدث فيها المشاركون عن علاقات أوروبا بالعالم العربي، وكان الوفد العربي خلال إقامته في باريس موضع حفاوةٍ كبيرة من الفرنسيين والحكومة الفرنسية، وقد طلب مني وزير الإعلام الكويتي فيما بعد القيام برحلة إعلامية إلى إيطاليا، فسافرت إلى ميلانو حيث تم الإتفاق على إلقاء محاضرة بغرفة التجارة الإيطالية، فألقيتها متحدثاً فيها عن البترول ومشاكله، وعن العلاقات بين إيطاليا والعالم العربي وعن ضرورة تنميتها وتطويرها، وقد نشرت الصحف الإيطالية فقرات من المحاضرة وعلقت عليها تعليقاً إيجابياً، ثم إنتقلت بعد ذلك إلى روما وألقيت محاضرة في معهد إيطاليا بعنوان (الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية)، وحضر المحاضرة جمعٌ غفير من الناس، ثم دُعيت إلى جامعة العلاقات الخارجية الإيطالية، فألقيت محاضرة على الطلبة حول (تعزيز العلاقات بين الدول العربية وإيطاليا)، وكانت جولتي الإعلامية ناجحة تحدثت عنها

الصحف الإيطالية ونشرت تفاصيلها الصحف الكويتية.

كانت الكويت في فترة عملي فيها منارة علمٍ ومعرفة، يتكاثر فيها العلماء والمثقفون العرب ويزدهر فيها الإنتاج العلمي والثقافي، وكانت الكويت نموذجاً للشرعية والنظام والأمن، كما كانت الجاليات العربية المقيمة فيها وفي مقدمتها الجالية الفلسطينية، والتي يزيد تعدادها على ثلاثمائة ألف، يعيشون في هدوءٍ وراحة ويجدون العمل المثمر، إلا أن الكويتيين لم يستريحوا للعرب المقيمين في بلادهم لكثرتهم وأرادوا التخلص منهم، فمنعوا دخول الشبان الفلسطينيين الجامعة الكويتية إلا إذا حصلوا على نسبةٍ تتجاوز التسعين في المئة، وكان هؤلاء الشباب يضطرون إلى الإلتحاق بجامعاتٍ خارج الكويت، كما كانت الحكومة الكويتية لا تسمح لهم بالعودة إليها لزيارة أهلهم، وقد قال لي أحد المسؤولين الكويتيين إننا بهذه الطريقة نتخلص من الشباب أما الشيوخ فسيموتون، وكان الكويتيون لا يسمحون لأبناء العرب الإلتحاق بمدارسهم، ولذلك قام الفلسطينيون بإعداد مدارس خاصة لتعليم أبنائهم وأبناء الجاليات العربية الأخرى، وقد كان الفلسطينيون ينعمون في الكويت بحياةٍ طيبة ويمارسون أعمالاً تدر عليهم الأرباح، وعندما إحتلت العراق الكويت وقف الفلسطينيون إلى جانب العراق، وهتفوا للجنود العراقيين وأظهروا عدائهم للشعب الكويتي، إلا أنه عندما أُجبر العراق على الخروج من الكويت وعادت السلطة للكويتيين، قرر المسؤولون إبعاد جميع الفلسطينيين عن بلادهم، وقد أُخرجوا وتوجه معظمهم إلى الأردن، وكان أكثرهم أثرياء فساهموا في نهضة عَمّان العمرانية وتحسينها، وبقي في الكويت قلةٌ من الفلسطينيين الذين لا يملكون وثائق تمكنهم من الدخول إلى البلاد العربية، فأبقى عليهم الكويتيون ومنحوهم حق الإقامة.

وتغيرت أوضاع الكويت بعد الاحتلال العراقي، فانزوت وتقوقعت على نفسها وقلّ نشاطها العلمي والثقافي، وقل زوارها من العلماء والمثقفين وكذلك نشاطها الدولي السابق، فهي الآن منغلقة على نفسها لا تسمح لأحدٍ بزيارتها إلا بصعوبة، وقلت فيها الندوات والمؤتمرات العلمية والثقافية، التي كانت في السابق ميزة من مزاياها.

وخلال وجودي في الكويت أُصبت بانفصال الشبكية في عيني، واضطررت للسفر إلى بريطانيا حيث أُجريت لي عملية جراحية ناجحة، كما أُجريت لي عملية جراحية في لندن

عام 1985م على البروستاتة وكانت أيضاً عملية ناجحة، وقضيت بعض الوقت في لندن للنقاهة وكانت تصحبني زوجتي.

وبعد ست سنواتٍ من العمل المتواصل في المنظمة طلبت إعفائي من منصبي، وعدت إلى ليبيا عام 1986م، وبعد عودتي إليها بمدةٍ قصيرة إستقال علي عتيقة من المنظمة، لأن الدول العربية أرادت أن تحد من نشاطها، ومن طموحات علي عتيقة الذي كان يطالب بتحويلها إلى منظمة طاقة تضم جميع الدول العربية، وكانت الدول البترولية تعلم أن قيام أي منظمة عربية تشارك فيها الدول البترولية سوف يكون عبء نفقاتها على الدول الأخيرة، إذ أن الدول البترولية بطبيعتها غير متحمسة للمشاركة في أي عملٍ مع الدول العربية الأخرى الفقيرة حتى وإن كان الأمر يتعلق بالوحدة العربية، وقد طلبت الدول الأعضاء في المنظمة تخفيض ميزانيتها إلى خمسين في المئة، فقال لهم الدكتور عتيقة: إني أتيت هنا لأبني المنظمة لا لأهدمها، وقدّم استقالته وبقي في الأردن إلى أن عينته الأمم المتحدة ممثلاً لها في عَمّان، ثم نقلته إلى منصبٍ هام وهو برنامج الأمم المتحدة للتنمية ظل فيه بعض الوقت، ثم استقال وعاد إلى عَمّان حيث عمل لمدةٍ طويلة أميناً عاماً لمنتدى الفكر العربي. والدكتور علي عتيقة اقتصادي كبير ومن أكفأ رجال العرب في هذا الميدان، ولازالت منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول قائمة تعمل أعمالاً روتينية، وتسير على الطريق الذي وضعه لها الدكتور علي عتيقة، إلا أنها فقدت أهميتها ومكانتها التي كانت تحتلها خلال تولي الدكتور علي عتيقة أمانتها العامة.

نهاية عملي خارج الوطن

وفي بنغازي وجدت أولادي وبناتي وقد تخرجوا من الجامعة، فتزوجت سوسن وسافرت مع زوجها إلى ليبيريا حيث مقر عمله، وتزوج خالد وسافر مع زوجته إلى ايرلندا للتخصص وإتمام دراسته العليا، كما تزوج أحمد واصطحب زوجته إلى كندا لإتمام شهادة الدكتوراه في الهندسة الصناعية، أما طارق فكان في إنجلترا لإتمام شهادة الماجستير في الهندسة المعمارية، بينما كان أسامة وهو أصغرهم سناً يعمل مهندساً بحرياً في شركة نقل البترول العربية، ثم ترك العمل فيها وسافر إلى كندا لدراسة الإقتصاد وأقام فيها بضع سنوات، ثم عاد وهو الآن يقيم ويعمل في طرابلس، كما تزوجت أميرة وهي مع زوجها في أمريكا، وهكذا ظل جميع أولادنا بعيدين عنا.

شغلت وقتي بالكتابة، فكتبت لمجلة (العربي) في الكويت، وكتبت لمجلة (لا)، ومجلة (الفصول الأربعة)، ومجلة (الثقافة العربية)، ومجلة (المؤتمر)، ومجلة (تراث الشعب)، ومجلة (الحضارة)، ولعددٍ من الصحف المحلية والأجنبية، ومن بينها جريدة العرب الصادرة في بريطانيا والتي نشرت لي عدداً كبيراً من قصصي، وكتبت لمجلة (الإداري) اللبنانية، ومجلة (العالم الثالث) الفرنسية، وللصحف المحلية الليبية، ولغيرها من المجلات والصحف، وقمت بترجمة كتاب (الحرب الإيطالية) للكاتب الإيطالي (فرنشيسكو مالچيري)، وكتاب (ببلوغرافيا ليبيا) للكاتب الإيطالي (تشيكي)، وترجمت خلال وجودي في الكويت كتاب (أنريكو ماتي) . كما ذكرت سابقاً (رائد البترول في إيطاليا)، ووضعت كتاباً عن (البترول والعلاقات العربية الأفريقية)، وترجمت كتاباً إيطالياً عن (الكفرة الغامضة) للكاتب الإيطالي (توني نتي)، وألفت كتاباً بعنوان (بنغازي في فترة الإستعمار الإيطالي) نال قبولاً، ونفذت جميع نسخه من المكتبات وصدرت الطبعة الثانية منه، كما كتبت كتاباً آخر بعنوان (بنك روما والتمهيد للغزو الإيطالي لليبيا)، وقد جمعت معظم قصصي القصيرة التي كتبتها في كتابٍ بعنوان (بواكير القصة الليبية القصيرة)، وإني أقوم بإعداد كتاب عنوانه (مجتمع بنغازي في النصف الأول من القرن العشرين) وهو تحت الطبع، ووضعَتْ مجلة (الفصول الأربعة) ملفاً كاملاً عن حياتي وأعمالي، كما تعاونت مع الإذاعة والتلفزيون الليبي في عدة لقاءات تناولت القصة القصيرة، والأدب، ومؤلفاتي، وحياتي، كما كرمتني رابطة الأدباء ثلاث

مرات، وفي كل مرة تكرمني فيها يحضر الإحتفال عددٌ كبير من الأدباء والمثقفين.

وكنت أشارك في ندواتٍ تقيمها مؤسسة البترول الليبية في طرابلس، كما تمّ إختياري عضواً في اللجنة التاريخية الخاصة بوضع تاريخ ليبيا في الفترة من 1939م - 1959م، وتأسّست في بنغازي (جمعية بنغازي التاريخية) وقد إختاروني رئيساً لها.

وتحسنت مدينة بنغازي وزاد عدد سكانها إلى قرابة المليون بعد أن كانت سبعين ألفاً في بداية الاستقلال، وزاد عمرانها وتوسعت في الضواحي، فامتد العمران إلى القوارشة، والكويفية، وقنفودة، وبنينة، إلا أنها لا زالت دون طرابلس في النشاط السياسي وفي عدد الأجانب، وفي المؤسسات الحكومية والخاصة، وفي النشاط التجاري، وتوسعت جامعة قاريونس وأصبحت تضم عشرات الآلاف من الطلبة، وازدادت المدارس وازداد عدد التلاميذ لإقبال الأهالي المتزايد على تعليم أبنائهم.

سافرت عدة مرات إلى بريطانيا، وأمريكا، وكندا، لزيارة أولادي والذين كانوا يأتون في فصل الصيف لزيارتنا في بنغازي، كما كنا نسافر إلى مصر في أيام الحصار بالحافلات في رحلةٍ شاقة ومضنية تدوم أحياناً أربعٌ وعشرون ساعة، نظراً للحظر المفروض على الطيران، وكانت المعاملة في الحدود الليبية والمصرية على أسوأ ما يكون، وفي عام 1990م عاد ابننا طارق إلى البلاد وأقام معنا، ثم تزوج وأنجب طفلاً، وكوّن مع بعض زملائه مكتباً هندسياً كبيراً يُعد من الأجود في بنغازي، وكان وزوجته وابنه خير أنيسٍ لنا في أواخر حياتنا.

وقد مرّت بنغازي بأيامٍ صعبة بعد تأميم العقارات، والتجارة، والصناعة، وتحويل الشعب كله إلى موظفين يتقاضون راتباً من الدولة، فقد أُغلقت جميع المتاجر وأصبح الناس يشترون حاجتهم من المؤسسات التي أنشأتها الحكومة، والتي لم تكن قادرة على سد حاجتهم، فكنا نشترى اللحم من بيت الجزار، كما كنا نتجول بالسيارة في الضواحي ونمر على المزارع طلباً لبعض الخضراوات، وانقطعت الفاكهة المستوردة، فكان الأطفال الصغار لا يعرفون شكل التفاح أو الموز، وعندما أحضرت الحكومة كميةً من الموز وبدأت في بيعها، إشتد الزحام بصورةٍ غير معقولة لأن كل متزاحم كان يريد أن يحصل على قليلٍ من الموز ليدخل البهجة على أولاده، إلا أن الدعم الغذائي الحكومي وتوزيع المواد الغذائية الأساسية من الجمعيات على الناس بأسعارٍ رمزية، قد حل بعض مشاكلهم ووفر لهم الغذاء الأساسي بأسعارٍ بسيطة.

كما مرت بنغازي وليبيا بأكملها بظروفٍ صعبة أثناء الحصار، فقلت المستوردات، وتعب الناس في سفرهم للخارج إذ كانوا يضطرون للذهاب إلى مصر أو تونس عن طريق البر لأخذ الطائرة من هناك والسفر إلى وجهتهم، وعندما تمّ حل مشكلة لوكربي ورُفع الحصار عادت المواصلات إلى طبيعتها وبدأت البلاد في التحسن تدريجياً، فأمرت الحكومة بفتح محلات للموزع الفرد الذي تحول إلى متجرٍ يبيع كل شيء، وبدأت البلاد تتحسن إلى أن وصلت إلى وضعها الحالي الذي يحسدها عليه جيرانها، فالبضائع الأجنبية على اختلاف أنواعها ومصادرها أصبحت متوفرة في المحال التجارية التي كثرت بشكلٍ كبير، وقدمت الحكومة تسهيلات للتجار لاستيراد ما يريدونه، وتوافد على ليبيا ملايين العمال من أفريقيا ومصر وتونس للعمل في الزراعة والصناعة والبناء، والخدمات الأخرى.

لقد عشت في بنغازي وشاهدت تطورها من مدينةٍ صغيرة لا يزيد عدد سكانها على العشرين ألفٍ إلى أن أصبحت مدينة ضخمة تضم حوالي المليون نسمة، وتابعت تطورها، فلما بُنيت الجامعة الليبية كانت فرحة أهالي بنغازي لا حد لها وخاصة ما كُتب عنها في الخارج (أنها أجمل جامعة في الشرق الأوسط)، وكان بناء المدن الرياضية في ليبيا عاملاً آخر في إرضاء الناس وإدخال السرور عليهم، فقيام هذه المنشآت الجبارة ضرورية للبلاد، وقد تحسنت طرق بنغازي، وأُنشئت شبكات جديدة من الطرق تربط ما بين الضواحي والمدينة، وقد أصبحت هذه الأطراف مثل الرحبة، وطبالينو، وقاريونس، وبلعون، وقنفودة، والمنطقة الشرقية الممتدة حتى الكويفية أصبحت جميعها جزءاً من المدينة الجديدة الكبيرة، ولا أدري لماذا يتحدث الناس دائماً عن مدينة بنغازي؟ فلهذه المدينة سرٌ في جعل من يسكنها يتعلق بها ويحبها ويدافع عنها، وكل من يقيم فيها يصبح جزءاً منها وينسى موطنه الأصلي. لم يكن أحد يصدق أن بنغازي التي إنهارت بعد الحرب هي وشوارعها وميناؤها ومبانيها ستصبح مدينةً كبيرة وجميلة كبنغازي الحالية، إلا أنها تحتاج الآن بعد تضخمها إلى عملٍ كثير لإصلاح طرقها وزيادة مستشفياتها ومدارسها التي لم تعد تفي بالحاجة، بالإضافة إلى قلة المساكن فهي بحاجة إلى بناء مجموعات كبيرة منها، وبنغازي تفتقر إلى جامعة أخرى لأن جامعة قاريونس لم تعد تستوعب المزيد من الطلبة، وبدلاً من إنشاء جامعات في إجدابيا والمرج وغيرها من المدن القريبة من بنغازي، فالأجدر أن تُبنى جامعة جديدة يلتحق بها أبناء هذه المدن. وبنغازي في حاجةٍ إلى شركات وطنية وأجنبية تحرك إقتصادها وتوفر العمل

للعاطلين الذين تزداد أعدادهم كل يوم. أما بحيرات بنغازي التي تفاخر بها، فهي في حاجةٍ إلى عملٍ جبّار لكي تصبح بحيرات تقع على أطرافها المقاهي والمطاعم ويرتادها السواح. إن أجمل ما في بنغازي بحيراتها ولكنها ولسوء الحظ مهملة، فلا الإيطاليون ولا الحكومة السنوسية استطاعا أن يعملا شيئاً من أجلها ويجعلا منها مظهراً جميلاً للمدينة.

وكان شاطئ بحر (جليانا) منذ زمنٍ طويل يرتاده السكان في الصيف للسباحة واستنشاق الهواء المنعش، وقد بنى فيه الإيطاليون مصيفاً خاصاً بهم، ثم شيدت بلدية بنغازي مصيفاً آخر في (جليانا) للمواطنين ولكنه هُدم بعد ذلك، وقام مكانه مصيف خاص، وهو ما يدعى بالنيروز الذي إزداد إقبال الناس عليه خاصةً بعد أن توسع وامتد إلى مسافةٍ بعيدة، إلا أن مياه المجاري التي تصب في البحر لوثت مياهه ومنعت الناس من السباحة فيه، وقد اضطر الناس الآن للذهاب إلى الأماكن البعيدة سعياً وراء بحرٍ غير ملوث يستطيعون السباحة فيه، وقد سمعت مؤخراً بأن البلدية قد بدأت تهتم بإصلاح المجاري وتجنب دفع مياهها إلى البحر، وبذلك نؤمل عودة مصيف (جليانا) إلى ازدهاره في فترةٍ قريبة.

وأطل القرن الجديد ولي من العمر أربعٌ وثمانون عاماً، ومع ذلك واصلت الكتابة وحضور المؤتمرات. وقد أقامت مدينة بنغازي حفل تكريم في جامعة بنغازي لتكريمي مع عوض عبيدة، ورجب الماجري، وكان حفلاً شائقاً حضره الكثير من الناس، وأُلقيت فيه الخطب، وكان تكريمي بصفتي رائد القصة القصيرة في ليبيا، وقُدمت إلينا هدايا كثيرة، وكانت حفلة رائعة أقامتها مدينة بنغازي لتكريمنا، وكانوا يدعونني إلى جميع النشاطات الفكرية، وأحياناً أساهم فيها بورقة أو بكلمة.

هذه آخر فقرة كتبها المرحوم، وقد كتب مذكراته وهو في التسعين من عمره، وكان ذلك بعد عودته من تونس حيث أجريت له عملية على فقرات الرقبة وكان ذلك عام 2005م، واستمرت فترة علاجه ما يقرب من سبعة أشهر، وعندما إستعاد صحته قام بكتابة (ذكريات حياتي) الذي تركه جانباً ليقوم بكتابة كتابيه (مجتمع بنغازي) و(عمر المختار وغرازياني) آملاً بعد ذلك مراجعة مذكراته لنشرها، ولكن وافته المنية قبل أن يتمكن من ذلك، وقبل أن يستنشق نسيم الحرية الذي طالما تمناه وحلم به، ولكنه ما كان ليحتمل العذاب الذي ذاقه الشعب الليبي خلال هذه الأشهر التسع الطويلة، من سفك دماء،

وتشريد، واغتصاب ودمار، وكم تمنينا وجوده معنا ليشاركنا فرحتنا بالقضاء على الطاغية وتحرير ليبيا الحبيبة منه ومن نظامه وأعوانه.

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.



حفلة تكريمي في جامعة بنغازي

الملوك والرؤساء الذين التقيت بهم

1. الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة.
2. الملك الحسن ملك المملكة المغربية.
3. الملك الحسين ملك الأردن.
4. الملك سعود بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية.
5. الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية.
6. الملك فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية.
7. الملكة إليزابيث ملكة المملكة البريطانية المتحدة.
8. الملك بودوان الأول ملك بلجيكا.
9. ملك النيبال.
10. الإمبراطور هيلا سلاسي إمبراطور إثيوبيا.
11. الرئيس برتيني رئيس جمهورية إيطاليا.
12. الجنرال أيوب خان رئيس الجمهورية الباكستانية.
13. الجنرال فرانكو رئيس المملكة الأسبانية.
14. الرئيس فنسان لوريل رئيس الجمهورية الفرنسية.
15. الرئيس أحمد بن بلا أول رئيس للجزائر.
16. الرئيس هواري بو مدين رئيس الجمهورية الجزائرية.
17. الرئيس الشاذلي بن جديد رئيس الجمهورية الجزائرية.
18. الرئيس رفائل كلديرا رئيس جمهورية ڤنزويلا.
19. الرئيس الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية.

20. الرئيس شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية.

21. الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير الكويت.

22. الشيخ صباح سالم الصباح أمير الكويت.

23. الشيخ جابر أحمد الصباح أمير الكويت.

24. الشيخ صباح أحمد الصباح أمير الكويت.

25. أمير البحرين.

26. أمير قطر.

27. الشيخ شخبوط أميرابوظبي.

28. الرئيس شارل الحلو رئيس جمهورية لبنان.

29. الرئيس أمين الحافظ رئيس الجمهورية السورية.

30. الرئيس عبد السلام عارف رئيس الجمهورية العراقية.

31. الرئيس عبد الله السلال رئيس جمهورية اليمن.

32. الرئيس اسماعيل الأزهري رئيس جمهورية السودان.

33. اللواء محمد نجيب رئيس جمهورية مصر.

34. الرئيس كوامي نكروما رئيس جمهورية غانا.

35. الرئيس سنغور رئيس جمهورية السنغال.

36. الرئيس موديبو كيتا رئيس جمهورية مالي.

37. الرئيس حماني ديوري رئيس جمهورية النيجر.

38. الرئيس محمد ريبادو رئيس جمهورية نيجيريا.

39. الرئيس سيكو توري رئيس جمهورية غينيا.

40. الرئيس تومبول باي رئيس جمهورية تشاد.

41. الرئيس أحمد أهيجو رئيس الكاميرون.

42. الرئيس جوليو نيريري رئيس جمهورية تنزانيا.

43. الرئيس جومو كنياتا رئيس جمهورية كينيا.

44. الرئيس فيديل كاسترو رئيس جمهورية كوبا.

45. الرئيس جون كيندي رئيس الولايات المتحدة.

46. الرئيس جونسون رئيس الولايات المتحدة.

47. الجنرال سوهارتو رئيس جمهورية إندونيسيا.

48. الرئيس جلال بايار رئيس جمهورية تركيا.

49. الرئيس عبد العزيز بوتفليقة رئيس جمهورية الجزائر.

50. الرئيس تابمان رئيس جمهورية ليبيريا.

الملاحق

وزارة الخارجية

المفوضية الملكية المصرية

بمدينة باريس

بشأن :

رقم القيد 194

رقم الملف 31/11

عدد المرفقات

تحريرا فى 21 فبراير سنة 1947 (سنة 135)

حضره المحترم الدكتور وهبى البورى

بالاشارة الى كتابك الى هذه السفارة المؤرخ 21/1/47 اتشرف بافاده حضرتكم ان السفاره احالت موضوعكم على الامانه العامه لجامعه الدول العربية بالقاهره ، للنظر فيه ، حيث انه لا يوجد معكم اى جواز سفر او اى ورقه اخرى • وسنوافيكم بتعليمات الامانة العامه حين ورودها •

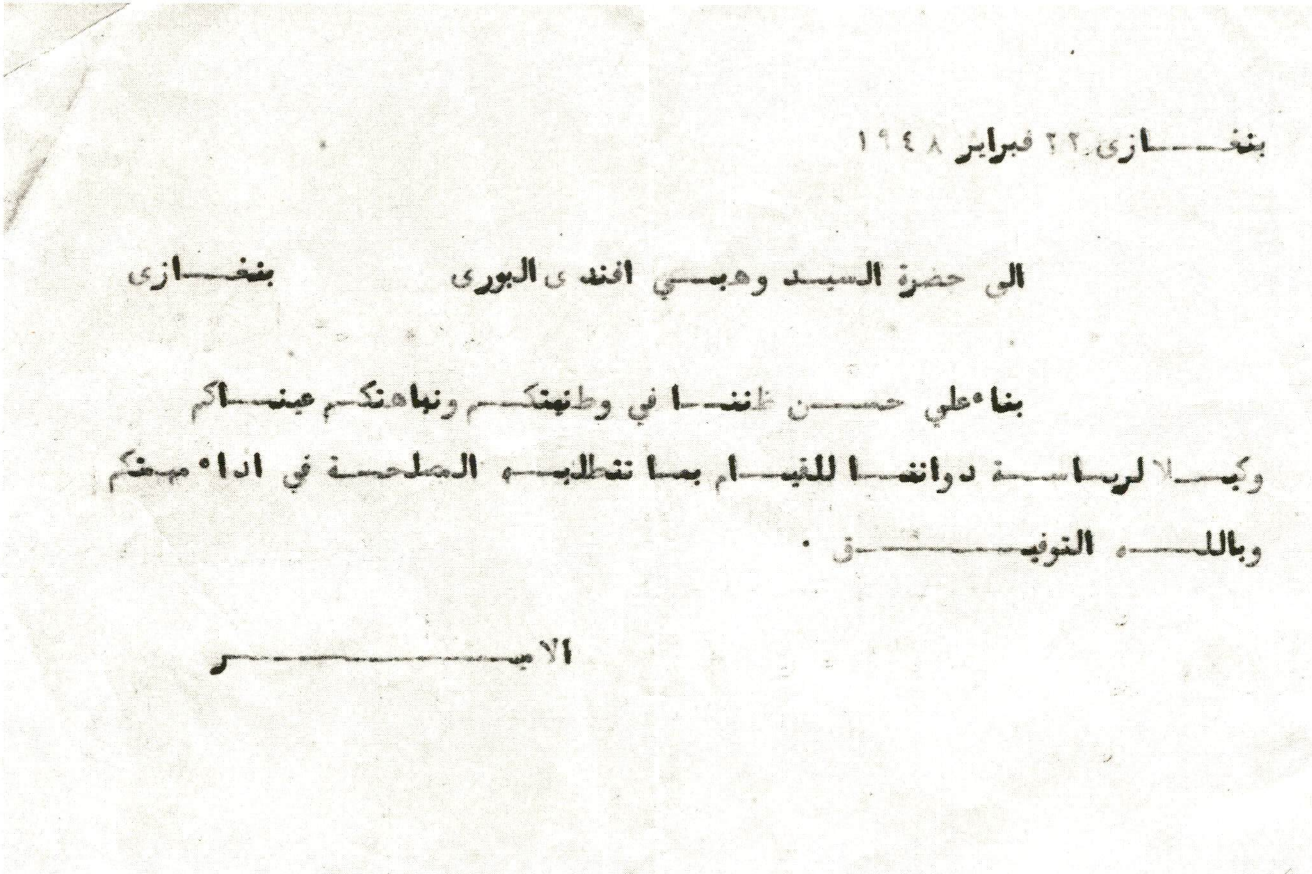
وتفضلوا حضرتكم بقبول وافر الاحترام ،،،

القائم بالاعمال بالنيابه

[توقيع]

المطبعة الأميرية ١٩٣٥-١٠٦٧ ... ٥٠٠٠

رسالة من المفوضية المصرية بباريس تطالبني بإرسال جواز سفري للحصول على تأشيرة دخول إلى مصر.

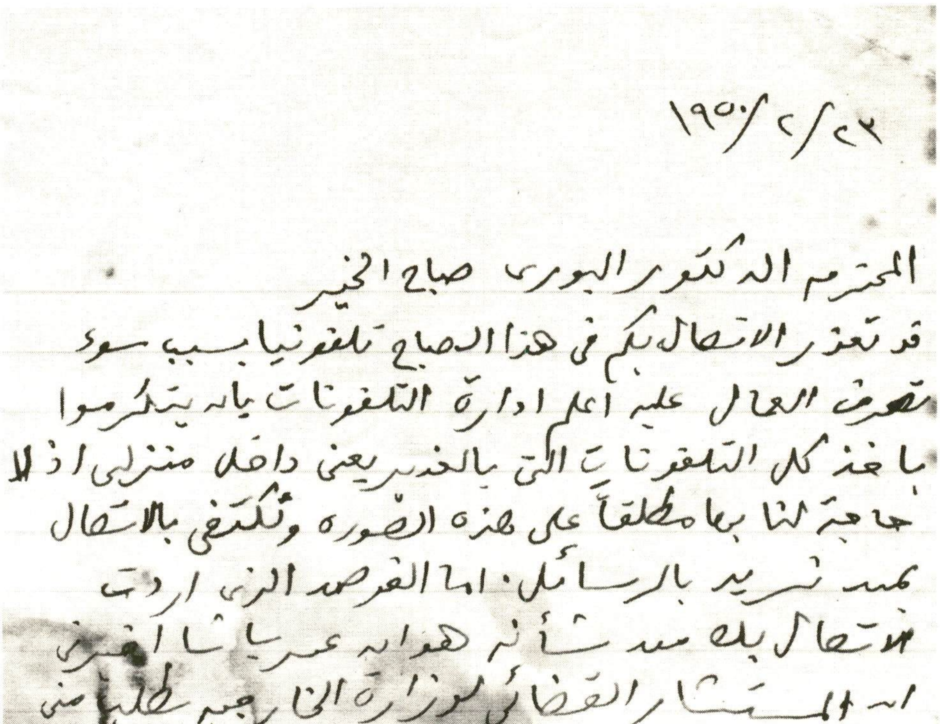

بنغازى ٢٢ فبراير ١٩٤٨

الى حضرة السيد وهبي افندى البورى   بنغازى

بناءعلي حسن ظننا في وطنيتكم ونباهتكم عيناكم
وكيلا لرياسة ديواننا للقيام بما تتطلبه المصلحة في اداء مهمتكم
وبالله التوفيق .

الامير

مرسوم تعييني وكيلاً للديوان الأميري.



٢٢/٢/١٩٥٠

المحترم الدكتور البوري صباح الخير

قد تعذر الاتصال بكم في هذا الصباح تلفونيا بسبب سوء
تصرف العمال عليه اعلم ادارة التلفونات بانه يتكرموا
باخذ كل التلفونات التي بالغدير يعني داخل منزلي اذ لا
حاجة لنا بها مطلقاً على هذه الصورة ونكتفي بالاتصال
بمن نريد بالرسائل. اما الغرض الذي اردت
الاتصال بك من شأنه هو ان عمر باشا افهمني
ان المستشار القضائي لوزارة الخارجية طلب مني
تعيينه معاد يزورني عليه انت اتصل بالمستشار
القضائي لوزارة العدل وقل له نعلم زميله المذكور
آنفاً انهم يأتياني سويا هذا النهار مساء في
الساعة الرابعة والنصف لمنزلي بالغدير ودمتم

ادريس
السنوسي

رسالة الأمير إدريس يطلب فيها إزالة أجهزة الهاتف من داره لعدم صلاحيتها.

نص البرقية التي ارسلت الى
حضرات اصحاب الجلالة والفخامة الملك فاروق والملك عبد العزيز والملك احمد وبشارة الخوري
وهاشم الأتاسي –

INNA ALJAMIAH ATTASISIAH ALLIBYAH ALMUALLAFAHA WIFKAN LIKARARI
HAIATI ALUMAM WALLATI TUMATTILU ASHAAB ~~A~~ ALLIBI BIAKTARIHI ATTALATAH
KAD KAWANAT WAFDAN LIUSAFIRA ILA ALKAHIRA BIMUNASABATI IDRAGI
ALKADIAH ALLIBYA FIGIADWALI AMALIALLAJNATI ASSIASIAH BILJAMIAH
ALARABIAH LILITTISALI BIRUASAI ALWFUD ALARABIAH FILIJAMIAH
WALITAWDIH HAKIKATA ALNADA FILIBYAH WALISHARH ALMULABASAT ALLATI
IKTANAFAT ALKADIAH ALLIBYAH HATTA ALAN STOP WAKAD ILTAMASAT MINNA
ALHAIAT ATTASISIAH AN NABRI-KA Jalalatikum / Fakhamatikum MUAMMILINA AN YAKIFA
WAFDAKUM BILJAMIAH INDA BAHTHI ALKADIAH ALLIBYAH FILLAJNATI
ASSIASIAH ILA JANIBI ALHAK WALADALAH BIADAMI ATTAARRUDI LIAHLI
ALBILADI FISHUUNIHIM ADDAKHILIAH STOP WANANTAHIZU HADI-HI ALFURSAH
LINABATHA Jalalatikum / Fakhamatikum BIWAFIR ALIHTIRAM WATYAB ATTAMANNIAT
LISHAKHSIKUM ALKARIM WALISHAABIKUM ANNABIL ASHAKIK

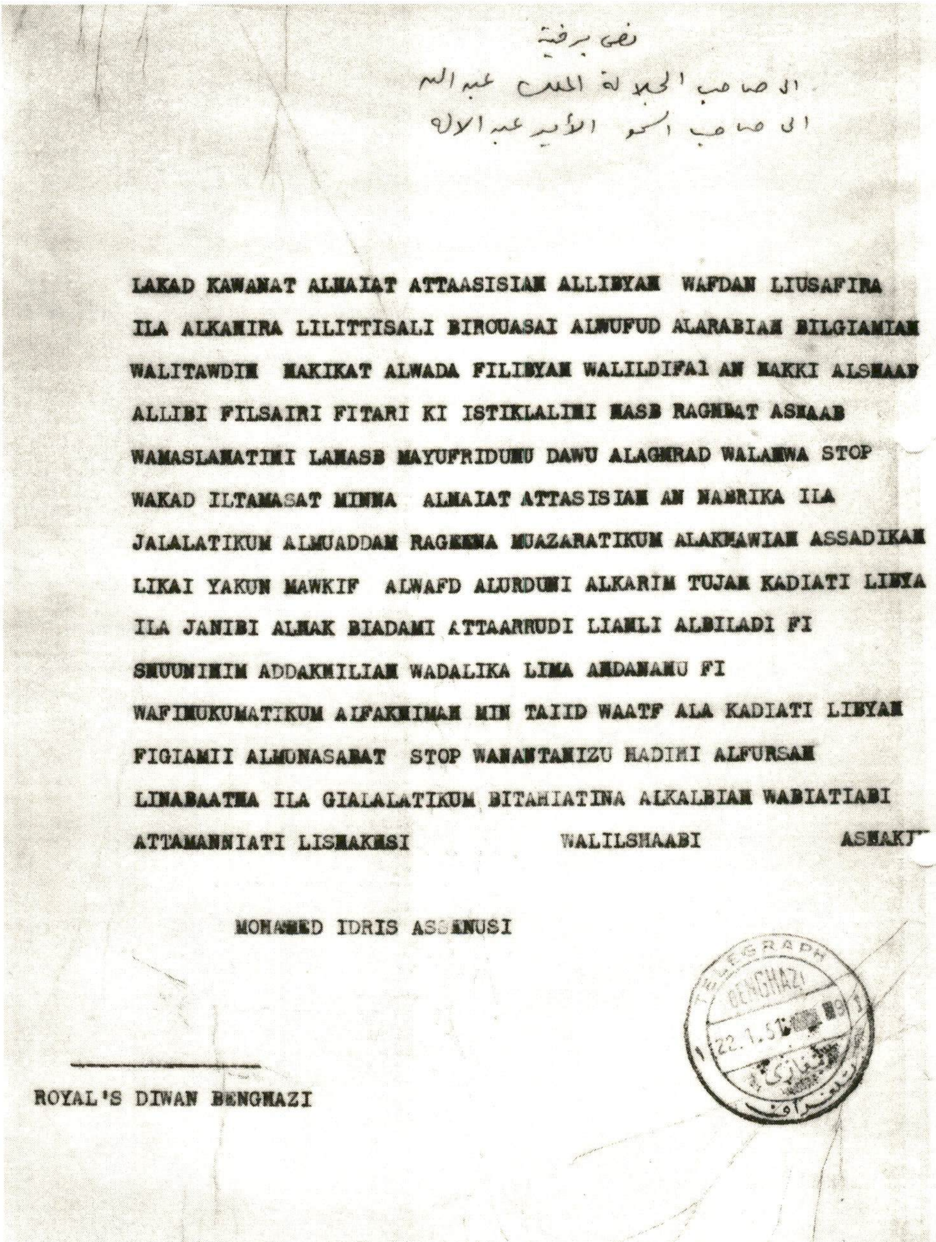
MOHAMMED IDRIS ASSENUSI

ROYAL'S DIWAN BENGHAZI

TELEGRAPH
BENGHAZI
22.1.51
بنغازي

برقية من الأمير الى رؤساء الدول
العربية يطالب فيها الاعتراف باستقلال
برقة

برقية من الأمير إلى رؤساء الدول العربية يطالب فيها الاعتراف باستقلال برقة.



نص برقية
الى صاحب الجلالة الملك عبد الله
الى صاحب السمو الأمير عبد الإله

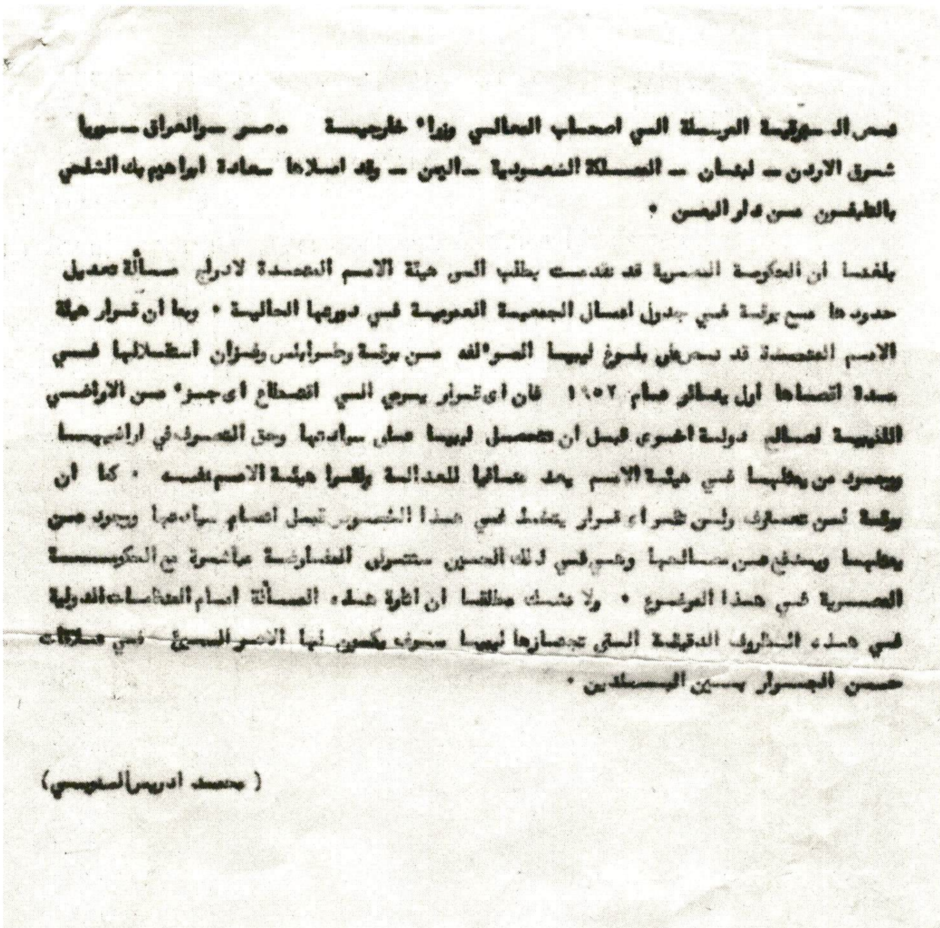
LAKAD KAWANAT ALHAIAT ATTAASISIAH ALLIBYAH WAFDAN LIUSAFIRA
ILA ALKAHIRA LILITTISALI BIROUASAI ALWUFUD ALARABIAH BILGIAMIAH
WALITAWDIH HAKIKAT ALWADA FILIBYAH WALILDIFAI AN HAKKI ALSHAAB
ALLIBI FILSAIRI FITARI KI ISTIKLALIHI HASB RAGHBAT ASHAAB
WAMASLAHATIHI LAHASB MAYUFRIDUHU DAWU ALAGHRAD WALAHWA STOP
WAKAD ILTAMASAT MINNA ALHAIAT ATTASISIAH AN HABRIKA ILA
JALALATIKUM ALMUADDAM RAGHENA MUAZARATIKUM ALAKHAWIAH ASSADIKAH
LIKAI YAKUN MAWKIF ALWAFD ALURDUNI ALKARIM TUJAH KADIATI LIBYA
ILA JANIBI ALHAK BIADAMI ATTAARRUDI LIAHLI ALBILADI FI
SHUUNIHIM ADDAKHILIAH WADALIKA LIMA AHDANAHU FI
WAFIHUKUMATIKUM ALFAKHIMAH MIN TAIID WAATF ALA KADIATI LIBYAH
FIGIAMII ALMUNASABAT STOP WANANTAHIZU HADIHI ALFURSAH
LINABAATHA ILA GIALALATIKUM BITAHIATINA ALKALBIAH WABIATIABI
ATTAMANNIATI LISHAKHSI WALILSHAABI ASHAKI

MOHAMED IDRIS ASSANUSI

TELEGRAPH BENGHAZI 22.1.51

ROYAL'S DIWAN BENGHAZI

برقية من الأمير إدريس إلى الأمير عبدالله والأمير عبدالإله بخصوص القضية الوطنية



نص البرقية المرسلة الى اصحاب المعالي وزراء خارجية مصر - العراق - سوريا شرق الاردن - لبنان - المملكة السعودية - اليمن - وقد ارسلها سعادة ابراهيم بك الشلحي بالتليفون من دار الحسن .

بلغنا ان الحكومة المصرية قد تقدمت بطلب الى هيئة الامم المتحدة لادراج مسألة تعديل حدودها مع برقة في جدول اعمال الجمعية العمومية في دورتها الحالية . وبما ان قرار هيئة الامم المتحدة قد نص على بلوغ ليبيا المؤلفة من برقة وطرابلس وفزان استقلالها في مدة اقصاها اول يناير عام ١٩٥٢ فان اى قرار يرمي الى اقتطاع اى جزء من الاراضي الليبية لصالح دولة اخرى قبل ان تحصل ليبيا على سيادتها وحق التصرف في اراضيها ويصدر من يطلبها في هيئة الامم يعد منافيا للعدالة ولقرار هيئة الامم نفسه . كما ان برقة لن تعترف بأي قرار يتخذ في هذا الخصوص قبل اتمام سيادتها ووجود من يمثلها ويدافع عن مصالحها وهي في ذلك الحين ستتولى المفاوضة مباشرة مع الحكومة المصرية في هذا الموضوع . ولا نشك مطلقا ان اثارة هذه المسألة امام الهيئات الدولية في هذه الظروف الدقيقة التي تجتازها ليبيا سوف يكون لها الاثر السيء في علاقات حسن الجوار بين البلدين .

(محمد ادريس السنوسي)

نص البرقية التي بعث بها الأمير إدريس إلى الملوك والرؤساء العرب في عام 1949م، بخصوص مطالبة مصر بأجزاء من الأراضي الليبية.

المملكة الليبية المتحدة

وزارة الدفاع

سري جداً

بنغازي في ١٤/٧/١٩٥٨

رقم الملف ١/ ٤٧/ ١٤٨

حضرة السيد المحترم سكرتير عام مجلس الوزراء الموقر

بنغازي

بعد التحية،

يشرفني أن أبعث الى حضرتكم مرفقاً طي هذه الرسالة صورة طبق الأصل من البرقية الواردة إلينا من حامية غات العسكرية بخصوص الحالة على الحدود الليبية الجزائرية، والموقف الراهن هناك بسبب تجمع القوات الفرنسية على طول الحدود وتحليق طائرات الاستطلاع باستمرار فوق غات.

نرجو التفضل باطلاع سيادة رئيس مجلس الوزراء على محتويات البرقية المشار إليها أعلاه،

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام،

الزعيم محمد موس

المدير العام

رسالة بخصوص الاعتداء الفرنسي على حدود ليبيا الجنوبية في عام 1958م.

سري جداً

برقية

الزعيم السنوسي لطيوش
الأركان . بنغازي

ح/٦٧/٤١ تحشد القوات الفرنسية على طول الحدود الليبية الجزائرية الهجانة والقوة المتحركة الصحراوية في تينالكوم برج دبابات ومدرعات ومدفعية خفيفة وجبلية . طائرات الاستطلاع تحلق فوق غات باستمرار . دخلت الدوريات بالسيارات قرب أسين ودوريات هجانة قرب تينغاسين وجميع النقاط متصلة لاسلكياً
أ نؤفا ء

الملازم سالم الفرجاني

برقية بخصوص الاعتداء الفرنسي على حدود ليبيا الجنوبية عام 1958م.

١ ـ لم يكن تفجير خزانات البترول في مرسى بريقه مفاجأة في القاهرة ، وقد تلقته الاوساط القاهرية وكأنه شيء لا بد من حدوثه ، اذ انه كان متوقعا .

يقال ان نشاط المخربين قد تحول ، طبقا لخطة مرسومة ، الي المنطقة الغربية من برقه لعدة اسباب اهمها =

أ ـ ابعاد الشبهة عن الجمهورية العربية المتحدة .

ب ـ لأن المناطق البعيدة عن الحدود تكون الحراسة فيها غير شديدة .

جـ ـ التخريب في مناطق بعيدة عن الحدود يلهي قوات الامن ويصرف نظرهم بعيدا عن الحدود الشرقية وينتج عن ذلك تخفيف الحراسة في مناطقها .

٢ ـ يقال ان الذين وضعوا المتفجرات هم من الليبيين الذين دربوا تدريبا سريعا علي استعمالها في بنغازى.

٣ ـ يقال ان لالالالا المدعو يونس عبد القادر (اوعبد القادر يونس) هو الذى اشرف علي عملية التدريب .
ويقال ان هذا الشخص له اتصالات واسعة مع بعض المواطنين وله معرفة بالكثيرين لأنه سبق له العمل في ليبيا كضابط اوضابط في الجيش السنوسي .
يقال انه دخل ليبيا في يونيو وغادرها قبل الانفجارات بمدة قصيرة ، وكان في المدة الاخيرة يقيم في بنغازى وفي فندق البرنتش بالذات .

٤ ـ يقال ايضا ان يونس المذكور قد اسس منظمات سرية بالاتفاق مع بعض الليبيين ويقال انها سميت منظمات المقاومة السرية . ولهذه المنظمات فروع في المحافظات الكبيرة . ويمول هذه المنظمات شخص ليبي ويقبض المقابل في احد البنوك في الخارج .

٥ ـ ان ضباط اتصال المنظمات المهندس سعيد حكيم في محافظة طرابلس ، ومدير المركز التجارى سمير الجمال في محافظة بنغازى .

٦ ـ يقال ان المهندس سعيد حكيم زود المخابرات بصور للاهداف التي تقل فيها الحراسة ويمكن التسلل اليها وتخريبها .

٧ ـ يقال ان النية متجهة الي تخريب صهاريج البترول في المدن طرابلس وبنغازى.

٨ ـ ان المطارات من الاهداف التي يقال انها داخلة في مخطط التخريب .

٩ ـ ان المقصود من التخريب ليس للاضرار التي تلحق بالمنشآت بل اثارة القلق وعدم الاستقرار.

وثيقة حول عمليات تخريب منشآت البترول.

ايها الشعب الليبى الكريم

هل تعلم العلة فى تمكن الاستعمار منا ؟ ؟ ؟

انها حكامنا — حكامنا الذين يتعاونون مع المستعمر من كل لون — حكامنا الذين يمتصون الدماء — حكامنا الذين يثرون ويرتشون على حساب الشعب .

اين هؤلاء الحكام من قادتنا المكافحين الذين لم يرضوا بالحريه ولا بالاستقلال بديلا — اين هم من الذين حاربوا الاستعمار والظلم من اجل الشعب — اين هم من الذين ضحوا بارواحهم رخيصه فى سبيل حريه الشعب ؟ ؟ ؟

يقولون انها الحالة الاقتصاديه للبلاد التى تدعونا الى التعاون مع الاستعمار والاحتلال — انها معونات الانجليز والامريكان التى لولاها لما عاشت البلاد . ان هذا هو الكذب والبهتان — هذا هو النفاق والتدليس — ماذا اصابنى انا وانت من الاعانات ؟ ؟ اين هى المشروعات والمصانع وابواب الرزق التى فتحت امام الشعب منذ احتلنا المستعمرون ؟ ؟

ان الاعانات ان هى الا رشاوى وهبات تدفع للحكام والوزراء فى صورة مهايا ضخمه وسيارات فخمه ومنازل مؤثثه وخدم وحشم وبساوارات .

ايها الشعب الليبى الكريم .... ان اولى اسباب النجاح هى المعرفه ... ونحن قد آلينا على انفسنا ان ننير امامك الطريق وانا للفساد والظلم بالمرصاد .

هل تعلم لماذا صدر المرسوم الولائى بفض دورة المجلس التشريعى لولاية طرابلس قبل موعده بشهرين ؟ ؟ ؟

هل تعلم ان السبب هو استجواب احد اعضاء المجلس التشريعى بشان بناء وتاثيث منزل الوالى الذى زادت تكاليفه عن ٦٠ الف جنيه ؟ ؟ اليس هذا امتصاص للدماء واهدار للسلطات النيابيه بالبلاد ؟ ؟

هل تعلم ان ماهية الوالى ١٥٠ جنيها شهريا ؟ ؟ هل تعلم انه بلباقته ومهارته (كما يدعى) امكنه ان يدخر مبلغ ١٩ ألف جنيه من ماهيته (البالغ قدرها ثلاثة آلاف جنيه منذ توليه الولايه) وبنى لنفسه مستعمرة من العمارات ؟

هل تعلم ان الوالى ورئيس مجلسه التنفيذى قد اوقفا موظفا عن العمل لانه قدم شكوى رسميه صريحه يتهم فيها احد رؤسائه بالاختلاس ؟ ؟ اهكذا يعامل الشرفاء ؟ ؟

هل تعلم ان القنابل التى القيت عليكم يوم وقفتكم المشرفه مع اخوانكم العرب قد احضرها الوالى من المعسكرات الانجليزيه خصيصا ليحمى بها شعور اولياء نعمته الانجليز ؟ ؟

هل تعلم ان الوالى ورئيس مجلسه التنفيذى يسخرون بوليس الولايه لحراسة البواخر الانجليزيه وقوافل السيارات المشحونه بالذخائر والاسلحه ؟ ؟ هل تعلم ان البوليس السرى منتشر فى كل مكان ؟ واخيرا هل تعلم ان من بين رجال البوليس من هم اكثر منى ومنك غيره على مصالح وسمعة البلاد ؟ ؟ ؟

هل تعلم ان حادث الجندى الامريكى الذى قتل ثلاثة شبان ليبيين بسيارته بينما كان مخمورا وبرفقته احدى العاهرات ان هى الا احدى عشرات الحوادث التى تحدث بالبلاد ؟ ؟

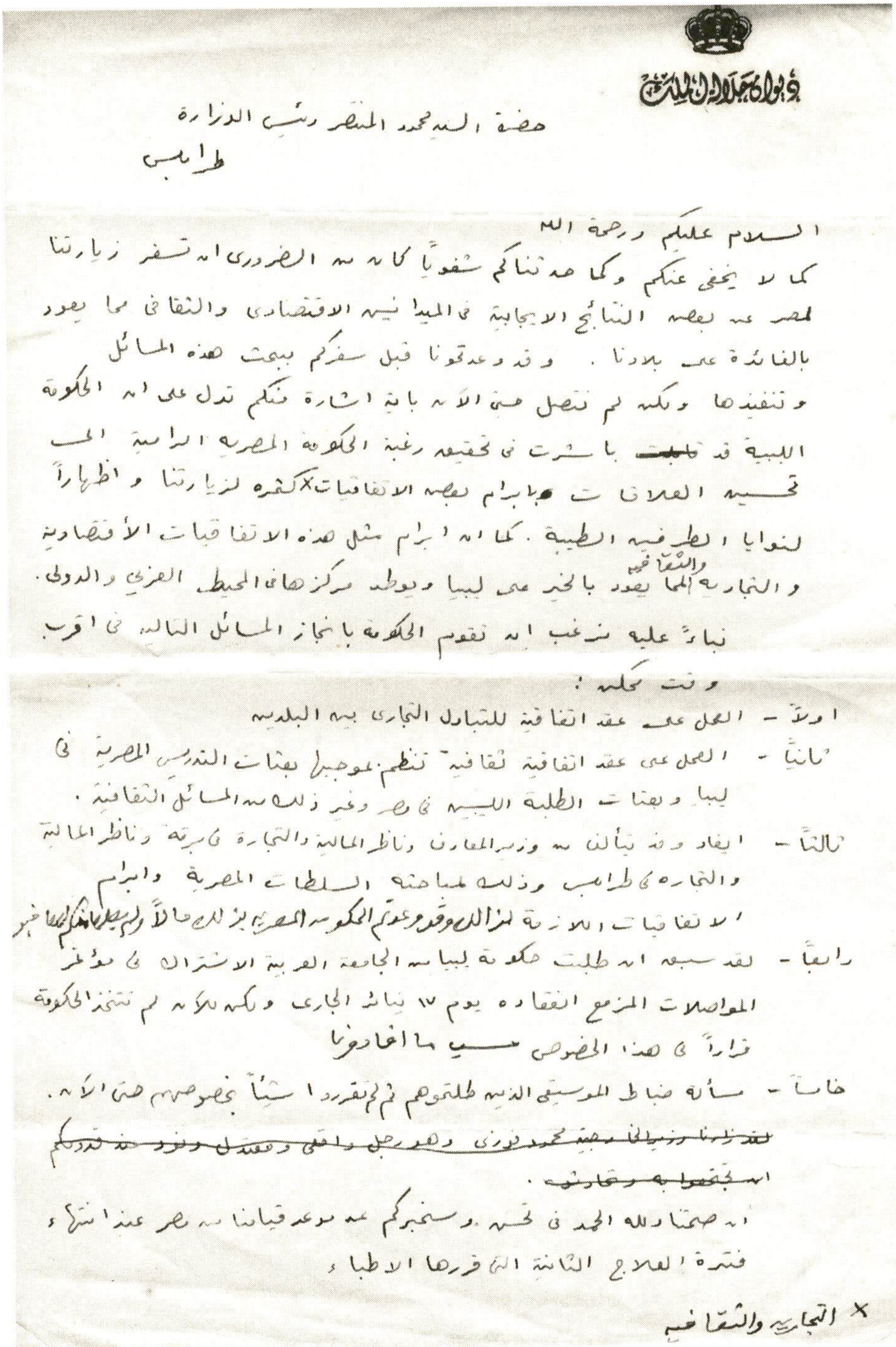
هل تعلم ان حكومة بن حليم تتنازل عن حق الحكومه والشعب فى مثل هذه القضايا ارضاء لشعور المستعمرين ؟ ؟

هل تعلم ان الفرنسيين فى فزان يزيدون قواتهم ويحصنون قلاعهم وانهم لن يجلوا عن البلاد وانهم مستعدون لاعلان مبالغ الرشاوى التى دفعوها لتوقيع المعاهدة الليبيه الفرنسيه ؟ ؟

هل تعلم ان قوة دفاع برقه قد زاد عددها عن عدد الجيش الليبى نفسه ؟ وهل تعلم ان وظيفتها كبت الشعور الشعبى والقضاء على اى حريه فى الفكر او الاجتماع او الرأى ؟ ؟

هل تعلم ان حالة الطوارئ معلنه فى برقة منذ اكثر من عام ويشرف على ذلك محمود بوقويطين بواسطة جيشه الخاص ؟ ؟

صورة من أحد المنشورات السرية



ديوان جلالة الملك

حضرة السيد محمود المنتصر رئيس الوزارة

طرابلس

السلام عليكم ورحمة الله

كما لا يخفى عنكم وكما حدثناكم شفويا كان من الضروري ان تسفر زيارتنا لمصر عن بعض النتائج الايجابية في الميدانين الاقتصادي والثقافي مما يعود بالفائدة على بلادنا. وقد وعدتمونا قبل سفركم ببحث هذه المسائل وتنفيذها ولكن لم نتصل حتى الآن باية اشارة منكم تدل على ان الحكومة الليبية قد ~~بدأت~~ باشرت في تحقيق رغبة الحكومة المصرية الرامية الى تحسين العلاقات وبابرام بعض الاتفاقيات×كثمرة لزيارتنا واظهاراً للنوايا الطرفين الطيبة. كما ان ابرام مثل هذه الاتفاقيات الاقتصادية والتجارية والثقافية مما يعود بالخير على ليبيا ويوطد مركزها في المحيط العربي والدولي.

بناءً عليه نرغب ان تقوم الحكومة بانجاز المسائل التالية في اقرب وقت ممكن:

اولاً – العمل على عقد اتفاقية للتبادل التجاري بين البلدين

ثانياً – العمل على عقد اتفاقية ثقافية تنظم بموجبها بعثات التدريس المصرية في ليبيا وبعثات الطلبة الليبيين في مصر وغير ذلك من المسائل الثقافية.

ثالثاً – ايفاد وفد يتألف من وزير المعارف وناظر المالية والتجارة ببرقة وناظر المالية والتجارة في طرابلس وذلك لمباحثة السلطات المصرية وابرام الاتفاقيات اللازمة لذلك وقد وعدتم الحكومة المصرية بذلك حالاً اثر رجوعكم للقاهرة

رابعاً – لقد سبق ان طلبت حكومة ليبيا من الجامعة العربية الاشتراك في مؤتمر المواصلات المزمع انعقاده يوم ١٧ يناير الجاري ولكن للآن لم تتخذ الحكومة قراراً في هذا الخصوص حسب ما افادونا

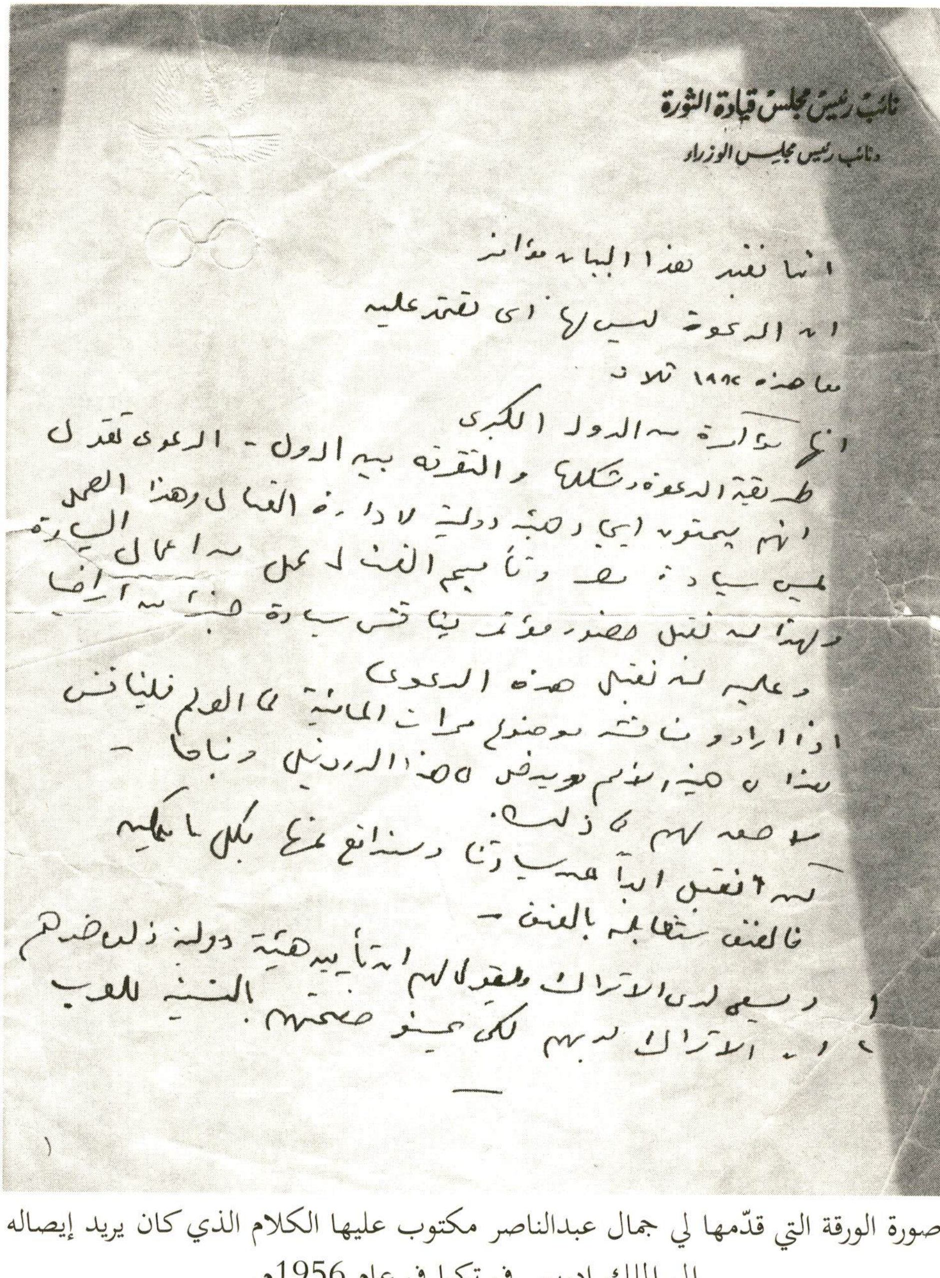
خامساً – مسألة ضباط الموسيقى الذين طلبتموهم لم تقرروا شيئاً بخصوصهم حتى الآن.

~~لقد زارنا وزيرنا معالي محمد فوزي وهو رجل واقعي ومعتدل ونود منكم ان تنتفعوا به وبتجاربه.~~

ان صحتنا ولله الحمد في تحسن. وسنخبركم عن موعد قيامنا من مصر عند انتهاء فترة العلاج الثانية التي قررها الاطباء

× التجارية والثقافية

رسالة موجّهة من الملك خلال إقامته في القاهرة إلى رئيس الوزراء محمود المنتصر.



نائب رئيس مجلس قيادة الثورة
ونائب رئيس مجلس الوزراء

انما نعتبر هذا البيان مؤامرة
ان الدعوة ليس لها أي [illegible] تعتمد عليه
معاهدة ١٨٨٨ ثلاث
انها مؤامرة من الدول الكبرى
طريقة الدعوة وشكلها والتفرقة بين الدول - الدعوى تعدل
انهم يعتبرون أي رغبة دولية لادارة القنال وهذا العمل
[illegible] ونأ [illegible] الى [illegible] من اعمال الحرب [illegible]
ولهذا لن نقبل [illegible] تمس سيادة [illegible] من الحرب
وعليه لن نقبل هذه الدعوى
اذا ارادوا مناقشة موضوع [illegible] في العالم فلينافس
[illegible] هذا الدبيل [illegible]
من حقهم في ذلك
لن نقبل ابدا [illegible] وسنقاوم بكل امكانياتنا
فالعنف سنقابله بالعنف -
[illegible] لدى الاتراك ونعتقد انهم ان تأييد هيئة دولية ذلك ضدهم
[illegible] الاتراك لديهم لكى [illegible] [illegible] الشعب للعرب

صورة الورقة التي قدّمها لي جمال عبدالناصر مكتوب عليها الكلام الذي كان يريد إيصاله إلى الملك إدريس في تركيا في عام 1956م.

النصيحة التاريخية الخالدة التى وجهها عاهل البلاد المفدى محمد الادريس الاول ملك المملكة الليبية المتحدة الى شعبه الوفى بمناسبة عيد الاستقلال العاشر .

فى يوم الاحد ١٦ رجب سنة ١٣٨١ هـ . الموافق ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٦١ م .

بسم الله الرحمن الرحيم

شعبى الليبى العزيز :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ احمد الله تبارك وتعالى الذى اسعدنى بالحظ لان اتحدث اليكم فى هذه المناسبة السعيدة ، الا وهى (الذكرى العاشرة) لاعلان استقلال بلادنا العزيزة ، فانى اهنئكم من صميم قلبى واهنىء نفسى الذى انعم الله على بالحياة حتى هنأتكم بالذكرى العاشرة للاستقلال . وقد لا يسعدنى ـ بهذا ـ الحظ فى المستقبل ، بان اتحدث اليكم فى مناسبة كهذه فاود ان اسدى اليكم النصح ـ انما الدين النصيحة ـ

وأوصيكم بتقوى الله ، فى السر والعلانية ، وان تشكروه على ما اولاكم من نعمة الاستقلال والحرية فى بلادكم (واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) .

والشكر ليس باللسان فقط ولكنه باتباع اوامره والانتهاء عما نهى عنه والتعاون على البر والتقوى (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) ، فان كفر النعمة موجب لزوالها وقال تعالى (ومن يبدل نعمة الله من بعدما جاءته فان الله شديد العقاب) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته فى حجة الوداع « ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، الا فليبلغ الحاضر الغائب ورب مبلغ اوعى له ممن سمع » ، ففى اتباع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم النجاة من سوء المغبة .

واوصيكم بان تحافظوا على هذا الاستقلال الذى جاهدتم من اجله زمنا طويلا وقاسيتم من أجله عذابا مريرا .

كما اوصى اولى الامر منكم بالعدل والانصاف وكلكم راع ومسئول عن رعيته .
كما اوصى عامتكم بالطاعة لاولى الامر منكم« ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق »
(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) .

اخوانى :

اذا كانت السنوات العشر الماضية سنوات كفاح فى سبيل العيش ، فان السنوات المقبلة ستنعم بالرخاء باذن الله تعالى بما من الله به علينا ، من خيرات اراضينا ، ولكن الكفاح من الآن لن يكون اقل صعوبة من كفاح السنين العشر الماضية ، فللرخاء مشاكل يتحتم علينا جميعا مواجهتها وحلها بما يعود على الشعب الليبى فى مجموعه بالرخاء والتقدم .

وللوصول الى هذه الغاية يجب علينا التسلح بالاخلاق الكريمة والتمسك باهداب الشريعة .

ان من النتائج السيئة التى يحملها الرخاء معه ميل الناس الى حب الاثراء والانغماس فى الملذات والبذخ والافراط والميل الى الراحة والكسل فهذه كلها اسباب ضعف وانحلال احذركم من مغبتها واوصيكم باجتنابها وليكن رائدنا الاخلاص لديننا ووطننا وشعبنا واسال الله ان يعيد هذا العيد عليكم باليمن والخير والرفاهية والاستقرار .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الملك إدريس بمناسبة عيدالاستقلال العاشر عام 1961م.

لا ديمقراطية
بدون مؤتمرات شعبية

(١١)

بعثة
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية
لدى الامم المتحدة
نيويورك

المرفقات: ....

التاريخ ١٧ جماد الثاني ١٣٨٨ من وفاة الرسول
الموافق ١٥ مايو ٧٩ ١٩م
الرقم ١٠٩٥/٤٠/٦/٣

الى الادارة العامة لشئون الامم المتحدة والمنظمات الدولية
امانة الخارجية

بعد التحيه ....

خلال المحادثات التي أجراها الاخ الامين والاخ المندوب مع أمين عام الامم المتحدة في ١١ أكتوبر ١٩٧٨ (عند انعقاد الدورة العادية الثالثة والثلاثين للجمعية العامة)، أثير موضوع امكانية تعيين عنصر عربي ليبي لعضوية مجلس أمناء معهد الامم المتحدة للابحاث والتدريب.

وبناء على ذلك، تم ابلاغ الامين العام رسميا في ١٣ أكتوبر ١٩٧٨ بترشيح الاخ الدكتور وهبي البوري مندوب ليبيا السابق لدى الامم المتحدة لشغل هذا المنصب.

وخلال الاسبوع الماضي قام الدكتور (NICOL) المدير التنفيذي لمعهد الامم المتحدة للتدريب والابحاث بزيارة الاخ المندوب في مكتبه حيث أبلغه أن الامين العام شخصيا لا زال مهتما بترشيح الدكتور البوري وأن الاعضاء الحاليين بالمجلس قد مددت عضويتهم لثلاث سنوات أخرى تنتهي في ١٩٨٢، ليتم تعيين الاعضاء الجدد ومن بينهم الدكتور البوري خاصة وأنه المرشح الوحيد حتى الآن عن اقليم شمال افريقيا.

وللمعلومية فان العضوية بمجلس الامناء ليس لها أي تأثير على الوظيفة أو المهمة الاساسية التي يضطلع بها العضو وأنه

ترشيحي لعضوية معهد الأمم المتحدة للتدريب والأبحاث.

لا يتقاضى مرتبا عن منصبه بالمجلس، كما أن من المزايا التى يتمتع بها الاعضاء - الى جانب مايعود على بلادهم - حصولهم على علاوة يوميه (Per-diem) لتغطية مصاريف اقامتهم أثناء حضورهم اجتماعات مجلس الاعضاء التى لا تتجاوز فى العادة الاسبوع، وتذكرة سفر بالدرجة الاولى (ذهاب وعوده) من مقار اقامتهم .

لمعلوميتكم .

والسلام عليكم ورحمة الله ،،،

" مصباح عبدالقادر اللافى "
أمين ثالث

صوره الى الاخ الدكتور وهبى البورى
منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط / الكويت

محرر: م.ع. اللافى :ط: م. بوحريبه

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

اللجنة الوطنية للطاقة

ص.ب : ١٢٢٢١ - طرابلس

تلكس : ٢٠٦٨١ ٢٠٢٧٠ - طرابلس

لا ديمقراطية بدون
مؤتمرات شعبية

رقم الاشاري طو ١١/٦/٨ ت ٨٧/٤٦١

التاريخ ٢٥ صفر ٩٧ ١٣ و.ر
الموافق ١٨ /١٠ /١٩٨٧ م

الاخ / د. وهبي البوري

مستشار بالاوابك

بعد التحيـــة ،،،

يسر اللجنة الوطنية للطاقة التابعة للمؤسسة الوطنية للنفط دعوتكم لحضور الندوة العلمية (الليبية الايطالية) حول قضايا الطاقة التى ستعقد خلال الفترة من ٢٧ ـ ٢٩ من شهر التمور ١٩٨٧م. بالفندق الكبير بطرابلس.

ان حضوركم وترشيح عاصر من لهم اهتمامات بشئون الطاقة سيسهم فى اثراء اعمال الندوة وانجاحها ، وتجدون مرفقا نسختين من البرنامج الفنى لهذه الندوة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتـــه ،،،

(د. عبد الحفيظ بن عمران)
رئيس اللجنة الوطنية للطاقة

٢ شارع جاكارتا الدور الخامس طرابلس ٥ . ٣٢٩٢٧ ـ ٢٩٧١٣

دعوة لحضور الندوة العلمية (الليبية الإيطالية) حول قضايا الطاقة.

لا ديمقراطية بدون مؤتمرات شعبية

الرقم الاشاري : ك ع/م/د/ب

أمانة المؤتمر العام للأدباء والكتاب

التاريخ : ....

الموافق : 2/5/1993م

الأستاذ القاص الكبير / وهبي البوري

==

بعد التحية

ايمانا منا بدوركم الريادي في حركة القصة العربية الليبية واسهامكم الفعال في حركة الثقافة العربية ، ولما قدمتموه من جهد حقيقي ملموس تقرر تكريمكم هذا العام في مهرجان المدينة الثقافي الذي سيقام في الفترة من 8 الى 1993/5/11م .

علما بأنه سيكون هناك امسية خاصة حول كتابتكم القصصية مع شهادة من طرفكم حول تجربتكم القصصية المتميزة وكذلك من طرف بقية الأخوة المشاركين .

ونحن في انتظار المزيد من العطاء.

" ولكم فائق التقدير والاحترام "

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية فرع بنغازي

رابطة الأدباء والكتاب
بالجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
****

المقر : حي الاندلس بجوار فندق الشاطئ — هاتف 77081 — 77082 ص ب 1017 طرابلس

دعوة رابطة الأدباء لتكريمي في عام 1993م.

الفهرس

حسن يوسف اللموشي



تدور أحداث هذا الكتاب في الفترة ما بين عامي 1916 و 2006م ، وهي فترة تقارب القرن من الزمن .

و يتعرض الكتاب في عمومه ، و بأسلوب قصصي مشوق ، إلى الحقب التاريخية المختلفة التي عاشها مؤلف الكتاب المرحوم د. وهبي البوري ، و الأحداث و المتغيرات الزمنية التي عاصرها في صباه و شبابه ، و خاصة أجواء الحرب العالمية الثانية و التي قضاها خارج ليبيا ، ثم عصر الاستقلال و تكوين الدولة الليبية .

9 789959 110947